

الوجيز
في تفسير القرآن العزيز
تأليف

المفسر المحدث النحوي الأديب
الشيخ علي بن الحسين بن أبي جعفر النابلي

(١٠٢٠ - ١١٣٥ هـ)

عقده وراحمه
الشيخ محمد بن أبي بكر المحمدي
رَبِّهِ الْأَرْزَقُ

المَجِيزُ
فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَعْنِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الوجيز

٤٠٢٨٦
١٤٠٢ هـ

في تفسير القرآن العزيز

تأليف

المفسر المحدث النحوي الأديب

الشيخ علي بن الحسين بن أبي جامع العاملي

(١٠٧٠ - ١١٣٥ هـ)

حققه وراجعاه

الشيخ مالك المحمدي

الجزء الأول



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

الوجيز في تفسير القرآن العزيز الجزء الأول

- | | |
|---|----------------------------------|
| الشيخ علي بن الحسين بن ابي جامع العاملي | □ التأليف : |
| الشيخ مالك المحمودي | □ التحقيق : |
| دارالقرآن الكريم | □ الناشر : |
| دارالقرآن الكريم | □ لتنضيد الحروف والإخراج الفني : |
| الأولى | □ الطبعة : |
| ١٤١٣ هـ | □ تاريخ الطبع : |
| ٣٠٠٠ | □ عدد النسخ : |
| حميد - قم | □ ليتوگرافی : |

حقوق الطبع محفوظة للناسر

كلمة دارالقرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

كان الشيعة ولايزالون السباقين في شتى العلوم والفنون وما زالت تأليفهم القيمة ومنها ما كان في مجال تفسير القرآن العزيز تعتبر من المصادر الهامة في فهم الكتاب المجيد .

ولكن الحكومات الحاكمة حاولت بكل السبل منع انتشار الفكر الإمامي الرافض لكل أنواع الظلم والاستعمار، فمارست ضد حملة علوم أهل البيت أنواع التنكيل من حبس وتشريد وكييل التهم وافتراء الأكاذيب، وحتى القتل والإعدام في محاولة منها لإطفاء نورهم ومحو آثارهم ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأقواهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾^(١).

وفي هذا العصر، عصر التحرر الفكري - حيث وقف الكثير من شباب اليوم على حقيقة الإمامية وزيف المفتريات والأكاذيب - التي دأب المستعمرون وعملاؤهم طيلة قرون على إلصاقها بهم - ظهر الحق وبطل ماكانوا يفترون، خاصة بعد ان تمكن الشيعة من تأسيس أول دولة إسلامية ساعين لتطبيق الإسلام على المجتمع والحياة في

(١) سورة التوبة: ٣٢/٩.

العصر الحاضر، غير أنّ الذي نعتقده هو لزوم التحرك نحو بيان النظرة الشيعية تجاه القرآن العزيز، الذي هو المصدر الأساسي للفكر الإسلامي، والذي طالما افترى على الشيعة بتحريفه.

لذلك عمدت دار القرآن الكريم بأمر زعيم الحوزات العلمية، فقيه أهل بيت العصمة سماحة آية الله العظمى السيد محمد رضا الموسوي الكلایبگانی دام ظلّه منذ تأسيسها إلى تكريس جهودها في المجالات التالية:

- ١- تدوين معجم مخطوطات الشيعة حول القرآن الكريم.
- ٢- تدوين معجم مصنفات الشيعة حول القرآن الكريم.
- ٣- تأسيس مكتبة تخصصية في مجال القرآن وعلومه والتي حوت لحد الآن آلاف المجلدات في مختلف علوم القرآن.
- ٤- العمل على جمع النسخ المخطوطة أو المطبوعة من القرآن الكريم، وقد تألف منها خزانة ثمينة تحتوي على مئات المجلدات وفيها انفس وابدع النسخ الخطية للقرآن الكريم.
- ٥- تشكيل مؤتمر سنوي للبحث عن مفاهيم القرآن الكريم في ذكرى المبعث النبوي الشريف من كلّ عام.
- ٦- العمل على نشر ما يرتبط بالقرآن الكريم من كتب أو مقالات في مجلة «رسالة القرآن».
- ٧- العمل على إحياء تراث الشيعة حول القرآن الكريم، والذي يعتبر هذا الكتاب «الوجيز في تفسير القرآن العزيز» بأكورة اعمالها في هذا المجال.

دواعي اختيار هذا الكتاب :

وأما اختيار هذا الكتاب من بين مئات المؤلفات الشيعية في مجال التفسير فلجهات عديدة أهمها :

الإيجاز مع المحافظة على أداء المعاني بأبلغ العبارات واحتواؤه على ما يهمّ المسلم في فهم الكتاب العزيز بأفضل بيان ، وجهات أخرى اشير الى قسم منها في المقدمة .

ومن هنا حظي هذا الكتاب برغبة علمين عظيمين من أعلام الشيعة وقادتها في العصور الأخيرة على نشره وهما :

سماحة آية الله العظمى فقيه عصره السيّد محسن الطباطبائي الحكيم - قدس سره - كما ظهر ذلك في مصورة الطبعة الاولى من هذا الكتاب .

وسماحة آية الله العظمى فقيه العصر السيّد محمد رضا الموسوي الكايناني دام ظلّه الوارف .

وفي هذا دلالة واضحة على موقع هذا التفسير من بين التفاسير الأخرى .

ولا يفوت الذّار أن تتقدم بالشكر إلى المحققين اصحاب السماحة الذين بذلوا جهدهم في تحقيق هذا السفر الجليل لاسيما سماحة الشيخ مالك المحمودي الذي قام بتحقيق القسم الثاني - القسم المخطوط - ابتداء من سورة «الإسراء» الى آخر الكتاب بمفرده ، ومراجعة جميع التفسير من اوله الى آخره .

فإليهم جميعاً الشكر الجزيل ومن الله الأجر والثواب والله وليّ التوفيق .

قم المقدسة - دار القرآن الكريم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد الأمين وعلى آله الطاهرين .

إن القرآن الكريم منهج حياة للفرد والمجتمع الإنساني ولا غنى عن دراسته وفهمه من خلال التفسير ولذا كان شرف التفسير مترشح عن شرف القرآن العظيم .

وقد بادر أول من بادر الى تفسيره وبيانه صاحب الشريعة الغراء الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي نزل الوحي على قلبه المبارك كما أن كتب التفاسير المختلفة ينسب إليه اعداداً غفيرة من الروايات في بيان آيات القرآن الكريم .

ولمّا انتقل صلى الله عليه وآله وسلم الى الرفيق الأعلى ، كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو المرجع الاول في تفسير القرآن والفصل في حل النزاعات حول معاني آياته الكريمة واهتم بذلك ايّما اهتمام فرتبى الطليعة من الصحابة وبث علومه من خلالهم ولنا في تلاميذه ابرز مثال كحبر الأمة عبد الله بن عباس وغيره مما يثبت لنا دون أي شك أن علوم الصحابة جميعاً تنتهي إليه ودأب على ذلك المنوال اولاده الإمامان الهمامان الحسن والحسين وباقي ذريته من الأئمة المعصومين ، حيث

قام بقية أئمة أهل البيت عليهم السلام - كل بدوره - بنشر علوم القرآن ومفاهيمه وبيان أحكامه وتفسير آياته، وقد دَوَّن كثير من تلاميذهم رواياتهم التفسيرية في كثير من الكتب التي ألفوها في هذا المجال.

وبعد انتهاء عصر النص، قام العلماء الأعلام بالنهوض بأعباء هذه المهمة الخطيرة، فصنفوا ودونوا الكثير من التفاسير مواصلين ذلك قرناً بعد قرن حتى العصر الحديث، علماً بأن هذه التفاسير قد وقعت ضمن مناهج تفسيرية شتى أتت على مختلف ومعظم جوانب القرآن الكريم^(١).

وبالرغم من أن التأليف على هذا النمط الموجز من التفسير كان له جذور ضاربة في تاريخ علم التفسير حيث ألف الكثيرون من العلماء قديماً وحديثاً تفاسير موجزة في عبارتها غنية بمحتواها، إلا أن هذا التفسير «الوجيز في تفسير القرآن العزيز» امتاز من بينها بوضوح فكرته وجزالة عبارته وقوة ادائه، وهو للمفسر التحرير والمطلع الخبير المحقق المدقق العلامة الأجل الشيخ علي بن الحسين بن أبي جامع العاملي، حوالي (١٠٧٠-١١٣٥).^(٢)

وقد طبع الجزء الأول من هذا التفسير بمطبعة «الزهراء» ببغداد سنة ١٩٥٣م وحصلت «دار القرآن الكريم» على نسخة من هذه المطبوعة لكنها كانت ناقصة الأول وتبدأ بأول تفسير سورة «الفاتحة».

ولأهمية هذا التفسير رغبت دار القرآن الكريم في طبع هذا الكتاب وتقديمه إلى الأمة الإسلامية ليسد فراغاً في المكتبة القرآنية لما فيه من النفع العميم لجميع المسلمين فإنه أيسر تفسير جامع لكل ما يرتبط بألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، ولذلك

(١) انظر مقدمة معجم مصنفات الشيعة حول القرآن الكريم، وفيه بيان لتاريخ بروز التدوين في علم التفسير وباقي علوم القرآن منذ العصر الإسلامي الأول.

(٢) الحالي والماعطى / ٧٥.

أوعزت الدار الى عدة من فضلاء محققيها للقيام بهذا المشروع الهام .

وبما أنّ المرحوم الدكتور عبد الرزاق محي الدين - وهو الذي قام بطبع الجزء الأول من التفسير - قد طلب من العلامة الكبير الشيخ آغا بزرك الطهراني ان يكتب مقدمة للطبعة الاولى من الكتاب وهذه المقدمة موجودة عندنا، لهذا فقد اكتفينا بها عن كتابة مقدمة في التعريف بالمؤلف رحمه الله ومؤلفاته القيّمة .

وتمتاز هذه الطبعة عن سابقتها :

بشمولها واستيعابها لجميع التفسير من اوله الى آخره فيما اشتملت الطبعة السابقة على أقل من نصف التفسير فقط - حتى سورة النحل - .

كما تمتاز باشمالها على مجموعة من الهوامش والتعليقات المفيدة، وجودة الإخراج، والحرص - قدر الإمكان - على سلامتها وخلوها من الاخطاء، فضلاً عن نسبة الأقوال والآراء في الكتاب الى مؤلفيها، وغير ذلك من الجهود التحقيقية التي بذلت فيها .

النسخ المعتمد عليها في التحقيق

اعتمدت لجنة التحقيق على اربعة نسخ، ثلاث منها مخطوطة وهي كالآتي :

١- نسخة مكتبة آية الله السيد المرعشي قدس سره :

المحفوظة في مكتبته العامة بقم برقم ٦٤٩٩ وهي بالقطع الرقعي في ٢٠٤ ورقة .

وكل صفحة منها تشتمل على ثلاثين سطراً وطول كل سطر ٨/٥ سم .

جاء في آخرها : وهذا منتهى سعبي القلم في تحرير ما قصدنا إحكام نظامه،

قدم الله بالتوفيق لإتمامه فما كان منه صواباً فمن فيض انعامه، وما كان خطأ فمن

فتور الذهن وخمود ضرامه .

اسأل الله سبحانه [...]^(١) عما وقع فيه من التقصير، والعفو عن الزلل والذنوب من كبير وصغير، وإن يجعل اجتهادي في تأليفه خالصاً لوجهه الكريم وموجباً لنيل ثوابه الجسيم أنه بعباده رؤوف رحيم .

وقد منّ الله بلطفه وتوفيقه لنقله من السواد الى هذا البياض، وتنميته على يدي مؤلفه المفقّر الى عفو سيده ومولاه عما اقترفه من الذنوب وما جناه، المعترف بالقصور والتقصير والمقرّر بالتفريط في جنب من إليه الامور تصير، العبد الذليل الحقير علي بن حسين بن أبي جامع العاملي، عامله الله ووالديه والمؤمنين بلطفه الخفي والجليل .

وقد وافق الفراغ من تحييره [أصيل يوم الأحد]^(٢) ثلاث وعشري جمادى الآخرة من سنة المائة وعشرين بعد الالف على مشرفها اشرف الصلوات وعلى آله سادات البريات . والحمد لله وحده .

وتمتاز هذه النسخة بأنها كاملة وعليها تعليقات عديدة، منها: ما ورد في ذيلها كلمة «منه» .

ومنها ما جاء في آخرها بالرمز (ع . ق) .

هذا وأن تاريخ الكتابة يرجّح الظن بأنها بخط المؤلف نفسه . لولا وجود بياض كلمات في مصوّرتها في سطور الصفحة الأخيرة .

ولعلها تركت بياضاً لتكتب بخط يغاير سائر المتن أو بلون آخر لتمييزها عن سائر الكلمات .

وقد رمزنا لهذه النسخة باعتبار كمالها بالنسخة «الف» .

٢- نسخة مكتبة آستان قدس في مشهد :

(١) في النسخة بياض بمقدار كلمة واحدة . ولعلها: الغض .

(٢) ما بين المعقوفتين من «ب» . وكان موضعه بياضاً في «الف» .

وهي ناقصة من آخرها عدة أوراق . ومجموع أوراقها ٤٦٤ ورقة من القطع الرحلي وفي كل صفحة ٢١ سطراً وطول كل سطر ١٠ اسم .

وقد رمزنا لهذه النسخة بالرمز «ب» .

٣- نسخة مكتبة دار القرآن الكريم في قم :

وهي في ٧٣٦ صفحة بالقطع الرحلي وفي كل صفحة ٢٦ سطراً وطول كل سطر ١٢/٥ اسم ، جاء في آخرها بعد إيراد ما كان في نهاية نسخة «أ» مايلي :

والحمد لله حق حمده وصلى الله على من لاني بي بعده وسلم تسليماً كثيراً مباركاً
برحمتك يا ارحم الراحمين وأكرم الأكرمين .

وقد وافق الفراغ من نسخ هذا الكتاب المستطاب عظيم اللفظ والخطاب ، عصر يوم الثاني والعشرين من شهر شعبان احد شهور سنة «١٢٧٣» الثالثة والسبعين بعد المائتين والالف من الهجرة المحمدية على مهاجرها وآله أفضل الصلاة وأشرف التحية ، على يد الأقل الجاني محمد بن علي بن محمد بن عبدالله بن أحمد الشويكي البحراني عفى الله عنهم أجمعين بمته وكرمه . آمين آمين .

وقد رمزنا لهذه النسخة بالرمز «ج» .

وأما النسخة المطبوعة والتي رمزنا لها بالرمز «ط» فهي المطبوعة ببغداد سنة ١٩٥٣ م بإشراف وتقديم الدكتور عبدالرزاق محي الدين .

وكان قد اعتمد فيها على عدة نسخ مخطوطة ذكرها في مقدمة الكتاب . وارتق بالكتاب صور لبعض الصفحات من ثلاث نسخ حرّر عليها الاصل ، وهي :

نسخة العلامة السيد حسن الصدر .

ونسخة العلامة السيد أمين الصافي .

ونسخة العلامة الشيخ قاسم محي الدين .

العمل في الكتاب

قام المحققون بمايلي :

- ١- إجراء مقابلة دقيقة للنسخ المتوفرة لديهم وضبط موارد الاختلاف بين النسخ .
- ٢- نسبة الأقوال الواردة في الكتاب إلى قائلها اعتماداً على كتب التفسير المعتمدة .
- ٣- استخراج الروايات من المصادر الحديثة المعتمدة .
- ٤- الإشارة الى كلمات علماء الفريقين الواردة في تضعيف هذا التفسير .
- ٥- الإقتصار - في اثبات موارد اختلاف النسخ - على ما كان مغتبراً للمعنى فقط ، وحذف موارد الاختلاف البسيطة التي لا تخل بالمعنى والتي يحتمل قوياً كونها من خطأ النساخ .
- ٦- مراجعة النص ومقابله على المصادر المحتملة وتصحيحه مع الإشارة الى ذلك في الهامش .
- ٧- العمل على اخراج التعليقات بصورة متناسقة .
- ٨- قد نقل المؤلف عدة قراءات في كتابه وربما رجّح بعض تلك القراءات فجعلها الأصل في التفسير فحبذنا الإشارة الى قراءة «حفص» في الهامش في كل مورد رجّح المؤلف قراءة غيره ، وذلك لان هذه القراءة هي المتداولة بين المسلمين في

الوقت الحاضر.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يجزل الشواب لكل من ساهم وشارك في اخراج هذا التفسير الى حيّز الوجود ووضعه تحت تصرّف العلماء والباحثين في حقل الدراسات القرآنية والله وليّ التوفيق .

ولا يفوتنا التنويه باسم سماحة الشيخ مالك المحمودي الذي بذل جهداً مشكوراً وابدى مثابرة متواصلة في اتمام هذا التفسير النافع من كل جوانبه ودأب من أجل أن يرى هذا الكتاب النور.

لجنة التحقيق في دار القرآن الكريم

نَمَازُجُ مُصَوَّرَةٌ مِّنَ النُّسخِ الْمَخْطُوطَةِ

الْمُعْتَمَدِ عَلَيْهَا فِي التَّحْقِيقِ

شعبا الخليل من نصف الفخريين فلهذا كانت له ثلاثة اقسام اولها بلاد ظفار اذ اوقف رجل من بلادهم
 وقفه على جميع اهلها فمات رجل من اهلها فاشترى افراسه فبقي في السواد و من كل السواد ثلثا الف سنة
 اول الناس من السواد الذين بقوا في السواد و من بعد في اهل السواد فبقي في السواد ثلثا الف سنة
 و من بعد في اهل السواد ثلثا الف سنة و من بعد في اهل السواد ثلثا الف سنة و من بعد في اهل السواد ثلثا الف سنة

[illegible]

على اعوذ برب الناس حصوا بالخير من عالمي ولا اله الا الله ذو المنن الموسوي الميم مناسب
 الخيرة لهم والمال لا يملأ من هم ملك الناس والدار الناس عطاياك اذ ليس لك اربط على كل امرئ ملكا وعنه
 قد عجز عن زيادة وتكبر الناس لو زادت الشمس واليابس من كل الموسوي ثم يغفر الموسوي
 اربطه الشيطان في والصدد الكثر لا في الخطا من لا تمحسني يا خاتم اخذ ذكره اهد به الذي
 موسوي يصدد الناس عنه من كذبة وان في حفرة اوزم مره واودع من خبيرة الناس
 بيان الموسوي على الخطا والذني اذ الشيطان يكون حبيبا والنسب وقد كثر الخلق السخا
 به حفرة واحدة والمطافه لثمة ان في ذكره في هذه بلك صفات والمطافه من واحدة
 في ان بعضها اخذ في النفس التي وحده الملكا البعد غابا من الخمر والادام اغدنا الله
 واما كمن صفات التي التي وبقنا المواصل لمساعدة الناس على يهود الرعية وعن

رعب العالمين وهذا منسوبة إلى الفضل في فتح برياءة لفظ الكاف من قدس الله بالقرآن لا تأمره إلا كان منسوبة
 من غير فعله وكان الخطأ في قول النعمان من قوله اسأله الله سبحانه عما وقوف من ضمير
 والعفو عن القتل والذخيرة من كبر وصبر ولا تجعل الجهاد في نال الفجاءة لا هو الكرمي وموجبا
 لبطلان الجيم انعيادة وقضاءهم وقد من الله بطله وقوله في قوله من السواد وهذا إما
 وتتمه على يد مؤلف المفسر المعنى سببه وسؤله عما أثر من الذنوب والخصائص المعروفة
 بالفساد والخصب والمغربة في قوله من البر الكرمي وقوله في قوله من البر الكرمي
 من البر طابع العالم عامه الله والذمة والؤمنين بلطف الخلق والحلي وقد وقوا الخرافة من مخبر
 كذا بحسب جمادات الخلق من سنة المائتين من سنة الف ليلة الف ليلة الف ليلة الف ليلة
 وعلى الرسايات البهائم والجمادات

تھا، خانہ ۷، آیات اللہ تعظم،
مرعشی نجفی - قم

كتاب التفسير
 في تفسير القرآن الكريم
 من تأليف
 العلامة الشرح على حسن أبي طاهر العبد المذنب

في تفسير القرآن الكريم

الحمد لله الذي نزل على عبده القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
 فخرى به العباد من أهل اللسان فخر راعى معارضة انصوريه ومن طلبها لسانها
 والصلوة على الخطيب به على رؤس الانس والجان الناصح به وبديته سائر الك
 والاديان على المبعوث بالبعث واهوى برهات والده الذين هم لكاتبه وشرحه خطه
 وخران عليهم صلوات الرحمن في كل زمان واما ان اسير القلوب العظام
 البحر الحسام الراسي من فضل مولاه فلت رقبته من اعلان خطايا العبد الخافى على بن
 حسين بن ابي جامع الساملى عامله الله بعفو ذنوبه وشمله والذير والمؤمنين بفضل
 ورحمة بقولن علم التفسير من اجل العلوم الثمينة موضوعا وافضل المعارف المذنبه
 اصولا وفروعا لانه الكشاف عن اوار التنزيل المحاب ومن شانه الاسعاف لجميع السان
 والنبان لاولى الاباب وفي ضمنه كشف عن حقائق علوم حجة وفي طيه نثر لطائف
 فنون مهمة وكثيرا ما كنت احداث نفسي في تأليف مختصر منجيب من شغف زمانه وجمع
 مختصر لمنطق من جواهر كثر زمانه ويعوقني عنه قصر الناح من تناول هذا الممر فحسرت
 الاستعداد من بلوغ ذلك المقام فعلى نفسي لا تقطع من فضل الكرم وفي فضل
 جوده العيم فحسرت فيه مع توزع البال وعروض الشواغل من سفره من الاشغال
 سالكه طريق الامتياز في التفسير شيئا الاكثر الاقوال المصنعة من جوده التفسير شيئا

على قليل من التثنية ان لا يحيط بكلمها لكتاب معراجا يؤلف عليه فهم الحق
 من وجه الاعراب مقصرا على ذكر الاموات النسخ المشهورة ونحو ذلك غير ما
 في مواضع كثيرة جارية على الايات على المشهور من لغف اللبسلة خوفا من مخالفة
 المتطور في المصاحف الشريفة المتجلة وان كان الاعتقاد انها ايز من كل سورة الا ان
 لا يبان صحتها من المواضع المحسوبة وانظر قوله بطعن في اللتام على ما ذكرت من
 التاليف والنظام ناسبا بنسبتي الوجيز في تفسير القرآن العزيز فرائس الله
 تعالى ان يحصل وسيلة الى صفوه وغفرانه وديعة الى الفوز بحبوه ورضوانه وان يرفع
 به الظالمين ويهدي به المسترشدين بمحمد وصيته الاكبرين صلى الله عليهم اجمعين
 ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم مع ذللك لا يمكنه وقيل انك ناسبا بالله
 نسفا في نسخة الكتاب لانها مفتحة وانما الكتاب لاشتمالها على حل معانيه والهداية
 فيها والتسليم الشافي لانها تسبع ايات اتفاقا لكتبتهم بين عاذ للبسلة دون انعت
 عليهم وعاكس ونفى في الترجمة والالزال ولها اسماء اخرى المذكورة في شرح
 الزخرف الزخرف ايز من الفاضحة من كل سورة عدا برافزا جامعا والمخالفون بين طبعي
 ومخالف والباء للاستعانة ونزع بان جعل الله تعالى له الفصل شعرا زيادة
 مدخلية فيه حتى كانه لا يوجد بدونه او الصاحبة ونزع بان التبرك باسمه
 ادخل في الادب من جعله الله انه فاعية مستدلة وفي الزخرف على المشركين في تكريم
 باسم الهتهم والخرق التبرك بجامع كل اسمها فان ذكر اسمه تعالى يهزمه مطلقا
 والنور مقولة على السنة عباده فليعلم التبرك باسمه وحده وسؤاله ومنع
 الظرف الاولي فغيره ضلالا لاصالة في العمل وظلة الاضمار مؤخر لا هبة اسم
 وفصل التبرك عليه خاسا هكذا اسم الله الاول لان الله اعليه اذ ما بنوا التبرك
 متلو وكل ما حل ضميرا جعلها مبدلة له كاذبح واحل واسجل فالذبح والحل والادخال

وصغير وان يجعل اجتهادى في البغض والصالح الوحيه الكريم وموجباً
 لنيل ثوابه الجسيم انه بعباده رؤف رحيم وقد من الله بطفه ونوفيقه
 لنقله من السوء الى هذا البياض ثم يقف على يديه مؤلفه المغفر العفو
 سيده ومولاه عما افترقه من الذنوب وما جناه المعترف بالفسوق والنقص
 والمقرب بالفرط في جنب من اليه الامور تصبر العبد الذليل الخفي عن
 حسين بن ابي جامع العالم على علمه الله والديه والمؤمنين بطفه الخفي
 والجلي وقد وافق الفراغ من ترجمه اصل يوم الاحد ثالث وعشرين جمادى
 الاخره من سنة المائتين والعشرين بعد الالف على شرفها اشرف الصلوات

وانتم التسليمات والمساوات البريات

والحمد لله وحده واشربك له

٥

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله وحده

كتابها آستان قدس
 قلمه خطي

هذا كتاب تفسير الموجيز من صفات الله ام الخويص: الماع الكبير في حق الله
 العلامة الاجل الشيخ علي بن الحسين بن ابي جامع العالم عصارته وقد
 بحمد الله له **بسم الله الرحمن الرحيم** وبه نستعين اجمع بين
 الحمد لله الذي ائزله على عبده القراء همدى للتأنيس وبينات من الهدى والفرقان
 فتدبر الفصحاء من اهل اللغات ومجزو اعن معارفه اتمهورة في حسن نظمها والبيان
 والصورة على الخطيب به على رؤس الاشراج **التأنيخ** به ويد منه سائر الكتب **الاداء**
 بحبر المبعوث بابلغ حجة واقوى برهان **ولله الذين هم** لكتابه وشرفه حفظه وعزانه
 عليهم صلوات الرحمن في كل زمان **والحمد لله** فان اسير الى نوب العظام **وهي**
 الجوامع العظام الراعي من فضل مولاه **فان** رقبته من اغلال خطايا العباد الجاني على
 بن حسن بن ابي جامع العالم علي **عالمه** الله تعالى بغيره ورافقه **وشمله** والمديرة
 المؤمنين بفضل ورحمته **يقول** **كان** علم التفسير من اجل العلوم الشرعية
 موضوعا واقضا المعارف الدينية اصولا وشروعا لانه الكشاف عن اوامر التنزيل
 الجاهات وهي شانه الاستيعاف بجميع البيان والنبات الاوليا الالباب وفي ضمنه كشف
 عن حقائق علوم حقه وفي نشره على لد فايق فنون مهمة وكثيرا ما كنت احد شافعيه في
 تأليف مختصر ملخص من جواهر كبريائه ويعرفني عنه فضل الباع عن سائر هذا المرام
 وفصول الاستعانة عن بلوغ ذلك المقام نقلت لنفسي لا تقطع من فضل الكريم وثقي بفضل
 جوده العيم فشرع فيه مع توزيع البان وعروض الشواغل من سفر وغيره من الاشغال د
 سكا فيه طريق البحار في التفسير شيئا الى اكثر الا والى التملز من وجود التفسير منها على
 قليل من التكتاذل لا يحيط بكتفها حساب متعرا بما يتوقف عليه فهم المعنى من وجوه الامر
 مقتصر على ذكر القراءات السبع المشهورة وما ذكرت غيرها في مواضع يسيرة كما في عدي
 الهيات على المشهورة من اغفال البسلة عن قوام مخالفة المسطورة في الصلح الشبهة الجيلة
 وان كان الاعتقاد انها من كل سورة الا التوبة لانها من المتواترات بحسبها فاذا قد
 وفق الله تعالى بطلعه للاتمام على ما ذكرت من التأليف والنظام كان حريا ان يسمى **بالوجيز**
 في تفسير القرآن العزيز ثم اني اسأل الله تعالى ان يجعله وسيلة الرغوة وغفرانه ودرجته
 الى الفوز بنوابه ورضوانه وان ينفع به الطالبين ويهدي به المسترشدين محمد وعزيرة الاكرين
 صلى الله عليهم اجمعين ولا حول ولا قوة الا بالله العالم العظيم **سورة الفاتحة**
 مكملته وقيل انزلت ثانيا بالمدنيته لتسمى فاتحة الكتاب لا مفتحة واما الكتاب **الكتاب**

على بن حسين بن ابي جعفر العاملي عامله الله والديه والمؤمنين طه طه الحنفية
والجاني وقد وافق الفراغ من تجديده اصيل يوم الاحد ثالث وعشري جمادى الآخرة

من سنة المائة والعشرين بعد الالف على مشرفها وآله اشرف
الصلوات واسم التسليمات الناميات واهل بيته سادة
المراتب والحمد لله حق حمده وصلى الله على من
لا ينحى بعده وسلم تسليما كثيرا مباركا فيه
ما ارحم الراحمين والرم الاكبرين
وقد وافق
الفراغ
من

نسخ هذا الكتاب المستطاب عظيم اللفظ والجمال عصر

يوم الثاني والعشرين من شهر شعبان احدى شهور سنة
الثالثة والسبعين بعد المائتين والالف من الهجرة
المجيدة على مهاجرها افضل الصلوات واشرف
القبض على يد الاقل الجاني محمد علي بن محمد
بن عبد الله بن احمد توكي
الحمد لله على ما افاض
اجمعين الله وكن
آمين
آمين

الوجيز في تفسير القرآن العزيز

لأبي بهاء الحسين بن محيى الدين

العالمى الخارثى الهمدانى

جزء الاول

فرغ من تأليفه فى النجف الاشرف فى ١٧ من ربيع الاول سنة ١١١٨ هـ
طبع برحمة آية الله السيد محسن الحكيم الطباطبائى

حرر نعه وكتب مقدمته عبد الرزاق محيى الدين
مقابلاً له على أربع نسخ مخطوطة .
حقوق الطبع محفوظة

مطبعة الرخاء

مقدمة الطبعة السابقة^(١)

بسم الله والصلاة على محمد وآله

قبل ثيف وعشرين عاماً، كنت أدرج إلى مباديء العربية في صباي الباكر، وإذا شذوت منها قليلاً ألقى إليّ والدي، - نضر الله وجهه - بنسخة من كتاب مخطوط يطلب مني نسخه، مشجعاً لي بأنه كتاب في تفسير كتاب الله، وأنه من مؤلفات أحد آبائه، ولم يك لي حينها بدّ من الإستجابة لرغبته، وإن لم أدرك على وجه مقنع ما يبرر تلك الرغبة الملحة، فنسخت المخطوط نسخ من لا يستقيم له فهم النص، وتنقصه بعض قواعد الإملاء. ثم نسختي للجزء الأول منه، وحفظته أوراقاً بين ما أوثر من أوراق، وتقلب بي الحال فلم أعد أتذكر ما نسخت بله العودة إلى نسخ الجزء الثاني من المخطوط.

وقبل عامين زرت موطن دراستي الأولى «النجف» وعرجت على زيارة آية الله السيد الحكيم في بيته، فكان مما تحدّث به إليّ رغبته في نشر «الوجيز في تفسير القرآن العزيز» شافعاً ذلك بما قدّره من حاجة الخاصة من أهل العلم إلى تفسير يجمع صفتي الإيجاز والإحاطة، ومن حاجة العامة من قارئ القرآن إلى تفسير ميسر مفهم

(١) اتحفنا بهذه المقدمة فضيلة الأخ السيد محمد المجتهد النجفي.

يقف عند حدود الإبانة عن مقاصد كتاب الله ، ورأى أنّ خير ما يجمع هذه الصفات من كتب التفسير كتاب «الوجيز» وقال - وهو بسبيل حملي على نشره - :
إن هذا الكتاب من مؤلفات رجل تربطك به صلة من قربي ، في إحيائها بعض الوفاء لحقوق الأباء .

ومع بليغ رغبتني في امتثال أمره فقد ساورني تخوف من ثقل العمل ، ولكنني إذ عدت من زيارته تذكرت الرغبة التي حملت والدي في طلائع تكويني على نسخ هذا الكتاب ، وقدرت أنّ نشره بين الناس يحقق استجابة أخرى لرغبة كنت يومها حريصاً على أن أوليها الطاعة والوفاء .

بهذا بدأت فكرة نشر «الوجيز» ومن حينها أخذت أطلب ما يوجد في المكتبات من نسخ مخطوطة له ، وكان من حسن التوفيق أن وجدت له عدة نسخ في مكاتب العراق ، سخا بها أصحابها الأفاضل في غير مكافأة أو ممانعة وهو سخاء لا أشك في أنّ باعته الغيرة العلمية والحرص على نشر هذا الأثر الكريم .

نسخ الكتاب

والذي وقفت عليه من نسخ «الوجيز» عدد غير قليل :

أولها : نسخة المؤلف وهي التي نسخت عليها الجزء الأول ، ولكنني أجهل كيف خرجت من مكتبة والدي ، ويقال : إنها بيعت خفية إلى بعض السواقين في النجف وانها انتقلت من يده إلى بعض مكتبات الهند .

وثانيها : نسخة الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، وقد اطلعني عليها ، وعلى تعليقات قيمة لسماحته سجلها أثناء مراجعاته المتصلة للكتاب ، وقد كنت أرغب في نشرها مع الجزء الأول ، ولكنه - حفظه الله - رغب في ان يزيد في التعليق ، حتى اذا انتهيت من نشر الجزء الثاني ألحقها بالكتاب .

وثالثها: نسخة العلامة الشهير السيد حسن الصدر وهي الآن في مكتبة ولده العلامة السيد علي الصدر، وقد تُلِّفَ - حفظه الله - بإعارتها لي للرجوع إليها عند تحقيق نص الكتاب .

ورابعها: نسخة العلامة السيد أمين الصافي، وقد تفضَّل - حفظه الله - بإعارتها لي كذلك .

وخامستها: نسخة العلامة استاذي الأول الشيخ قاسم محي الدين وقد سمح بها عند نشر الكتاب .

وسادستها: نسخة التي نسختها على خط المؤلف: وقد أشرت إليها في طلائع المقدمة . وقد جرى تحرير الأصل على نسخة الصدر والصافي ومحي الدين .

نسخة الصدر:

بخط النسخ الجيد، وعلى الآيات القرآنية وأسماء السور خط أحمر، وورقها: من نوع الترمه «الترمذي» وهي بجزء واحد في ٣١٠ رقات بقطع الربع، سقط منها سبع رقات من جزء «عم»، في كل صحيفة منها ١٦ سطراً، وكل سطر يتألف من ١٥١٣ كلمة، وقد تمَّ نسخها سنة ١١٤٧ هـ، بيد «محمد بن نصار» وكانت في عام ١٢٥٨ بحيازة «بن ملا مقصود علي» وقد تملَّكها السيد حسن الصدر سنة ١٣٤٢ هـ، وهي لا تزال بحيازة أسرته .

وهذه النسخة أفضل النسخ التي تحت يدي، وأقربها إلى السلامة، وعليها كان اعتمادي في نشر الكتاب .

نسخة الصافي:

وهي بجزءين، الجزء الأول ١٩٣ ورقة بقطع الثمن تقريباً في كل صحيفة ٢١

سطراً، وفي كل سطر ما يتراوح بين ١١ - ١٣ كلمة، وخطها يشبه الخط المغربي في طول الحروف و إلتوانها، وورقها سميك أسمر، وأقدم من وقّع عليها رجل اسمه «محمد حسين»، وكان تاريخ ختمه ١٢٦٩ هـ، وقد كانت في حيازة العلامة المعاصر السيد جعفر بحر العلوم سنة ١٢٢٧ هـ، وفي حيازة السيد أمين الصافي ١٣٢٤ هـ. وتمتاز هذه النسخة بتعقيبات للؤلف نفسه كتبت على هوامش النسخة، وسأشرها في ذيل الكتاب عند تمامه، وعلى هذه النسخة اعتمدت تقسيم المؤلف إلى جزئين.

نسخة محي الدين :

بخط النسخ الدقيق، والآيات القرآنية وأسماء السور خط عليها بالحبر الأحمر، وعدد اوراقها ٢٥٠ ورقة وكلّ صفحة ٢٨ سطراً. وكل سطر يتألف من ١٩ - ٢٢ كلمة، وقد نسخها «حسين بن باقر بن الشيخ مظفر الجزائري الصيمري» وتم نسخها صباح الثلاثاء في الثامن والعشرين من شهر صفر سنة ١٢٠٧ هـ، وفي نهايتها صورة ما كتبه المؤلف على نسخته يوم انهى تأليف الكتاب.

وتمتاز هذه النسخة على أخواتها بأن المفردات القرآنية اللغوية مشار إليها بعناوين في الهامش وبأن مختلف المسائل الواردة فيه معنونة وبأن جملة نقول وروايات ومقتبسات عن كتب التفسير الأخرى كتبت على الهوامش، ويخيل لي ان ذلك من عمل الناسخ إذ الخط واحد فيها جميعاً، وان كان سقم كتابته وضبطه لايدلان على ان التعليقات منه، فلعل الناسخ أخذها من نسخة أخرى كانت فيها هذه النقول والعناوين.

وبالجملة فالنسخ الثلاثة يظهر فيها اثر العناية والضبط إما من عمل الناسخين أو من عمل الاعلام الذين قرأوا الكتاب من بعدهم والخلاف بينها لم يك ذا بال. وقد

فضلت من نصوصها عند الاختلاف (وهو اختلاف - كما قلت - ليس ذا بال) ما اتفق عليه أكثرها وما بدا لي أنه أولى بالتفضيل كما نقلت قواعد الخط «الإملاء» من رسومها القديمة إلى ما يأتلف مع قواعد الرسم الحديث وأضفت قواعد الترتيم وشكل بعض الكلمات التي في لغتها أو اعرابها محل للبس في القراءة وسيبقى القارىء أن بعض الجمل - لمكانها من الإيجاز - يستعصي فهمها لولا هذا الشكل والترقيم .

وقد بذلت جهدي في التصحيح ولكني لم أسلم من غلط فاتني رغم الحرص والحذر وسبعذرتني من يمارس النشر المشكول وبخاصة الشكل للقرآن في مطابع العراق .

خصائص الكتاب

ولهذا التفسير جملة خصائص تميّزه عن باقي كتب التفسير:

أولها: فهم المؤلف للنصوص القرآنية فهما أدبيّاً يُعَدُّ به عمّاً ألفه كثير من المفسرين في القديم والحديث من وصل النص القرآني بمختلف ثقافتهم في غلوّ وإسراف وصلّاً طالما ظهر فيه اثر التكلّف والصناعة واضاع على الناس الروعة الاسلوبية التي هي أبرز خصائص القرآن وأقواها برهاناً على أعجازه .

ثانيها: ذكر الآراء المختلفة للمفسرين الذين سبقوه بأمانة وضبط في غير لجاجة من دحض فكرة أو تفضيل رأي، ثم ذكر ما يذهب المؤلف اليه بنفس الروح الهادي المستقيم .

ثالثها: عدم التبسط في ناحية وتحيف ناحية اخرى، بل يعطي المؤلف لكل أمر حقه من الوفاء الموجز، فالقراءات، وأسباب النزول، واللغة، والنحو، والبلاغة، والاحكام الفقهية، والمسائل الكلامية، والتاريخ القصصي، جميعاً؛ تأخذ نصيباً واحداً من العناية . وهذا حظّ في التأليف قلّ من وهبه، وهو دليل استيعاب الرجل

لأكثر علوم العربية والدراسات الإسلامية استيعاباً جعل منه مؤلفاً قادراً على ضبط قلمه متى شاء .

رابعها : ان الإيجاز عنده ليس إيجازاً في الأفكار وإنما هو إيجاز في الأداء فانت واجد من وراء كل كلمة قصداً تومىء اليه لو رجعت تستوضحه في الكتب المطولة ما أفدت جديداً فاتته الاشارة اليه ، وهو بهذا يصح ان يكون متناً لدراسة مطولة أو ملخصاً للحفظ والتذكر عند الحاجة أو ثبناً يومىء إلى مواطن الرأي في كل آية ومسألة

ترجمة المؤلف

وقد فضلت أن تكتب بغير قلمي فاخترت لها رجلاً تشهد بحوثه في سير الرجال بالاستيعاب والثبوت فكتبت إلى العلامة الجليل محمد محسن الشيخ المعروف بـ «آغا بزرك» أن يكتب سيرة الرجل بقلمه فتفضل وأرسل إليّ الترجمة الآتية :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد خاتم الرسل وعلى آله وأوصيائه ومعادن حكمه الهادين الى أوضح السبل صلاة زاكية دائمة من الآن إلى ان يجمع الله بيننا في مستقر رحمته .

وبعد فإن النظرة العابرة في هذا التفسير «الوجيز» تغني القارئ عن تقريره والإطراء عليه .

إن نسبة هذا السفر الجليل الى مؤلفه بلغت حدّ التواتر المفيد للعلم الضروري لا سيما وجود النسخة الراجعة كتابتها إلى عصر المؤلف والمقروءة عليه ، فالبحث في خصوصيات متن هذا التفسير وما حوته دفتاه والتحقيق عن سنده ونسبته الى المؤلف لا يشران غير التطويل لذا نقلت القراء الى مكانة المؤلف لنفسه وشرح أحواله وتواريخه التي محيت عن صفحات التاريخ كتراجم كثير من سلفنا الصالح وعلمائنا الأبرار .
نعم جنى التأريخ على هذا العالم الجليل ، لكن تصانيفه الجليلة أحييت ذكره

وأثارة الباقيه دلت على فضله وهي براهين جليّة على أنّه العلامة الجامع للمعقول المبرّز في سائر الفنون والمؤلف في كثير منها، فهو مفسّر، محدث، فقيه، أصولي، نحوي، منطقي، رياضي، فلكي، اديب، شاعر كما ستعرفه عند ذكر تصانيفه.

نسبه

رأيت بعضه بخطه النسخ الجيد هكذا: علي بن الحسين بن محي الدين بن عبد اللطيف بن نور الدين علي بن شهاب الدين أحمد بن محمّد بن أحمد بن علي ابن أحمد (أبي جامع) العاملي، فيسنة ويسن (أبي جامع) تسعة آباء، وأبو جامع عاشهم.

وجده الخامس أعني (محمداً) بين (أحمدين) كان عصره أواخر الثمانمئة وأوائل التسعمئة للهجرة، فانه كتب (التنقيح الرائع) للعلامة الشيخ أبي عبدالله المقداد السيوري المتوفى سنة ٨٢٦هـ، وفرغ من كتابة جزئه الأول وأوائل سنة ٩٠٨ ومن كتابة جزئه الثاني أواخر سنة ٩٠٩هـ، والنسخة جميعها بخط واحد رأيته بمكتبة العلامة الشيخ (هادي كاشف الغطاء) وكتب في آخرها اسمه وبقيّة نسبه الى (أبي جامع) كما مرّ، يعني انه ذكر بينه وبين أبي جامع ثلاثة آباء اعني علياً بين أحمدين، فيكون عصر أبي جامع أواخر السبعمئة وأوائل الثمانمئة يعني انه كان حياً في نيف وثمانمئة، فان البطن الرابع من حفدته كان حياً في نيف وتسعمئة يعني ٩٠٩ سنة كتابة (التنقيح).

فأل أبي جامع بيت قديم في جبل عامل من علماء الشيعة.

وأول من عرفناه منهم بالعلمية كاتب (التنقيح) المذكور، فانه كتبه في مدّة طويلة تزيد على الستين تقريباً كما ذكرنا، ولعل ذلك كان أوان اشتغاله به وقراءته فيه، وإلاّ فمجرّد الكتابة لاتستغرق هذه المدة وقد كسب في آخره ما لفظه: فرغ من مشقّة مشقه

العبد المحتاج إلى المنزه عن الأولاد والأزواج، وبارئ الخليفة من نطفة أمشاج، أقل الناس جرماً وأكثرهم جُرمًا، القليل عملاً، الجسيم أملاً، الكثير زلاًلاً «محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن أبي جامع» رزقه الله من العيش أرغده وجعل خير يومه غده بمحمد وآله الطاهرين. في عِدَّة أيام آخرها قريب الزوال يوم الجمعة ثاني شهر ذي الحجة المبارك من شهور سنة تسعة بعد التسعمائة (انتهى).

وذكر انه كتبه عن نسخة سقيمة مغلوطة ولم يتيسر له مقابلته وتصحيحه.

وبالجملة ان في نفس النسخة أمارات تدل على أنَّ كاتبها من أهل العلم والفضيلة مضافاً إلى شهادة «المحقق الكركي» له بذلك في الإجازة التي كتبها بخطه: الشيخ «شهاب الدين أحمد» ابن هذا الشيخ. وصورة الاجازة مدرجة في مجلد إجازات «البحار» صرح فيها بأن والد المجاز منه كان من المشايخ الصلحاء، فقد عبّر عنه بقوله: الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ الصالح ابن أبي جامع، فالظاهر أنَّ المحقق الكركي إنما وصفه بذلك علماً منه بحاله وصلاحه يوم كان في بلاده أو ان كتابة «التنقيح»، ولعل ذلك كان بمرأى منه، بل يغلب على الظن مشاركته مع «الكركي» في التلمذة على الشيخ «علي بن هلال الجزائري» الذي أجاز الكركي، فإن هجرة الكركي من بلاده إلى مجاورة العتبات كانت سنة ٩٠٩ يعني بعد كتابة «التنقيح» وحين عزمه على التوجه إلى العراق أجازته بتلك السنة شيخه علي بن هلال كما صرح الكركي بجميع ذلك في إجازته لصفي الدين في سنة ٩٢٧ وصورتها مدرجة في آخر مجلدات «البحار» أيضاً.

وبعد تشرف المحقق الكركي إلى العراق تشرف الشيخ شهاب الدين أحمد بن هذا الشيخ الصالح وتلمذ على المحقق الكركي سنين حتى كتب له الاجازة في سنة ٩٢٨، مصرحاً فيها بتلمذته عنده، ثم عاد الشيخ شهاب الدين أحمد الى بلاده واشتغل هناك ولده الشيخ نور الدين «علي» على «الشهيد الثاني» وكتب بخطه

«الروضة البهية» في سنة ٩٦٠ يعني بعد تأليفه بثلاث سنين عن نسخة خط استاذ المؤلف، وقرأه عليه وصحّحه وقابله مع نسخة خط استاذ، وشهد الاستاذ بمقابلته وتصحيحه وقراءته عليه. وكتب له عليها الإجازة ورأى هذه النسخة صاحب «الرياض» وقال خطه متوسط في الجودة. ذكره في صفحة ٤٠٥ من النسخة المخطوطة لكن تحت عنوان الشيخ «زين الدين» بدل (نور الدين) علي بن أحمد بن محمد بن أبي جامع العاملي، ففيه صرح باسم والد شهاب الدين أحمد المجاز من الكركي، وإن اسمه كان محمداً وكذا صرح بذلك حفيد الشيخ علي، المترجم في الرياض، وهو الشيخ علي بن رضي الدين بن علي بن شهاب الدين أحمد بن محمد الجامعي، والحفيد أعرف بنسب جده، ذكره في رسالته التي وصلت الى العلامة الشيخ جواد محي الدين.

وبالجملة: فالجذ الخامس لهذا المفسر هو الشيخ محمد الكاتب للنتقيح الملقب بالصالح في اجازة المحقق الكركي، والمعاصر معه ومن طبقة تلاميذ الشيخ علي بن هلال الجزائري.

وجده الرابع هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد المذكور الذي كان تلميذ المحقق الكركي والمجاز منه سنة ٩٢٨.

وجده الثالث هو الشيخ زين الدين (أو نورالدين) علي بن شهاب الدين أحمد، تلميذ الشهيد الثاني وقارئ الروضة عليه والمجاز منه.

وجده الثاني هو الشيخ عبد اللطيف الذي كان شيخ الاسلام في (تستر) وتوفي سنة ١٠٥٠ وكان تلميذ صاحب (المعالم) الشيخ حسن بن الشيخ زين الدين الشهيد الثاني.

وجده الأول هو الشيخ محي الدين بن عبد اللطيف الذي صار شيخ الإسلام في (تستر) بعد وفاة الشيخ جواد الكاظمي قال في (الأمل): كان فاضلاً عالماً عابداً ورعاً

يروى عن أبيه الشيخ عبد اللطيف .

وأما والده فهو الشيخ العالم الجليل الشيخ حسين بن محي الدين الذي عده شيخنا العلامة النوري - رحمه الله - في خاتمة المستدرک (صفحة ٤٠٦) سابع مشايخ السيد المحدث الجزائري والمجاز منه مدتجاً سنة ١٠٩٠، وصورة تلك الإجازة عندي في كتابي المخطوط «اجازات الرواية والوراثه في القرون الأخيرة الثلاثة» .

وقد ترجمه الشيخ الحرّ في «الأمل» فقال : انه عالم فاضل فقيه معاصر، له «شرح القواعد» للعلامة وكتاب في الفقه وكتاب في الطبّ وديوان شعر، وغير ذلك، وهو يروى عن أبيه الشيخ محي الدين عن أبيه الشيخ عبد اللطيف عن الشيخ البهائي (انتهى) .

وأما الشيخ علي بن الحسين بن محي الدين ، مؤلف هذا التفسير «الوجيز» فقد أشرنا إلى جناية التاريخ عليه لكن الشمس الطالعة لا يحجبها السحاب المتراكم، وقد استفدنا كثيراً من أحواله من كلمة واحدة صدرت في حقه من العلامة السيد عبدالله الجزائري قالها في آخر اجازته الكبيرة التي ذكر في آخرها : «معدوداً من رجال العلم الذين فاز بالتشرف بخدمتهم والاستفادة من علومهم ومعارفهم دون غيرهم من معاصريه» وكان أحد المعدودين الشيخ حسن أخو الشيخ علي هذا . الذي كان أصغر منه سنّاً وأدون رتبة وعلماً، لأنه تلمذ عليه وأخذ العلم منه، ويروى الحديث عنه، وكان أقصر منه عمراً لأنه توفي سنة ١١٣٠ مع كونه أصغر، وبقي الشيخ علي كما في ظاهر عبارة الإجازة الى سنة ١١٦٨ التي كتب الجزائري الإجازة فيها . حيث قال في وصف الشيخ حسن : انه كان عالماً فاضلاً أديباً جامعاً للفنون مهذباً وقوراً كثير الصمت ليناً هيناً يروى عن أبيه الشيخ حسين وعن أخيه الشيخ علي الساكن ببلدة «خلف آباد» كان يقدم علينا «الحويزة» مراراً وكنت أُلزِمه ليلاً ونهاراً الى قوله : يلاطفني ملاطفة الوالد الشفيق على الولد البار، توفي سنة الثلاثين من المائة

الثالثة عشر (انتهى).

فدلنا الجزائري بقوله عنه وعن أخيه الشيخ علي، على أن صاحب هذه الأوصاف الكثيرة المذكورة تلميذ لهذه الشخصية الفذة، وكان أخاه الأصغر منه والأخذ عنه فكيف به نفسه، وقوله: الساكن ببلدة «خلف آباد» تصريح بأنه كان في تاريخ الإجازة من الساكنين بتلك البلدة، وكان قائماً في مقام آبائه بمنصب شيخ الاسلام وبما علمنا أنه كان بدء سنة تأليفاته سنة ١٠٩٠ أو قبلها بقليل فتكون ولادته تقريباً حدود سنة ١٠٧٠ وعلى هذا الفرض فبقاؤه الى سنة تأليف الإجازة ١١٦٨ وان كان ممكناً لكنه في غاية البعد فمن المحتمل انه استعمل (المشتق) في المنقضي عنه المبدء مجازاً، بقرينة شهرة موته قبل ذلك التاريخ بسنين والله العالم.

وبالجملة، أنا قد علمنا من إشارة السيد عبدالله أنه في سنة تاريخ الإجازة أو قبلها بستين كان من العلماء القائمين بالوظائف الشرعية وشيخوخة الاسلام في سنين من عمره الشريف في بلدة «خلف آباد» في مقام آبائه، وله الرواية عن أبيه الحسين، عن جده محي الدين، عن والده عبد اللطيف، عن الشيخ البهائي، ويروي عنه تلميذه الشيخ جعفر بن عبدالله كما يأتي، وأخواه الأصغر من، وهما: الشيخ حسن المذكور المتوفى سنة ١١٤٠ والشيخ محي الدين الثاني الذي كان شيخ إجازة الميرزا ابراهيم بن غياث الدين القاضي الاصفهاني على ما ذكره هذا القاضي في إجازته للسيد نصرالله المدرس الحائري الموجودة صورتها.

وإلى الشيخ محي الدين الثاني ينتهي نسب «آل محي الدين» الموجودين في النجف وغيرها. ولنكتف بهذه الالمامة من أحواله ومشايخه وتلاميذه، ولنعطف على ذكر آثاره القيمة المخدلة لذكره من منظوم ومثور التي هي رمز لحياته الباقية ودلالات على نبوغه وإمامه بالفنون، وبرهان جلّي على عبقرية.

١- الوجيز في التفسير الذي وفق الله بعض مخلصيه لطبعه ونشره لانتفاع سائر

الناس وهو دليل على مهارته .

٢- شرح أربعين حديثاً، في الطهارة مع التحقيق والبيان ويؤسف انه لم يتم ويوجد منه شرح إحدى وعشرين حديثاً . والنسخة رأيتها بالخزانة الرضوية من موقوفات الحاج عماد الفهرسي تاريخ كتابتها ١١٢٩ .

٣- توقيف السائل على دلائل المسائل ، وهو من أنفس الكتب ودليل واضح على تبخر هذا الجبر في الفقه ، ذكرناه في الجزء الرابع من كتابنا (الذريعة) صفحة ٥٠١ كما ذكرنا ان النسخة توجد في خزانة كتب العلامة الشيخ هادي كاشف الغطاء ، لكنها اليوم في مكتبة العلامة الشيخ قاسم محي الدين مع نسخة أخرى ناقصة .

٤- الإفادة السنية في مهم الصلوات اليومية ، فرغ من تأليفه اثني عشر شعبان سنة ١١٠٦ فاستنسخ عنه تلميذه الشيخ جعفر بن عبدالله في سنة التأليف وقرأها على استاذة فكتب له عليها الإجازة وعلى النسخة حواشي كثيرة من المؤلف .

٥- أرجوزة في أصول الفقه ، ذكرناها في «الذريعة» صفحة ٥٠٣ .

٦- أرجوزة في النحو ، ذكرنا بنفس الصحيفة وقد فرغ من نظمها سنة ١٠٩٥ .

٧- تحفة المبتدي ، في المنطق منظومة جميلة نظمها بأمر من والده وذلك سنة ١٠٩٠ وأمره والده بعد ذلك بشرحها فشرحها وكتب على الشرح حواشي .

٨- ارشاد المتعلم إلى الطريق - رسالة في المنطق .

٩- شرح حاشية المولى عبدالله الشاه آبادي على مبحث التصديقات ، رأيتها مع ما قبلها ضمن مجلد واحد في مكتبة العلامة الشيخ قاسم محي الدين ، ويقال أن له شرح التصورات أيضاً لكنني لم أعثر عليه .

١٠- رسالة في أن النسبة ثلاثية أو رباعية .

١١- أرجوزة في علم الفلك أسماها «تبصرة المبتدي» رأيت قطعة منها بخطه

النسخ الجيد .

فهذه التأليف من نظم ونثر تراث علمي وأثر باق يحتفظ بها ويحرص على جمعها العلامة المفضل الشيخ قاسم محي الدين في النجف الأشرف، ولعل هناك ما لم نعر عليه من مؤلفات هذا الحبر المتضلّع، وفوق كل ذي علم عليم.

فجزى الله روحه الطيبة خير جزاء المحسنين، وحشره وإيانا مع الأئمة الطاهرين، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

وبعد، فإن يك في صنيعي هذا ما يقرب من خير، أو يعلى من درجة فتواب ذلك مهديّ إلى روح والدي وهي رهينة ربّها، وإن لم اك أحسنت صنيعاً فمعذرتي إلى الأعلام الذين أحسنوا بي الظن فساعدوني على نشره.

عبدالرزاق محي الدين

بغداد

٩-٤-١٣٧٣هـ

١٩-٥-١٩٥٣م

مُصَوَّرَاتُ السُّنْحِ الْخَطِيئَةِ

الَّتِي اسْتَفَادَ مِنْهَا الدُّكُورُ مُحْيِ الدِّينِ

ما سجد إليه مطيعاً له... من انكبت وانزل السور في وان لم يحسن جملة على موسى وعيسى في ايمانهم وليس من انكبت في السور في

من انكبت في السور في وان لم يحسن جملة على موسى وعيسى في ايمانهم وليس من انكبت في السور في... من انكبت في السور في وان لم يحسن جملة على موسى وعيسى في ايمانهم وليس من انكبت في السور في

لوحة (٢)

سورة آل عمران من نسخة الصافي

سورة آل عمران... من انكبت في السور في وان لم يحسن جملة على موسى وعيسى في ايمانهم وليس من انكبت في السور في

لوحة (٣)

سورة المائدة من نسخة محي الدين

الوجيز

في تفسير القرآن العزيز

تأليف

المفسر المحدث النحوي الأديب

الشيخ علي بن الحسين بن أبي جامع العملي

(١٠٧٠ - ١١٣٥ هـ)

حققه وراجعاه

الشيخ مالك الحمودي

الجزء الأول

[مقدمة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده القرآن، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فتحدّى به الفصحاء من أهل اللسان، فعجزوا عن معارضة أقصر سورة في حسن نظمها والبيان.

والصلاة على الخطيب به على رؤس الإنس والجان، التأسخ به وبدينه سائر الكتب والأديان محمد المبعوث بأبلغ حجة وأقوى برهان.

وآله الذين هم لكتابه وشرعه حفظة وخزان عليهم صلوات الرحمن في كل زمان. «وبعد» فإن أسير الذنوب العظام، ورهين الجرائم الجسام، السراجي من فضل مولاه، فك رقبته من أغلال خطاياها، العبد الجاني، علي بن حسين^(١) بن أبي جامع العاملي - عامله الله بعفوه ورأفته، وشمله والديه والمؤمنين بفضله ورحمته - يقول:

إن علم التفسير من أجل العلوم الشرعية موضوعاً، وأفضل المعارف الدينية أصولاً وفروعاً، لأنه «الكشاف» عن «أنوار التنزيل» الحجاب، ومن شأنه الإسعاف^(٢) بـ«مجمع البيان» و«التيبان» لأولى الأبواب. وفي ضمنه كشف عن حقائق علوم جمّة، وفي طية نشر لدقائق فنون مهمّة.

(١) هذه النسبة إلى الجد الخامس، والصحيح: علي بن الحسين بن محي الدين بن عبد اللطيف بن

علي بن أحمد بن أبي جامع.

(٢) الإسعاف: الإعانة - كما في مجمع البحرين «سعف».

وكثيراً ما كنت أحدث نفسي في تأليف مختصر منتخب من «منتقى جمانه»، وجمع ملخص ملتقط من «جواهر كنز عرفانه» ويعوقني عنه قصر الباع عن تناول هذا المرام، وقصور الاستعداد عن بلوغ ذلك المقام، فقلت لنفسي: لا تقتطي من فيض الكريم، وثقي بفضل جوده العميم.

فشرعت فيه مع توزع البال، وعروض الشواغل من سفر وغيره من الأشغال، سالكاً فيه طريق الإيجاز في التعبير، مشيراً إلى أكثر الأقوال المحتملة من وجوه التفسير، متنبهاً على قليل من النكت إذ لا يحيط بكلها حساب معرباً عما يتوقف عليه فهم المعنى من وجوه الإعراب، مقتصراً على ذكر «القراءات السبع» المشهورة^(١) وربما ذكرت غيرها^(٢) في مواضع يسيرة، جارياً في عد الآيات على المشهور من إغفال البسطة، خوفاً من مخالفة المسطور في المصاحف الشريفة المبجلة، وإن كان الاعتقاد: أنها آية من كل سورة إلا التوبة، لأخبار صحيحة^(٣) من المتواترات محسوبة، وإذ قد وفق الله بلطفه للإتمام، على ما ذكرت من التأليف والنظام، ناسب أن يسمى بـ:

«الوجيز في تفسير القرآن العزيز»

ثم إنني أسأل الله تعالى أن يجعله وسيلة إلى عفوه وغفرانه، وذريعة إلى الفوز بثوابه ورضوانه، وأن ينفع به الطالبين، ويهدي به المسترشدين، بمحمد وآله الأكرمين صلى الله عليهم أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) القراء السبعة هم: نافع - المدني - وابن كثير - المكي - ويطلق عليهما: الحريان، أحياناً - وابوعمر - البصري -، وعبدالله بن عامر - الدمشقي - وعاصم - الكوفي - وحمزة - الكوفي - والكسايمي - كما في حجة القراءات: ٥١ -.

(٢) هناك قراء لم يشتهروا كإشتهار السبعة منهم: يزيد بن القعقاع، ويعقوب بن اسحاق واليزاز وغيرهم.

(٣) الأحاديث في هذا المضمار كثيرة جداً، انظر جامع احاديث الشيعة ١١٤: ٥.

سورة الفاتحة

[١]

مكية، وقيل: أنزلت ثانياً في المدينة^(١)

تسمى «فاتحة الكتاب» لأنها مفتحة، و«أم الكتاب» لاشتمالها على جمل معانيه، و«الحمد» لذكره فيها، و«السيب المثاني» لأنها سبع آيات إتفاقاً،^(٢) لكنهم بين عاذة للبسملة دون «أنعمت عليهم» وعاكس.^(٣) وتثنى في الفريضة أو الإنزال.^(٤) ولها أسماء أخرى،^(٥) والمذكورة أشهر.

[١] - ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من الفاتحة، ومن كل سورة، عدا «براءة»

(١) نقل معناه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١٧:١.

(٢) في تفسير القرطبي ١: ١١٤: اجمعت الامة على ان فاتحة الكتاب سبع آيات.

(٣) قال القرطبي في تفسيره ١: ٩٤ عن ابن بكير عن مالك قوله «انعمت عليهم» آية، ثم الآية السابعة: الى آخرها وكذا عد اهل المدينة واهل الشام واهل البصرة واما واهل الكوفة - من القراء والفقهاء - فإنهم عدوا فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ولم يعدوا: «انعمت عليهم».

(٤) وهذا تعليل آخر لتسمية السورة بالسيب المثاني. ونقل هذا الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١٧:١ وفيه: قيل لأنها نزلت مرتين.

(٥) منها: «الكافية» و«الوافية» و«الاساس» و«الشفاء» وغيرها مما ورد في تفسير مجمع البيان ١٧:١ وتفسير روح المعاني ٣٢.

بإجماعنا،^(١) والمخالفون بين موافق ومخالف.^(٢)

و«الباء» للإستعانة؛ وترجح بأن جعل اسمه تعالى آلة للفعل مشعراً بزيادة مدخليته فيه حتى كأنه لا يوجد بدونه.

أو للمصاحبة وترجح بأن التبرك باسمه تعالى أدخل في الأدب من جعله آلة، إذ هي تابعة مبتدلة، وفي الرد على المشركين في تبركهم باسم آلهتهم.

والحق أن التبرك يجامع كلاهما، فإن ذكر اسمه تعالى يشره مطلقاً والسورة مقولة على ألسنة عباده تعليماً للتبرك بإسمه وحمده وسؤاله.

ومتعلق الطرف، الأولى تقديره فعلاً؛ لأصلته في العمل وقلة الإضمار مؤخراً؛ لأهمية اسمه تعالى، وقصر التبرك عليه خاصاً؛ هكذا: باسم الله أتلو؛ لدلالة الحال عليه، إذ ما يتلو التسمية متلو.

وكل فاعل يضر ما جعلها مبدءاً له كأذبح وأحل وأرتحل: في الذبح والحل والإرتحال،^(٣) والإيهام العام كأبدأ قصر التبرك على الإبتداء، ولمطابقة ﴿إِقرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾.^(٤)

و«الإسم» من: التسمو وأصله «سمو» حذف عجزه، وسكن أوله، وزيد فيه مبتدأ

(١) كما في تفسير التبيان ١: ٢٤ وتفسير مجمع البيان ١: ١٨.

(٢) في تفسير القرطبي ١: ٩٢: اختلف العلماء في هذا المعنى علي ثلاثة أقوال:

الاول: انها ليست بأية من الفاتحة ولا غيرها - وهو قول مالك -.

الثاني: انها آية من كل سورة - وهو قول عبدالله بن المبارك -.

الثالث: قول الشافعي: هي آية في الفاتحة، وتردد قوله في سائر السور، فمرة قال: هي آية من كل سورة، ومرة قال: ليست بأية الأ في الفاتحة وحدها.

(٣) أي: وكل فاعل (بمعنى القائم بالعمل) يجعل مبدءاً عمله بسم الله... كان يضر في نفسه أذبح بسم الله... وأحل... وأرتحل....

(٤) سورة العلق: ١/٩٦.

به همزة، بشهادة التكبير والتصغير.

أو: من «السمة» وأصله «وَسَم» حذفت الواو وعوّض عنها الهمزة.

ولم يقل بالله، لأنّ التبرّك باسمه، وليعمّ كل اسمائه.

و«الله» أصله: «إله»، حذفت الهمزة وعوّض عنها أداة التعريف^(١) لكنّه مختصّ

بالمعبود بالحقّ. و«الإله» كان لكلّ معبود، ثم غلب في المعبود بالحقّ. وهو من

«أله» بالفتح: عبّد أو تحيّر، أو -الكسر-: سكن أو فزع أو ولع، لأنّه معبود تتحيّر فيه

العقول، وتطمئن بذكره القلوب، ويفزع اليه، ويولع بالتضرّع لديه.

وقيل: أصله «لاه» مصدر لاه ليهأ ولاهأ: إحتجب وإرتفع. فأدخلت

عليه الأداة.^(٢)

وفي الحديث إشارة إلى جُلّ هذه المعاني: فمن أمير المؤمنين عليه السلام:

«الله، معناه: المعبود الذي تألّه فيه الخلق، ويؤله اليه، المستور عن إدراك الأبصار،

المحجوب عن الأوهام والخطرات». ^(٣)

وهو علم شخصي للذات المقدّس الجامع لكلّ كمال؛ لا إسم لمفهوم واجب

الوجود، وإلّا لم تغد كلمة الشّهادة: التوحيد؛ لإحتمال اعتقاد قائلها تعدّد أفراد

ذلك المفهوم.

وعرض بأنّه لو كان كذلك لم يفده: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» لجواز علميّة لأحد

أفراد الواجب، مع عدّهم السّورة من أدلّة التّوحيد.

(١) قال سيّويه: «الله» مشتق، وأصله: «اله» دخلت عليه الالف واللام فبقي الاله ثم نقلت حركة

الهمزة الى اللام وسقطت فاسكنت اللام الاولى وادغمت. ينظر مجمع البحرين ٦: ٣٤٠.

(٢) نقل هذا القول الشيخ الطوسي في تفسير التبيان: ١/ ٣٧، والطبرسي في تفسير مجمع البيان

١٩: ١.

(٣) رواه الصدوق في كتاب التوحيد: ٨٩ مع اختلاف يسير.

ويجاب : بأن آخرها يفيد الواحديّة وصدرها يفيد الأحديّة : أي نفى قبول القسمة بأنحائها ، وما مرّ في الحديث^(١) لا ينافي العلمية .

وُفُخِّمَ لامه إذا فُتِحَ ما قبلها أو ضُمَّ . وحذف ألفه لحن .

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ صفتان مشبّهتان من «رحم» - بالكسر - بعد نقله الى المضموم ؛ كغضبان من غضب ، وعليم من علم .

والرحمة : رقة القلب المقترضة للإحسان . واتّصافه تعالى بها باعتبار غايتها التي هي فعل ، لا مبدئها الذي هو إنفعال .

و «الرحمن» أبلغ ؛ لاقتضاء زيادة البناء زيادة المعنى . وهي هنا إما باعتبار الكمّ بحسب كثرة أفراد المرحومين وقُلَّتْها ، وعليه حمل «يا رحمن الدنيا» لشمول المؤمن والكافر «ورحيم الآخرة» للإختصاص بالمؤمن . أو باعتبار الكيف ، وعليه حمل : «يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا» ، لجسامة^(٢) نعم الآخرة - كلّها - بخلاف نعم الدّنيا .

فمعنى «الرحمن» : البالغ في الرحمة غايتها ؛ ولهذا اختص به تعالى ، لأن من عده مستعيبض بأنعامه ثواباً أو ثناءً أو إزالة الرّقة الجنسية أو البخل .

ثم هو كالواسطة ، لأن ذات النّعم وسوقها الى المنعم وإقداره على إيصالها منه تعالى فهو المنعم الحقيقي .

وإنّما قُدِّم «الرحمن» - ومقتضى التّركي العكس - لصيرورته بالإختصاص كالواسطة بين العلم والوصف ، فناسب توسيطه بينهما . أو لأنّ الملحوظ في مقام التعظيم جلائل النّعم وغيرها كالنّعمة ، فقُدِّم .

وأردف بـ «الرحيم» للتّعميم ، تنبيهاً على أن جلائلها ودقائقها منه تعالى ؛ لئلا

(١) أي : الحديث المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام - المتقدم آنفاً - .

(٢) الجسامة : العظمة

يأنف عباده من سؤال الحقير من جنابه ، وللفاصلة .

وخصّ البسملة بهذه الأسماء الثلاثة إعلماً بأنّ الحقيق بأن يُستعان به في جميع الأمور^(١) هو المعبود الحقيقيّ البالغ في الرّحمة غايتها الموليّ للنعم كلّها .

[٢] - «الْحَمْدُ لِلَّهِ» الحمد : هو الثّناء على جميل اختياريّ، نعمة وغيرها وحمده تعالى على صفاته حمد على الآثار الإختيارية الصّادرة عن ذاته العينية كما هو الحقّ . ونقيضه : الذّم ، ويرادفه : المدح ، أو يعمّ غير الإختياريّ .
والشكر : ما قابل النّعمة من قول أو عمل أو اعتقاد ، ومنه الحمد على النّعمة ، بل هو أظهر شعبه دلالة عليها ؛ لخبفاء الاعتقاد واحتمال عمل الجوارح ؛ ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلّم :

«الحمد رأس الشّكر، ما شكر الله من لم يحمده»^(٢) فجعله كأشرف الأعضاء ، فكان الشكر متف بانتهائه . وخصّه بعض بالقول ، فيتساويان . ونقيضه : الكفران .
ورفع «الحمد» بالإبتداء ، وخبره «الله» . وهو من المصادر التي تنصب بأفعال مضمرّة ، فأصله النّصب ، وعدل الى الرفع ليفيد الثبات دون التجدّد . ولامه للجنس .
أو الإستغراق ، أو العهد ، أي : حقيقة الحمد ، أو : كل أفرادها ، أو : أكملها ثابت له تعالى على وجه الإختصاص - كما تفيد اللام - ولو بمعونة المقام . «رَبُّ الْعَالَمِينَ» مالكمهم .

و «الربّ» مصدر ، بمعنى : التّربية ، وهي : تبليغ الشّيء كماله تدريجاً . وصف به للمبالغة . أو : صفة مشبّهة من : رَبَّهُ يَرْبُهُ ، بعد جعله لازماً كما في «الرحمن» وإضافته حقيقة لانتفاء العمل النّصب لاشتقاقه من اللازم ، ولقصد الإستمرار الثبوتيّ ككريم البلد ، فساغ وصف المعرفة به ، وسَمِّي به : المالك ، لحفظه ما يملكه وتربيته

(١) في النسخ : مجامع الأمور .

(٢) رواه البيضاوي في تفسيره ١ : ٢٢ .

له . ولا يطلق على غير تعالى إلا مضافاً كرتب الدار، أو مجموعاً كالأرباب .

و«العالم» اسم لما يعلم به كالطابع غلب في كل جنس مما يعلم به الصانع من الجواهر والأعراض، كما يقال: عالم الأرواح، وعالم الأفلاك وعالم العناصر، ويطلق على مجموعها - أيضاً -، ولا يجمع إلا بالإطلاق الأول، فيتعين هنا . وإنما جمع ليشمل كل أجناس مسمّاه وأفرادها أيضاً . وجمع بالواو والنون لمعنى الوصفية فيه، وتغليب العقلاء .

وقيل: اسم لكل جنس من ذوي العلم من الملائكة والثقلين ودخول غيرهم بالتبعية^(١) .

[٣] - ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ كرا في مفتاح الكتاب الكريم إشعاراً بشدة اعتناؤه سبحانه بالرحمة، وتثبيتاً للرجاء بأن مالك يوم الجزاء هو البالغ في الرحمة غايتها، فلا يقنط من عفوه المذنبون .

[٤] - ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قراءة «عاصم» و«الكسائي» .^(٢) ويؤيده: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ .^(٣)

وقرأ الباقر: «مَلِكٍ»^(٤) ويؤيده: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٥) وأنه أدخل في التعظيم، وأنسب بالإضافة إلى «يوم الدين» كملك العصر، ولوصفه تعالى بالملكية بعد الربوبية في خاتمة الكتاب،^(٦) ليوافق الإفتتاح الإختتام .

(١) نقل هذا القول البضاوي في تفسيره ١: ٢٧ ولم ينسبه .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ١/ ٢٥ .

(٣) سورة الانفطار: ١٩/ ٨٢ .

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ١/ ٢٥ .

(٥) سورة المؤمن: ١٦/ ٤٠ .

(٦) في سورة الناس: ٢/ ١١٤، قوله تعالى: «ملك الناس» .

والمالك: مَنْ له التَّصَرَّفُ فيما في حوزته، والمَلِكُ: مَنْ له التَّصَرَّفُ في الأمور - في الأمر والنَّهي - بالغلبة.

والدين: الجزاء، ومنه: «كما تدين تُدان»^(١).

وعن الباقر عليه السلام: أنه الحساب^(٢).

وإضافة إسم الفاعل الى الظرف لإجرائه مجرى المفعول به توسعاً، وسرّج وصف المعرفة به قصد معنى المضى؛ تنزيلاً لمحقّق الوقوع منزلة ما وقع، أو قصد الإستمرار الثبوتى. والمعنى: ملك الأمر كلّ في ذلك اليوم، أو له الملك - بكسر الميم - فيه، بإضافته حقيقية، وكذا إضافة «ملك» إذ لامفعول للصفة المشبهة.

وتخصيص اليوم بالإضافة - مع أنه تعالى مالك وملك لجميع الاشياء في كلّ الأوقات - لتعظيم اليوم، أو لتفردّه تعالى بالملك والملك فيه؛ لأنّ ما حصل منهما للبعض في الدنيا بحسب الظاهر يزول وينفرد سبحانه بهما ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٣).

وفي التعبير باسم الذات الدالّ على استجماع الكمالات، وتعقيبه بتلك الصفات المتتفة عما سواه تعالى، دلالة على إنحصار إستحقاق الحمد فيه، وقصر العبادة والإستعانة عليه تعالى، وإرشاد الى المبدأ والمعاد، وتنبية على أنّ من يحمده النَّاسُ إمّا أن يحمده لكمالهِ الذاتى، أو لإنعامه عليهم، أو لرجائهم إحسانه في المستقبل، أو لخوفهم من كمال قهره، فكأنّه تعالى يقول: أيها النَّاسُ إن كنتم تحمدون للكمال الذاتى؛ فأنا الله، أو للإنعام والتّربية؛ فأنا ربّ العالمين، أو للرجاء في المستقبل؛ فأنا الرحمن الرحيم، أو للخوف من كمال القهر؛ فأنا مالك

(١) وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام كما ورد في نهج البلاغة (الخطبة: ١٥٣).

(٢) تفسير البيان ٣٦:١ وتفسير مجمع البيان ٢٤:١.

(٣) سورة المؤمن: ١٦/٤٠.

يوم الدين .

[٥] - ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ «إِيَّا»: ضمير منصوب منفصل ، ولواحقه من «الكاف» و«الياء» و«الهاء» حروف لبيان الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الإعراب ككاف «ذلك» - على أصح الأقوال -^(١).

والعبادة أعلى مراتب الخضوع والتذلل ؛ ولذا لا يستحقها إلا المولي لأعظم النعم - من الوجود والحياة وتوابعها - .

والإستعانة: طلب المعونة في الفعل ، ويراد بها - هنا: - طلب المعونة في كل المهمات ، ولذا حذف المستعان فيه ، أو: في أداء العبادة بوظائفها ، بقرينة توسطها بين «نعبد» و«إهدنا» فحذف إختصاراً للقرينة .

وتقديم المفعول ، لقصر العبادة والإستعانة عليه تعالى قصراً حقيقياً ، أو إضافياً إفرادياً ، ولتقدمه تعالى في الوجود ، وللتبني على أن العابد والمستعين ينبغي أن يكون نظرهما - بالذات - الى الحق سبحانه ، ثم منه الى أنفسهما ،^(٢) لا من حيث ذاتهما ، بل من حيث أنهما ملاحظة له تعالى ، ثم الى عبادتهما^(٣) - ونحوها - لا من حيث صدورهما عنهما ،^(٤) بل من حيث إنها وصلة بينهما^(٥) وبينه تعالى .

وتكرير الضمير للتخصيص على التخصيص بالإستعانة ، فيستفي احتمال تقدير مفعولها مؤخراً ، ويرتفع توهم إرادة التخصيص بمجموع الأمرين لا بكل منهما ، ولبسط الكلام مع المحبوب كآية: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾^(٦) .

وتقديم العبادة على الإستعانة ليتوافق الفواصل في متلو الآخر؛ ولأن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة ، ولمناسبة تقديم مطلوبه تعالى من

(١) راجع الأقوال المتعددة الواردة عن كبار النحويين في تفسير مجمع البيان ١: ٢٥ .

(٥٢) وردت الكلمة بصيغة الجمع - في المواضع الأربعة - وصححناه نظراً الى السياق .

(٦) سورة طه : ٢٠ / ١٨ .

العباد على مطلوبهم منه ، ولأنَّ المتكلِّم لما نسب العبادة الى نفسه كان كالمعتدِّ بما يصدر منه فعقبه^(١) بـ «إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» ، إيذاناً بأنَّ العبادة لا تتمُّ إلاَّ بمعاونته .

وإِثَارَ صِيغَةِ المتكلِّم مع الغير على المتكلِّم وحده ، ليلاحظ القارىء دخول الحفظلة أو حاضري صلاة الجماعة ، أو كَلَّ موجود ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٢) ، وليؤذَن بحقارة نفسه عن غَرْض العبادة وطلب المعونة منفرداً على باب الكبرياء بدون انضمامه إلى جماعة تشاركه في العرض ، كما يُصنع في عرض الهدايا ، ورفع الحوائج إلى الملوك ، وليحتزِر عن الكذب لو انفرد في إدعائه : قصر خضوعه التام واستعانتة عليه تعالى ، مع خضوعه التام لأهل الدنيا من الملوك ونحوهم .

وفي الجمع يمكن أن يقصد تغليب الخَلَص على غيرهم فيصدق ، وليدرج عبادته وحاجته في عبادة المقرَّبين وحاجتهم لعلَّها تقبل وتجاب ببركتهم .

والعدول من الغيبة الى الخطاب إلتفات ، ويكون بالعكس ، ومن أحدهما الى التكلُّم وبالعكس ، ومن عادة العرب العدول من أسلوب الى آخر تفتناً في الكلام ، وتطرية له ، وتنشيطاً للسامع ، وتختص مواقع بنكِت .

ومما اختص به هذا الموضع : أنَّ الحمد إظهار مزايا المحمود ، فالمخاطب به غيره تعالى ، فالمناسب له طريق الغيبة .

وأما العبادة والإستعانة ، فينبغي كتمانهما من غير المعبود والمستعان ؛ ليكون أقرب الى الإخلاص وأبعد عن الزَّيَاء ، فالمناسب له طريق الخطاب .

ومنه : التلويح إلى ما في حديث : «أعبد الله كأنك تراه»^(٣) إذ العبادة الكاملة هي ما يكون العابد حال اشتغاله بها مستغرقاً في الحضور ، كأنَّه مشاهد لجناح معبوده .

(١) في «ج» : فعقب .

(٢) سورة الإسراء : ٤٤ / ١٧ .

(٣) عوالي اللآلي ١ : ٤٠٥ الحديث ٦٥ .

ومنه التَّيْبِه على علو مرتبة الذَّكَر، وأنَّ العبد بإجراء هذا القدر منه على لسانه صار أهلاً للخطاب، فكيف لو لازمه ليلاً ونهاراً.

ومنه الإيماء إلى أنَّ من تأدَّب وكسر نفسه ورآها بعيدةً عن ساحة القرب حقيق أن تدركه رحمة الهية توصله إلى مقام أهل القرب والخطاب.

[٦] - ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فصل عمّا قبله لكمال الإنقطاع؛ لتخالفهما خبراً وإنشاءً، أو لكمال الإتصال لأنّه بيان للمعونة المطلوبة كأنّه قيل: كيف أعينكم؟ فقالوا: «اهدنا».

والهداية: الدلالة بلطف - أوصلت إلى المطلوب أم لا -، وقيل: الموصلة. ^(١) ويدفعه ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ فَأَسْتَجَبُوا أَعْمَى﴾. ^(٢)

وقيل: إراءة ما يوصل، ^(٣) ويدفعه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ^(٤) وقيل إن تعدّت الى ثاني مفعوليها بنفسها فالموصلة، ولا تسند إلّا اليه تعالى، أو بالحرف فالإراءة وتسند الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن، ويدفعه: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ^(٥) والإسناد إلى غيره تعالى في: ﴿فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً﴾. ^(٦)

ثم إنَّ أصناف هديته سبحانه - وإن لم يحصرها العد - على أربعة أوجه:
الاول: إفاضة القوى والحواس لجلب النفع ودفع الضرر ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾. ^(٧)

(١) ذكره البيضاوي في تفسيره ١: ٣٤.

(٢) سورة فصلت: ٤١/١٧ وتامه: «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَجَبُوا أَعْمَى عَلَى الْهَدْيِ».

(٣) أشار اليه البيضاوي في تفسيره ١: ٣٥.

(٤) سورة القصص: ٢٨/٥٦.

(٥) سورة البلد: ٩٠/١٠.

(٦) سورة مريم: ١٩/٤٣.

(٧) سورة طه: ٢٠/٥٠.

الثاني: نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾. ^(١)

الثالث: إرسال الرّسال وإنزال الكتب ﴿وَأَمَّا نُمُودُ فَبِهَدْيَتَانَهُمْ﴾. ^(٢)

الرابع: إزالة الغواشي البدنية وإراءة الأشياء كما هي، بالوحي أو الإلهام أو المنام الصادق، والإستغراق في ملاحظة جماله وجلاله، وهذا يختصّ به الأنبياء والأولياء ونحوهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾، ^(٣) ﴿فَبِهَدْيِهِمْ أَفْتَدِهِ﴾، ^(٤) فإذا تلا هذه الآية غير الواصلين أرادوا بالهداية: المرتبة الرابعة، وإذا تلاها الواصلون أرادوا: زيادة ما منحوه من الهدى ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾. ^(٥) والثبات عليه.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إهدنا»: ثبتنا. ^(٦)

والصراط: الجادة، من: سراط الطعام، أي ابتعله، فكأنه يسترط السابلة وهم يسترطونه، كما سمي: لقمأ كأنه يلتقمهم. وجمعه: ككتيب، ويذكر ويؤنث كالسيل، وأصله: السين، قلبت صاداً لتطابق الطاء في الإطباق، وقد يشتم الصاد صوت الزاء.

وقرأ «ابن كثير» بالأصل ^(٧) و «حمزة» بالإشمام، ^(٨) والباقون بالصاد - وهي لغة قریش - . ^(٩)

والمراد بـ «الصراط المستقيم»: طريق الحق أو دين الإسلام، أو كتاب الله.

[٧] - «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» بدل كل من: «الصراط المستقيم»،

(١) سورة البلد: ١٠/٩٠

(٢) سورة فصلت: ١٧/٤١

(٣) سورة الزمر: ١٨/٣٩

(٤) سورة الانعام: ٩٠/٦

(٥) سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ١٧/٤٧

(٦) رواء الزمخشري في تفسير الكشاف: ٦٧/١

(٩) (٩٧) المكشوف عن وجوه القراءات ١: ٣٤.

للتأكيد والتتبع على أن الطريق الذي هو علم في الإستقامة هو طريق المنعم عليهم ، حيث جعل كالتفسير له .

والمراد بهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ .^(١) وقيل : المراد بهم المسلمون ،^(٢) فإن نعمة الإسلام أصل كل النعم . وقيل : الأنبياء .^(٣)

والإنعام : إيصال النعمة ، وهي - في الأصل - مصدر ، بمعنى : الحالة المستلذة ، ككون الإنسان ملياً - مثلاً ، ثم أُطلقت على نفس الشيء المستلذ ، تسميةً للسبب باسم المسبب .

ونعمه سبحانه - على كثرتها وتعذر حصرها ﴿وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٤) - ثمانية أنواع : إما دنيوي موهبي روحاني - كإفاضة العقل - ، أو جسماني - كخلق الأعضاء - .

وإما دنيوي كسبي روحاني - كتولية النفس بالأخلاق الزكية - ، أو جسماني - كتزيين البدن بالهيات المطبوعة .

وإما أخروي موهبي روحاني - كغفران ذنب من لم يتب - ، أو جسماني كأنهار العسل ، وإما أخروي كسبي روحاني كغفران ذنب التائب أو جسماني كاللذات الجسمانية المستجلبة بالطاعات .

والمراد - هنا - : الأربعة الأخيرة ، وما يكون وصلة اليها من الأربعة الأول - لاشتراك المؤمن والكافر فيما عدا ذلك - . ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ .

(١) سورة النساء : ٦٩/٤ .

(٢) قاله وكيع كما في تفسير ابن كثير ١ : ٢٨ .

(٣) اورد هذا القول ابن كثير في تفسيره (١ : ٢٨) أيضاً .

(٤) سورة النحل : ١٦ / ١٨ .

الغضب: ثوران النفس^(١) لإرادة الانتقام، فإن أسند إليه تعالى فباعتبار الغاية - كالرحمة -.

والعدول عن اسناده إليه تعالى إلى صيغة المجهول، وإسناد عديله إليه سبحانه تأسيس لمباني الرحمة، فكأن الغضب صادر من غيره تعالى، وإلا فالظاهر: غير الذين غضبت عليهم، ومثله - في التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد - كثير في الكتاب المجيد، ومنه: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٢) والمقابل: لأعذبنكم.

والضلال: العدول عن الطريق السوي ولو خطأ، وشعبه كثيرة، بشهادة قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقيون في النار».^(٣) وتفسير «المغضوب عليهم» باليهود، و«الضالين» بالنصارى مشهور.^(٤) وقيل: المراد بهما مطلق الكفار،^(٥) وقيل: مطلق الموصوفين بالعنوانين من الكفار وغيرهم.^(٦)

و «غير» بدل كل من «الذين»، والمعنى: أن المنعم عليهم هم الذين - سلموا من الغضب والضلال، فيفيد التأكيد والتنصيص - كما مر -، أو صفة له. ويتنى - كونها مبينة أو مقيدة - على تفاسير «المنعم عليهم»، و«المغضوب عليهم» و«الضالين»، ولا يكاد يخفى على المتدبر.

(١) أي: هيجانها - كما في مجمع البحرين «نور».

(٢) سورة إبراهيم: ٧/١٤.

(٣) أورده السبوطي في الجامع الصغير ١: ١٨٤ والدر المنثور ١: ١٣٦ وغيره، وقد أُلّف في هذا الحديث عدة كتب، فينظر.

(٤) ذهب إليه كثير من علمائنا ومنهم العياشي في تفسيره ١: ٢٢ والطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣١: ١.

(٥) نقل هذا القول الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٣٠.

(٦) قاله عبد القاهر الجرجاني - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٠.

وكيف كان: فتعترف الموصوف، وتوغل الصفة في النكارة يحوج إلى إخراج أحدهما عن صرافته، أما: بجعل الموصول مقصوداً به جماعة - لا بأعيانهم -، فيصير معهوداً ذهنياً، فيجري مجرى التكرات كالمعروف بلام الجنس - المراد به فرد غير مغتن -.

أو بجعل «غير» بالإضافة إلى ذي الضد الواحد معيّنًا تعين المعارف، فينكسر إبهامه، فيصح وصف المعرفة به كقولهم: «عليك بالحركة غير السكون».

ورجح هذا على سابقه بأن إرادة بعض غير معيّن تخذش بدلية صراطهم من «الصراط المستقيم»، إذ مدارها على علمية صراطهم في الإستقامة، وذلك أنما هو من حيث انتسابه إلى كلهم لا إلى البعض.

ولفظه «لا» بعد «أو» العطف في سياق النفي، تفيد توكيده والتصريح بشموله كلاً من المتعاطفين لا أنه لمجموعهما. وصحح مجيئها هنا تضمن «غير» المغايرة والنفي، ولذا جاز «أنا زيداً غير ضارب» رعاية لجانب النفي، فتكون بالإضافة كالعدم، فيجوز تقديم معمول المضاف إليه على المضاف، كما جاز: «أنا زيداً لا ضارب» وإن لم يجز في: «أنا مثل ضارب زيدا»: «أنا زيداً مثل ضارب» لإمتناع وقوع معمول حيث يمتنع وقوع العامل.

روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ أَفْضَلَ سُورَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ هِيَ «الْحَمْدُ»، أَمْ الْكِتَابُ، وَأَنْهَا شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ»^(١).

وعن الصادق عليه السلام: «لَوْ قُرِئَتِ الْحَمْدُ عَلَى مَيِّتٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، ثُمَّ رَدَّتْ فِيهِ الرُّوحُ، مَا كَانَ عَجَباً»^(٢).

وعنه عليه السلام أنه قال: إسم الله الأعظم مقطع في أم الكتاب»^(٣).

(١) رواه العياشي في تفسيره، ١: ٢٠ الحديث ٩.

(٢) رواه الكليني في الكافي ٢: ٤٥٦ - كتاب: فضل القرآن - الحديث ١٦.

(٣) رواه الصدوق في ثواب الاعمال: ١٣٠.

سورة البقرة

[٢]

مائتان وست وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿الْم﴾ وباقي الألفاظ المتهجى بها، ^(١) أسماء مستباتها: الحروف التي منها ركبت الكلم، لصدق حدّ الإسم عليها وقبولها خواصه، وقد تُسمى حروفاً مجازاً. وما في حديث: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها». لا أقول: «الم» حرف، بل «الف» حرف و«لام» حرف و«ميم» حرف ^(٢) فلفغوي، إذ

(١) وهي الألفاظ الواردة في الواوئل السور التالية: آل عمران: ٢، والاعراف: ٧، يونس: ١٠، هود: ١١، يوسف: ١٢، الرعد: ١٣، إبراهيم: ١٤، الحجر: ١٥، مريم: ١٩، طه: ٢٠، الشعراء: ٢٦، النمل: ٢٧، القصص: ٢٨، العنكبوت: ٢٩، الروم: ٣٠، لقمان: ٣١، السجدة: ٣٢، يس: ٣٦، ص: ٣٨، والحواميم السبعة وهي: غافر: ٤٠، فصلت: ٤١، الشورى: ٤٢، الزخرف: ٤٣، الدخان: ٤٤، الجاثية: ٤٥، الاحقاف: ٤٦، والألفاظ الواردة في اول سورتي ق: ٥٠ والقلم: ٦٨.

(٢) رواه الترمذي في سننه ١٧٥: ٥ - كتاب فضائل القرآن، الحديث: ٢٩١٠، والسيوطي في الدر المنثور ٢٢: ١ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

العرف طارٍ .

وصدّرت اسماءها بها لتكون أول ما يقرع السمع ، إلّا الألف اللينة ، استعير مكان مسماها ؛ لسكون الألف المتحرّكة المسماة بـ «الهمزة» .

وهي بدون العوامل موقوفة بلا إعراب ؛ لعدم مقتضيه ، مع قبولها له ، إذ لم تشابه مبني الأصل ، ولذا جمع فيها بين الساكنين ، فقبل : «صادنون» ولم ترك كـ «أين» .

وإنما افتتحت السور بطائفة منها : ايقاظاً للمتحدّين بالقرآن ، وتنبهاً على أنّ المتلوّ عليهم كلام منظوم ممّا ينظمون منه كلامهم ، فلو كان من عند غير الله لماعجزوا بأجمعهم عن الإتيان بمثله مع فصاحتهم وتظاهروهم .^(١)

وليستقلّ أول ما يقرع الأسماع بنوع إعجاز إذ لم يعتد النطق بأسماء الحروف من الأمي الذي لا يخطّ ولا يتلو ، مع ان المورد منها في الفواتح .

(١) تحدّى القرآن الكريم عموم العرب في جميع الأزمنة بأن يأتيوا بمثل القرآن لكنهم عجزوا ولا يزالون عاجزين عن ذلك مع توقّف الدواعي على اتيانه - خصوصاً في عصرنا الحاضر الذي يحاول المستعمرون فيه بكل ما اوتوا من حول وقوة صرف الناس عن الإسلام والقرآن - .

وآيات التحدي على انواع هي :

أ - التحدي بإتيان كتاب يكون مثل القرآن :

قول تعالى : «قل لمن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتيوا بمثل هذا القرآن لا يأتيون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» (الاسراء : ٨٨) .

وقوله تعالى : «أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين» (الطور : ٣٣ - ٣٤) .

ب - التحدي بإتيان عشر سور :

قوله تعالى : «أم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سورٍ مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين» (هود : ١١) .

ج - التحدي بإتيان سورة واحدة فقط :

قوله تعالى : «أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورةٍ مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين» (يونس : ١٠) .

ويجمعها: «صراط علي حق نمسكه».

نصفها^(١) الأكثر وقوعاً في تراكيب الكلم. وإنما فرقت على السور ولم تعد متجمعة في أول القرآن تكريماً للتحدّي والتنبه.

وقيل: هي أسماء للسور.^(٢)

واستكراههم التسمية بثلاثة أسماء فصاعداً إنما هو إذا رُكِّب تركيب «بعلبك»، لا إذا نثرت ثلث أسماء العدد، فإنها كالتسمية بالجمل المحكية.

وترجيح السابق - بأنه أوفق بلطائف القرآن -، يخدمه: أن النكات المذكورة في التعديد من التحدّي وغيره توجد مع العلمية - أيضاً -.

نعم يلزمها النقل والإشترك في الأعلام من واضح واحد، المنافي للغرض منها.

وقيل: مختصرة من كلمات، كقولهم «لم» معناه «أنا الله أعلم» ونحوه.^(٣)

وقيل: إشارة إلى مدد وآجال بحساب الجُمَّل.^(٤) وقيل: مقسم بها؛ لشرف الحروف لأنها مباني أسمائه تعالى وكتبه.^(٥)

وقيل: أسماء القرآن للإخبار عنها به وبالكتاب.^(٦)

وقيل: أسماء الله تعالى، لقول علي عليه السلام: «يا كهيص، يا حمعسق»^(٧)

(١) قال نظام الدين الحسن بن محمد القمي (ت/ ٧٢٨هـ) في تفسيره غرائب القرآن ١: ١٣٧. وأعلم أن الباقية - بعد حذف المكرر - أربعة عشر، نصف عدد حروف المعجم بعد الكسر. . . إلى آخر ما قال.

(٢) قاله زيد بن أسلم والحسن - كما في تفسير التبيان ١: ٤٧ -.

(٣) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٢ -.

(٤) ينظر تفسير التبيان ١: ٤٧.

(٥) قاله ابن عباس وعكرمة - كما في تفسير التبيان ١: ٤٧ -.

(٦) قاله قتادة ومجاهد وابن جريج - كما في تفسير التبيان ١: ٤٧ -.

(٧) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٣: ٥٠٢.

وقيل: سرّ الله^(١) تعالى. (٢)

وقيل: من المتشابه الذي استأثر الله تعالى به. (٣)

فإن جعلت أسماء الله تعالى أو السور أو القرآن فمحلّها: الرفع - على الإنداء أو الخبر - أو النصب - بتقدير «اتل» أو فعل القسم -، أو الجرّ بإضمار حرف القسم -.

وان عددت مبقاة على معانيها فإن أولت بـ «المؤلف» فالرفع - كما مرّ - وإن جعلت مُقسماً بها فالنصب أو الجر، وإلا فلا محل لها.

[٢] - ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ الإشارة إلى «الم» أي هذه الحروف التي ينتظم منها كلامكم، أو هذا المؤلف منها أو القرآن أو السورة. وحيث شابه البعيد لتقصيه، أتى بصيغته، أو إلى الكتاب فتكون صفته، أي: الكتاب الموعود به. وهو مصدر اطلق على المكتوب، ثم على العبارة قبل الكتب لأنها مما يكتب.

وأصله: الجمع، فـ «الم» - ان جعلت إسماءً للسورة أو القرآن أو مؤولة بالمؤلف - مبتدأ، و«ذلك» مبتدأ ثانٍ و«الكتاب» خبره، والجملة خبر الأول. ومعناه: انه الكتاب الكامل الحقيق بأن يسمّى كتاباً، أو الخبر «ذلك» و«الكتاب» صفته. أو «الم» خبر لمحذوف. و«ذلك» خبر ثانٍ، أو بدل، و«الكتاب» صفته أو «ذلك» مبتدأ و«الكتاب» خبره، أو صفته والخبر: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

و «الزّيب» مصدر رابه كذا: إذا وجد فيه الزّيبة، وهي: قلق النفس. سمي به «الشك» لأنه يقلقها. وهو مبني لتضمّنه معنى «من» ومحلّه النّصب بـ «لا»، و «فيه» خبره، ولم يقدّم لعدم قصد القصر. ومعناه أنه لوضوحه دلالة وبرهاناً بحيث لا يرتاب

(١) في «ط»: أمر الله.

(٢) في تفسير التبيان ١: ٤٨: قال بعضهم لكلّ كتاب سرّ، وسرّ القرآن في فواتحه.

(٣) ذكر هذا القول الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٣٢.

فيه عاقل . أو صفته ، و«المتقين» خبره ، و«هذى» حال عن الضمير المجرور ، وعامله : الظرف . أو : الخبر محذوف ولذا وقف على «ريب» ، و«فيه» خبر «هذى» قدّم عليه لتكبره ، والتقدير : لا ريب فيه ، فيه هدى .

وعلى الأول ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أو خبر لـ «ذلك» كـ «لا ريب» . والهدى : مصدر ، وهو : الدلالة ، والتوصيف به للمبالغة ، وتكبره للتعظيم .

وإختصاصه بالمتقين - وإن كان هدى للناس - ، لأنهم المهتدون به . والمراد : زيادته وثباته لهم كـ ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أو يراد بهم المشارفون للتقوى . والمتقي - لغة - : اسم فاعل من وقاه فاتقى .

والوقاية : فرط الصيانة ، وشرعاً : من بقي نفسه الذنوب .

هذا ، وأوفق الوجوه الإعرابية : كون الآية أربع جمل متناسقة تقرر كلّ لاحقة سابقتها ، ولذا لم يتخللها العاطف .

فهـ «الم» جملة تفيد التحدي ، و«ذلك الكتاب» - ثانية - تقرير جهة التحدي ، و«لا ريب فيه» - ثالثة - تسجل كماله . وهدى للمتقين - رابعة - تقرر كونه يقيناً لا يشك فيه .

[٣] - ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ . إمّا صفة لـ «المتقين» مجرورة مخصصة - إن فسرت التقوى بترك المعاصي - ، أو موضحة - إن فسرت بفعل الطاعة وترك المعصية - ، لاشتمالها على أساس الأعمال القلبية ، وأم العبادات البدنية والمالية من الإيمان والصلاة والصدقة المستتعبة لسائر الطاعات وترك المعاصي غالباً ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ ،^(١) أو مادحة بأفضل ما تضمّنه التقوى ، أو منصوبة أو مرفوعة على المدح بتقدير : أعني ، أو : هم . وإمّا إستئناف مرفوع بالإبتداء ، وخبره «أولئك» ، فالوقف على المتقين تام .

والإيمان - لغةً -: التصديق، أُخِذَ من الأمن، وعدَّته الهمزة الى مفعولين كأنَّ المصدَّقَ أَمِنَ المصدَّقَ التكذيب. ولتضمَّنه معنى الإقرار عدِّي بالباء.
وشرعاً -: التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسُمِّ مع الإقرار باللسان - شرطاً - أو بدونه، وعليه الأشاعرة. أو معه - شرطاً - وهو متصور الإمامية. أو هما مع العمل، وعليه المعتزلة.

فالمخلَّ بالإعتقاد منافق، وبالإقرار كافر، وبالعمل فاسق، لا كافر - كقول الخوارج -، ولا بين المنزلتين - كقول المعتزلة -، لاقران الإيمان بالمعاصي في آية: ﴿وإنَّ طَائِفَتَانِ﴾^(١) ونحوها، وبعض الأخبار.^(٢) وما في بعضها من الخروج عنه بها،^(٣) محمول على نقص كماله بها، فبطل - أيضاً - إدخالهم «العمل» فيه.

و«الغيب» مصدر بمعنى: الغائب - ان جعلت الباء صلة للإيمان - فتكون للتعمدية. والمراد به: الخفي الذي لا يعلمه العباد إلا بتعليمه تعالى كالصانع وصفاته والنبوة والشرائع والإمامة وغيبة المهدي عليه السلام وخروجه والقيامة وأحوالها.

وإن جعل «بالغيب» حالاً، أي: متلبسين بالغيب، فهو بمعنى: الغيبة، والباء: للمصاحبة، أي: يؤمنون حال غيبتهم لا كالمنافقين.

وقيل: الغيب: القلب^(٤) فالباء للإستعانة ﴿وَيُؤَيِّمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي يعدُّلون أركانها وأفعالها، فلا يقع فيها زيغ، من: أقام العود: إذا قومه.

(١) في سورة الحجرات: ٩/٤٩ وتام الآية: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بنت إحدىهما على الأخرى فقاتلتا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحبُّ المقسطين».

(٢) ذكر العلامة المجلسي أخباراً في هذا المجال في بحار الأنوار ٦٩: ٢٢٣ الباب ١١٤ من باب الكذب. الحديث ٤٧ وما بعده.

(٣) كما ورد في بحار الأنوار ٦٦: ٧٣ الباب ٢٠ الحديث ٢٨.

(٤) ذكر ذلك الألويسي في تفسير روح المعاني ١: ٣٣.

أو: يدومون عليها، من أقيمت السوق: إذا جعلتها نافقة، كأنها بالمداومة عليها جعلت نافقة.

أو: يؤدونها، - تعبيراً عن أدائها بإقامتها، لاشتغالها على القيام -.

والصلاة - لغة - الدعاء، وسميت بها العبادة المخصوصة، لاشتغالها عليه.

﴿وَمِمَّا زَكَّاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ الزكّ - لغة -: الحظّ، وعرفاً: إعطاء الله تعالى الحيوان ما يستفيع به. ويستعمل بمعنى: المرزوق.

ودلّ إسناده اليه تعالى ومدحهم بالإنفاق منه، على أنّ الحرام ليس منه لتعالیه سبحانه عن القبائح وعدم اقتضاء إنفاق الحرام المدح. وأنفق - وما وافقه في «الفاء» و «العين» - دال على معنى الخروج والذهاب. وتقديم المفعول للاهتمام به لحليته. ورعايته الفواصل وإدخال «ين» التبعية عليه للكفّ عن التّذير.

والمراد به، قيل: كلّ مال صرف في سبيل الخير - فرضاً أو نفلاً -^(١) وقيل: الزكاة المفروضة،^(٢) لاقرانه بأختها. وقيل: نفقة الرجل على أهله،^(٣) لنزولها قبل فرض الزكاة. وعن الصادق عليه السلام: «معناه ممّا علّمتهم يبتون».^(٤)

[٤] - ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ هم إمّا: مؤمنو أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وأمثاله، عطف على «الذين يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» فيشاركونهم في صفة التقوى، أو: على «المتقين»، كأنه قيل: هدى لأولئك وهؤلاء.

وإمّا الأولون بأعيانهم. ووسط العاطف على معنى: انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ القرآن والشرعة بأسرهما. والتعبير بالماضي مع أنّ

(١) ذكره الطوسي في تفسير البيان ١: ٥٨.

(٢) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان : ١: ٣٩ وتفسير البيان ١: ٥٨ والجامع ١: ٧٩.

(٣) قاله ابن مسعود - كما في تفسير مجمع البيان : ١: ٣٩ وتفسير البيان ١: ٥٨ والجامع ١: ٧٩.

(٤) رواه الحوزي في نورالثقلين ١/ ٢٦ الحديث ٥ والطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٣٩.

بعضه مترقّب، تغليب للموجود، أو تنزيل للمترقّب منزلة الواقع. ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ الكتب السابقة، ووصف الإعراض بالإنزال بتبعية المحلّ وهو الملك ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ إيقاناً زال معه ما كانوا عليه من أنّه لا يدخل الجنة ألا من كان هوداً أو نصارى^(١) ولن تمسهم النار إلا إياماً معدودة^(٢) واختلافهم في نعيم الجنة أهو من جنس نعيم الدنيا أم غيره، دائم أم لا. وفي تقديم الظرف. وبناء «يوقنون» على «هم» تعريضٌ بغيرهم من أهل الكتاب، وأنّ ما هم عليه من أمر الآخرة غير مطابق ولا عن إيقانٍ - والإيقان: إحكام العلم بنفي الشك عنه -.

و«الآخرة» تأنيث: آخر، صفة الدار، لقوله تعالى: ﴿بِئْسَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾^(٣) فغلبت كالدنيا و«نافع» يحذف الهمزة ويلقي حركتها على اللام للتخفيف.^(٤)

[٥] - ﴿أَوَلَيْكَ عَلَىٰ هٰذِهِ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الجملة محلّها: الرفع، خبر عن «الذين يؤمنون بالغيب» - ان جعل مبتداً - فكأنّه لما قيل: «هدى للمتقين» قيل: لما^(٥) خصّوا بذلك؟ فقيل: «الذين يؤمنون بالغيب» إلى آخره، وإلا فاستئناف لا محلّ لها، كأنّه قيل: ما نتيجة الإتصاف بتلك الأوصاف؟ فقيل: الثبات على الهدى الكامل عاجلاً؛ والفوز بالفلاح آجلاً.

ومعنى الإستعلاء في «على هدى»: تشبيه تمسّكهم بالهدى وثباتهم عليه باعْتِلَاءِ الرّازب مركبه. ونكّر «هدى» للتعظيم، ووصف بـ«من ربهم» تأكيداً بتعظيمه بأنّه

(١) كما ورد عن قولهم في سورة البقرة: ٢/ ١١١ وفيه «لن يدخل...».

(٢) اقتباس من قوله تعالى: «وقالوا لن تمسّنا النار إلاّ أياماً معدودة» البقرة: ٨١/ ٢.

(٣) سورة القصص: ٢٨/ ٨٣ ونظام الآية: «... نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين».

(٤) ذكر البضاوي هذه القراءة في تفسيره ١: ١٠٠.

هكذا: وعن نافع: أنّه حَقَّفَهَا يحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام.

(٥) «ما» - هنا - استفهامية، أي ما بالهم خصّوا بذلك؟

ممنوحه وهو اللطف والتوفيق . ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ تكرير «أولئك» يفيد اختصاصهم وتمييزهم عن غيرهم بكل واحدة من المزيّتين .

وادخل العاطف لاختلاف الجملتين مفهوماً بخلاف ﴿وَأُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(١) - إذ الثانية مقرّرة للأولى فلا يحسن العطف . و«هم» فصل يفصل الخبر عن الصّفة ويحصّره في المبتدأ ويؤكد الحكم ، أو مبتدأ و«المفلحون» خبره والجمله خبر «أولئك» .

والمفلح : الفائز بالبقية . وتعريف «المفلحون» للعهد ، أي : المتقون هم الناس الذي بلغك أنهم مفلحون في الأجل ، أو للجنس بإرادة حصّره في المسند اليه ، أو اتحاد المسند اليه به .

فانظر كيف نبّه تعالى على اختصاص المتّقين بالأترين - بذكر إسم الإشارة المفيد للعناية ، مع الإيجاز ، وتكريره ، وتعريف المفلحين ، وضّم الفصل - إعلاناً بفضلهم وحثاً على لزوم نهجهم .

وإرادة الكامل من الهدى والفلاح توهم تمسك «الوعيدية»^(٢) به في دوام عذاب الفاسق .

[٦] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لما ذكر الله تعالى أولياءه بصفاتهم التي أوجبت لهم الهدى والفلاح ، قفاهم بأضدادهم العتاة الذين لا ينفع فيهم الهدى^(٣) والإنذار . وقطعت قصّتهم عن قصّة المؤمنين لتباينهما غرضاً ، إذ الأولى لكشف شأن الكتاب ، والثانية لشرح تمرّدهم . والتأكيد بـ«إِنَّ» لعلّه للزواج .

(١) سورة الأعراف : ١٧٩/٧ .

(٢) الوعيدية : فرقة من الخوارج وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار - دائرة معارف القرن العشرين : ٨٨ : ١ .

(٣) في «ط» : لا ينفعهم الهدى .

وتعريف الموصول إما للعهد ويراد ناس معينون كـ «أبي لهب» وأضرابه، أو للجنس ويخصّصه الخبر بالمصريين.

والكفر - لغة - : ستر النعمة، من الكفر - بالفتح - وهو : الستر.

وشرعاً : عدم التصديق بما علم ضرورة مجيء النبي صلى الله عليه وآله وسلم به .

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ «سواء» إسم بمعنى : الاستواء، وصف به كما وصف بالمصادر، ورفع بآته خبر «إن»، وما بعده رفع بالفاعلية .

والتقدير : أنهم مستويّ عليهم إنذارك وعدمه . أو : بأنه خبر لما بعده، أي : إنذارك

وعدمه سواء عليهم . والجملة خبر «إن» والاسناد الى الفعل لتأويله بالمصدر . وعدل إلى الفعل ملاحظة للتجدد، ولأليقيته^(١) بالهمزة و«أم» المقررتين للإستواء، وجردتا عن معنى الإستفهام لمجرد الاستواء .

والإنذار : التخويف - أي من عقاب الله تعالى . ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ جملة مؤكدة لما

قبلها فلا محلّ لها ، أو حال مؤكدة من ضمير «عليهم»، أو خبر «أن» والجملة قبلها إعتراض وإخباره تعالى بأنهم لا يؤمنون، لا ينفي قدرتهم على الايمان، فلا يكون تكليفهم به تكليفاً بما لا يطاق . وفي الآية إخبار بالغيب واعجاز ان اريد بهم معينون . [٧] - ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ إستئناف .

والختم : أخو الكتم، إذ في الإستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتم له .

والغشاوة : الغطاء . والختم، والتغطية أما إستعارة، شبه جعل قلوبهم بحيث

لا ينفذ فيها الحق لإعراضهم عنه وأسماعهم بحيث تمتّجه^(٢) بضرب الخاتم على الشيء، وجعل أبصارهم بحيث لا تجتلي الدلائل المنصوبة بالتغطية عليها، أو تمثيل حال قلوبهم ومشاعرهم - مع الحالة المانعة من الإستفناع بها فيما خلقت له

(١) في «ط» : وليتعبه .

(٢) المتجّ، هو : اللفظ - كما في - مجمع البحرين -، والمراد استيحاش آذانهم من سماع الحق .

بحال أشياء معدّة للإنتفاع بها مع المنع عنه - بالختم والتغطية .

وإسناد الختم - مع قبحه - الى الله تعالى - المنزّه عن القبيح - كناية عن تمكّن إغراضهم عن الحق في قلوبهم وأسماعهم حتّى صار لهم كالجبلة الصادرة عنه تعالى . أو تمثيل حال قلوبهم بحال قلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن،^(١) أو من الإسناد إلى السبب ، أو مجاز عن ترك قسره على الايمان كناية عن رسوخهم في كفرهم ، أو تهكّم بهم حكاية لقولهم : ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ ﴾ وفي آدَانَا وَقُرْ وَرَمِنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ ﴿^(٢) أو في الآخرة ، والتعبير بالماضي لتحقيقه بشهادة : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ .^(٣)

«وعلى سمعهم» عطف على «قلوبهم» لقوله تعالى : ﴿ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ ﴾ وقلبه ﴿^(٤) ولوقفهم عليه ، وكثر الجار ليكون أدلّ على شدة الختم في الموضوعين . وإفراد السمع لأمن اللبس ، ولأن أصله : المصدر ، أو بتقدير حواس سمعهم . وإيثاره لمناسبته لوحدة المدرك كالجمع لتكثيره .

والبصر : إدراك العين ، والقوة الباصرة ، والعضو ، وكذا السمع ، والمراد : أحد الآخرين ، والقلب : محلّ العلم .

و«غشاوة» رفع بالإبتداء أو الظرف ، والتذكير للتعظيم والنوعية ، أي : نوع غير متعارف . ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ العذاب كالنكال - زنة ومعنى - ، يقال : اعذب عنه ونكل عنه : إذا امسك ، ثم سمي به كل ألم فادح وإن لم يكن نكالا - أي : عقاباً يردع الجاني - فهو أعمّ منهما .

(١) الفطن : جمع فطنة ، وهو : الفهم - كما في مختار الصحاح «فطن» ..

(٢) كما ورد في سورة فصلت : ٥١ / ٥ .

(٣) سورة الإسراء : ٩٧ / ١٧ .

(٤) سورة الجاثية : ٢٣ / ٤٥ .

و«العظيم»: نقيض الحقير، كالكبير للصغير، والعظيم فوق الكبير، والحقير دون الصغير، والتذكير للنوعية، أي: لهم من الآلام العظام نوع لا يعلم كنهه إلا الله تعالى.

[٨]- «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» افتتح سبحانه - في سياق شرح حال الكتاب - بذكر خلّص المؤمنين، وثنى بأصدادهم الماحضين للكفر سرّاً وجهراً، وثلث بالمنافقين المتذبذبين بين الفريقين، الذين أبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان، وهم أخبث [من] ^(١) الكفرة، لخلطهم بالكفر تمويهاً واستهزاءً، ولذلك طول في وصف حالهم. وقصّتهم بأجمعها معطوفة على قصّة المصيرين، والظرف خبر لـ «من»، أو هي خبر لمضمونه.

وأصل الناس: اناس، حذفت الهمزة وعوّض عنها لام التعريف، وهو اسم جمع، ولأمله للجنس، و«من» موصوفة كأنه قيل: ومن الناس يقولون، أو للعهد والمعهود بالذين كفروا و«من» موصولة قيل: يراد بها: «ابن أبي» وأضرابه.

وخصّ الإيمان بالله وباليوم الآخر بالذكر إدعاء بأنهم حازوا الإيمان من جانبيه، وبياناً لفرط خبثهم لأنهم كانوا يهوداً، وإيمانهم بالله واليوم الآخر ليس بإيمان، لقولهم: «عَزَّزْتُ ابْنَُ اللَّهِ» ^(٢) وإنّ الجنة لا يدخلها غيرهم ^(٣) ونحوه. فتمويههم على المؤمنين - بأنهم آمنوا مثل إيمانهم - كفر مضاعف، لأنهم لو قالوا هذا وهم على عقيدتهم بدون نفاق لم يكن إيماناً.

كيف وقد قالوه نفاقاً وتمويهاً وتكرير «الباء» لإدعاء الإيمان بكلّ على الصحة. و«اليوم الآخر»: من وقت الحشر إلى الأبد، أو إلى دخول السعداء الجنة والأشقياء

(١) الزيادة اقتضاها السياق.

(٢) سورة التوبة: ٩ / ٣٠.

(٣) ينظر سورة البقرة: ١١١ / ٢.

النَّارِ، إذ هو آخر الأوقات المحدودة. ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ نفى لما ادَّعَوْه وتكذيب لهم.

وعدل عن «ما آمنوا» - المطابق لقولهم «آمنّا» المصرّح بشأن الفعل لا الفاعل - إلى عكسه مبالغَةً، لأنَّ إخراجهم عن جملة المؤمنين أبلغ من نفى إيمانهم في الماضي، ولذا أكّد النَّفْيَ بالباء وأطلق الإيمان، أي: ليسوا منه في شيء، ويحتمل تقييده بما قَدَّوا به إذ هو ردّه.

[٩] - ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الخدع: أن توهم غيرك خلاف ما تريده به من المكروه، وأصله: الإخفاء. والمخادعة: تكون من اثنين. ومخادعتهم الله - العالم بكلّ خفي، والتمتّه عن القبيح، وللمؤمنين الغير اللاتق بهم -: أن يخدعوا على معنى: أنّ صورة صنعهم معه تعالى من إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وصنعه تعالى معهم بإجراء أحكام المسلمين عليهم - وهم أبغض الكفرة إليه - لمصالح يعلمها.

وإمثال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين أمره تعالى بإجراء أحكام المسلمين عليهم، صورة صنع المتخادعين. أو مخادعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مخادعة الله تعالى، لأنه خليفته ويغضده: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾. ^(١) و«يخادعون» بيان لـ «يقول» أو استئناف لشرح الغرض منه، فيحتمل إرادة: يخدعون بـ «يخادعون»، وأخرج في وزن «فاعل» المفيد للمغالبة، لأنّ الفعل متى غولب فيه جاء أبلغ منه إذا جاء بلا مغالب ويعضده قراءة: «يخادعون». ^(٢)

وغرضهم بخداعهم: دفع ما يطرق به غيرهم من الكفرة عن أنفسهم، وأن يكرموا كالمؤمنين، وأن يختلطوا بهم ليظهروا على أسرارهم فيفشوها الى أعدائهم

(١) سورة النساء: ٨٠/٤.

(٢) وهي قراءة حفص عن عاصم وسيذكرها المصنّف بعد قليل.

ونحو ذلك. ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ^(١) إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ قرأه «نافع»، و «ابن كثير»، و «أبو عمرو»،^(٢) أي: ضرر خداعهم إنما يعود إليهم، أو أنهم خدعوا أنفسهم حيث منوها الأباطيل، وخدعتهم هي كذلك. وقرأ الباقون «وما يخدعون». ^(٣)

والنفس: ذات الشيء؛ ثم قيل للزواج والقلب، لأنه متعلقها أو محلها، وللدن؛ لأن قوامها به، وللماء، لفرط فقرها إليه وللرأي؛ لإنبعائه عنها، أو لشبهه بذات تشاور.^(٤) والمراد - هنا -: ذواتهم أو أرواحهم وأراؤهم. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ الشعور: الإحساس، جعل لحوق ضرر الخداع بهم كالمحسوس، وهم لفرط غفلتهم كفاقد الحس.

[١٠] - ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ تقرير لعدم شعورهم، أو استئناف لذكر سببه ومرض قلوبهم إما على الحقيقة: وهو الألم - حيث كانت متألمة حزناً على فوت الرئاسة منهم وحنقاً على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين -.

أو مجاز عن الكفر والغلّ وحبّ المعاصي ونحوها مما هو آفة شبيهة بالمرض، فإن قلوبهم كانت مأوفة^(٥) بذلك.

أو عن الجبن الذي داخل قلوبهم حين رأوا شوكة المسلمين وقذف الله في قلوبهم الرعب. ﴿فَزَادَهُمْ^(٦) اللَّهُ مَرَضًا﴾ زادهم تألماً بإعلاء شأن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، أو طبعاً على قلوبهم.

والإسناد إليه تعالى لأنه مسبب،^(٧) أو جبناً بتضاعف النصر لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «وما يخدعون».

(٢) حجة القراءات: ٨٧.

(٣) وهم: «عاصم» و «ابن عامر» و «حمزة» و «الكسائي» - كما في حجة القراءات: ٨٧.

(٤) من المشاورة وقد ورد في تفسير البيضاوي: ١: ٨٠ - ٨١ أو يشبه ذاتاً ما تأمره وتشير عليه.

(٥) من الآفة، وهي العاهة - كما في مختار الصحاح «أوف» -.

(٦) في «د» لأنه سبب.

وَسَلَّمَ. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي مؤلم - بالفتح - يقال: أَلَمَ فهو أليم، وصف به العذاب مبالغة، كضرب وجع ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ قرأه «عاصم» و «حمزة» و «الكسائي»،^(١) أي: بسبب كذبهم في قولهم: «آمنّا» أو بمقابلته. والباقون: بالتشديد، لتكذيبهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقلوبهم دائماً وبألسنتهم إذا خلوا إلى شياطينهم. أو للمبالغة كبيت الشيء. أو التكثير كموت الإبل، ولفظ «كان» للإستمرار.

والكذب: الإخبار بالنسبة على خلاف ما هي به، والآية تفيد حرمة.

[١١] - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ عطف على «يكذبون» أو «يقول».

والفساد: خروج الشيء عن الإستقامة والإنتفاع به، وضده: الصّلاح.

وإفسادهم في الأرض: إشارة الفتن والحروب بخداع المسلمين ومعاونة الكفار عليهم بإفشاء أسرارهم، فإنّ ذلك يؤدي إلى فساد ما في الأرض من الناس وغيرهم، والقاتل هو الله تعالى أو الرسول أو بعض المؤمنين. ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ جواب «إذا» ورّد للنّاصح على وجه المبالغة، لأن «إنما» للحصر، أي: ما شأننا إلّا الإصلاح فكيف نخاطب بذلك؟ قالوه لتصوّرهم الفساد صلاحاً.

[١٢] - ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ ردّ لدعواهم مع المبالغة بالإستئناف به،

وتصديره بالمؤكدين «ألا» المنبهة على تحقّق ما بعدها و «إنّ» وتوسيط الفصل، وتعريف الخبر، وإستدراك «ولكن لا يشعرون» أي: بكونهم مفسدين مع ظهوره كالمحسوس.

[١٣] - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا﴾ نصحوا بأمرين يكمل بهما الإيمان: ترك الرذائل

المراد بـ«لا تفسدوا» واكتساب الفضائل المراد بـ«آمنوا». ﴿كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ في محلّ النصب على المصدر، و «ما» مصدرية أو كافة و «لام» الناس للعهد، يراد

(١) الكشف عن وجوه القراءات ١: ٢٢٧.

به: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه، أو من آمن من قومهم كـ«ابن سلام» وأصحابه. أو للجنس، ويراد به: الكاملون في الإنسانية، كأنهم الجنس كله، لجمعهم خواصه. ﴿قَالُوا﴾ فيما بينهم. ﴿أَنْتُمْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ إستفهام إنكاري واللام للمعهد - والمعهود: الناس -، أو للجنس وهم داخلون فيه - على زعمهم -.

وإنما سفهوهم لاعتقادهم سوء رأيهم، أو تحقيراً لهم لفقر أكثرهم وكون بعضهم موالي.

والسفه: ضعف رأي وخفة، وضده: الحلم. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ رد بليغ لتجهيلهم بجهلهم المؤذن برسوخه فيهم مع ما في سابقها وفصلت هذه بـ«لا يعلمون» وتلك بـ«لا يشعرون» لأن معرفة الحق من الباطل تحتاج إلى نظر، والتفاق المؤدي إلى الفساد يدرك بأدنى تفتن.

[١٤] - ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ صدر القصه بيان لمذهبهم، وهذه

بيان لصنعهم مع المؤمنين والكفار. فلا تكرير.

و«اللقاء»: المصادفة كالملاقاة. ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ من خلا به وإليه: إذا انفرد معه.

أو من «خلاك ذم» أي: عداك ومضى عنك. ﴿إِلَى شَيْطَانِهِمْ﴾ المظهرين للكفر الممائلين للشيطان في عتوهم، وأضيفوا اليه للمشاركة في الكفر، أو خلا صغار المنافقين إلى كبارهم، ونونه أصليّة من «شطن» أي: بعد، لبعده عن الصلاح، أو زائدة من «شاط» أي: بطل، ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: في العقيدة خاطبهم بالإسميّة تحقيقاً لثباتهم على دينهم وأكدها بـ«إن» اعتناءً بأشانه ورواجه منهم، والمؤمنين بالفعلية^(١) إخباراً بإحداث الإيمان ولم يعتنوا به، ولم يتوقعوا رواجه. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ تأكيد لـ«إنا معكم» لأن المستهزء بالشيء ثابت على نقيضه. أو بدل (١) أي خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وهو قولهم: «آمنّا».

منه، إذ المحقر للإسلام معظم للكفر. أو استئناف، كأنّ الكفرة قالوا لهم - حين قالوا: «إِنَّا معكم» - : فما بالكم توافقون المؤمنين؟ فأجابوا بذلك.

والإستهزاء: السخرية والإستخفاف، يقال: استهزأ وهزأ بمعنى.

وأصله: الخفة.

[١٥] - ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يعاملهم معاملة المستهزيء، بإجراء حكم الإسلام عليهم مع ادّخار ما يراد بهم، أو يجازيهم على استهزائهم، سمي جزاؤه باسمه كـ ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾،^(١) أو ينزل بهم الهوان الذي هو لازم الإستهزاء.

وإنما استؤنف به ليفيد أن الله تعالى يتولّى جزاءهم انتقاماً للمؤمنين، ولم يحوجهم أن يقابلوهم، وإن ما يفعله تعالى بهم هو الاستهزاء الأبلغ الذي لا اعتداد معه باستهزائهم، ولم يقل: مستهزيء - طبق «مستهزءون» - ليفيد حدوث الإستهزاء وقتاً فوقتاً. ﴿وَيَعْمُدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ من المدد، ومنه: مدّ الجيش وأمدّه، أي: زاده، لا من المدّ في العمر، لتعذيبه بالآلم ويعضده قراءة «وَيُمِدَّهُمْ». ^(٢)

وإسناده إليه تعالى إسناد الفعل إلى المسبّب، لأنّه منعهم ألطافه لإصرارهم على الكفر والعصّة، فازدادت قلوبهم ريئاً. ^(٣) وسمي ذلك التزايد: مدداً، أو لأنه مكّن الشيطان منهم فزادهم طغياناً.

وإضافة الطغيان إليهم قرينة المجاز: أو أريد بالمدّ: ترك القسر.

والطغيان مجاوزة الحدّ في العتوّ، وأصله: تجاوز الشيء عن موضعه.

والعمه، التحير، وهو في البصيرة كالعمى في البصر.

[١٦] - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ استبدلوها به. إستعارة، لأنّ

(١) في سورة الشورى: ٤٢/٤٠.

(٢) وهي قراءة «ابن كثير و«ابن محيص» - كما في تفسير الكشاف: ١: ١٨٨.

(٣) في «ب»: رياءً، والرين: الطبع والدنس - كما في مختار الصحاح «رين».

الإشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر، أي: تركوا الهدى - الذي جعل لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها - إلى الضلالة. ﴿فَمَا رَیَحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ ترشيح للمجاز^(١) لما ذكر الإشتراء أتبعه ما يشاكله تصويراً لما فاتهم بصورة خسارة التجارة.

والتجارة: طلب الربح بالبيع والشراء، والربح: الفضل على رأس المال. وأُسند إلى التجارة لتلبسها بالفاعل. ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ لطرق التجارة، إذ المطلوب بها حفظ رأس المال والربح وقد أضاعوا رأس مالهم باستبدالهم به الضلالة، ولا ربح لمن ضيع رأس المال.

[١٧] - ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ بين تعالى صفتهم، ثم زادها بياناً بضرب المثل فإنه أوقع في النفس لجعله المتخيل كالمحقق.

والمثل - في الأصل -: النظر، كالمثل والمثيل، ثم قيل للقول السائر الممثل به مضربه لمورده، ولا يضرب إلا ما فيه غرابة، ثم استعير لكل قصة أو صفة لها شأن نحو: «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ»،^(٢) «وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى»^(٣) والمعنى: حالهم العجيبة كحال من استوقد ناراً. و«الذي» بمعنى: الذين - مخففها - كـ «الذي خَاصُوا»^(٤) ان عاد اليه ضمير «بنورهم».

وافراد ضميره في «استوقد» و«حوله» نظراً إلى صورته أو أريد به جنس المستوقدين أو الجمع الذي استوقد، أو الواحد، ولا محذور لأن التشبيه لقصته بقصته.

(١) ترشيح المجاز على أنواع، لغوي: وهو ذكر ما يلائم المعنى الحقيقي. عقلي: وهو ذكر ما يناسب ما استعمل له كقول أبي ذؤيب:

واذ المنية انشبت اخفاها
الفيت كل تميمه لاتنفع

(٢) سورة الرعد: ٢٥/١٣.

(٣) سورة النحل: ٦٠/١٦.

(٤) سورة التوبة: ٦٩/٩.

والإستيقاد: طلب الوقود، وهو: سطوع النار، وهي من «تأزّه أي: نفر، لأنّ فيها حركة. «فَلَمَّا أَضَاءَتْ» النار «مَا حَوْلَهُ» حول المستوقد - إن تعدّى -، وإلّا: فالفاعل «ما»، والثانيث لأنها أشياء وأمكنة، أو ضمير النار. و«ما» موصلة بمعنى «الأمكنة، نصبت ظرفاً، أو زائدة. و«حوله» ظرف.

والاضاءة: فرط الإنارة. وتألّف الحول^(١) للدوران، وقيل: للعام لدورانه. «ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ» جواب «لَمَّا» والضمير للتذي جمع - نظراً إلى المعنى -، ولم يقل: بنارهم، لأنّ المراد من إيقادها: التور. أو إستئناف، جواب من يقول: ما بالهم شُبّهت حالهم بحال مستوقدٍ قد طفئت ناره؟ والضمير للمنافقين، وجواب «لَمَّا» محذوف، تقديره: خمدت.

وإسناد الإذهاب إليه تعالى لآلته المسبّب للإطفاء بسبب خفيّ أو ريح أو مطر. وعذّي «ذهب» بالباء، لإفادتها الإستصحاب، بخلاف الهمزة، أي: أخذ الله نورهم وأمسكه، وما أمسكه الله فلا مرسل له.

وعدل عن الضوء الموافق لـ «أضاءت» إلى النور للمبالغة، اذ لو قيل: ذهب بضوئهم لأوهم الذّهاب بالزيادة وبقاء ما يسمّى نوراً، والغرض طمس النور عنهم رأساً «وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ» الظلمة: عدم النور، وتنكيرها للتعظيم، وجمعها للمبالغة بشدّتها، كأنّها ظلمات متراكمة ولذا وصفها بأنّها لا يرى فيها شبح، أو المراد: ظلمة النفاق، وظلمة سخط الله، وظلمة العقاب السّرم.

وترك بمعنى: خلّى. يتعدّى لإوحد، ثم ضمن معنى: صيّر، فتعدّى إلى مفعولين، ومفعول «لا يبصرون» متروك، كأنّ الفعل لازم.

والآية مثل لا انتفاعهم بكلمة الإسلام مدة حياتهم القليلة. وانقطاعه بالموت

(١) أي وضع كلمة «الحول» بهذا التأليف إنما هو للدوران أو للعام أي السنة. - ينظر تفسير كتر الدقائق ١: ٤٦٦.

ووقعهم في الظلمات المتراكمة باستضاءة المستوقد التي حصلت بعد السعي فزالت بإطفاء النار فبقي في ظلمة شديدة.

أو مثل لهداهم الذي باعوه بالنار الموقدة للإستضاءة، والضلالة التي اشتروها، فطبع بها على قلوبهم بإطفاء الله تعالى إياها وإذهاب نورها.

[١٨] - ﴿صُمُّ بِكُمْ عُمْيٌ﴾ لَمَا لَمْ يَصِيخُوا^(١) مسامعهم إلى الحق وأبوا النطق به والتبصّر للآيات جعلوا كَأَن حَوَاسِهِمْ مَأْوُفَةٌ، وهو من التشبيه لا الإستعارة، إذ شرطها طَيِّ ذكر المستعار له بحيث يمكن الحمل على المستعار منه لو لا القرينة. وهنا وإن طوى ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المذكور.

والصَّم: فقدان حسّ السَّمع، والبكم: الخرس، والعمى: عدم البصر عمّا من شأنه، ويقال لعدم البصيرة ﴿فَهُمْ لَا يَزْجُمُونَ﴾ إلى الهدى الذي باعوه أو عن الضلالة التي اشتروها.

[١٩] - ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ عطف على «الذي استوقد»، أي: كمثل ذوي صَيِّب لقوله: «يجعلون»، و«أو» للإباحة. والمعنى: أَنَّ قِصَّةَ المناققين مشبهة لكل من هاتين القِصَتَيْنِ فلك التمثيل بهما أو بآيتهما شئت.

و«الصَّيْب»: المطر الذي يصب، أي: ينزل، ويقال للسحاب، وكل محتمل - هنا -، وتنكيره للتّهويل، أي: نوع من المطر هائل وتعريف «السَّماء» ليدلّ على تطبيق السحاب لكل آفاقها لا أفق واحد فإنه سماء، أو «السَّماء»: السحاب، فاللام للجنس. ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ إن أُريد بالصَّيْب: المطر، فالظُّلُمَات: ظلمة تكاثفة، وظلمة غمامه مع ظلمة الليل، وجعله ظرفاً للزَّعد والبرق لتلبسهما به، وإن أُريد به السحاب، فالظُّلُمَات: سحمته^(١) وتطبيقه مع ظلمة الليل، وارتفاعها بالظرف.

(١) اصاخ له واليه: بمعنى اصغى واستمع.

والرَّعد: صوت يسمع من السَّحاب، والبرق: ما يلمع منه، ولم يجمعاً لأنَّ أصلهما المصدر ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي ءِاذَانِهِمْ﴾ إستئناف. كأنه قيل: ما حالهم مع ذلك الرَّعد؟ فأجيب به.

والضَّمائر لذوي الصَّيب، وإِشار الأصابع على الأنامل للمبالغة ﴿مِنْ الصَّوَاعِقِ﴾ أي يجعلون من أجلها.

والصَّاعقة: قصفة رعدٍ معها نار لا تمرُّ بشيءٍ إلاَّ أهلكته، من الصَّعق، وهو: شدَّة الصَّوت، يقال: صعقت الصَّاعقة، أي: أهلكته بشدَّة الصَّوت أو الإحراق ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ معقول له، والموت: زوال الحياة أو عرض يُضادها ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط والجملة اعتراض.

[٢٠] - ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ إستئناف آخر، كأنه قيل: فما حالهم مع ذلك البرق؟ فأجيب به، و«يكاد» لمقاربة الخبر من الوجود.

و«الخطف»: الأخذ بسرعة ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ إستئناف ثالث، كأنه قيل: ما يصنعون في حالتي خفوق البرق وخفائه؟ فأجيب به.

و«أضاء» إمَّا متعدِّ حذف معفوله أي كلما نورٌ لهم مسلِكاً سلكوه، أو لازم، أي: كلما لمع لهم مشوا في ضوئه، وكذا «أظلم».

وأتى مع الاضائة بـ«كلَّما» ومع الإظلام بـ«إذا» لحرصهم على المشى، فكلَّما صادفوا منه فرصة انتهزوها بخلاف التوقُّف، وقاموا أي: وقفوا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بقصف الرعد ﴿وَأَبْصَارِهِمْ﴾ بوميض البرق، وحذف مفعول «شاء» لدلالة الجواب عليه. و«لو»: حرف شرطٍ لانتهاء الثاني لإنتفاء الأوَّل، وتستعمل لربط الجزاء بالشرط مجرَّدة عن الدلالة على انتفائهما، وتسمَّى: الإستدلالية — كما هنا - ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الشَّيء: ما يصح أن يعلم ويخبر عنه، فيعمِّ الواجب (١) المسحمة: السواد، والمراد سواد الليل.

والممكن والممتنع، وخصّصه العقل هنا بالممكن.

و«التقدير»: الفعّال لما يشاء على ما يشاء.

والتّمثيل إمّا مركّب تشبيه لحال المنافقين في الشّدة والذهشة بحال من أخذه

المطر في ليل مظلم مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصّواعق.

أو مفرّق تشبيه لذواتهم بذوي الصّيب، و- إيمانهم المشوب بالكفر - بصيب فيه

ظلمات ورعد وبرق، فلمّا وإن كان رحمة في نفسه لكنّه عاد نعمة في هذه الصّورة،

ونفاقهم حذراً ممّا يطرق به غيرهم من الكفرة بجعل الأصابع في الأذان من الصّواعق

حذر الموت، وتحيرهم بشدّة الأمر - بأنّهم كلّما أضاء لهم انتهزوا الفرصة فمشوا

قليلاً، وإذا أظلم عليهم وقفوا متحيرين، والمثل الأول يجري فيه الوجهان كما

أشير إليه (فتدبر).

[٢١] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ لَمَّا ذكر تعالى فرق المكلفين وأحوالهم،

التفت إليهم بالخطاب تنشيطاً للسامع.

و«يا» لنداء البعيد ويستعمل في القريب منزلاً منزله إمّا لعظمته كـ «يا الله» أو

لغفلته، أو للإعتناء بالمدعو له، و«أي» وصلة إلى نداء المعرف باللام لتعذر دخول

«يا» عليه، وأعطى حكم المنادى وجعل ذو اللام صفة موصحة له ملتزماً رفعة لآله

المقصود، وأقحمت بينهما «هاء - التّبيه» تأكيداً وتعريضاً لآتي من الإضافة.

والخطاب للمكلفين الموجودين، ويدخل من سيوجد بدليل خارجي - لقبح

خطاب المعدم -، والمأمور به المشترك بين إحداث العبادة والزّيادة فيها والثّبات

عليها، فالمراد - من الكفار - : إحداثها بعد الإتيان بما تتوقف عليه، ومن المؤمنين :

الزّيادة والثّبات ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ صفة جاءت للتّعظيم والتعليل.

و«الخلق» ايجاد الشيء على تقدير ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ : وخلق الذين

تقدموكم من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ حال من فاعل «أعبدوا» كأنه قيل : أعبدوا ربكم

راجين وصولكم إلى التقوى التي هي أعلى مراتب العبادة .

وفيه تنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون ذا خوف ورجاء لا مُتغترأ بعمله . أو عن مفعول «خلقكم» وما عطف عليه ، أي : خلقكم ومَن قبلكم في صورة المرجو منه التقوى لاجتماع أسبابها ودواعيها ، وغلب المخاطبين على الغائبين ، والمراد : الجميع .

[٢٢] - «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا» صفة ثانية مادحة ، أو مدح منصوب أو مرفوع أي صيرها مبسطة تقعدون وتنامون عليها كالفراش ولا ينافي كرويتها لعظم حجمها «وَالسَّمَاءَ بَنَاءً» قبة مضروبة عليكم ، و«البناء» مصدر سمي به المبنى من بيت ونحو «وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ» : من السحاب - أو : مما فوقه إليه - ، ومنه إلى الأرض «مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ» أي بسببه بأن جعله سبباً في خروجها ومادة لها - كماء الفحل للولد - مع قدرته على إنشاء الأشياء كلها بلا أسباب ومواد - كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد - ولكن له في إنشائها من موادها تدريجاً حِكَم ليست في إنشائها دفعة ، و«من» للتبعض كـ «ماء» و «رزقاً» المكتنفين لها ، و«رزقاً» مفعول له أي أنزل بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم ، فـ «لكم» مفعول به لـ «رزقاً» ، أو للثنيين ، و «رزقاً» مفعول به ، بمعنى : المرزوق ، قَدَم عليه بيانه و«لكم» صفته ، و«الثمرات» ليست للقليلة بل جمع : ثمرة ، التي يراد بها : الكثرة ، أو نائب مناب جمع الكثرة ، أو صيرته اللام لها «فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا» نهى معطوف على «أعبدوا» أي : إذا استحق ربكم العبادة وأساسها توحيده ، فلا تشركوا به . أو نفى منصوب بإضمار «ان» جواباً له ، أو لـ «لعل» - كنصب «فاطلع» جواباً لـ «لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ» - ، ^(١) أو نهى مرتب على «الذي جعل» إن رفع خبراً لمحذوف أي : هو

(١) ورد ذلك في سورة غافر : ٤٠/٣٦ و٣٧ قوله تعالى : «وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى» .

الذي حَفَّكم بهذه الآيات الشَّاهدة بوحْدانيته، فلا تشركوا به .

والنَّد: المثل المخالف . وسَمي ما يعبد المشركون: أنداداً، وما زعموا أنَّها تخالفة . لأنَّهم - بتركهم عبادته إلى عبادتها، وتسميتهم لها آله -، شابهوا من يعتقد أنَّها مثله، قادرة على مخالفته . فتهكَّم بهم ويكْتهم بجعلهم الانداد لمن لا ندَّ له ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حال عن فاعل «تجعلوا» . ومفعول «تعلمون» متروك، أي: وحالكم أنكم من أهل العلم، أو مقدر، وهو: أنَّها لا تقدر على مثل أفعاله . وقد تَضَمَّنت الآيات الأمر بعبادته تعالى، وإنَّ من موجباتها كونه ربّاً خالقاً لهم ولأصولهم، وما يحتاجون إليه - من المُقَلَّة والمُظِلَّة والثمار - مطاعماً وملايساً، وأنَّ هذه أمور يعجز عنها غيره، دالَّة على توحيده، فرتب عليها التَّهي عن الإشراك به .

[٢٣] - ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلَا نَبِّتْ وَحْدَانِيَّتَهُ، وَعَلَّمَ الطَّرِيقَ إِلَىٰ ذَلِكَ عَقَبَهُ بِمَا هُوَ الْحَجَّةُ عَلَىٰ نَبْوَةِ «مُحَمَّد» - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو: القرآن، علَّم أنَّ ما يعرف به إعجازه، وأنه من عند الله - كما يدَّعيه - .

وإنما قال: «نزلنا»، لأنَّ الكفرة رابهم نزوله منجماً بحسب الحوادث على سنن أهل الخطابة والشعر، فقالوا: ﴿لَوْ لَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ .^(١) فتحذاهم به على الوجه الذي رابهم، تبكيتاً لهم، ودفعاً للريب . وفي إضافة «عبد» إليه تعالى تعظيمٌ للمضاف .

والسُّورة: طائفة من القرآن مترجمة من: سور المدينة، لإحاطتها بطائفة من القرآن محدَّدة على حيالها، أو لاحتوائها على فنون من العلم، كإحتواء سور المدينة على ما فيها . وفائدة تفصيل القرآن سوراً تنويع الجنس، وتنشيط القارئ، وتسهيل الحفظ، والترغيب فيه، وغير ذلك ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ صفة «سورة» أي: بسورة كائنة من

(١) كما ورد في سورة الفرقان: ٣٢/٢٥ .

مثله . والصَّمِيرُ لـ «ما» . و«من» للتبويض ، أو للتبيين ، أو زائدة ، أي : مماثلة للقرآن في الطبقة ، أو «عبدنا» و «من» للإبتداء ، أي : بسورة كاثنة ممتن هو على حاله من كونه أُمياً . أو صلة «فأتوا» . والصَّمِيرُ لـ «عبدنا» . وَرَجَّحَ^(١) الرَّدَّ إلى المنزل ؛ لمطابقتها «فَاتُّوا بِسُورَةِ مِثْلِهِ»^(٢) ونحوه ، ولأنَّ الحديث فيه لا في المنزل عليه ، ولأنَّ التحدي للكل بمثل ما أتى به واحد منهم أبلغ من التحدي لواحد منهم بذلك ، ولملائمته لقوله «وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أي استعينوا بكل من يعينكم .

والشهداء : جمع شهيد ، وهو الحاضر أو القائم بالشهادة .

ومعنى «دون» : أدنى مكان من الشيء ، ثم استعير للتفاوت في المراتب ، ثم استعمل في كل تجاوز الى حدّ ، والظرف متعلق بـ «ادعوا» أي ادعوا الى المعارضة كل من حضركم غير الله - لآله القادر على الإتيان بمثله - .

أو ادعوا من دون الله من يشهدون بصدقكم ، أي : لا تستشهدوا بالله - كما يفعل العاجز عن البيّنة - . أو بشهادتكم ، أي : ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله ، وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة ليعينوكم في المعارضة . وفي أمرهم بالإستظهار فيها بالجماد غاية التهكم بهم «إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ» أنه نقولُه . والصدق : الأخبار المطابق للواقع .

[٢٤] - «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ»^(٣) لما عرفهم ما يتعرفون به أمر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال لهم : فإذا لم تعارضوه وعجزتم عن ذلك ، وبأن لكم آتة معجز يجب التصديق به فصدقوا ،^(٤) وخافوا النار المعدّة لمن كذّب . وجيء بـ «إن» - التي للشك - مكان «إذا» - التي للوجوب - تهكماً

(١) في «ب» و«ج» : والارجح .

(٢) كما ورد في سورة يونس : ٢٨/١٠ .

(٣) في «ج» : فصدقوه .

بهم . وعبر عن الإتيان بالفعل الأعمّ منه إيجازاً . واشترط الإثناء - الواجب مطلقاً - بانتفاء المعارضة ، لأنه لازم للجزاء - وهو ترك العناد - ، فأقيم مقامه كناية عنه تهيئاً لشأن العناد بإبرازه في صورة النار الفظيعة الوصف من أنها تتقد بما لا يتقد به غيرها ، وتصريحاً بالوعيد .

وجزم «تفعلوا» بـ«لم» لاتصالها به ، وصيرورتها كجزئته بقلبها إيّاه ماضياً . ودخلت «إن» على المجموع فجزمته محلاً . و«لن» لنفي المستقبل مؤبداً ، نصبت «تفعلوا» . والجملة اعتراض وإخبار بالغيب دالّ على النبوة كما دلّ عليها ثبوت إعجاز المتحدّى به .

والتوقد - بالفتح - : ما يوقد به النار . والحجارة : جمع حجر وهي أصنامهم التي عبدوها ، وأملوا نفعها ؛ لقوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ .^(١) عذبوا بها محمداً على خلاف ما أملوا ، زيادة في إيلاهم - كما عذب الكانزون بما كنزوا - .^(٢) وقيل : حجارة الكبريت .^(٣)

وتعريف «النار» للعهد ؛ إذ سمعوا في سورة التحريم ﴿نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٤) وعلموا بذلك مضمون الصلة فخطبوا به ﴿أَعِدَّتْ﴾ : هُيئت ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ فهي الآن مخلوقة . والجملة استئناف ، أو حال من النار بتقدير «قد» .

[٢٥] - ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ عطف وصف ثواب المصدقين على وصف عقاب المكذّبين كما هو عادته تعالى من ذكر الترغيب مع التهيب ؛

(١) سورة الانبياء : ٩٨ / ٢١ .

(٢) كما ورد في قوله تعالى : «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» (التوبة : ٣٤ و ٣٥) .

(٣) قاله ابن عباس وابن مسعود - كما في تفسير التبيان ١ / ١٠٧ د .

(٤) سورة التحريم : ٦ / ٦٦ .

تنشيطاً لا اكتساب ما يزلف ، وتثبيطاً عن اقتراف ما يتلف .

والمأمور: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أو كل من يقدر على البشارة ، وهي :
الإخبار بالسار ﴿بَشِّرْهُمْ بِعَذَابِ الْيَمِّ﴾^(١) تهكُّم .

و«الصالحات» : جمع صالحة ، صفة غلبت فجرت مجرى الأسماء - كالحسنة - . وهي - من الأعمال - : ما استقام وترتب عليه الثواب بدليل شرعي . وتأنيسها بتأويل الخصلة . و«اللام» للجنس . ورُتبت البشارة على الايمان والعمل إيداناً بأن السبب في استحقاقها الجمع بين الأمرين ﴿أَنْ لَهُمْ﴾ منصوب بنزع الخافض وإفضاء الفعل اليه . ﴿جَنَّاتٍ﴾ الجنة : المرة من الجن ، وهو : الستر ، سُمي بها : الشجر المتكاتف لتظليله ، كأنه يستر ما تحته ستره واحدة . ثم : البستان لما فيه من الأشجار المظللة الملتقمة . ثم : دار الثواب لما فيها من الجنان . وجمعت ونكرت لإشتمالها على جنان كثيرة متنوعة على مراتب متفاوتة بحسب استحقاق^(٢) العاملين ، لكل طبقة منهم جنات منها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي من تحت أشجارها النابتة على الشواطئ . روي : أن أنهارها تجري من غير أخدود^(٣) ولام «الأنهار» للجنس ، أو للمعهد . والمعهود ما في قوله تعالى : ﴿أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ . . .﴾^(٤) الآية .

والنهر - بالفتح والسكون - : المجرى والواسع فوق الجدول^(٥) ودون البحر ك«الفرات» . والمراد : ماؤها - إضماماً أو مجازاً - . أو المجاري ، وإسناد الجري إليها مجاز ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا﴾ صفة اخرى لـ«جَنَّاتٍ» ،

(١) الوارد في آل عمران ٣/ ٢١ والتوبة ٩/ ٣٤ والإنشاق : ٢٤/ ٨٤ .

(٢) في «ب» و«ج» : استحقاقات .

(٣) كما في تفسير التبيان ١/ ١٠٩ باختلاف يسير ، ورواه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٨ عن مسروق .

(٤) سورة محمد : ٤٧/ ١٥ .

(٥) الجدول : النهر الصغير .

أو استئناف: كأنه لما قيل: «أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ» خطر للسامع: أثمارها كثمار الدنيا أم أجناس^(١) أخر؟ فأزيل به. و«كَلَمًا» نصب ظرفاً، و«رِزْقًا» ثاني مفعولي «رَزَقُوا». وحرفاً «مِنْ» للإبتداء، والظرفان حالان متداخلان؛ أي: كُلَّ مَرَّةٍ رَزَقُوا مَرَزُوقًا مبتدأ، من الجَنَّاتِ مبتدأ من ثمرة.

أو «مِنْ» الثانية بيان لـ «رِزْقًا» وهذا إشارة إلى نوع المَرَزُوق أي هذا مثل الذي. ولا استحكام التشبه بينهما جعل هو إِيَّاهُ «مِنْ قَبْلُ»: قبل هذا في الدنيا. جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لعميل النفوس إلى المألوف، ونفرتها عن غيره، وليظهر فضله ومزيته؛ إذ لو لم يعهد جنسه حسب أنه لا يكون إلا كذلك.

أو في الجنة؛ لأن طعامها متشابه، أو لأن ثمارها إذا جُنِيت أعاد الله مكانها مثلها فتشبه عليهم. ويرجح الأول عموم «كَلَمًا» الشامل لأوَّلِ مَرَّةٍ «وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا» اعتراض للتقرير. وضمير «به» للرزق في الدارين المدلول عليه بـ «هذا الذي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ» أو في الجنة.

وقول ابن عباس: «ليس في الجنة من أطعمة الدنيا إلا الإسم»^(٢) لا ينفي التشابه بينهما؛ إذ يكفي التشابه في الصورة التي هي مناط الإسم وإن اختلف الطعم والحجم «وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ» أبداناً وأخلاقاً من الحيض والقدر وسوء الخلق. وإفراد الصفة^(٣) على تأويل الجماعة.

ولم يقل: طاهرة؛ لأن مطهرة أبلغ للإشعار بتطهير مطهر لهن وهو الله تعالى. والزوج يقال للذكر والأنثى «وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»: دائمون. والخبث: الثبات الدائم، وبهذا الوعد تتم النعمة لإزالته ما ينغصها - من خوف الإنقطاع..

(١) في «ط»: أثمار.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي ١/ ٢٤٠.

(٣) في «ط»: الصيغة.

[٢٦] - «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً» نزلت لما ضرب تعالى المثلين للمنافقين فقال الكفار: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال. أو: لما ذكر الذباب والعنكبوت فطعنوا فيه، فبيّن سبحانه أن ذلك ليس مما يستكره؛ لأنّ في التمثيل كشف المعنى، وإدناء المتوهم من المشاهد، ولذلك كثرت الأمثال في الكتب السماوية وكلام البلغاء والحكماء، فيمثل لكل أمر بحسب حاله عظماً وحقارةً.

والحياء: الإنقباض عن القبيح خوف الذمّ. ووصفه تعالى به - كما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الْعَبْدَ يَدَيْهِ أَنْ يَرَاهَا صَفْرًا»^(١) حتى يضع فيهما خيراً»^(٢) مجاز عن الترك اللازم للإنقباض، مثل تركه تعالى تخيب العبد بترك من ترك ردّ المحتاج حياءً منه.

فمعنى الآية: إِنَّ اللَّهَ تعالى لا يترك ضرب المثل بالبغوضة ترك من يستحي أن يمثّل بها لحقارتها. وضرب المثل صنعه. ومحلّ «أن يضرب» النصب بـ«يستحي»، أو بنزع «من» وإفضاء الفعل إليه فإنه يتعدّى بنفسه ويـ«من». و«ما» إيهامية تزيد النكرة إيهاماً نحو: «أعنتق عبداً ما»، أي: أيّ عبد كان. أو زائدة للتأكيد مثلها في «فِيمَا رَحِمَةً». ^(٣) و«بعوضة» عطف بيان لـ«مثلاً»، أو مفعول «يضرب» و«مثلاً» حال عنه، مقدّمة لتذكيره، أو هما مفعولاه لتضمّنه معنى الجعل.

والبعوضة: فعول^(٤) من البعض، وهو: القطع كالبضع

(١) الصفر: الخالي.

(٢) تفسير الكشاف ١/ ٢٦٢.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩/٣.

(٤) في «ط»: فعولة.

والعصبـ،^(١) غلب في صغار البق. ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ عطف على «بعوضة»، أي: ما زاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلاً، وهو القلّة والحقارة - كجناحها إذ ضرب صلى الله عليه وآله وسلم به مثلاً للدنيا -.^(٢) أو في الحجم كالذباب والعنكبوت. كأنه رد لطعنهم أي إنه لا يستحي ضرب المثل بالبعوض فضلاً عن الأكبر منه. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ «أما» حرف تفصيل، فيه معنى الشرط وتأکید مدخوله، فمعنى «أما زيد فمنطلق»: مهما يكن من شيء فزيد منطلق، أي: هو منطلق البتة.

ففي تصدير الجمليتين به مدح بليغ للمؤمنين، واعتداد بعلمهم، وذم شنيع للكافرين على حمقهم. وضمير «أنه» للمثل أو ضربه.

والحق: الثابت الذي لا يجوز إنكاره، من «حق» أي: ثبت ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ﴾ لم يقل: فلا يعلمون؛ ليطابق قرينة، ولدلالة قولهم على كمال جهلهم، فكفى به عنه ليكون كالبرهان عليه ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ «ما» إستفهامية، و«ذا» بمعنى الذي، وتاليه صلته، والمجموع خير «ما». أو «ماذا» اسم واحد بمعنى أي شيء، محله النصب بـ «أراد» مثل «ما أراد الله».

والإرادة: ضد الكراهة، وهي: ميل النفس إلى الفعل.

واختلف في إرادته تعالى، فقيل: إرادته لأفعاله أنه غير ساه ولا مكروه، ولأفعال غيره أمره بها. وقيل: هي علمه بالنفع - المسمى - بالداعى -،^(٣) وقيل: [صفة]

(١) وهاتان اللفظتان بمعنى القطع ايضاً وإن اختلفت موارد استعمالهما. كما ورد في عوالي اللآلي ٤: ٨١ وفي سنن الترمذي ٤/ ٥٤٠ عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى منها الكافر شربة ماء».

(٢) قاله النجار - كما في كشف المراد: ٢٨٨.

(٣) قاله أبو الحسن - كما في كشف المراد: ٢٨٨.

مغايرة للعلم وسائر الصفات. ^(١)

وعن أهل البيت عليهم السلام: «أَنَّهُا إِبْجَادَةٌ لِلشَّيْءِ». ^(٢) وفي «هذا» استحقاق. و «مثلاً» تمييز أو حال. «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا» بيان للجملتين المصدرتين بـ «أَمَّا»، وأنَّ العلم بآته حق هدي، وأنَّ الجهل بحسن موده ضلال.

وكثرة المهدتين بالنظر إلى أنفسهم، وأَمَّا بالقياس إلى غيرهم فقليل ما هم. وإسناد الإضلال إليه تعالى لآتية السبب. «وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» الفسق: الخروج عن القصد.

والفاسق - شرعاً -: الخارج عن أمر الله تعالى بفعل الكبيرة. وجاء للكافر وهو الظاهر هنا.

[٢٧] - «الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ» صفة تفرز فسقهم. والنقض: فكَّ التركيب، واستعمل في إبطال العهد - المستعار له «المحل» -؛ ^(٣) لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين، فذكره مع العهد رمز إلى المستعار بذكر بعض روافده، كقولك: فلان شجاع يفترس الأقران. فالإفتراس رمز إلى أنه أسد في شجاعته.

والعهد: الموثق. وعهد الله - هذا - إما ماركز في عقولهم من الحجّة على التوحيد، وصدق الرّسل، وحمل عليه: «وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ» ^(٤) أو المأخوذ بالرّسل على الخلق بأنهم إذا بعث إليهم رسول مؤيد بالمعجزات صدّقوه واتبعوه.

(١) ذهب إليه الأشعرية والجبائيان - كما في كشف المراد: ٣٨٨.

(٢) لعله منقول بالمعنى ولم نقف عليه.

(٣) كما ورد في قوله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» (آل عمران: ١٠٣/٢) والعهد هو ما ذكره سبحانه في سورة الاعراف ١٧١/٧ بقوله: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ».

(٤) سورة الاعراف: ١٧١/٧.

وقيل: عهده - تعالى - ثلاثة: ^(١) عهد أخذه على جميع ذرية «آدم» بالإقرار بربوبيته. ^(٢)

وعهد أخذه على النبيين بإقامة الدين وعدم التفرق فيه. ^(٣)

وعهد أخذه على العلماء بنبيين الحق وعدم كتمه. ^(٤) ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ الضمير للعهد، أي: ما وثق الله به عهده من كتبه وآياته، أو: ما وثقوه به - من التزامه -، أو بمعنى المصدر. و «من» للإبتداء، أو زائدة. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يقطعون صلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين، أو الأرحام، أو ما بين الأنبياء من الاجتماع على الحق بإيمانهم ببعض دون بعض ويحتمل: كل قطعة لا يرضاها الله تعالى.

والأمر: القول المطلوب به الفعل إستعلاء. و«أن يوصل» بدل من هاء «به» أو «ما». ﴿وَيُقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالدعاء - إلى الكفر، أو قطع الطريق، أو نقض العهد، أو كل معصية تعدى ضررها إلى غير فاعلها. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لاستبداهم النقص بالوفاء، والقطع بالوصل، والفساد بالصلاح، والعقاب بالثواب، فهم كمن ضيع رأس ماله.

[٢٨] - ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ إستفهام للتعجب والإنكار للحال التي يقع عليها كفرهم؛ ويلزمه إنكار كفرهم، إذ الموجود لا ينفك عن حال فإذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها، فقد أنكر وجوده، فهو أبلغ في إنكاره من «أتكفرون». لما وصف الكافرين بما وصف إلتفت وخطبهم بالتوبيخ على كفرهم - مع علمهم بما

(١) قاله الزمخشري في تفسير الكشاف: ١/ ٢٦٨.

(٢) وهو ما ورد في الاعراف: ١٧١/٧.

(٣) وقد ورد في سورة الأحزاب: ٧/٢٣.

(٤) وهو ما ورد في سورة آل عمران: ١٨٧/٣.

يصرف عنه من القصة المذكورة - بقوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَشْوَاثًا﴾ عناصرَ وأغذيةً وأخلاقاً ونُطفاً وما يتعقبها إلى ولوج الأرواح ﴿فَأَحْيَاكُم﴾ بنفخ الأرواح فيكم . عطف بالفاء لتعقبه بالموت بلا تراخٍ والبواقي بـ «ثُمَّ» للتراخي ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ عند حلول آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في القيامة ، أو في القبور للسؤال ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد النشور للجزاء وتبعثون من قبوركم إليه للحساب .

فواو «وكنتم» للحال . والحال : هي العلم بجملة القصة - لا كل جملة منها ؛ لمضي بعضها واستقبال بعضها ، وكلاهما لا يصح حالاً .. والمعنى : على أي حال تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأسرها؟ نزل تمكّنهم من العلم بالإحياء الثاني ، والرجوع بالدلائل الموصلة اليه منزلة العلم .

ومن الدلائل : علمهم بالإحياء الأول ؛ إذ القادر عليه قادر على الثاني .

ووجه الإنكار لاجتماع الكفر مع هذه القصة : إشمالها على آيات يُثبت تصدّهم عن الكفر ، مع كونها نعماً جساماً ، حقّها الشكر . وكون الإمامة نعمةً ، لأنها وصلة إلى الحياة الحقيقية . و «يعقوب» فتح ثاء «ترجعون» أين جاء .^(١)

[٢٩] - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ خلقه لإنتفاعكم به في دنياكم بالتمتّع منه بالمطاعم والملابس والمناخ وغيرها . وفي دينكم بالإستدلال به على الصانع الحكيم والتذكّر لشواب الآخرة وعقابها لاشتماله على أسباب اللذات والآلام . ويفيد إباحة الأشياء النافعة ، وأنه تعالى يفعل لغرض . والأرض داخلة في «ما في الأرض» إن أريد بها جهة السفّل ، كالسّماء لجهة العلوّ ، وإلا فلا . و «جميعاً» حال عن «ما» ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ الإستواء : الإستقامة .

ثم قيل : استوى اليه كالسّهم المرسل : إذا قصده قصداً مستوياً من غير أن يلوى

على شيء. ومنه استعير: «استوى إلى السماء»^(١) أي قصد إليها بإرادته بعد خلق ما في الأرض، أو: إستولى. والأول أنسب بالأصل والصلة، والمعطوف بالفاء.

و «السماء»: جهات العلو، أو إسم جنس أو جمع سماة كنواة. و«ثم» كأنه لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء، لالتراخي الزماني، فلا تنافي:

﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٢) المفيدة لتأخر دحوها، المتقدم على خلق ما فيها عن السماء. ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ عدّلهن بلا عوج ولا فطور. والضمير للسماء - إن فُسرت بالجنس أو الجمع -، وإلا فمبهم يفسره ما تلاه، كـ «ربه رجلاً» ﴿سَبَّحَ سَمَوَاتٍ﴾ بدل، أو مفسر. وثبوت التسع ممنوع؛ لكفاية السبع في النظام - كما صرح به -.

ولو سلم فبضمّ العرش والكرسي إليها، مع عدم نفي الآية للزائد ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ إذ خلق المذكورات متفنة محكمة على هذا الوجه الأكمل الأنفع لا يكون إلا من عليم بكنه الأشياء.

ودلت الآيتان على ثبوت الحشر، لإبتنائه على قبول موادّ الأبدان للجمع والحياة، وقد دلّ عليه: ﴿وَكُنْتُمْ أَمَواتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ إذ قبولها بذاتها لتعاقب الإفتراق والإجتماع والموت والحياة لا يتغير، وعلى علمه بمواقعها وقدرته على جمعها وإحيائها، وقد دلّ عليهما إبداءهم وإبداء ما هو أعظم خلقاً، وما ينتفعون به على نمط محكم متفنن. وسكّن «نافع» و «أبو عمرو» و «الكسائي» هاء «وهو» و «فهو».^(٣)

[٣٠] - ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ لما ذكر تعالى إناعامه على الناس بخلقهم أحياء أو خلق ما ينتفعون به في الدارين، ذكر نعمته عليهم بخلق أبيهم «آدم» وإكرامه وتفضيله على الملائكة. و «إذ» ظرف وضع لزمان نسبة ماضيه تقع فيه أخرى. نصب محلاً بإضمار

(١) سورة فصلت: ٤١/ ١١.

(٢) سورة النازعات: ٢٩/ ٣٠.

(٣) حجة القراءات: ٩٣.

«أذكر» أي اذكر الحادث إذ قال . فحذف الحادث وأقيم الظرف مقامه ، أو به «قالوا» ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ جمع : مَلَائِكَة ، كالشمائل لشمال . والتأنيث للجمع .^(١)

وأكثر المسلمين على أنهم أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، وبعضهم وافق الحكماء في أنهم مجردون مخالفون للنفس الناطقة في الحقيقة وبعض النصارى على أنهم النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للأبدان^(٢) والمقول لهم : الكل - لعموم اللفظ وقيل : ملائكة الأرض^(٣) ، وقيل ملائكة بعثوا مع إبليس لمحاربة الجن حيث أسكنوا الأرض فأفسدوا فأجلوهم وسكنوها بعدهم^(٤) ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ من «جعل» الناصب لمفعولين وهما : ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ والخليفة : من يخلف غيره ، والمراد به : «آدم» عليه السلام لأنه خليفة الله في أرضه وعمارتهما والحكم بالحق ، أو : هو وذريته ، لأنهم خلفوا الملائكة لأنهم كانوا سكان الأرض .

وأفرد استغناءً بذكره عن ذكر بنيه ، كما يستغنى بأبي القبيلة - كـ «مضر» - أو بتأويل من يخلفكم ، أخبرهم بذلك إظهاراً لفضل المجمعول الراجح على ما فيه من المفسدة بسؤالهم وجوابه ، ولتعليم المشاورة ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ تعجب من استخلافه لعمارة الأرض من يفسد فيها ، أو مكان أهل الطاعة أهل المعصية ، وإستعلام عن الحكمة التي ألغت تلك المفساد ، لا إعتراض ولا طعن في بني آدم ، لأنهم ﴿عباد مكرمون﴾ . ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِ

(١) في مجمع البحرين «ملك» : في بعض الكتب : واحد «الملائكة» : «ملك» - بفتح اللام - وفي بعضها «ملك» وكلاهما صحيحان لأن ملك أصله مالك فقدّم اللام وأخرت الهمزة ووزنه مفعول من الألوكة ، وهي : الرسالة ، ثم تركت الهمزة لكثرة الإستعمال ، ف قيل ملك ، فلما جمعه ردوه إلى أصله فقالوا : ملائكة ، فزيدت التاء للمبالغة ولتأنيث الجمع .

(٢) نقله العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان ١٧/ ١٣ ولم يرضه .

(٣) بحار الأنوار ٥٦ : ٢٠٥ .

(٤) تفسير التبيان ١/ ١٣٣ وتفسير مجمع البيان ١ : ٧٤ .

يعملون»^(١) وعرفوا ذلك بإخبار الله، أو من اللوح أو قياساً على الجن.
وسفك الدماء: صبها، كناية عن القتل بغير الحق ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾
حال تقرر وجهة السؤال، والمراد الإستخبار عن المرجح لمن يتوقع منهم المعصية
على المعصومين - في الاستخلاف - لا الافتخار.

والتسبيح: تبعيد الله تعالى من السوء و«بحمدك» حال أي نسبح مثلثين
بحمدك على إنعامك علينا بالتوفيق لتسبيحك ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ نطهر نفوسنا من
المعاصي لأجلك، أو ننزهك عن السوء، واللام زائدة ﴿قَالَ إِنِّي﴾ وفتح الياء الحريتان
و«أبو عمرو»^(٢) وكذا الآية^(٣) ﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أعلم من المصالح ما خفي
عليكم، ويبين بعض تلك المصالح بقوله:

[٣١] - ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ إضطره إلى العلم بها، أو إلقاه في قلبه.

والتعلم: فعل يترتب عليه العلم غالباً، و«آدم» اسم أعجمي كـ «آزر»^(٤).
وقيل: من الأدمة أو أديم الأرض.^(٥)

والإسم - هنا -: اللفظ الموضوع لمعنى - مركباً كان أو مفرداً، اسماً أو فعلاً أو
حرفاً -. والمعنى: أنه علّمه أسماء الأجناس التي خلقها، وأحوالها وما يتبعها من
المنافع الدينية والدنيوية ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ الضمير للمسميات المدلول
عليها بالأسماء؛ إذ التقدير: أسماء المسميات، فحذف المضاف إليه دلالة
المضاف عليه وعرض عنه اللام. والتذكير لتغليب ما فيها من العقلاء ﴿فَقَالَ أَتُونِي﴾

(١) كما ورد في سورة الأنبياء ٢١: ٢٦ و ٢٧.

(٢) حجة القراءات: ٩٣.

(٣) في الآية ٣٢ من هذه السورة.

(٤) الوارد في سورة الانعام: ٧٤/٦.

(٥) علل الشرائع ١/ ١٤ وبحار الأنوار ١١/ ١٠١.

بِأَسْمَاءٍ هَؤُلَاءِ ﴿المعروضات. تكسيت لهم، وبيان لأحقية آدم﴾ بالخسلافة لتفضيله بالعلم الذي مدار أمرها عليه، لا تكليف لهم؛ لعلمه بعجزهم عن الإنباء فيمتنع التكليف به.

والإنباء: إخبار مع إعلام ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما يلزم مقالكم من زعمكم أنكم أحق بالخلافة منهم.

[٣٢] - ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إقرار بالقصور، وإيدان بأن سؤالهم كان استعلاماً لا اعتراضاً، وبأنهم ظهر لهم خلاف ما زعموا، وشكر له على كشف ما خفي عليهم، وتادباً لديه بتفويض العلم كله إليه.

و«سبحان» مصدر كـ «غفران»، أو اسم له، نصب بإضمار فعله، أتي به تنزيهاً له تعالى عما لا يليق به، أو عن أن يشارك في علم الغيب ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء بلا تعليم ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحكم لأفعاله، فكلها حكمة وصواب. و«أنت» فصل، أو مبتدأ خبره: ما بعده، والجملة: خبر «إن».

[٣٣] - ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ الهمزة للإنكار وإثبات المنفي. كأنه قيل: قد قلت لكم - في ضمن قولي: «إني أعلم ما لا تعلمون»: «إني أعلم ما خفي عليكم من أمور السموات والأرض وأعلم علانيتكم وسركم؛ لأن جميع ذلك مما لا يعلمون به. وقيل: «ما تبدون» قولكم: «أنجعل فيها من يفسد فيها»، و«ما تكتُمون»: إضماركم أنكم أفضل من كل خلق يخلقه الله تعالى. (١)

ودلت الآيات على شرف الإنسان والعلم وفضله على العبادة وتوقف الخلافة عليه، وأن آدم عليه السلام أفضل من الملائكة، لأنه أعلم منهم.

(١) وهذا مختار الطبري - كما في تفسير مجمع البيان ١/ ٧٩.

[٣٤]- ﴿وَإِذْ قُلْنَا ذُوقْنَاهُمْ أُخْرَىٰ عَلَيْهِمْ أَنْ فَضَّلْنَا آبَاءَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِأَمْرِهِمْ بالسجود له . عطف على الظرف السابق إن نصب بمضمر، والآ فالفَصَّة على القَصَّة والنَّاصِب مضمر أيضاً . والمأمورون الجميع ؛ لعموم اللفظ والتأكيد في : ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾^(١) فلا وجه للتخصيص بطائفة منهم .

والسجود - لغة - : التذلل مع تطامن ، و - شرعاً - : وضع الجبهة بقصد العبادة . وسجودهم كان لله تعالى تكملةً لأدم عليه السلام وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام .^(٢) وقيل : جعل قبله لهم تعظيماً لشأنه .^(٣) وفيه دلالة على أَنَّ الأنبياء أفضل من الملائكة ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هو اسم أعجمي . وجعله من الإبلas .^(٤) ومنع صرفه للإستقلال ضعيف .

قيل : هو من الملائكة^(٥) والآ لم يتناول أمرهم ولم يصح استثناءه منهم . وردَّ بأنه كان جنياً واحداً بين أظهر الألف منهم فغلبوا عليه وشمله الأمر وصَحَّ استثناءه منهم .

أو أن الجن - أيضاً - كانوا مأمورين معهم فاستغنى بذكر الأكابر عن ذكر الأصاغر . واستثنى من ضمير «فسجدوا» الراجع إلى القبلتين أو : الاستثناء منقطع . وقيل : من «الجن»^(٦) لقوله تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ .^(٧) وردَّ : بأنه كان

(١) سورة الحجر : ٢٥ / ٣٠ .

(٢) تفسير نورالثقلين ١ : ٥٨ الحديث ١٠١ .

(٣) قاله الجبائي والبلخي وجماعة - كما في تفسير التبيان ١ / ٥٠ .

(٤) في مجمع البحرين بلس : «ابليس» افعيل من «أبلس» أي : يش من رحمة الله ، يقال : انه اسم أعجمي فلذلك لا ينصرف وقيل : عربي .

(٥) قاله ابن عباس وابن مسعود وابن مسيب وقتادة وابن جريج والطبري - كما في تفسير التبيان ١ / ٥٠ .

(٦) أُشير إليه في تفسير التبيان ١ / ١٥٠ - ١٥١ .

(٧) سورة الكهف : ١٨ / ٥٠ .

منهم - فعلاً - ومن الملائكة - نوعاً -، أو: أن جنساً من الملائكة سموا بالجنّ لاجتنانهم بشهادة: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا﴾^(١) لقولهم: الملائكة بنات الله ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ امتنع عما أمر به استكباراً عن تعظيمه، والتخضع له.

والإباء: امتناع باختيار، والاستكبار: طلب التكبر، وهو أن يرى الشخص نفسه أكبر من غيره. وهو متصل بالإستثناء إن كان منقطعاً، أي: لكنّ إبليس أبى، وإن كان متصلاً فهو استئناف كأنه قيل: ما باله لم يسجد؟ فأجيب به ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي صار منهم بتكبره على نبي الله، واستحقاقه إياه بقوله: ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾^(٢) واستقباحه أمر الله تعالى إياه بالسجود له، إعتقاداً بأنه أفضل منه، ويقبح أمر الأفضل بالتخضع للمفضول، كما قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾.^(٣)

[٢٥] - ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ السَّكَنَى: مِنَ السَّكُونِ إِذْ هِيَ لَبَثٌ﴾ تأكيداً للمستكن ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء - بالمد -، ولم يخاطبهما أولاً إشعاراً بأنه المقصود وهي تبع له ﴿الْجَنَّةُ﴾ قيل: دار الثواب،^(٤) إذ اللام للعهد ولا معهود غيرها. وقيل: غيرها من جنات السماء وقيل: من جنات الأرض.^(٥) والهبوط منها: الانتقال، كـ «إِغْبَطُوا مِصْرًا»^(٦) ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾: واسعاً بلا عناء، صفة مصدر محذوف ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي مكاناً منهما شئتما توسعةً مزيحةً للعذر في التناول من شجرة واحدة منهبي عنها من بين أشجار لا تحصر ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكمل منها،

(١) سورة الصافات: ١٥٨/٢٧.

(٢) سورة الإسراء: ٦٢/١٧.

(٣) سورة ص: ٧٦/٣٨.

(٤) تفسير التبيان ١: ١٥٥ وتفسير مجمع البيان ١: ٨٥.

(٥) تفسير مجمع البيان ١: ٨٥.

(٦) سورة البقرة: ٦١/٢.

نهى تنزيهه لا تحريم، وكانا - بالأكل منها - تاركين فضلاً لثبوت عصمة الأنبياء بقاطع البرهان.

والشجرة: الحنطة أو الكرم أو التينة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ببخس أنفسكما الثواب بترك المندوب إليه، وهو: الكف عن الأكل منها، و «فتكونا» جزم عطفاً على النهي، أو نصب جواباً له.

[٣٦] - ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾: حملهما على الزلة بسبب الشجرة، و «عن» مثلها في ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾، ^(١) أو: أزالهما عن الجنة، أي: أذهبهما، ويؤيده قراءة «حمزة»: «فأزالهما» ^(٢). وهما من الزوال، لكن مع عشرة في الأول، وإزاله لهما بوسوسته ودعائه إليهما إلى الأكل منها ومقاسمته لهما أنه ناصح.

واختلف في كيفية توصله إلى ذلك بعد أن قيل له: ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا﴾ ^(٣) فقيل: إنه منع الدخول نكرمةً كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنعه للوسوسة ابتلاءً لأدم وحواء. ^(٤)

وقيل: وقف عند الباب فكلمهما. ^(٥) وقيل: دخل في فم الحية فدخلت به. ^(٦) وقيل: كلمهما من الأرض ^(٧) ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعم والكرامة. والإسناد إلى السبب ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ خطاب لهما بدليل ﴿اهْبِطَا مِنْهَا﴾ ^(٨) جعلاً كأنهما الإنس

(١) سورة الكهف: ٨٢/١٨.

(٢) حجة القراءات: ٩٤.

(٣) سورة الأعراف: ١٨/٧.

(٤) قاله الزمخشري في تفسير الكشاف ٢٧٤/١.

(٥) قاله أبو علي الجبائي كما في تفسير مجمع البيان ٨٧/١.

(٦) معناه في تفسير مجمع البيان ٨٧/١.

(٧) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٨٧/١.

(٨) سورة طه: ١٢٢/٢٠.

كُلُّهُمْ؛ لأنهما أصلحهم فجمع الضمير، أو: لهما مع إبليس [بدليل]^(١) ﴿فَاغْبِطْ مِنْهَا﴾^(٢) إن كان دخلها - على ما مرّ -، أو: من السماء ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ حال رابطها الضمير، أي: متعادين. والمراد: التعادي بين ذريتهما، أو بينهم وبين إبليس وذريته. ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ استقرار، أو: موضعه ﴿وَمَتَاعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ القيامة أو الموت.

[٣٧] - ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ استقبلها بالقبول والأخذ بها. ونصب «ابن كثير» «آدم»، ورفع «كلمات» على معنى: تداركته،^(٣) وهي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا . . .﴾ الآية.^(٤) أو: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر». ^(٥)
وعن أهل الذكور عليهم السلام: «إنَّ آدَمَ رأى مكتوباً على العرش أسماء مكرمة عظيمة، فسأل عنها. فقيل: هي أسماء أجل الخلق عند الله.

والأسماء: محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، فتوسل بهم «آدم» إلى ربهم في قبول توبته ورفع منزلته»^(٦) ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: قبل توبته، رتب بالفاء على التلقي لتضمنه التوبة، وهي: الندم على ما فرط.

واكتفى بذكر «آدم» لأن «حواء» تبع له ولذا كثر في القرآن والسنة طي النساء ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ الكثير القبول للتوبة.

وأصل التوبة: الرجوع، فمن العبد: عن الذنب، ومنه تعالى: عن العقوبة ﴿الرَّحِيمُ﴾ الواسع الرحمة، قرن بالثواب وعداً للثائب بالإحسان مع العفو.

(١) اقتضاها السياق.

(٢) سورة الاعراف: ١٢/٧.

(٣) حجة الفراءات: ٩٤.

(٤) سورة الاعراف: ٢٣/٧.

(٥) تفسير مجمع البيان ٨٩/١.

(٦) نورالتقلين ١/ ٦٧ الحديث ١٤٣.

[٣٨] - ﴿قُلْنَا اغْبُطُوا مِنْهَا﴾ كَرَّرَ تأكيداً، أو؛ لاختلاف الحالين، إذ الأول: هبوط قُرْنٍ بالتعادي، والثاني: هبوط للتكليف. وقيل: الأول: من الجنة إلى سماء الدنيا، والثاني: منها إلى الأرض،^(١) و﴿جَمِيعاً﴾ حال للتأكيد فلا يقتضي هبوطهم مجتمعين في وقت واحد ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ «ما» زائدة تؤكد «إن» الشرطية ليحسن تأكيد الفعل وإن لم يتضمّن طلباً، وجواب الشرط جملة، ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: إن يأتكم مني هدى برسول أو كتاب فمن تبعه منكم نجا وفاز.

وأنى بحرف الشك - وإتيان الهدى كائن قطعاً - إيذاناً بإقتضاء العقل وجوب الإيمان بالله وإن لم يأت به رسول. ولم يضر الهدى - الثاني - لأنه أعم من الأول لشموله العقلي والتقلي، أي: فمن تبع ما أتاه وما اقتضاه العقل فلا يلحقهم خوف، فضلاً عن المخوف، ولا يفوتهم محبوب فيحزنوا عليه. نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب بأبلغ وجه.

[٣٩] - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ عطف على «فمن تبع» بجملته، كأنه قيل: ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته. ومتعلق الظرف الفعلان.

والآية: العلامة، وتقال للمصنوع باعتبار دلالته على الصانع، ولكل طائفة من القرآن متميزة بفصل، والمراد «بآياتنا»: الآيات المنزلة، أو: هي والمعقولة. و«الذين» مبتدأ و«أولئك» بدل منه و«أصحاب» خبره، أو خبر «أولئك» والجملة خبره، وما بعدها مقرر لها؛ ولذلك قطع.

وما جرى على «آدم» إنما كان عتاباً له على ترك الأولى، ولإقتضاء المصلحة بعد تناوله من الشجرة إهباطه إلى الأرض، وابتلاءه بالتكليف، وسلبه اللباس تشديداً (١) قاله الجبائي - كما في تفسير البيان ١/ ١٧٣.

للبلوى؛ لوقوع الإبتلاء بمنع المتفضل به إذا اقتضته الحكمة كالإفقار بعد الاغناء، والإسقام بعد الصحة. وأشد الناس بلاءاً الأنبياء، ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل^(١) - كما روي عنده صلى الله وآله وسلم -.

[٤٠] - ﴿يَا أَيُّهَا إِسْرَائِيلُ﴾ لقب «يعقوب» عليه السلام. ومعناه: صفوة الله، وقيل: عبدالله،^(٢) ولما أثبت سبحانه الوحداية والرسالة والحشر وعدّد نعمه العامة تقريراً لها على ما بيناه، خاطب أهل الكتاب وأمرهم بذكر نعمه عليهم والوفاء بعنده فقال: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالقيام بشكرها، والمراد بالنعمة: الجنس، فيعمّ النعم العامة السابق ذكرها، وما أنعم به على آبائهم من إنجائهم من «فرعون» والغرق، وغير ذلك، وعليهم من إدراك مبعث محمد صلى الله وآله وسلم ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ اليكم بالإيمان والطاعة، أضيف إلى الفاعل ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾ بما عاهدتكم من حسن الثواب، أضيف إلى المفعول. وقيل: كلاهما مضاف إلى المفعول،^(٣) أي: وأوفوا بما عاهدتموني من الإيمان أوف بما عاهدتكم من الثواب.

وعن ابن عباس: «إن الله عهد اليهم في التوراة بعث محمدٌ فليمن تبعه أجران، ولمن كفر به النار، فقال أوفوا بعهدي في محمد صلى الله وآله وسلم أوف بعهدكم: أدخلكم الجنة»^(٤) ﴿وَأَيُّهَا فَارِثُونَ﴾ في نقض العهد. و«إيأي» نصب بمضمر يفسره المذكور، وهو أكد في إفادة التخصيص من «إيأي اربها».

والرهبة: خوف بتحزّز. وفي الآية وعد ووعيد، وإيجاب الشكر، والوفاء بالعهد،

(١) بحار الأنوار ٦٤: ٢٠٠ مع اختلاف يسير.

(٢) تفسير التبيان ١: ١٨٠ والبرهان ١: ٩٠.

وفي تفسير مجمع البيان ١: ٩٢ وقيل أصله مضاف لأن «اسر» معناه «عبده»، و«إيل» هو: الله - بالعبرانية - فصار مثل عبدالله.

(٣) نقله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع في ذيل هذه الآية.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٩٣.

والخوف من الله وحده .

[٤١] - ﴿وَمَا أَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ﴾ على محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتب الإلهية ، لنزوله حسب ما نعت فيها ، أو مطابقاً لها في الدعاء إلى التوحيد ، والإقرار بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والأمر بالعبادة ، وغير ذلك ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ «أول» أفعال ، لا فعل له ، قيل : من «آل» وأصله «أول» قلبت الهمة واواً وأدغمت .^(١)

وأخبر به عن الجمع بتقدير : فريق ، أو : لا يكن كل واحد منكم أول كافر به . ونهيه عن السبق في الكفر - وقد سبقهم مشركو قريش - أريد به : التعريض بأنَّ الواجب أن يكونوا أول من يؤمن به ؛ لمعرفة نعتهم بنعته ، وتبشيرهم بمن أوحى إليه واستفتاحهم به . أو : أول كافر به من أهل الكتاب ، أو : ممن كفر بما معه لكفره بمصده ، فضمير «به» لـ «ما» ﴿وَلَا تَشْرَوْا﴾ : تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي﴾ بالإيمان بها ﴿ثُمَّنًا قَلِيلًا﴾ هو الرئاسة التي كانت لهم في قومهم ، وكانوا ينالون بها الهدايا منهم والرشا على تحريفهم الحق وكتمانه . خافوا فواتها لو اتبعوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاستبدلوا بها .^(٢) وحظوظ الدنيا الفانية - وإن جلت - قليلة بالنسبة إلى حظوظ الآخرة الباقية ﴿وَلِيَأَيَّ فَاتَّقُونِ﴾ باتباع الحق ومجانبة غيره .

[٤٢] - ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ : لا تخلطوا ﴿الْحَقَّ﴾ المنزل ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الذي تفترونه وتكتبونه حتى لا يميز^(٣) بينهما ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ نعت محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإنكار وجوده في التوراة ، أو : محوه منها . جزم عطفاً على «تلبسوا» أو نصب بإضمار «أن» . والواو للجمع ، أي : لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(١) كذا ذكره الراغب الاصفهاني في المفردات «أول» .

(٢) في «ج» : فاستبدلوا به حظوظ الدنيا .

(٣) في «ب» : لا يميز .

عالمين أنكم لابسون كاتمون، وهو أقيح؛ إذ لا عذر للعالم.

[٤٣] — ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ صلاة المسلمين وزكاتهم، فالكفار مخاطبون بالفروع كالأصول.

والزكاة من: زكا، أي: نما أو: طهر؛ إذ إخراجها ينمي المال، ويظهره من الخبث، ويشمر كرم النفس، ويظهرها من البخل ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي: سلوا في جماعتهم، عبّر عن الصلاة بالركوع؛ لخلو صلاة اليهود عنه، أو أريد به الخضوع والإنقياد للحق.

[٤٤] — ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ توبيخ وتعجيب من حالهم. والبر: يعم كل خير ﴿وَتَنْهَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ وتتركونها. كان الأخبار يأمرسون سرّاً من نصحوه باتباع محمد صرّاه عليه وآله وسلم ولا يتبعونه، أو بالصدقة ولا يتصدقون ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: التوراة، وفيها نعت، أو: وفيها الوعيد على ترك البر، ومخالفة القول العمل تبيكت مثل «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»^(١) ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قبح ذلك فيمنعكم منه، أو أفلا عقل لكم فيصدكم عنه. توبيخ بليغ لمن يعظ غيره، ولا يتعظ نفسه؛ بجعله كمن لا عقل له.

ومضمون الآية حثّ الواعظ على تكميل نفسه، وتقويمها حتى يقوم غيره، لا منع الفاسق عن الوعظ، لعدم اشتراطه بالعدالة فلا يوجب الإخلال بها تركه.

[٤٥] — ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ على مشقة ما كلّفتموه من اتباع الحق، ورفض الجاه والمال ﴿بِالصَّبْرِ﴾ بكف أنفسكم عن هواها، أو: بالصوم الذي هو كفّ عن المفطرات، فإنه يقع الشهوة ويصفي النفس ﴿وَالصَّلَاةَ﴾ فإنها ترغّب فيما عند الله، وتنتهي عن الفحشاء والمنكر، أو استعينوا على حوائجكم بالجمع بين الصلاة والصبر على تكاليفها الشاقة من إخلاص القلب، والإقبال به على الله تعالى، ومجاهدة الشيطان، وخشوع الجوارح، والخشية، واستحضار أنّه انتصاب بين يدي جبار

(١) في الآية ٤٢ من هذه السورة.

السموات والأرض .

أو: إستعينوا على البلايا بالإلتجاء إلى الصبر والصلاة . كما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم إذا أحزنه أمر فرغ إلى الصلاة^(١) أو أريد بها: الدعاء عند البلاء ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: الصلاة، صابرين على مشاقها، أو: اكتفى بضميرها عن ضمير الصوم للظهور، ولفضلها، أو: الضمير لجملة تكاليف بني إسرائيل ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾: المتواضعين لله تعالى فإنها لم تنقل عليهم ثقلها على غيرهم؛ لتوطين أنفسهم وزوضها عليها، وتوقعهم في جزائها ما يستقل معه مشاقها .

[٤٦] - ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أي: يتوقعون لقاء ثوابه والحشر اليه فيجازيهم، أو: أريد بالظن: اليقين .

[٤٧] - ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ كرر تأكيداً ﴿وَأَتَىٰ فَفَضَّلَكُمْ﴾ عطف على «نعمتي»، أي: وتفضيلي آبائكم قبل التغير ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم، بالإيمان والعلم، وجعل الأنبياء فيهم، وإنزال الكتب عليهم .

[٤٨] - ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ مفعول به، أي: عذابه ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ لا تقضي عنها حقاً أو جزءاً، مصدر، ونكر هو والنفسان للتعميم والإقناط، والجملة صفة «يوماً» حذف عائدها، أي فيه . ومن منع حذفه يجعله مجروراً مفعولاً به بحذف الجار اتساعاً ثم حذف ﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً﴾ من النفس الثانية، أي: إن أنت بشفاعه شفع لم تقبل منها . من الشفع، كأن المشفوع له - الفرد - صار شفعا بضم الشفع نفسه اليه ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: فدية؛ لمعادلتها المفدى، ومن النفس الأولى، أي: لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها، ولو أعطت عدلاً عنها لم يؤخذ منها . والآية مخصوصة باليهود؛ لثبوت الشفاعة لنبيينا صلى الله عليه وآله وسلم - في الجملة -

بالإجماع، بل لأنمئتنا عليهم السلام والمؤمنين^(١) ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ لا يعانون بمنع العذاب، والضمير للنفس الكثيرة الدال عليها النفس المنكرة في سياق النفي. والتذكير بمعنى العباد.

[٤٩] - ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ عطف على «نعمتي»، عطف الخاص على العام، وأصل «آل»: أهل؛ إذ صغر «بأهليل» وخصّ بأولي الخطر. و«فرعون» لقب لملك العمالة - كقيصر، وكشري لملكي الروم والفرس - . و«فرعون» - هذا - «مصعب بن الريان» أو ابنه «وليد»، و«فرعون» يوسف عليه السلام «ريان» وبينهما أكثر من أربعمائة سنة ﴿يُسْمُونَكُمْ﴾: يولونكم، من سامه خسفاً، أي: أولاه ذلاً ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشدّه، فإنه سيء بالنسبة إلى سائرته. و«سوء» مصدر نصب مفعولاً به لـ «يسومونكم».

والجملة حال من «كم» أو «آل» أو منهما ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يقتلون الذكور ويستبقون الأنثى، اماءاً للخدمة والنكاح. بيان لـ «يسومونكم» ولذا قطع. وسبب فعلهم أنّ «فرعون» رأى في منامه ناراً شملت «مصر» فأحرقت القبط، وترك «بني إسرائيل» فهاله، فقال له الكهنة: سيولد فيهم من يكون على يده هلاكك، فلم ينجمهم من قدر الله تحفظهم ﴿وَفِي ذَلِكَكُمْ﴾ أي: صنيعهم، أو: الإنجاء، أو: كليهما ﴿بَلَاءٌ﴾ اختبار بنعمة أو محنة، أو: بهما؛ إذ كما يختبر الله تعالى بالمحن يختبر بالنعم ﴿مِنْ رَيْتِكُمْ﴾ بتسليطه عليكم أو إنجائكم بموسى عليه السلام أو بهما ﴿عَظِيمٌ﴾.

[٥٠] - ﴿وَإِذْ قَرَّبْنَا بَكْمُ الْبَحْرِ﴾ فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك يسلككم فيه، أو: بسبيكم، أو: متلبساً بكم ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: هو وقومه. واقتصر عليهم للعلم بأولويته به ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ذلك، أو غرقهم،

(٢) كما وردت روايات في معناه ينظر تفسير التبيان وتفسير مجمع البيان ١: ١٠٣.

أو فرق البحر، أو ينظر بعضكم بعضاً.

روي أنه تعالى أمر «موسى» أن يسري ببني إسرائيل فأتبعهم «فرعون» وجنوده فصبحوهم على شاطئ البحر، فأوحى إليه: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾^(١) فضربه فانفلق عن إثني عشر طريقاً يابساً بعدد الأسباط فسلكوها فقالوا: يا موسى نخشى أن يفرق بعضنا ولا نعلم، ففتح الله لهم كوة^(٢) فتراؤا، حتى عبروا البحر، ولما وصل إليه «فرعون» ورأى انفلاقه اقتحم هو وجنوده فالتطم عليهم ففرقوا جميعاً.^(٣)

وهذه من أجل النعم على «بني إسرائيل»، وأبهر الآيات الدالة على وجود الصانع، وصدق موسى عليه السلام ولما كان في قومه من البلادة ما لا يمكنهم الاستدلال بالآيات الخفية، اقتضت الحكمة نصب الآيات الباهرات لهم بحسب حالهم.

ألا ترى أنهم لما عبروا، ورأوا عبدة الأصنام قالوا - بعد ما شاهدوا من الآيات -: ﴿إِجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾^(٤) وإتخاذهم العجل، وطلبهم الرؤية؟، وأمة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لما كانوا من الذكاء بحيث يمكنهم الاستدلال بالمعجزات النظرية الدقيقة جاءت آياتهم مشاكلة لما فيهم من الذكاء.

[٥١] - ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ لما دخلوا «مصر» بعد هلاك «فرعون»

وعد الله تعالى موسى عليه السلام أن يؤتیه التوراة، وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي الحجة، وعبر بالليالي لأنها غرر الشهور. وقرأ «ابن كثير» و«نافع» و«عاصم» و«ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي»: «وَاعَدْنَا»^(٥) لأنه تعالى وَعَدَهُ الوحي، ووعدته

(١) سورة الشعراء: ٢٦/٦٣.

(٢) الكوة: الخرق في الحائط ونحوه.

(٣) تفسير التبيان ١/ ٢٣٠.

(٤) سورة الاعراف: ٧/ ١٣٨.

(٥) حجة القراءات: ٩٦.

موسى المجيء للميقات إلى الطور ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إليها ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد مضيه ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ بإشراككم .

[٥٢] - ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ محونا جرمكم حين تبتم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الإتيان ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكي تشكروا العفو .

[٥٣] - ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ أي التوراة الجامع بين كونه كتاباً وفارقاً بين الحق والباطل ، أو أريد به «الفرقان» معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكي تهتدوا بما فيه .

[٥٤] - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ ارجعوا إليه .

والبارئ : الخالق للخلق برتياً من التفاوت ، ومميّزاً بعضه عن بعض بصور مختلفة . وأصله : فصل الشيء عن غيره ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ القتل إما هو : التوبة ، والمعنى : فاعزموا على التوبة فاقتلوا ، أو : تنمّة لها ، والمعنى : فتوبوا فاقتلوا أنفسكم ، إتماماً لتوبتكم بالبنع ،^(١) أو ليقول من لم يعبد العجل من عبده .

روي «أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَصْرُ وَلَدَهُ وَقَرِيبَهُ فَلَمْ يَكُنْهُ الْمَضْيَ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَغَشِيَتْهُمْ ظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ لَا يَبْصُرُونَ فِيهَا ، فَاقْتُلُوا مِنَ الْغَدَاةِ إِلَى الْمَسَاءِ ، حَتَّى دَعَا «مُوسَى» وَ«هَارُونَ» فَانْجَلَتِ الظُّلْمَةُ عَنْ سَبْعِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ ، وَنَزَلَ رَفَعُ الْقَتْلِ وَقَبُولُ التَّوْبَةِ» .^(٢) والفاء الأولى للتسبيح ، والثانية للتعقيب ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي : التوبة وقتل النفس الذي هو وصلة إلى الحياة الباقية ﴿خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ من إشار الحياة الدّنيا الفانية المتعقّبة بالعذاب الشديد ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ إن جعل من كلام «موسى»

(١) البنع : الهلاك ، وفي «الف» و«ب» : النجع ومعناه التأثير ، يقال : نجع فيه الكلام أي أثر فيه .

والأصح الأول .

(٢) تفسير مجمع البيان ١ : ١١٣ .

عليه السّلام فمتعلّق بمحذوف، تقديره: «إن فعلتم ما أمرتم به فقد تاب عليكم». وإن جعل من كلامه تعالى على الالتفات، فعطف على محذوف كأنه قيل: «ففعلمتم ما أمرتم به فتاب عليكم».

وفي ذكر الباريء تقريع بتركهم عبادة خالفهم الحكيم، إلى عبادة البقر التي هي مثل في البلادة، حتى عرّضوا أنفسهم لسخط الله، فأمرؤا بفك تركيهم حين كفروا النعمة ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ الكثير القبول للتوبة ﴿الرَّحِيمُ﴾: البليغ في الإنعام. [٥٥] - ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ لن نقرّ لك بأن الله أعطاك التّوارة وكلمك، أو بأنك نبي ﴿حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾: عياناً، وهي مصدر: جهر بالقراءة، استعيرت للمعانية. نصبت على المصدر؛ لأنها نوع رؤية، أو: الحال من الفاعل أو المفعول.

والقائلون: السبعون الذين صعقوا، وقيل: عشرة آلاف ﴿فَأَخَذْتُكُمُ الصَّاعِقَةَ﴾ للتعنّت وطلب المحال؛ لاستدعاء الرؤية كون المرئيّ مقابلًا للزّاني فيكون جسماً أو عرضاً - تعالى الله عن ذلك - . جاءهم نار من السماء فأحرقتهم، أو صيحة فماتوا يوماً وليلاً، وكانت صعقة موسى غشيةً بدليل: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾، ^(١) ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى أسباب الموت، أو: النار.

[٥٦] - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أحييناكم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ بالصّاعقة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمة البعث. وفيه حجة على صحّة البعث والرجعة.

[٥٧] - ﴿وَوَضَعْنَا عَلَىكُمْ الْغَمَامَ﴾ سحراً لكم السحاب، يستركم من الشمس في التّيه ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ﴾: الترنجيين - مثل الثلج -، من الفجر إلى طلوعها ﴿وَالسَّلَوَى﴾: السّماني ^(٢) تحشره الجنوب عليهم. وينزل بالليل عمود نار يسرون في

(١) سورة الاعراف: ١٤٣/٧.

(٢) السماني: طائر لا يدري من أين يأتي.

ضوءه، وثيابهم لا تبلى ولا تتسخ ﴿كُلُوا﴾ وقلنا: كلوا ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ المباح اللذيذ ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ أي: فظلموا بكفرهم هذه النعم، وما ظلمونا ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: أيها يضرون بالكفران.

[٥٨] - ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ «بيت المقدس»، أو «أريحا» - قرية بقربه -، فيها العمالقة و«عوج بن عنق». أمروا به بعد التيه ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: واسعاً: نصب مصدر أو حالاً من الواو ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾: باب القرية، أو: «بيت المقدس» أو: القبة التي كانوا يصلون إليها ﴿مُجْبَدًا﴾ منحني متطامنين، أو ساجدين لله شكراً ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ فعلة من الحط، أي: مسألنا - أو: أمرك - حطة ﴿تَغْفِرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ نسترد ذنوبكم بترك العقوبة بامثالكم. وقرأ «نافع» بالياء، ^(١) و«ابن عامر» بها - بصيغة المجهول - ^(٢) ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثواباً بالإمتثال كما جعلناه توبة للمسيء.

[٥٩] - ﴿قَبَدَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ وضعوا مكان «حِطَّة» «قَوْلًا» ليس بمعناها ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كثر زيادة في تقييح أمرهم، وإيذاناً بأن عذابهم لظلمهم ﴿رِجْزًا﴾: عذاباً مقدراً ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ وهو: الطاعون، مات به في ساعة أربعة وعشرون ألفاً ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم.

[٦٠] - ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَىٰ طَلَبَ السَّقْبَا لِقَوْمِهِ﴾ حين عطشوا في التيه ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ﴾ هي التي دفعها إليه «شعيب» من آس الجنة، أهبطها معه، طولها عشرة أذرع على طول «موسى» ولها شعبتان تتقدان في الظلمة ﴿الْحَجَرِ﴾ اللام للعهد.

(١) حجة القراءات: ٩٨.

(٢) كذا في النسخ، ولكن المثبت في حجة القراءات: ٩٨ والكشف عن وجوه القراءات: ١: ٢٤٣: وابن عامر: بالياء بصيغة المجهول.

روي: أنه حجر طورى^(١) مرتع، تنبع من كل وجه ثلاث أعين، لكل سبط عين تسيل في جدول، وكانوا ستمائة ألف سعتهم اثنا عشر ميلاً.^(٢)

أو: حجر أهبطه «آدم» من الجنة ووقع إلى «شعيب» فدفعه إليه مع العصا، أو: الحجر الذي فرّ بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل، إذ رموه بالأذرة^(٣) فبرأه الله تعالى فأمره بحمله، أو: للجنس قيل: لم يؤمر بضرب حجر بعينه. ولما قالوا: كيف بنا لو أفضينا إلى أرض لا حجارة فيها حمل حجراً، فإذا انزل ضربه بعصاه فينفجر، فقالوا: إن فقد عصاه متنا عطشاً، فأوحى الله تعالى إليه: لا تفرح الحجارة وكلما تطلعك ليعتبروا^(٤) «فَانفَجَرْتُ» أي: فضرب فانفجرت «مِنِّي اثْنَا عَشَرَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ سِطَّهُمْ» العين التي منها شربهم «كُلُّوا وَاشْرَبُوا» على إرادة القول «مِنْ رِزْقِ اللَّهِ» مما رزقكم من المن والسلوى والماء «وَلَا تَغْشُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» لا تطغوا حال فسادكم، قيّد به؛ لأنّ منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم بفعله، وإن غلب فيه.

[٦١] - «وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ» وهو: المن والسلوى؛ أريد بالواحد أنه لا يتبدل وإن تعدّد، أو ضرب واحد؛ لأنهما معاً طعام المتلذّذين، وهم فلاحة، نزعوا إلى ما ألفوه «فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ» ادعه سائلاً لنا «يُخْرِجْ» يُظْهِرْ، جزم جواباً لـ «ادعوا» «لَنَا مِمَّا» بعض ما «تُنْبِتُ الْأَرْضُ» الإسناد إلى القابل مجازاً «مِنْ بَقْلِهَا» من الخضر، والمراد به: أطائبه الذي يؤكل. ومن «للتبيين» وَقَفَّائِهَا

(١) أي: من حجر الطور.

(٢) أي: سعة معسكرهم كما في تفسير البيضاوي ١: ١٥٦.

(٣) الأذرة: عظم الخصى وانتفاخها.

(٤) تفسير الكشاف ١: ٢٨٤.

وَفُؤِمَهَا ﴿الْحَسَنَةُ أَوْ الْخَيْرُ. وَقِيلَ: الثَّوْمُ^(١)﴾ وَعَدَسَهَا وَبَصَلِهَا قَالَ ﴿اللَّهُ تَعَالَى أَوْ مُوسَى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ﴾ أَي: أَقْرَبَ مَنَزَلَةً وَأَدُون قَدْرًا.

والدنو: القرب في المكان، واستمير للخصّة - كالعبد للشرّف - ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أَي: الْمَنِّ وَالسَّلَوى؛ فَإِنَّهُ أَلَذُّ وَأَنْفَع، وَمُسْتَعْنٍ عَنِ الْكَدِّ ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ إِنْ حُدِرُوا إِلَيْهِ مِنَ النَّبَةِ.

والمصر: البلد العظيم، وقيل: أُرِيدَ بِهِ الْعَلَمُ،^(٢) وَصَرَفَ لِسُكُونِ وَسْطِهِ ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِيتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ أَلْزَمَهُمَا لَزُومَ الْمَسَامَرِ لِلشَّيْءِ الْمَضْرُوبِ عَلَيْهِ، فَالْيَهُودِ أَذْلَاءُ مَسَاكِينٍ إِمَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ أَوْ التَّكْلِيفِ خَوْفِ تَضَاعُفِ الْجَزِيَةِ ﴿وَبَاءُ^(٣)﴾ يَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ: رَجَعُوا بِهِ ﴿ذَلِكَ﴾ الضَّرْبَ وَالْبُوءَ ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: حَجَّجَهُ مِنْ فُلُقِ الْبَحْرِ، وَإِضْلَالِ الْغَمَامِ، وَإِنْزَالِ الْمَنِّ وَالسَّلَوى، وَانْفِجَارِ الْحَجَرِ.

أَوْ: الْإِنْجِيلَ وَالْقُرْآنَ، أَوْ: مَا فِي التَّوْرَةِ مِنْ صِفَةِ «مُحَمَّدٍ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ وَبَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ: «شُعَيْبًا» وَ«زَكَرِيَّا» وَ«يَحْيَى» أَوْ غَيْرِهِمْ «بَغْيَرِ الْحَقِّ» عِنْدَهُمْ، إِذْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا يَجُوزُونَ بِهِ قَتْلَهُمْ ﴿ذَلِكَ﴾ كَرَّرَ تَأْكِيدًا ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ بِسَبَبِ عَصْيَانِهِمْ وَاعْتِدَائِهِمْ حُدُودَ اللَّهِ مَعَ كُفْرِهِمْ بِالْآيَاتِ وَقَتْلِهِمْ

(١) قَالَهُ الْكَسَاوِي - كَمَا فِي تَفْسِيرِ مَجْمَعِ الْبَيَانِ ١: ٢٢٢.

(٢) تَفْسِيرُ الْكَشَافِ ١: ٢٨٥.

(٣) اِنَّ كَلِمَةَ «بَاءُ» وَالْكَلِمَاتُ الْآخَرَى الَّتِي يَشَارُ إِلَيْهَا فِي مَحَلِّهَا، جَاءَتْ كَمَا تَلَا حُضُورٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ دُونِ الْفَاءِ الْجَمْعِ - الَّتِي تَوْضَعُ عَادَةً بَعْدَ وَائِ الْجَمْعِ - وَحَوْلَ هَذَا الْمَطْلَبِ نَلَفَتْ نَظَرَكُمْ إِلَى مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اتِّحَافِ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ ١/ ٨٨.

... وَحَذَفُوا فِي كُلِّ الْمَصَاحِفِ الْآلِفَ بَعْدَ وَائِ الْجَمْعِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَجَاءُوا» حَيْثُ رَفَعَ نَحْوُ «وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِهِ» «جَاءُوا بِالْإِفْكِ» «وَبَاءُ» حَيْثُ جَاءَ نَحْوُ «وَبَاءُ» يَغْضَبُ «وَفَاءُ» فَاءُ «بِالْبَقَرَةِ» وَسَمِعُوا فِي آيَاتِنَا بِسَبَأٍ، وَ«عَتَرَعُوا» بِالْفَرْقَانِ وَالَّذِينَ نَبِوهُ وَالِدَارِ «بِالْحَشْرِ».

الأنبياء وقيل: الإشارة إلى الكفر والقتل،^(١) أي: جرّم العصيان والإعتداء إلى الكفر والقتل.

[٦٢] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بأفواههم، وهم المنافقون ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ يقال: هاد وتهود: إذا دخل في اليهودية. و«يهود» إما عربيّ من هاد أي: تاب، سمّوا به لتوبتهم من عبادة العجل، أو معرّب من «يهودا» ابن يعقوب الأكبر ﴿وَالنَّصَارَى﴾ جمع: «نصران» كـ «سكاري» و«ياء نصراني» للمبالغة - كياء أحمرى - سمّوا به لنصرهم المسيح، أو: لكونهم معه في قرية تسمى «ناصر» ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ قوم بين اليهود والمجوس، لا دين لهم.

وقيل: دينهم يشبه دين النَّصَارَى، يزعمون أنه دين «نوح»،^(٢) وقيل: هم عبدة النجوم^(٣) أو الملائكة^(٤) «صبأ» إذا خرج، إن كان عربياً، و«النافع» لم يهزمه^(٥) إنما للتخفيف أو لآته من «صبأ»: إذا مال لميلهم عن سائر الأديان ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ من آمن من هؤلاء الكفرة بالمبدأ والمعاد إيماناً خالصاً ودخل في الإسلام دخولاً أصيلاً^(٦) ﴿وَعَمِلْ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ الذي يستوجبونه على الإيمان والعمل ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العقاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على فوات الثواب و«من» مبتدأ خبره «فلهم أجرهم» والجملة خبر «إن» أو بدل من اسم «إن» وخبرها «فلهم أجرهم». و«الفاء» لتضمن اسمها معنى الشرط.

[٦٣] - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ بالعمل بالتوراة ﴿وَوَقَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ الجبل

(١) تفسير الكشاف: ١: ٢٨٥.

(٢) قاله الخليل - كما في تفسير التبيان: ١: ٢٨٣ وتفسير مجمع البيان: ١: ٢٢٦.

(٣) قاله قتادة والبلخي - كما في تفسير التبيان: ١: ٢٨٢.

(٤) تفسير الكشاف: ١: ٢٨٥.

(٥) حجة القراءات: ١٠٠.

(٦) في «ط»: أصيلاً.

حتى أعطيتكم الميثاق .

روي : «ان موسى عليه السلام أتاهم بالتوراة فكبرت عليهم تكاليفها الشاقة فأبوا قبولها، فقلع جبرئيل الطور، ورفع فوقهم حتى قبلوا» ^(١) ﴿خُذُوا﴾ بتقدير القول ﴿مَا ءَاتَيْنَاكُمْ﴾ من التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجدة وعزم ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ احفظوه أو اعملوا به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لكي تتقوا الذنوب، أو رجاء أنكم : أن تكونوا متقين .

[٦٤] — ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الوفاء بالميثاق ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ بعد اخذه ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بتوفيقكم للتوبة أو بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم يهديكم للحق ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بإهلاككم أنفسكم بالمعاصي و«لولا» لانتفاع غيره وتلحقها «لا» فتغيبه لثبوت غيره والإسم بعدها مبتدأ خبره واجب الحذف وقيل : فاعل فعل محذوف .

[٦٥] — ﴿وَلَقَدْ﴾ «اللام» موطئة للقسم ﴿عَلِمْتُمْ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ مصدر، سبت اليهود إذا عظمت يوم السبت من القطع . أمروا بتجريدته للعبادة، ونهوا عن اصطياذ الحيتان فيه، فاعتدى فيه ناس منهم في زمن «داود» عليه السلام — إذ كانت قريتهم على البحر، ولم يبق فيه حوت إلا أخرج خرطومهم يوم السبت، فإذا مضى تفرقت — فحفروا حياضاً وشرعوا إليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ أي جامعين بين القردية والخسؤ — وهو: الطرد.. والمراد به «كونوا» : سرعة التكوين لا الأمر .

[٦٦] — ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي : المسنحة ﴿نَكَالًا﴾ : عبرة، تنكل الاعتبار بها، أي : تمنعه ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ : ما قبلها ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ : ما بعدها من الأمم، أو : لمعاصريهم ومن بعدهم، أو : لأجل ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ من قومهم، أو : كل متقٍ سمعها .

(١) تفسير الكشاف ١ : ٢٨٦ .

[٦٧] - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قدّم على صدر القصة ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا...﴾ الآية؛^(١) لاستقلاله بنوع من مساوئهم من الإستهزاء بالأمر، وترك المسارعة إلى الإمتثال. كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه ليرثوه، وطرحوه على باب المدينة، وطالبوا بدمه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليجيا، فيخبرهم بقاتله. وقيل: قتلوا الشيخ.^(٢)

وعن الصادق عليه السلام: «قتله ابن عمه ليتزوج ابنته، وقد خطبها فردّه وزوجها غيره»^(٣) ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ مكان هزء، أو أهله، أو مهزوء بـ، أو: نفس الهزء - مبالغة -، استبعاداً لما قاله. وسكنه «حمزه» و«اسماعيل» عن «نافع» مع الهمزة، وضّمه «حفص» مع الواو، وضمه الباقيون مهموزاً^(٤) ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾: ألّوذه به ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ إذ الهزء في هذا جهل.

[٦٨] - ﴿قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ ما حالها وصفها ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصَ﴾: لا مسنة ﴿وَلَا يَكْرَ﴾: ولا فتية ﴿عَوَانُ﴾: نصف ﴿يُبَيِّنْ ذَلِكَ﴾ المذكور من الفارص والبكر. وفيه إمّا تأخير للبيان عن وقت الخطاب - إن أريد بقرة معينة -، أو: النسخ قبل الفعل - إن أريد غير معينة، ثم انقلبت معينة بسؤالهم -.. كما روي: «لو ذبحوا أي بقرة شاءوا كفتهم، ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم»^(٥) ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ ما تؤمرونه أي تؤمرون به.

[٦٩] - ﴿قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ

(١) وهي الآية ٧٢ من هذه السورة.

(٢) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ١: ١٣٥.

(٣) تفسير القمي ١: ٤٩.

(٤) حجة القراءات: ١٠١.

(٥) تفسير مجمع البيان ١: ١٣٥ وتفسير نور الثقلين ١: ٨٩ الحديث ٢٤٤ عن النبي (ص)

لَوْنُهَا﴿ الفقوع : شدة الصفرة ﴾﴿ تَسْرُ النَّاطِرِينَ ﴾ : تعجبهم وفرحهم .

وعن الصادق عليه السلام : « من لبس نعلًا صفراء لم يزل مسروراً حتى يبليها ، كما قال الله صفراء . . . الآية . »^(١)

[٧٠] - ﴿ قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾ تكرير للسؤال الأول ، وزيادة استيضاح ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ أي البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ﴿ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ الى المراد ذبحها ، أو القاتل . روي : « أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَسْتَشُوا لَمَا بَيَّنَّتْ لَهُمْ أَبَدًا » .^(٢)

[٧١] - ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ ﴾ أي : لم تذلل الكراب وسقي الحرث ، ولا ذلول « صفة «بقرة» ، والفعالان صفتان لـ «ذلول» ، أي : لا ذلول مثيرة وساقية ، ولا « الثانية لتأكيد الاولى ﴾ ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ من العيوب ، أو العمل ﴿ لَا شِبَةَ فِيهَا ﴾ لا لون فيها سوى لونها ، من : وشاه وشياً وشية : إذا خلط بلونه لونها آخر ﴿ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ أي بحقيقة وصفها ﴿ فَذَبَحُوهَا ﴾ أي فحصلوا البقرة الموصوفة فذبحوها ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ لا ستقصائهم وتطويلهم ، أو : لخوف الفضيحة في ظهور القاتل ، أو : لغلاء ثمنها .

قيل : اشتروها بملء مسكها ذهباً ؛^(٣) وكانت ليتيم ، وكانت البقرة حينئذ بثلاثة دنائير . ونفي «كاد» كنفي سائر الأفعال في الأصح ، فلا ينافي الذبح عدم مقارنته لاختلاف وقتيهما ؛ إذ المعنى : ما قاربوا الفعل حتى انتهت سؤالاتهم ففعلوا .

[٧٢] - ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ خوطب الجميع لوجود القتل فيهم ﴿ فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ : اختصمتم في شأنها وتدافعتم . وأصله «تدارأتم» أدغمت التاء في الدال ووصل

(١) تفسير العياشي ١: ٤٧ الحديث ٥٩ وتفسير البرهان ١: ١١٢ الحديث ٥ .

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ١٣٥ وتفسير نور الثقلين ١: ٨٩ الحديث ٢٤٤ عن النبي (ص)

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ١٣٦ وتفسير نور الثقلين ١: ٨٨ عن تفسير القمي .

بالحزمة ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ : مظهر ﴿مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ والجملة اعتراض بين «فاداراتم» .
 [٧٣] - ﴿فَقُلْنَا﴾ المعطوف عليه ﴿أَضْرِبُوهُ﴾ أي : النفس - بتأويل : الشخص
 أو القتل - ﴿يُبْغِضُهَا﴾ فخذها اليمنى ، أو : لسانها ، أو : عجبها ،^(١) أو : أذنها
 ﴿كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي : فضرِبوه فحيي ، حذف للدلالة . والخطاب
 لحاضري الأحياء ، أو النزول .

روي : «أنهم لما ضربوه قام بإذن الله تعالى وأوداجه تشخب دماً ، وقال : قتلني
 فلان ابن عمي ، ثم قبض» .^(٢) ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ : دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
 لكي تعملوا على قضية عقلكم ، وتعلموا أن القادر على إحياء نفس قادر على إحياء
 الكل ولم يحيه ابتداءً بل شرط فيه الذبح والضرب لانطوائه على التقرب ونفع اليتيم ،
 والإشعار بحسن تقديم القرية^(٣) على الطلب ، وأن من حق المتقرب أن يتحرى
 الأحسن ويغالي بشفه ، والتنبه على كمال القدرة بتوليد الحياة من الموت .

[٧٤] - ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ «ثم» لاستبعاد القسوة ، وقساوة القلوب مثل في
 نبؤها عن الاعتبار ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الإحياء ، أو : جميع الآيات المعدودة فإنها موجبة
 للين القلب ﴿فَبَيَّ﴾ في قسوتها ﴿كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾ أي : زائدة عليها في
 القسوة ، أو : مثل ما هو أشد قسوة ، حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، ولم
 يقل : «أقسى» لأن «أشد» أبلغ ، ووصف القسوة بالشدة ، وزيادة المفضل فيها .
 و«أو» للتخيير ، أي : إن من عرفها شبهها بالحجارة أو بما هو أقسى منها ﴿وَإِنْ مِنْ
 الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ بيان للتفضيل .

والتفجر : التفتح بالسعة . أي : فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الغزير ﴿وَإِنْ

(١) المعجب : أصل الذنب ، لسان العرب «عجب» .

(٢) تفسير نور الثقلين ١ : ٨٧ عن عيون الأخبار .

(٣) في «ط» التوبة .

مِنْهَا لِمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ»: فينبع «مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْهَطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ»: يتردى من أعلى الجبل إنقياداً لأمر الله تعالى، وقلوب هؤلاء لا تفعل ولا تنقاد لأمره تعالى. والخشية مجاز عن الإنقياد «وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» وعيد. وقرأ «إبن كثير» و«نافع» بالياء. (١)

[٧٥] - «أَفَتَطْمَعُونَ» الخطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين «أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ»: يحدثنوا لكم التصديق، أي: اليهود «وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ» طائفة من أسلافهم «يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ»: التوراة «ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ» كتحريفهم صفة «محمَّد» وآية الرجم.

وقيل: سمع قوم من السبعين المختارين أمر الله ونهيه حين كلم موسى على الطور ثم قالوا سمعناه يقول في آخره: إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا (٢) «مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا» فهموه ولم يرتابوا فيه «وَهُمْ يَعْلَمُونَ» أنهم مفترون. والمعنى: إن حَرَف هؤلاء فلهم سابقة.

[٧٦] - «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا» أي: منافقوهم «ءَامَنَّا» بأنكم على الحق، وأن «محمَّدًا» هو المبشَّر به في التوراة «وَإِذَا خَلَا بِغَضِهمْ إِلَى بَغْضِ قَالُوا» - أي: الذي لم ينافقوا عاتبين على المنافقين -: «أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» بيَّنه لكم في التوراة عن صفة محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم «لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ» ليحتجوا عليكم بما في كتاب ربكم. جعلوا محاججتهم بكتابه (٣) محاجة عنده - كما يقال -: عند الله كذا، أي: في كتابه «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» إما تنمَّة للومهم، أي: أفلا تفقهون أنهم يحاجونكم فيحجونكم، أو: خطاب الله للمؤمنين، أي:

(١) حجة القراءات: ١٠١.

(٢) نقله الزمخشري في تفسير الكشاف ١: ٢٩١.

(٣) في «ط»: محاجته في كتابه.

أفلا تعقلون أنهم لا يؤمنون، فلا تطمعوا في ذلك.

[٧٧] - ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: اليهود ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾

جميعه، ومنه إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان.

[٧٨] - ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ لا يحسنون الكتابة فيطالعون التوراة، ويتحققون ما فيها

﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿إِلَّا أَمَانِيٍّ﴾ منقطع، أي: لكن يعتقدون أكاذيب

أخذوها تقليداً عن المحرّفين من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً، ^(١) والنار

لا تمسهم إلا أياماً معدودة، وغير ذلك. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ لا علم لهم. ويفيد

منع التقليد فيما طريقه العلم مع التمكن منه.

[٧٩] - ﴿فَوَيْلٌ﴾ تلهف وهلاك، وهو - في الأصل -: مصدر لا فعل له. وقيل:

واد في جهنم. ^(٢)

وابتداً به نكرة لأنه دعاء ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ﴾ أي: المحرّف ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾

تأكيد ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ شَيْءٌ بِهَذَا قَلِيلاً﴾ ليأخذوا به عرضاً من أعراض

الدنيا فإنه قليل - وإن جلّ - ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المحرّف ﴿فَوَيْلٌ

لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي أو: الرشا.

[٨٠] - ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ﴾ المس: إتصال الشيء بالبشرة مع الإحساس

﴿إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾: قلائل، أربعين يوماً - أيام عبادة العجل -، وقيل: زعموا أن مدة

الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوماً ^(٣) ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ

عَهْداً﴾ أنه لا يعذبكم إلا هذه المدة. وأظهر «الذال» «ابن كثير» و«حفص» وأدغمه

(١) في «د» زيادة: أو نصارى.

(٢) تفسير التبيان ٢٢١:١ وتفسير مجمع البيان ١٤٦:١ وتفسير نور الثقلين ٩٣:١.

(٣) تفسير التبيان ٢٢٢:١ وتفسير مجمع البيان ١٤٧:١.

الباقون^(١) ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ متعلق بمحذوف أي إن اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ «أم» عديلة الهمزة، أي: أيُّ الأمرين كائن، أو منقطعة، أي: بل أنقولون.

[٨١] - ﴿بَلَى﴾ إثبات لما نفوه، أي: بلى تمسككم النار أبداً بدليل: «هم فيها خالدون» ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ أي الشرك ﴿وَأَخَاطَتْ بِهِ خَطِيبَتُهُ﴾ تلك: أحدثت به من كل جانب، وقرأ «نافع» «خطيباته»^(٢) ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ملازموها في الآخرة ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون.

[٨٢] - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ شفع تعالى السوءد بالوعيد؛ ليُرجى ثوابه ويخشى عقابه، وأخرج العطف العمل عن الإيمان.

[٨٣] - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ إخبار معناه النهي، وهو أبلغ من صريحه؛ لإيهامه المسارعة إلى الإنهاء، فهو يخبر عنه، ويؤيده قراءة «لا تعبدا»^(٣) وعطف «قولوا» عليه، فهو بتقدير القول. وقرأ «نافع» و«ابن عامر» و«ابو عمرو» و«عاصم» بالتاء - حكاية لما خوطبوا به -، والباقون بالياء - لغيتهم -^(٤) ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: ويحسنون أو: وأحسنوا ﴿وَوَإِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾ جمع يتيم ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ جمع مسكين، مفعيل من السكون كأنَّ الفقر أسكنه ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قولاً حسناً. وصف بالمصدر مبالغة. وفتح «حمزة» و«الكسائي»^(٥) ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ المفروضتين في ملتكم ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ إلتفات، أو خطاب للموجودين منهم من عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسلفهم على

(١) الحجة في القراءات ٦٨: ١.

(٢) حجة القراءات: ١٠٢.

(٣) حجة القراءات: ١٠٣.

التغليب، أي أعرضتم عن الميثاق. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ إِلَّا مَنْ أَسْلَمَ مِنْكُمْ ﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾: مستمرّون على الإعراض عن الوفاء.

[٨٤] - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ لا يفعل ذلك بعضكم ببعض. جعل غير الرجل نفسه لا تصاله به أصلاً أو ديناً، أو: لإيجاب القتل القصاص. وقيل - معناه -: لا تفعلوا ما يبيح قتلكم وإخراجكم من دياركم. ^(١) ﴿ثُمَّ أَفْرَضْتُمْ﴾: اعترفتكم بالميثاق ولزومه ﴿وَأَنْتُمْ تَنْهَدُونَ﴾ على أنفسكم تأكيد، وقيل: «وأنتم أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم». ^(٢) [٨٥] - ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ استبعاد لما فعلوه بعد الميثاق والإقرار به والإشهاد

عليه، و«أنتم» مبتدأ، خبره: «هؤلاء» والمعنى: أنتم بعد ذلك هؤلاء الناكثون. نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ إمّا بيان لـ «أنتم هؤلاء» أو: حال وعاملها: معنى الإشارة، أو: خبر «أنتم» و«هؤلاء» تأكيد له، أو: منادى، أو: موصول، والجملة صلته والمجموع الخبر ﴿وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ نَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ حال من فاعل «تخرجون» أو: مفعوله، أو: منهما.

والتظاهر: التعاون. وحذف «عاصم» و«الكسائي» إحدى التائين، وأدغمها الباقون بالظاء ^(٣) ﴿بِالْإِيمِ﴾: القبيح المستحق به اللوم ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: الإفراط في الظلم ﴿وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أَسَارَى تَفَادَوْهُمْ﴾ روي: أن قريظة كانوا حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، وكان كلّ فريق يعاون حلفاءه في القتال، وإذا أسير رجل من الفريقين فدّوه، فقبل لهم: كيف تقاتلونهم ثم تدفونهم؟ فيقولون: أمرنا أن نقدّهم، ونهينا عن

(١) تفسير مجمع البيان ١: ١٥١.

(٢) تفسير الكشاف ١: ٢٩٣.

(٣) حجة القراءات: ١٠٤.

قتالهم ولكننا نستحي أن نذل حلفاءنا. ^(١)

وقرأ «حمزة»: أسرى ^(٢) - جمع أسير - كـ «قتلى» لـ «قتيل» وأسارى - جمعه - : كـ «سكاري» لـ «سكرى» وقرأ «ابن كثير» و«ابو عمرو» و«حمزة» و«ابن عامر» : تفدوهم ^(٣) «وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ» الضمير للشان، أو مبهم يفستره «إِخْرَاجُهُمْ» أو : لمصدر «تخرجون»، و«إخراجهم» تأكيد «أَفْتَوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ» أي بالفدية «وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ» أي : بحرمة القتل والإجلاء «فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» وهو قتل «قريظة» وأسره وإجلاء «النضير»، وقيل : الجزية ^(٤) «وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ» قرأ «عاصم» - في رواية - : «تَرَدُّونَ» على الخطاب ^(٥) «وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» تأكيد للموعيد. وقرأ «ابن كثير» و«نافع» و«ابو بكر» بالياء ^(٦) والضمير لـ «من».

[٨٦] - «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ» ابتاعوا حظوظ الدنيا بنعيم الآخرة «فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ» بنقص الجزية في الدنيا والعقوبة في الآخرة «وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ» بالدفع عنهم.

[٨٧] - «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» التوراة «وَوَقَّعْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ» ففاه به : اتبعه إياه، أي : وأرسلنا على أثره الرسل «وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ» المعجزات الواضحات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، والإخبار بالمفنيات، أو الإنجيل.

وعيسى بالسريانية : «إيشوع» ومعناه : المبارك و«مريم» بمعنى : العابدة أو

(١) تفسير الثبيان ١: ٢٣٦، وتفسير مجمع البيان ١: ١٥٣، وتفسير الكشاف ١: ٢٩٤.

(٢) حجة القراءات: ١٠٤ و ١٠٥.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ١٥٤، وتفسير الكشاف ١: ٢٩٤.

(٤) تفسير البياضوي ١: ١٦٨.

(٥) حجة القراءات: ١٠٥.

الخادم ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾: قَوَّيْنَاهُ ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ بالروح المقدسة، أي: «جبرئيل»،
 أو: روح «عيسى». ووصفها بـ«القدس» للكرامة كإضافتها إليه تعالى، أو: لأنه لم
 تضمه الأصلاب، والأرحام الطموات، أو: الانجيل، أو: الاسم الأعظم الذي يحيي
 به الموتي. وسكن «ابن كثير» «القدس» حيث وقع ^(١) ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا
 تَهْوَىٰ﴾ نَحْبَهُ ﴿أَنفُسُكُمْ﴾ وَسَطَتْ الهمزة بين الفاء وما تعلقَتْ به - من إتياء أنبيائهم ما
 أتوا - توبيخاً لهم، وتمجيحاً من حالهم. و«الفاء» للعطف على مقدَّر ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾
 عن إتباع الرسل ﴿فَقَرِيفًا كَذَّبْتُمْ﴾ كـ«موسى» و«عيسى» ﴿وَفَرِيفًا نَقُتُلُونَ﴾ كـ«زكريا»
 و«يحيى». وغير بالمضارع حكايةً للحال الماضية لتستحضر في النفوس للفظاعة،
 وللفاصلة. وأسند إليهم لأنه فعل أسلافهم ورضوا به.

[٨٨] - ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ مغشاة خلقة بأغطية لا يصل إليها ما تقول
 ولا نفهمه - من الأغلف: الذي لم يختن - ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ رد لقولهم، أي:
 إنها خلقت على الفطرة متمكنة من قبول الحق ولكن الله خذلهم بسبب كفرهم فهم
 الذين غلّفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر وتسببوا بذلك لمنع الألفاف ﴿فَقَلِيلًا مَّا
 يُؤْمِنُونَ﴾ فإيماناً قليلاً يؤمنون، وهو إيمانهم ببعض الكتاب. و«ما» مزيدة، أو أريد -
 بالقلة -: العدم.

[٨٩] - ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَنَّهُمْ﴾ من
 كتابهم. وحذف جواب «لما» لدلالة جواب الثانية عليه ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ
 يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يستنصرون ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مشركي العرب، يقولون: «اللهم
 انصرنا عليهم بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة»، أو: يفتحون عليهم، أي:
 يعترفونهم صفة نبي يبعث منهم. و«السين» للمبالغة، أي: يسألون أنفسهم الفتح
 عليهم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من الحق ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ حسداً وطلباً للرئاسة ﴿فَلَعَنَهُ

الله ﴿أَي: غضبه﴾ **﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** أي: عليهم، جيء بالظاهر ليفيد أنهم لعنوا لكفرهم، فاللام للعهد، أو الجنس الشامل لهم.

[٩٠] - **﴿بَشْمًا﴾** «ما» نكرة موصوفة^(١) مفسرة لفاعل: «بش» - المستكن -،

أي: بش شيئاً **﴿اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾** باعوها. صفة «ما» **﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾** هو المخصوص بالذم **﴿بَغْيًا﴾**: حسداً وطلباً لما ليس لهم، علّة لـ «يكفروا» **﴿أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ﴾** لأن ينزل، أو: على أن ينزل. وخفّفه «ابن كثير» و«ابو عمرو»^(٢) **﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾** أي الوحي **﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾** يختاره **﴿مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُ﴾** **﴿يَغْضِبُ عَلَى غَضَبٍ﴾** صاروا أحقاء بغضب مترادف لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبغيهم عليه، أو: لكفرهم به بعد «عيسى» عليه السلام، أو: بعد قولهم: «عزيز ابن الله»^(٣) **﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾**: مذلّ لهم لا على سبيل التكفير إذ يعقبه الاعزاز.

[٩١] - **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾** من القرآن، أو كل كتاب أنزله **﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾** أي: التوراة **﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَ﴾** حال من فاعل «قالوا» **﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾** الضمير لـ «ما» وهو القرآن **﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾** حال مؤكدة. ردّ لمقالهم؛ إذ كفرهم بما يوافق التوراة كفر بها **﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** اعتراض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادّعائهم الإيمان بالتوراة - وهي تحرّمه -، وأسند إليهم لأنّه فعل أسلافهم ورضوا به.

[٩٢] - **﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾** الآيات التسع **﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾**

معبوداً **﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾** بعد مجيئه، أو: ذهابه الى الطّور **﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾** حال، أي:

(١) في النسخ: منصوبة.

(٢) حجة القراءات: ١٠٦.

(٣) انظر تعليقنا على كلمة «باء» في الآية ٦١ من هذه السورة.

(٤) سورة التوبة: ٣٠/٩.

اتخذتموه ظالمين بعبادته، أو: اعترض، أي: وأنتم قوم عادتكم الظلم.

[٩٣] - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزم ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما أمرتم به في التوراة سماع طاعة. كرر القصتان للتأكيد، ولأن مساقهما - هنا - لإبطال قولهم: ﴿تُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾^(١) ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك. ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ تدخلها حبه كما يتداخل الثوب الصبغ وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب، نحو: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾^(٢) ﴿يَكْفُرُ بِهِمْ﴾: بسبب كفرهم لأنهم مجسمة، واستحسنوا جسمه فرسخ في قلوبهم حبه ﴿قُلْ بِسْمَا بِأَمْرِكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ بالتوراة؛ إذ ليس فيها عبادة العجايل والمخصوص محذوف، أي: هذا الأمر، أو: قبايحهم - المعدودة سابقاً -.

وإسناد الأمر إلى إيمانهم تهكم كـ ﴿أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ﴾^(٣) وكذا إضافة الإيمان اليهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تشكيك في إيمانهم، وقبح في صحّة دعواهم.

[٩٤] - ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾: الجنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ حال من «الدار»، أي: خاصة بكم - كما قلتم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾ -^(٤) ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ للجنس أو العهد، وهم: المسلمون ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ لأن من أيقن أنّ له الجنة اشتاقها تمنى التخلص من دار العناء الى نعيمها الدائم، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا أبالي سقطت على الموت أو سقط الموت علي». ^(٥)

[٩٥] - ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بما اسلفوا من موجبات النار،

(١) في الآية ٦١ من هذه السورة.

(٢) سورة النساء: ١٠/٤.

(٣) سورة هود: ٨٧/١١.

(٤) في الآية ١١١ من هذه السورة.

(٥) بحار الأنوار ٧١: ٢٦٣ باختلاف يسير، وانظر تفسير الكشاف ١: ٢٩٧ وتفسير نور الثقلين ١: ١٠٣.

كالكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن، وتحريف التوراة. وعبر عن النفس باليد لأنها آلة للإنسان بها عامة صنائعه. والجملة لإخبار بالغيب وكان كما أخبر؛ إذ لو تمنوا لنقل. والتمني أن يقول «ليت كذا».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم «لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه، وما بقى على وجه الأرض يهودي»^(١) «والله عليم بالظالمين» تهديد لهم.

[٩٦] - «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُنَّ عَلَى حَيٰوةٍ» - من «وجد» بمعنى: عليم، - ومفعولاه: «هم» و«أحرص». وتكثير «حياة» لإرادة حياة مخصوصة متطاولة «وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» محمول على المعنى، أي: أحرص من الناس ومن الذين أشركوا. وأفردوا بالذكر لشدة حرصهم إذ لم يعرفوا إلا الحياة الدنيا. وفيه توبيخ شديد؛ إذ زيادة حرصهم وهم مقررون بالجزاء على حرص المنكرين يدل على علمهم بمصيرهم إلى النار.

وقيل: أريد به الذين أشركوا، المجوس، لدعائهم لملوكهم: «عش ألف نوروز وألف مهرجان». ^(٢) وقيل: هو خبر مبتدأ محذوف، ^(٣) صفته «يَوَدُّ أَحَدُهُمْ» ويراد به الذين أشركوا: اليهود، لقولهم: «عزير ابن الله»^(٤) أي: ومنهم ناس يودُّ أحدهم. وهو على الأول استئناف لبيان زيادة حرصهم «لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ» حكاية لما ودوا. و«لو» بمعنى «ليت» «وَمَا هُوَ بِمُرْزَحِيحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ» الضمير له «أحدهم»، و«أن يعمر» فاعل «مرزححه» أي وما أحدهم منجيه عن النار تعمييره، أو المصدر «يعمر» «وأن يعمر» بدل منه، أو مبهم بيانه: «أن يعمر» «وَاللَّهُ بِصِرِّهِمْ يَعْمَلُونَ»

(١) تفسير الكشاف ١: ٢٩٧ وقريب منه ما في تفسير البرهان ١: ١٣١.

(٢) تفسير التبيان ١: ٢٥٩ وتفسير مجمع البيان ١: ١٦٦.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ١٦٥.

(٤) سورة التوبة ٩/ ٣٠.

عليهم بأعمالهم .

[٩٧] - ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ نزل حين سأل «عبدالله بن سوريا»

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمن ينزل عليه؟ فقال: جبرئيل، فقال: ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة و«ميكائيل» ينزل بالبشر والرحاء، ولو كان الذي يأتيك «ميكائيل» لآمتنا بك. وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «جبرئيل» ك«سلسيل» و«ابن كثير»: بفتح الجيم وكسر الراء بلا همزة، و«عاصم» - ك«جحمرش»، والباقون ك«قنديل»^(١) ومنع صرفه للعجمة والتعريف، ومعناه: عبدالله^(٢) ﴿فَإِنَّهُ﴾ أي جبرئيل ﴿نَزَّلَهُ﴾ أي: القرآن. وفي إضماره - ولم يذكر - تفخيم لشأنه كأنه لتعنيته يدل على نفسه ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ أي فهمك وحفظك، وكان حقه على قلبي فجاء على حكاية كلام الله تعالى، كأنه قيل: قل ما تكلمت به ﴿يَاذَنِ اللَّهِ﴾ بأمره أو بنهيته، حال من فاعل «نزل» ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أحوال من مفعوله، وجزاء الشرط: «فإنه نزل» أي: من عادى منهم جبرئيل فغير منصف، لأنه نزل كتاباً يصدق الكتب السابقة، فحذف الجزاء وأقيم عله مقامه، أو: من عاداه فيسبب أنه نزل عليك.

[٩٨] - ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾ مخالفاً له أو عدواً لأوليائه. وصدر بذكره تعالى

تفخيماً بشأنهم نحو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾^(٣) ﴿وَمَلَايَكْتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ أفردا بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر، ولأن النزاع كان فيهما ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ أتى بالمظهر موضع الضمير ليفيد أنه تعالى عاداهم لكفرهم، وأن عداوة المذكورين كفر. وقرأ «نافع»: «ميكائيل» ك«ميكاعل»^(٤) و«أبو عمرو»

(١) حجة القراءات: ١٠٧ والحجة في القراءات: ١٦٤: ٢ والكشف عن وجوه القراءات: ٢: ٢٥٤.

(٢) في تفسير مجمع البيان ١: ١٦٦ وقيل جبر - في اللغة السريانية هو: العبد، وإيل هو: الله.

(٣) سورة الأحزاب: ٥٧/ ٢٣.

(٤) حجة القراءات: ١٠٨.

و«عاصم» ك«ميعاد»^(١).

[٩٩] - ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ القرآن ودلالاته الواضحات. نزلت حين قال «ابن صوريا» للرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فتنبئك» ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ المتمردون في الكفر والفسق إذا استعمل في نوع من المعاصي كان أعظمه من كفر وغيره.

[١٠٠] - ﴿أَوْ كَلِمَاتٍ﴾ «الهمزة» للإنكار، و«الواو» عاطفة على مقدر، أي: أكفروا بالآيات وكلماتهم ﴿عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾: نقضه.

والنبذ: الطرح، وقيل: «منهم» لأن بعضهم لم ينقض. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالتوراة فلا يبالون بنقض العهد.

[١٠١] - ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي: التوراة، - لأن كفرهم بالمصدق لها نبذ لها، أو: القرآن ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ مثل لتركهم إياه بترك المرمي وراء الظهر استغناء عنه ﴿كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه كتاب الله تعالى، أي: علموا وعاندوا.

[١٠٢] - ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ أي: نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي تقرأوها أو: تتبعها الشياطين من الجن، أو: الإنس أو: منهما ﴿عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ﴾: عهد ملكه. والمضارع حكاية حال ماضية. كانوا يسترقون السمع ويضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلقونها إلى الكهنة.

وقد دونوها في كتب يقرأونها ويعلمونها الناس، وفشا ذلك في زمن «سليمان» حتى قيل: إن الجن تعلم الغيب، وملك «سليمان» إنما تم بهذا العلم، وبه يسخر الإنس والجن والريح ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ تكذيب لمن بهته بالسحر، وسماء: كفرًا

(١) تفسير القرطبي ٢: ٢٨ والمحرر الوجيز ١: ٢٦٢.

﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ باستعماله ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ﴾ اغواءً، والجملة حال عن «النوا».

والمراد بالسحر: ما يستعان فيه بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الإنسان، وهو - في الأصل - لما خفي سببه ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ عطف على «السحر»، أو: «ما تتلوا» وهما ملكان اهبطا الى الأرض لتعليم السحر ابتلاءً من الله للناس. من تعلمه وعمل به كان كافراً، ومن تجنّب أو تعلّم لتوقيه - لا للعمل به - كان مؤمناً.

قيل: ركبت فيهما الشهوة فهويا امرأة فحملتهما على الشرك والمعاصي،^(١) وقيل: هما رجلان سمّيا ملكين لصلاحيهما، ويعضده قراءة كسر «اللام»^(٢) وقيل: «ما أنزل» نفي عطف على «ما كفر»^(٣) ﴿يَتَابِلَ﴾ ظرف، أو: حال من الملكين، أو: ضمير «أنزل». بلدة في سواد الكوفة ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ عطف بيان للملكين، منعاً الصرف للعجمة والعلمية. وإن جعلت «ما» نافية فبدل البعض من «الشياطين»، وما بينهما اعتراض. ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي ما يعلمان أحداً حتى ينصحاها ويخبراها أنهما ابتلاء من الله، وينهياه عن الكفر بالتعلّم منهما والعمل به، أو: ما يعلمانه حتى يقولَا إِنَّا مُفْتَنُونَ فلا تفتن ﴿فَيَعَلِّمُونَ﴾ أي الناس بدلالة «من أحد» ﴿مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ أي سحراً يكون سبب تفرقهما ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره فربما أحدث عنده فعلاً من أفعاله، وربما لم يحدث ﴿وَيَعَلِّمُونَ مَا بَضُرُّهُمْ﴾ لأنهم يقصدون به الشر ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ فيجب تجنّبه ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ أي: اليهود ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ استبدل

(١) رواه الطبرسي عن العياشي مرفوعاً الى ابي جعفر عليه السلام - كما في تفسير مجمع البيان ١: ١٧٤.

(٢) تفسير التبيان ١: ٣٧٣ وتفسير مجمع البيان ١: ١٧٥.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ١٧١.

السحر بكتاب الله . «واللام» للإبتداء عقلت «علموا» «مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ» من نصيب «وَلْيَتَسَمَّ شَرُّوهُ بِه أَنْفُسُهُمْ» باعوها «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» يعملون بعلمهم ؛ إذ علم من لا يعمل به كلا علم فلا ينافي إثبات العلم له .

[١٠٣] - «وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا» بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن «وَاتَّقَوْا» المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر «لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ» جواب «لو» أي : لاثبوا مشوبة فحذف الفعل . وعدل الى الإسمية لتفيد ثبات المشوبة ، ونكرت لأن المعنى لشيء من الثواب خير لهم «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» أن ثواب الله خير مما هم فيه لأثروه . جُهلوا لترك العمل بالعلم .

[١٠٤] - «بَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا» كان المسلمون يقولون للرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذا علمهم شيئاً : «راعنا» أي تأن بنا حتى نفهمه فخطابه اليهود به قاصدين نسبته الى الرعونة ، أو سبه بكلمة عبرانية ، يتسابقون بها وهي : «راعينا» فهي المؤمنون عنه ، وأمرُوا بما هو في معناه وهو : «انظُرنا» أي : انتظرنا «وَأَسْمِعُوا» سماع طساعة لا كسماع اليهود إذ قالوا : «سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا»^(١) «وَلِلْكَافِرِينَ» : المتهاونين بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم «عَذَابٌ أَلِيمٌ» .

[١٠٥] - «مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» الود : المحبة . و«من» للتبيين «وَلَا الْمُشْرِكِينَ» «لَا» لتأكيد النفي «أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ» مفعول «يود» «مِنْ خَيْرٍ» هو : الوحي ، و«من» مزيدة للإستغراق «مِنْ رَبِّكُمْ» «من» للإبتداء ، أي : يحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شيء من الوحي «وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ» بالنبوة «مَنْ يَشَاءُ» ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة «وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» يشعر بأن النبوة من الفضل .

[١٠٦] - «مَا تَنْشَخُ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا» رد لطمع اليهود في أن النبي صلى الله عليه وآله

(١) في الآية ٩٣ من هذه السورة .

وسلم يقول بنسخ كل شريعة تقدمت شريعته، بأن ذلك جائز.

ونسخ الآية إما رفع التعبد بقرائتها، أو: الحكم المستفاد منها، أو: رفعهما معاً . . و«ما» مفعول «نسخ» جزمته شرطاً. و«من» مزيدة. وقرأ «ابن عامر»: «نُسخ» من «أنسخ»، أي: نأمر -جبرئيل بنسخها، «وابن كثير» «وأبو عمرو» «نساها» - بفتح «النون» و«السين» - مع الهمزة من النساء^(١) - أي: التأخير، والباقون: بضم «النون» وكسر «السين» بلا همز، من «الإنساء»^(٢) أي: إذهابها عن القلوب «ثُمَّ يَخَيَّرُ مِنْهَا» للعباد، في الثواب «أَوْ مِثْلَهَا» فيه «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فيقدر على الخير وما هو خير منه وما هو مثله.

[١٠٧] - «أَلَمْ تَعْلَمْ» خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمنته لقوله تعالى: «وَمَا لَكُمْ»^(٣). وأورد لأنه أعلمهم «أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» فهو يملك أموركم، ويجريها على ما يصلحكم من النسخ وغيره «وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ» يقوم بأمركم «وَلَا نَصِيرَ» ينصركم.

[١٠٨] - «أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ» «أم» عديلة «الهمزة» في: «ألم تعلم»، أي: ألم تعلموا أنه مالك الأمور، ويحكم ما يريد، أم تعلمون وتسالون اقتراحاً كما سألت اليهود موسى؟، أو: منقطعة، أي: بل أتريدون. والمراد: إيصاؤهم بالثقة به تعالى، وترك الاقتراح على رسولهم نزلت في أهل الكتاب حين سألوه أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، أو في المشركين حين قالوا: «لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا مِثْلَ الْبُرُوجِ» إلى قوله: «أَوْ تَأْتِيَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا»^(٤) «وَمَنْ يَبْدُلْ

(١) في «ج»: النساء وفي «ط»: النساء.

(٢) حجة القراءات: ١٠٩ و ١١٠.

(٣) في آخر هذه الآية.

(٤) سورة الإسراء: ١٧/ ٩٠-٩١.

الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ ﴿١٠٩﴾ ومن ترك الثقة بالآيات المنزلَة وشكَّ فيها، واقترح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: وسطه فلا يصل إلى المقصد.

[١٠٩] - ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ كـ «حى بن أخطب» ونظرائه ﴿لَوْ يَرَوْهُمْ﴾ أن يرجعوكم ﴿مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ مفعول ثانى لـ «يردون»، أو حال من مفعوله ﴿حَسَدًا﴾ علة «ود»^(١) ﴿مِنْ حِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ متعلق بـ «ود» أي: تمنوا ذلك من قبل أنفسهم لا من قبل التدين، أو: بـ «حسدًا»، أي: حسداً منبعثاً من أنفسهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ لا تعاقبوا ولا تثرّبوا عليهم^(٢) ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ من قتل «قريظة»، وإجلاء «النضير»، وضرب الجزية عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على الانتقام منهم.

[١١٠] - ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ كأنهم أمروا بهما للإستعانة على مشقة العفو ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ صلاة أو صدقة ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي ثوابه ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لا يضع لديه عمل.

[١١١] - ﴿وَقَالُوا﴾ أي أهل الكتاب من اليهود والنصارى. عطف على «ود» ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ جمع بين قوليهما لأمن اللبس؛ لعلم السامع بالتعادي بينهما.

و«هود»: جمع هائد. وإفراد الإسم وجمع الخبر باعتبار اللفظ والمعنى ﴿تِلْكَ﴾ الأمانى المذكورة: من أن لا ينزل عليكم خير، وأن يردوكم كفاراً، وأن لا يدخل الجنة غيرهم ﴿أَمَّا بَيْنَهُمْ﴾ والجملة اعتراض ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على اختصاصكم بالجنة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم إذ ما لا دليل عليه باطل.

[١١٢] - ﴿بَلَى﴾ رد لنفيهم دخول غيرهم الجنة ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أخلص

(١) في «ط»: علة ودهم.

(٢) التثريب: التقرير والتقهير بالذنب - كما في مفردات الراغب.

نفسه ﴿وَهُوَ مُخْسِنٌ﴾ في عمله ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ جزاء عمله ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾ ثابتاً لديه .
و«مَنْ» شرطية أو موصولة ، والجملة جوابها أو خبرها . و«الفاء» لتضمنها معنى الشرط ، فالرد بـ «بلى» وحده أو من فاعل فعل مقدر، أي : بلى يدخلها من أسلم ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة .

[١١٣] - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ يعتد به . ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ نزلت حين قدم وفد «نجران» على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأتاهم أجبار اليهود وتفاولوا بذلك ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ «الواو» للحال و«الكتاب» للجنس ، أي : قالوا ذلك وهم من أهل التلاوة للكتب ﴿كَذَلِكَ﴾ أي : مثل ذلك ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كعبدة الأصنام والذهرية ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ وبخهم على تشبههم بالجهلة ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين الحزبين ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بأن يكذبهم ويدخلهم النار ، أو بما يقسم لكل منهما من العقاب .

[١١٤] - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ نزلت في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه ، وقتلوا أهله ، وأحرقوا التوراة ، أو : المشركين حين منعوا رسول الله دخول المسجد الحرام عام الحديبية .

والحكم عام في كل مانع وساع في خراب كل مسجد وإن خصَّ السبب ﴿أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ مفعول ثانٍ لـ «منع» أو مفعول له ، أي كراهة أن يذكر ﴿وَسَمَى فِي خَرَابِهَا﴾ بالتعطيل أو الهدم ﴿أُولَئِكَ﴾ المانعون ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ أي : ما كان الحق أن يدخلوها إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلاً أن يمنعوهم منها ، أو : ما كان لهم في علم الله فهو وعد للمؤمنين بالنصر .

وقيل : معناه النهي عن تمكينهم من دخول المسجد ^(١) ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ : القتل والسبي ، أو : الجزية ، أو : فتح مدائنهم إذا قام المهدي عليه السلام ﴿وَلَهُمْ فِي

(١) تفسير مجمع البيان ١ : ١٩٠ وتفسير ابن كثير ١ : ١٦٢ .

الْآخِرَةَ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾.

[١١٥] - ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ ناحيتا الأرض، أي: له الأرض كلها فان مَنِغَّمُ الصَّلَاةِ في المساجد فصلوا حيث كنتم ﴿فَأَبَيْنَا تَوَلُّوهُ﴾ ففي أي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة ﴿فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ جهته التي جعلها قبلة لكم، فإن ذلك ممكن في كل مكان، أو: ذاته تعالى، أي: عالم بما فعلتم فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ الرحمة، يريد التوسعة لعباده ﴿عَلِيمٌ﴾ بمصالحهم، فإن المصلحة الحاصلة في المساجد حاصلة لهم في أي مكان كان - مع التولية - وقيل: منسوخة بآية ﴿قَوْلُ﴾^(١) وقيل: مخصوصة بحال الضرورة، أو بالنوافل.^(٢) وفي الكل بحث.

[١١٦] - ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ نزلت حين قال اليهود: «عزير ابن الله»، والنصارى: «المسيح ابن الله» ومشركوا العرب: «الملائكة بنات الله». وترك «ابن عامر» العاطف^(٣) ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ رد لقولهم أي: هو خالقه، ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح ﴿كُلٌّ لَهُ فَائِتُونَ﴾ متقادون لمشيئته وتكوينه ومن كان بهذه الصفة لم يجانس، ومن حق الولد أن يجانس والده. وتنوين «كُلٌّ» للعوض، أي: كل ما فيها.

[١١٧] - ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يديع سماواته وأرضه - من «بدع» فهو بديع -، أو: مبدعها - كالسميع بمعنى: المسمع.

والإبداع: اختراع الشيء لا عن شيء دفعة. ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ إذا أراد إحداثه ﴿فَأَنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ من التامة، أي: أحدث فَيَحْدُث. والمراد: تمثيل

(١) وهي الآية ١٤٤ من هذه السورة وقائل هذا القول هو قتادة - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٩١.

(٢) وهو المروي عن اثنتا عليه السلام - كما في تفسير مجمع البيان ١: ١٩١ - وانظر كنز العرفان ١: ٩٠

وتفسير العياشي ١: ٥٦ الحديث ٨١ و٨٢.

(٣) حجة القراءات: ١١٠.

حصول ما تعلقت به إرادته - بلا مهلة بطاعة المأمور - بلا توقف، لاهقية أمر وامثال. ونصب «ابن عامر» «فيكون»^(١).

[١١٨] - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: جهلة المشركين، أو: متجاهلو أهل الكتاب: ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ كما كلم موسى، أو يوحى إلينا أنك رسوله - استكباراً - ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ دلالة على صدقك - جحوداً لكون ما آتاهم آيات، استهانة بها - ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ كـ ﴿أَرَأَىٰ اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾^(٢) [و] ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾^(٣) ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يطلبون اليقين؛ إذ فيما ظهر^(٤) من الآيات كفاية لمن لم يعاند.

[١١٩] - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ متلبساً به ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ لا جابراً على الإيمان تسلياً له صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ كان يغتم لإصرارهم على الكفر ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ مالم لم يؤمنوا بعد تبليغك. وقرأ «نافع»: «ولا تُسأل»^(٥) على النهي له صلى الله عليه وآله وسلم عن السؤال عن حال الكفرة، أو تفخيم لعقابهم - والجهيم: النار المتأججة.

[١٢٠] - ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ إقناط له صلى الله عليه وآله وسلم عن إسلامهم، وكأنهم قالوا ذلك فحكاه تعالى؛ ولذلك قال: ﴿قُلْ﴾ - مجيباً لهم -: ﴿إِنَّ هَدَىٰ اللَّهُ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَىٰ﴾ بالحق، لا ما تدعون

(١) حجة القراءات: ١١١.

(٢) سورة النساء: ٤/١٥٢.

(٣) سورة المائدة: ٥/١١٢.

(٤) في «الف»: ظهر لهم.

(٥) حجة القراءات: ١١١.

إليه ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: بدعهم ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: الدين الصحيح، أو: البيان، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع عنك عقابه، وهو جزاء له إن.

[١٢١]- ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكِتَابَ﴾ هم مؤمنو أهل الكتاب ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ بالتدبر له، والعمل بمقتضاه ولا يحرفونه ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بكتابتهم - دون المحرفين - ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ من المحرفين ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ حيث اشتروا الضلالة بالهدى.

[١٢٢]- ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

[١٢٣]- ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ مرّ مثل الآيتين،^(١) والتكرير لبعد ما بين الكلامين تأكيد للتذكير، ومبالغة في النصح وإقامة الحجة.

[١٢٤]- ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ الابتلاء: التكليف بالشاق، ويلزمه الإختبار ممن يجهل العواقب، أي: كلفه ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ عامله معاملة المختبر بهنّ، وفسرت بذبح ولده والنار وبمناسك الحجّ والكواكب والقمر والشمس وبالعشر الحنيفية،^(٢) وبالكلمات التي تلقاها «آدم» من ربه وهي: أسماء محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله

(١) في هذه السورة الآيات ٤٧ و٤٨.

(٢) في تفسير المقيمي ١/ ٥٩ الحنفية: الطهارة وهي عشرة أشياء خمسة في الرأس وخمسة في البدن. فأما التي في الرأس: فأخذ الشارب واعفاء اللحي وطمّ الشعر والسواك والخلال. وأما التي في البدن: فحلق الشعر من البدن والختان وقلم الأظفار والغسل من الجنابة والطهور بالماء.

ومثله تفسير مجمع البيان ١: ٢٠٠ وتفسير البرهان ١: ١٥٦ وباب الخمسة من كتاب الخصال الحديث ١٩.

وسلم. ^(١) وقرأ «ابن عامر»: «إبراهيم» ^(٢) «فَأَتَهُمْ» أدهن بغير تفريط «قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» استئناف - إن نصب «إذ» مضمرة -، كأنه قيل: فما قال له ربه؟ فأجيب به، أو: بيان لـ «إبتلى»، فتكون «الكلمات» ما ذكر - من: الإمامة، وتطهير البيت ورفع قواعده والإسلام -.. وإن نصبه «قال» فالمجموع جملة عطف على ما قبلها. و«إماماً» ناني مفعولي «جاعلك».

والإمام: اسم من يؤتم به، أي: يأتمنون بك في دينهم وإليك سياستهم «قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي»: نسلي. و«الواو» للاستئناف أو العطف على محذوف و«من» للإبتداء أو للتبويض أو زائدة، أي: اجعلني إماماً واجعل من ذُرِّيَّتِي أو بعضها، أو ذُرِّيَّتِي؟! - على جهة السؤال - «قَالَ لَا يَسْأَلُ عَهْدِي» أي: الإمامة. وسكن الياء «حفص» و«حمزة». ^(٣) «الظَّالِمِينَ» لأن الإمامة أمانة الله، والظَّالِم لا يصلح للأمانة، وإنما ينالها الاتقياء منهم.

فدلّ على وجوب عصمة النبي والإمام حتى عن الصّغائر - لصدق الظلم عليها، سواء فسر بانتقاص الحق، أو بوضع الشيء في غير موضعه، أو: بتعدي حدود الله، ففاعلها ظالم لا يصلح للإمامة - وإن تاب -؛ لصدق الظالم عليه في الجملة، فتناوله الآية، فكيف بمن أشرك ولم تثبت توبته.

[١٢٥] - «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ» أي: الكعبة، غلب فيها «مَثَابَةً لِلنَّاسِ» مرجعاً يشوب إليه أعيان الحجاج أو أمثالهم، أو: موضع ثواب يثابون بحجّه «وَأَمْنًا» موضع أمن لأهله والملتجئ إليه، من التعرّض «وَاتَّخِذُوا» بتقدير القول، أو: عطف على عامل «إذ» المقدّر، أو على مضمرة، أي: ثوبوا إليه واتخذوا «مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ»:

(٣) كتاب الخصال للشيخ الصدوق - باب الخمسة - الحديث ٨.

(٤) حجة القراءات: ١١٣ وجاءت الكلمة في «الف» و«ب»: إبراهيم.

(١) حجة القراءات: ١١٢.

الحجر الذي قام عليه ودعا النَّاسَ إلى الحجِّ، أو بنى البيت ﴿مُصَلَّى﴾ مدعى - من «صَلَّى» أي: دعوت -، أو: قبله أو: موضع صلاة - أي: صلُّوا عنده بعد الطَّواف - وهو المرويٌّ عن أئمتنا عليهم السَّلام،^(١) فالمراد به: الموضع الذي فيه المقام - وهو المتعارف الآن -؛ إذ الحقيقي لا يصلِّي فيه، فيفيد وجوب ركعتي الطَّواف فيه. و«من» للتبعض، أو الإبتداء، أو التبيين، أو زائدة.

وقيل: مقام إبراهيم: الحرم كله،^(٢) فتكون «من» تبعية، ويكون المراد البعض المخصوص وهو المقام الآن، فيفيد وجوبهما أيضاً فيه. وقيل: عرفة والمزدلفة والجمار،^(٣) وقيل: الحج كله.^(٤) وقراءة «نافع» و«ابن عامر»: «وَاتَّخَذُوا» ماضياً، عطفاً على «جعلنا» أي: واتخذ الناس.^(٥) ﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾: أمرناهما «أن» بأن، أو: أي: ﴿طَهَّرَا بَيْتِي﴾ من الأصنام والأنجاس. وفتح «الياء» «نافع» و«حفص» و«هشام»^(٦) ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾: الدائرین حوله، ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾: المقيمين عنده، أو: المعتكفين فيه ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ المصلين، جمع: «راكع» و«ساجد».

[١٢٦] - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمِنًا﴾: ذا أمن، كـ «عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ»،^(٧) أو: آمناً أهله كـ «ليلٍ نائم» ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ أَمِنَ مِنْهُمُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. «من آمن» بدل البعض من: «جهله» ﴿قَالَ﴾ الله

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٢٠٣.

(٢) قاله مجاهد - كما في تفسير التبيان ١: ٤٥٣ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٠٣.

(٣) قاله عطاء - كما في تفسير التبيان ١: ٤٥٣ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٠٣ وتفسير الكشاف ١: ٣١٠.

(٤) قاله ابن عباس - كما في تفسير التبيان ١: ٤٥٣ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٠٣.

(٥) حجة القراءات: ١١٣ والكشف عن وجوه القراءات ١: ٣٦٣.

(٦) تفسير القرطبي ٢: ١١٤.

(٧) وردت هذه العبارة في سورتي: الحاقة: ٦٩/٢١ والقارعة: ١٠١/٧.

تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ عطف على محذوف، أي: أرزق من آمن ومن كفر. نبه تعالى على أن الرزق يعمّ المؤمن والكافر. أو: مبتدأ تضمن معنى الشرط، وخبره: ﴿فَأَمْتَعُهُ﴾ زماناً - أو: متاعاً - ﴿قَلِيلًا﴾ أي: مقصوراً على حظوظ الدنيا ﴿قَلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾. ^(١) ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾: الضَّرُّ: ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ لَزَّ المضطرّ. وقرأ ابن عامر: «فَأَمْتَعُهُ مِنْ: «أمتع» ^(٢) ﴿وَيُشْسِ الْمَصِيرُ﴾ المآل. والمخصوص محذوف أي العذاب.

[١٢٧] - ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ﴾ حكاية حال ماضية ﴿الْقَوَاعِدَ﴾ جمع قاعدة - وهي: الأساس - ورفّعها: البناء عليها؛ لنقله إياها عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الإرتفاع، أو: يراد بها السافات؛ ^(٤) إذ كل سافٍ قاعدة ما يُبنى فوقه، وبرفعها: بناؤها. ﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾ وفي إيهامها، وتبيينها رفع لشأنها ﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ كان يناوله الحجارة فعطف عليه لمدخلته في الرفع، أو: كانا يتناوبانه، أو: يبينان في طرفين ﴿رَبَّنَا﴾ بقرآن: رَبَّنَا ﴿تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ والجملة حال منهما، ويفيد ندبة الدّعاء عقيب العبادة ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنا.

[١٢٨] - ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ مخلصين، أو: مستسلمين - أي: منفادين - ﴿لَكَ﴾ والمراد: طلب الزيادة في الإخلاص والإنقياد، أو: الثبات عليه ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾: وجعل بعضها وخصاً البعض لما أعلمنا أن فيهم ظلمة ﴿أُمَّةٌ﴾ من «أمه»: إذا قصده. قيل: للجماعة، لأنها تَأْمُ ﴿مُسْلِمَةً لَّكَ﴾ أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة النساء: ٤: ٧٧.

(٢) لَزَّ الشيء بالشئ يَلْزُهُ لَزًّا وَالزَّهْ: ألزمه إِيَّاهُ - لسان العرب «لرز».

(٣) حجة القراءات: ١١٤.

(٤) السافات: جمع ساف، وهو: السّف من العطين أو اللين أو غيرهما.

لقوله: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾^(١) وعن الصادق عليه السلام: «هم بنو هاشم خاصة». ^(٢) ﴿وَأَرْنَا مَنَّا مَسْكَنًا﴾ أي: بصرنا - أو: عرفنا - متعبداتنا في الحج. أو: مذابحنا.

والنَّسَكُ: العبادة والذبيحة. وقرأ «ابن كثير»: «أَرْنَا» - كـ «فَخَذَ» في «فَخَذَ» -^(٣) ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ استتاباً تَعَبُداً لِيُقْتَدَى بهما، أو: لَذَرِيَّتَهُمَا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ بعباده.

[١٢٩] - ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ في الأمة المسلمة ﴿رُسُلًا مِنْهُمْ﴾ لم يبعث منهم غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولذا قال: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى، ورؤيا أمي»^(٤) ﴿يُنَلُّوْا﴾: يقرأ ﴿عَلَيْهِمْ ءَايَاتُكَ﴾: دلائل التوحيد والنُّبُوَّة الموحدة إليه ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: المعارف والأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ وَيُطَهِّرُهُم من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾: الَّذِي لَا يُفْهَرُّ عَلَى مَا يَرِيدُ ﴿الْحَكِيمُ﴾: المحكم له.

[١٣٠] - ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ إنكار واستبعاد لأن يرغب عاقل عن ملته الواضحة وهي ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ولا يتأفبه كون ملته ناسخة لجميع الملل لصدق نسخ الملة بنسخ بعضها، أي: لا يرغب عنها ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: أَضَلَّهَا أو أَذَلَّهَا.

قيل: سَفِهَ - بالكسر - متعدٍ، و - بالضم - لازم. ^(٥) وقيل: نصب «نفسه» تمييزاً أو بنزع الخافض. ^(٦) ومحل المستثنى: الرفع بدلاً من ضمير «يرغب» لعدم إيجابه،

(١) في الآية الآتية من هذه السورة.

(٢) تفسير العياشي ١: ٦٠ الحديث ١٠١.

(٣) حجة القراءات: ١١٤.

(٤) تفسير ابن كثير ١: ١٨٤.

(٥) قاله ابن تغلب والميرد - كما في تفسير التبيان ١: ٤٦٩.

(٦) تفسير التبيان ١: ٤٦٩ وتفسير مجمع البيان ١: ٢١٢.

أو: النَّصَبُ بِالِاسْتِثْنَاءِ. ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ﴾: اخترناه للرسالة ﴿فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ المستقيمين على الخير، ومن كان كذلك كان حقيقاً بالإتباع لا يرغب عنه إلا سفيهه، نزلت حين دعا «عبدالله بن سلام» إبني أخيه «سلمة» و«مهاجرًا» إلى الإسلام فأسلم «سلمة» وأبى «مهاجر». ^(١)

[١٣١] - ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ظرف لـ «إِصْطَفَيْنَاهُ»، أو: نصب بإضمار: اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملته، حيث بادر إلى التسليم والإخلاص حين ألهمه ربه النظر في دلائله المؤدية إلى المعرفة والإسلام.

[١٣٢] - ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾: بالملّة، أو: كلمة «أسلمت»، والتوصية: التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح، وأصلها: الوصل، كأن الموصي يصل أمره بالوصي. وقرأ «نافع» و«ابن عامر»: «وأوصى». ^(٢) ﴿إِذْ يَرْاهُمْ بَيْنَهُ﴾ الأربعة: اسماعيل وإسحاق، ومدين، ومدان، وقيل: أكثر ^(٣) ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ أي: ووصى بها «يعقوب» بنو الإثني عشر: ﴿يَا أَيَّتُهَا﴾ بتقدير: القول، أو: متعلق بـ «وصى» لأنه بمعناه ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ﴾: الإسلام - الذي هو صفوة الأديان - ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ نهى عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا.

والتعبير بالنهي عن الموت على تلك الحالة للتنبيه على أن موتهم لا على الإسلام، موت لا خير فيه، وأن من حقّه أن لا يحلّ بهم.

[١٣٣] - ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ «أم» منقولة، والهمزة المقدرة للإنكار، أي: ما كنتم حاضرين ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ بدل من «إذ حضر» رد على اليهود

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٢١٤.

(٢) حجة القراءات: ١١٥.

(٣) تفسير البضاوي ١: ١٩٠.

حين قالوا: إن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية أو: خطاب للمؤمنين، أي: ما شهدتم ذلك وإنما علمتموه من الوحي ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ أي شيء تعبدونه؟ و«ما» عام في كل شيء ما لم يُعْلَم، فإذا عُلِمَ وسئل عن تعيينه خُصَّ العقلاء [بـ«مَنْ»]،^(١) وإن سئل عن وصفه قيل: ما زيد أكايب أم شاعر؟ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ عطف بيان لـ«آبائك». وعد «إسماعيل» منهم لأنَّ العم يسمى أباً، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم في العباس: «رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي»^(٢) ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ بدل من «إله آباءك» للتصريح بالتوحيد، ورفع توهم ينشأ من تكرير المضاف، أو نصب على الاختصاص ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ حال من فاعل «نعبد» أو مفعوله أو: منهما، أو: اعتراض.

[١٣٤] - ﴿تِلْكَ﴾ أي: إبراهيم ويعقوب وبنوهما ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ لكل جزاء عمله، لا ينتفع أحد بكسب غيره ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لا تؤاخذون بمعاصيهم، كما لا تتأبون بطاعاتهم.

[١٣٥] - ﴿وَقَالُوا﴾ أي: أهل الكتاب ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ أي: قالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النصارى: كونوا نصارى ﴿تَهْتَدُوا﴾ جواب «كونوا». ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: بل تتبع ملة إبراهيم، أو نكون أهل ملته ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الباطل إلى الحق، حال من المضاف إليه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بأهل الكتاب وغيرهم؛ إذ ادَّعوا اتباعه وهم مشركون.

[١٣٦] - ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ خطاب للمؤمنين ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ صحف إبراهيم فإنها منزلة إليهم؛ لأنهم متعبدون بما فيها - كما أنَّ القرآن منزل إلينا.

(١) ما بين المعقوفين ليس في «الف» و«ب»، و«د».

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢١٤ وتفسير الكشاف ١: ٣١٤.

والأسباط؛ حفدة «يعقوب» ذراري بنيه الإثنى عشر ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾ :
 التوراة والإنجيل . وخصاً بالذكر لأنه إحتجاج على أهل الكتابين ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾
 المذكورون وغيرهم ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ منزلاً منه ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ لا نؤمن ببعض
 ونكفر ببعض كاليهود والنصارى ، وأضيف «بين» إلى «أحد» لعمومه في سياق النفي
 ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾ : لله تعالى ﴿مُسْلِمُونَ﴾ : منقادون مخلصون .

[١٣٧] - ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ تبييت لهم ؛ إذ لا مثل لما
 آمن به المسلمون ، ولا دين كالإسلام . أو «الباء» للإستعانة لا صلة . أي : إن دخلوا
 في الإيمان بشهادة مثل شهادتك التي آمتم بها . ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ : أعرضوا عن الإيمان
 ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ : مخالفة للحق ، فهم في شئ غير شقّه ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾
 وعد له صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر عليهم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لدعائك ﴿الْعَلِيمُ﴾
 بنيتك ، وهو مستجيب لك ، من تمام الوعد ، أو : وعيد للمعرضين ، أي : يسمع
 أقوالهم ويعلم أعمالهم ، وهو معاقبهم .

[١٣٨] - ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكّد لـ «آمنا» أي : صبغنا الله صبغة - وهي : الفطرة
 التي فطر الناس عليها - ، أو : هدايا دينه ، أو : طهرنا بالإيمان تطهيره .

سمّاها صبغة للمشاكله ، فإنّ النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر
 يسمونه المعمودية ، يجعلون ذلك تطهيراً لهم ومحققاً لنصرانيتهم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ
 اللَّهِ صِبْغَةً﴾ لا صبغة أحسن من صبغته ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ عطف على «آمنا» .

[١٣٩] - ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا﴾ : تجادلوننا ﴿فِي اللَّهِ﴾ في أمره واصطفائه النبي
 من العرب دونكم ؟ .

قال أهل الكتاب : «كلّ الأنبياء منّا ، فلو كنت نبياً لكنت منّا» فنزلت . ﴿وَهُوَ
 رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ الكلّ عباده «يصيب برحمته من يشاء»^(١) ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ

(١) اقتباس من قوله تعالى : «نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين» (يوسف : ٨٢ / ٥٦) .

أَعْمَالُكُمْ فَإِنَّ الْعَبْرَةَ بِالْعَمَلِ ، فَمَا أَنَّ لَكُمْ أَعْمَالًا يَعْتَبِرُهَا اللَّهُ فِي مَنَحِ الْكَرَامَةِ وَمَنْعِهَا ، فَتَحْنُ كَذَلِكَ ﴿وَنَخُنْ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ مَوْحِدُونَ دُونَكُمْ .

[١٤٠] - ﴿أَمْ يَقُولُونَ ^(١) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ «أم» منقطعة ، و«الهمزة» للإنكار ، وقرأ «ابن عامر» «والكسائي» : بالتاء ، ^(٢) فجاز كونها عديلة همزة «أتحاجوننا» ، ^(٣) أي : أي الأمرين تأتون ، المحاجة أم إدعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء؟ ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾ وقد قال : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ ^(٤) وقال : ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا بَعْدِهِ﴾ ^(٥) والمعطوفون عليه أتباعه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ أي : لا أحد أظلم من أهل الكتاب : إذ ؛ كنتموا شهادة الله لإبراهيم بالحنيئية ، ونفي مليتهم عنه .

أو : منا - لو كنتمنا هذه الشهادة . وفيه تعريض بكنتمهم شهادة الله لمحمد بالرسالة في كتبهم . و«من» ابتدائية ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد لهم .
[١٤١] - ﴿بَلْ أَنْتُمْ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنْشِئُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كَرَّرَ ^(٦) تأكيداً للزجر عن الإتكال على فضل الآباء ، أو : أريد «بالأمة» - هناك - : الأنبياء و - هنا - : أسلاف أهل الكتاب .

[١٤٢] - ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ : الخفاف الأحلام ، المنكرين تغيير القبلة - من اليهود أو المنافقين أو المشركين - . قَدَّمَ الإخبار به توطئاً للنفس وإعداداً للرد :

(١) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر - كما في حجة القراءات : ١١٥ - والمثبت في المصحف الشريف بقراءة حفص : «أم تقولون» - بالتاء .

(٢) هذا ما ذكره البضاوي في تفسيره ١ : ١٩٤ ، ينظر حجة القراءات : ١١٥ .

(٣) في الآية السابقة من هذه السورة .

(٤) سورة آل عمران ٣ / ٦٦ .

(٥) سورة آل عمران ٣ / ٦٥ .

(٦) في الآية ١٣٤ من هذه السورة .

﴿مَا وَلَا هُمْ﴾: صرفهم ﴿عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ أي: بيت المقدس ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: الأرض - كلها - ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو ما توجه به الحكمة والمصلحة من توجيههم نارة إلى بيت المقدس، وأخرى إلى الكعبة.

[١٤٣] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلناكم مهتدين ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ هدولاً أو خياراً. قال الباقر عليه السلام: «نحن الأمة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه، وحجته في أرضه»^(١).

وعن علي عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِيمَانًا عَنْ يَقُولِهِ: ...^(٢) ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ بأعمالهم المخالفة للحق في الدنيا وفي الآخرة، أو: حجة عليهم تبيين لهم الحق، أو تشهدون للأنبياء على أممهم المنكرين لتبليغهم ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ بما عملتم، أو: حجة يبين لكم. أو: يشهد بعد التكم. وعذبت شهادته لهم بـ«على» لأنه كالرقيب عليهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي﴾ ثاني مفعولي «جعلنا» أي: الجهة التي ﴿كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ وهي بيت المقدس.

يعنى: إِنَّ أَصْلَ أَمْرِكَ أَنْ تَسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ، وما جعلنا قبلك بيت المقدس، ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ نمتحن الناس فنميز ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ في الصلاة إليه ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ يرتدّ آلفاً لقبلة آبائه، أو ليتعلق علمنا به موجوداً أو ليعلم أولياؤه الرسول والمؤمنون وقيل: المراد: الكعبة؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي بمكة إليها،^(٣) ثم أمر بالصلاة إلى بيت المقدس ثم رُدَّ إليها بعد الهجرة.

والمعنى ما رددناك إلى ما كنت عليها إلا لنعلم الثابت على دينك ممن يرتدّ

(١) تفسير العياشي ١: ٦٢ الحديث ١١٠.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢٢٤.

(٣) تفسير الكشاف ١: ٢١٨.

لقلقه^(١) ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ التحويلة أو القبلية - وإن - مخففة من الثقيلة - ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ ثقيلة، واللام فارقة^(٢) ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ بلطفه الى وجه الحكمة الثابتن على إتباع الرسول ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ ثباتكم على الإيمان، أو: إيمانكم بالقبلة المنسوخة، أو: صلاتكم اليها.

قيل: لما حوّلت القبلة قالوا: كيف بأعمالنا التي قبل التحويل، أو كيف بمن مات قبل ذلك من إخواننا، فنزلت^(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَءَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ لا يضيع أجورهم، ولا يترك مصالحهم.

والرأفة أشد الرحمة ومدّ «ابن كثير» و«نافع» و«ابن عامر» و«حفص»: لرءوف، وقصره الباقون.^(٤)

[١٤٤] - ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ تردده ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ في جهتيها تقريباً للوحي.

كان صلى الله عليه وآله وسلم يتوقع أن يحولته ربه الى الكعبة لأنها قبله أبيه ابراهيم، وأدعى للعرب الى أتباعه، ولمخالفة اليهود ﴿فَلَنُؤَلِّقَنَّ قَيْلًا﴾ أي نمكك منها، أو نجعلك نلي سمتها ﴿تَرْضَاهَا﴾ تحبها لأغراض صحيحة وافقت حكمة الله تعالى ﴿قَوْلٌ وَجْهِكَ﴾ اجعل توليته ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ﴾ نحوه ﴿الْحَرَامِ﴾: المحرّم فيه القتال والممنوع عن تعرّض الظلمة. والتعبير بـ«الشّطر»، و«المسجد» دون «البيت» يفيد: أن البعيد يكفيه مراعاة الجهة لا البيت - كما هو للقريب -.

روي: أنه صلى الله عليه وآله صلى لبيت المقدس ثلاثة عشر شهراً، ستة بمكة وسبعة بالمدينة، فقالت اليهود: تبع قبلتنا فاغتم وانتظر الوحي، فأتاه جبرئيل وقد صلى من

(١) القلق: المضطرب والمزعج والغير المستقر على الرأي.

(٢) أي: اللام هي لام الابتداء تدخل على خبر «إن» المخففة فتفيد الفرق بينهما لأن الثانية.

(٣) تفسير البيان ٢: ١١ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٢٥.

(٤) حجة القراءات: ١١٦.

الظَّهْر رَكَعَتَيْنِ فِي مَسْجِدٍ «بَنِي سَلَمَةَ» فَأَخَذَ بَعْضُيْهِ وَحَوَّلَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ
الْآيَةَ، وَتَحَوَّلَ الرِّجَالُ مَكَانَ النِّسَاءِ وَبِالْعَكْسِ، فَأَتَمَّ الصَّلَاةَ فَسَمِيَ «مَسْجِدَ
الْقِبْلَتَيْنِ»^(١) ﴿وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ﴾ فِي أَيِّ مَكَانٍ كُنْتُمْ ﴿فَقُولُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ خَصَّ الرِّسُولَ
بِالْخُطَابِ ثُمَّ عَمَّمْ تَصْرِيحاً بِعُمُومِ الْحُكْمِ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أَنْ
التَّحْوِيلَ إِلَى الْكَعْبَةِ ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ إِذْ فِي كِتَابِهِمْ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَصَلِّي إِلَى
الْقِبْلَتَيْنِ ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وَعَدَّ وَوَعِدَ لِلْحَزْبَيْنِ. وَقَرَأَ «ابْنُ عَامِرٍ» وَ«حُمْرَةُ»
وَالْكَسَائِيُّ «بِالنَّاءِ»^(٢)

[١٤٥]- ﴿وَلَيْسَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾: حُجَّةٌ عَلَى أَحَقِّيَّةِ قِبْلَتِكَ.
وَالْإِلَامُ «مَوْطِئَةٌ لِلْقِسْمِ، وَجَوَابُهُ: ﴿مَا تَعْمَلُوا قِبْلَتَكَ﴾ وَسَدُّ جَوَابِ الشَّرْطِ، أَيِ:
لَمْ يَتْرَكُوا ابْتِغَاءَكَ لَشِبْهَةِ تَدْفَعُهَا بِالْحُجَّةِ، وَأَتَمَّا تَرْكُوهُ عِنَاداً ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾
حَسْمٌ^(٣) لَطَمَهُمْ إِذْ قَالُوا: لَوْ ثَبَّتْ عَلَى دِينِنَا رَجَوْنَا أَنْ تَكُونَ صَاحِبِنَا الَّذِي نَنْتَظِرُهُ؛
طَمَعاً فِي رَجُوعِهِ ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ فَإِنَّ الْيَهُودَ تَسْتَقْبِلُ الصَّخْرَةَ،
وَالنَّصَارَى: الْمَشْرِقَ، وَكُلٌّ ثَابِتٌ عَلَى قِبْلَتِهِ لَا يُرْجَى تَوَافُقُهُمْ كَمَا لَا يُرْجَى مُوَافَقَتُهُمْ
لَكَ ﴿وَلَيْسَ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فَرَضاً ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ﴾ بِالْوَحْيِ ﴿مِنْ الْعِلْمِ﴾: بَيَانُ
الْحَقِّ ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِيتَ الظَّالِمِينَ﴾ أَكَّدَ الْوَعِيدَ لَهُ لُطْفاً لِلتَّامِعِينَ، وَتَحْذِيرًا عَنْ اتِّبَاعِ
الْهَوَى، وَتَحْرِيفاً عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ.

[١٤٦]- ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أَيِ: عُلَمَاءَهُمْ ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أَيِ: مُحَمَّدًا صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِأَوْصَافِهِ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ لَا يَشْتَبِهُونَ عَلَيْهِمْ بَغِيرَهُمْ. أَوْ الضَّمِيرُ
لِلْعِلْمِ، أَوْ الْقُرْآنِ، أَوْ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ ﴿وَإِنَّ قَرِيباً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

(١) انظر خلاصة الوفا بأخبار دارالمصطفى: ٣٩٢.

(٢) حجة القراءات: ١١٦.

(٣) حسم الشيء: قطعه.

هم من لم يؤمنوا.

[١٤٧] - ﴿الْحَقُّ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ و«السلام» للعهد: إشارة الى ما عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أو: الحق الذي يكتُمونه، أو: للجنس: أي: الحق ما كان من ربك - كالذي أنت عليه -، لا ما ليس منه - كالذي عليه أهل الكتاب -، أو: «الحق» خبر لمحذوف، أي: هو الحق، والظرف حال أو خبر ثان ﴿فَلَا تُكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمَرِينَ﴾: الشاكين في أنه من ربك، أو: في كتمانهم، والمراد: تحقق الأمر بحيث لا يشك فيه، أو: أمر الأمة بالنظر المزيل للشك، لانهيه صلى الله عليه وآله وسلم عنه؛ لاستحالة منه.

[١٤٨] - ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ﴾ لكل أهل ملة قبله، أو: لكل قوم من المسلمين جهة من الكعبة. والتوين للعوض ﴿هُوَ مُوَلِّيَهَا﴾ وجهه، أو: الله - تعالى - موليها إياه وقرأ ابن عامر: «مُولَاهَا»^(١) أي: مولى تلك الجهة ﴿فَاسْتَقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ اسبقوا إليها غيركم، من أمر القبلة وغيرها ﴿أَيْنَمَا﴾ في أي موضع ﴿تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ﴾ الى المحشر ﴿جَمِيعًا﴾ من موافق ومخالف، مجتمع الأجزاء ومتفرقها.

وعن أهل البيت عليهم السلام: المراد بهم أصحاب «المهدي» عليه السلام^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه جمعكم.

[١٤٩] - ﴿وَمِنْ حَيْثُ﴾ من أي بلد ﴿خَرَجْتَ﴾ للفسر ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ في الصلاة ﴿وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وقرأ «ابوعمر»^(٣): «بالياء».

[١٥٠] - ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ

(١) حجة القراءات: ١١٧.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢٣١.

(٣) حجة القراءات: ١٧٧.

قَوْلُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴿ كَرَّرَ تَأْكِيداً لأمر القبلة ، وثبتيّاً للقلوب عن فتنة السَّخِجِ ﴿لَقَدْ لَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ عِلَّةٌ لـ «وَلَوْ» أَي : توليتكم عن الصخرة إلى الكعبة تردّ احتجاج اليهود : بأنّ المنعوت في التوراة قبلته الكعبة ، والمشرّكين : بأنّه يخالف قبله «إبراهيم» ويدّعي ملته ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ استثناء من النَّاسِ ، أَي : لئلا يكون حجة لأحد من النَّاسِ إِلَّا المعاندين من اليهود القائلين : ما تحوّل إلى الكعبة إِلَّا ميلاً إلى دين قومه ، وجهه لبلده .

وسمّي «حُجَّةً» لسوقهم إِيَّاهُ مساقها ، أو : من العرب القائلين : رجع إلى قبله آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم ، أو : الاستثناء للمبالغة في نفى الحجة إذ لا حجة للظالم ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ فلا تخافوا ضرر مطاعنهم ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ فلا تخالفوا أمري ﴿وَلَا تَمْنَعْنِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ عطف على «لئلا» ، أو عِلَّةٌ محذوف ، أَي : وأمرتكم لاتمامي النعمة عليكم وإرادتي اهتداءكم .

[١٥١] - ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ﴾ متصل بسابقه ، أَي : ولأنتم نعمتي عليكم بالقبلة ، أو : الثواب كما أنتمنها بإرسال رسول منكم ، أو : بلاحقه ، أَي : كما ذكرتم بإرساله فاذكروني ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يعرفكم ما تكونون به أزياء ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ مما لا سبيل إلى علمه إِلَّا بالوحي .

[١٥٢] - ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بطاعتي . وفتح «ابن كثير» الياء ^(١) ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ برحمتي ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ نعمتي ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بجحدها .

[١٥٣] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ على الجهاد أو الطّاعَاتِ ﴿بِالصَّبْرِ﴾ عن الشّوَاتِ ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ الدّاعية إلى الحسنات ، والنّاهية عن السيّئات ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصّابِرِينَ﴾ بالنصر والتوفيق .

[١٥٤] - ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ أي: هم أموات ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ بل هم أحياء ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ كيف حياتهم.

قيل: الشهداء أحياء عند الله يعرض أرواحهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والقرح، كما تعرض النار على أرواح آل فرعون^(١) فيصل إليهم الوجع^(٢).
وعن الصادق عليه السلام: «إن أرواح المؤمنين في الجنة على صور أبدانهم، فلو رأيته لقلت فلان»^(٣).

وعنه عليه السلام: «أنها تصير في مثل قوايلهم ويعرفون القادم عليهم بصورته»^(٤)
وعلى هذا فتخصيص الشهداء لمزيد قربهم من الله تعالى. ونزلت في شهداء بدر^(٥) وكانوا أربعة عشر.

[١٥٥] - ﴿وَلَبَلُّوْكُمْ﴾ نصيبكم إصابة المختبر لكم، أنصبرون على البلاء أم لا ﴿بِشَيْءٍ﴾ بقليل ﴿مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ قلل بالنسبة إلى ما فوقه ليخفف عليهم ويريمهم أن رحمة لا تزالهم، وأخبروا به قبل كونه ليوطئوا عليه أنفسهم ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ عطف على «شيء» أو «الخوف».

وقيل: الخوف: خوف الله، والجوع: الصوم، والنقص من المال: الزكاة.
ومن الأنفس: الأمراض، ومن الثمرات: موت الأولاد، لأنهم ثمرة القلب^(٥) ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ خطاب للرسول ومن تتأتى منه البشارة.

[١٥٦] - ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ إقرار بالملك ورضى

(١) يراجع الآية ٤٦ من سورة الغافر.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢٣٦ وتفسير الكشاف ١: ٣٢٢.

(٣) نقله العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان ١: ٣٦٤ عن المحاسن.

(٤) نفس المصدر ١: ٣٦٤ عن الكافي.

(٥) تفسير الكشاف ١: ٣٢٢. وفي «الف» و«ب»: الزكوات بدل «الزكاة».

بالقضاء ﴿وَإِنَّا إِلَهُهُ رَاجِعُونَ﴾ إقرار بالهلك، والبعث للجزاء .

[١٥٧] - ﴿وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ تزيه وغفران منه . وجمعت إيداناً

بكثرة أنواعها، ويفيد: أن الصلاة ليست من خصائص النبي فيجوز أن يصلى على غيره بانفراده، فعلى آله بطريق أولى ﴿وَرَحْمَةً﴾ وإحسان .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته، وأحسن

عقباه، وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه» ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ للحق في الاسترجاع والتسليم .

[١٥٨] - ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ جبلان بـ«مكة» ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: من أعلام

معتقداته . جمع: شعيرة، أي: علامة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ الحج - لغة -:

القصد، والإعتماد: الزيارة، و - شرعاً -: قصد البيت، وزيارته على الوجهين المخصوصين ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: فلا حرج ﴿عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ يسعى بينهما، وأصله: «يطوف» فادغم . كان عليهما صنمان يمسحهما أهل الجاهلية إذا سعوا، فلما كسيرا تخرج المسلمون من السعي لذلك، فنزلت ^(١).

وهو واجب في الحج والعمرة بالنسبة وإجماع الطائفة، ولا ينافية نفى الجناح،

والمخالفون بين موجب له ومستحب ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ تبرع به زيادة على الواجب

من حج أو: عمرة، أو: غيره، أو: الأعم، أو: من فعل طاعة من فرض أو نفل . وقرا

«حمزة» والكسائي: «يَطُوعُ» ^(٢) وأصله «يتطوع» فادغم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ مجاز على

ذلك ﴿عَلِيمٌ﴾ به .

[١٥٩] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ من أهل الكتاب - أو: الأعم - ﴿مَا أَنْزَلْنَا مِنْ

الْبَيِّنَاتِ﴾: الدلائل على أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم - أو الأعم - ﴿وَالْهَدَى﴾ ما

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٢٤٠، وتفسير الكشاف ١: ٢٢٣.

(٢) حجة القراءات . ١١٨.

يَهْدِي إِلَىٰ رُحُوبِ اتِّبَاعِهِ ، أَوْ إِلَى الْحَقِّ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ : التَّوْرَةُ
أَوْ : الْإِنْجِيلُ أَوْ : الْأَعْم . وَ«الْإِلَهَ» لِلْجِنْسِ ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ يَبْعُدُهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ
﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ مَنْ يَتَأْتَى مِنْهُمْ اللَّعْنُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالثَّقَلَيْنِ يَدْعُونَ عَلَيْهِمْ بِهِ .

[١٦٠] - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ عَنْ الْكُتْمَانِ وَسَائِرِ الْمَعَاصِي ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ مَا
أَفْسَدُوا ، أَوْ : نِيَاتِهِمْ ﴿وَيَسْتَوُوا﴾ مَا كُتِمُوا ، أَوْ التَّوْبَةُ ؛ لِيَعْرِفُوا بِضَدِّ مَا عَرَفُوا بِهِ ﴿قَالُوا لَكَ
أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ بِالْقَبُولِ ﴿وَأَنَا التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ : الْبَالِغُ فِي الْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ الْغَايَةِ .

[١٦١] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنَ الْكَاتِمِينَ وَغَيْرِهِمْ ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أَيْ لَمْ يَتُوبُوا
﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(١) قِيلَ : الْأَوَّلُ لَعْنُهُمْ أَحْيَاءً ،
وَهَذَا لَعْنُهُمْ أَمْوَاتًا .^(٢)

[١٦٢] - ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ : فِي اللَّعْنَةِ ، أَوْ : النَّارِ - وَأُضْمِرَتْ تَهْوِيلًا ، أَوْ لِدَلَالَةِ
اللَّعْنِ عَلَيْهَا - ﴿لَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ نَظَرَةٌ رَحْمَةٌ ، أَوْ : لَا
يَمُهِلُونَ لِيَعْتَذَرُوا .

[١٦٣] - ﴿وَالْهُكْمُ﴾ الْمُسْتَحَقُّ مِنْكُمْ لِلْعِبَادَةِ ﴿إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي
الْإِلَهِيَّةِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ تَقْرِيرٌ لِلْوَحْدَانِيَّةِ بِنَفْيِ غَيْرِهِ وَإِثْبَاتِهِ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الْمَوْلِيُّ
لِجَمِيعِ النَّعَمِ أَصُولُهَا وَفُرُوعُهَا ، وَمَا سِوَاهَا إِمَّا نِعَمٌ أَوْ مَنَعٌ عَلَيْهِ ، فَلَا مُسْتَحَقَّ
لِلْعِبَادَةِ غَيْرِهِ . قِيلَ : فَلَمَّا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ قَالُوا : إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأْتِ بِآيَةٍ
تَصَدِّقُكَ ، فَتُرِلَتْ .^(٣)

[١٦٤] - ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ إِعْتِقَابُهُمَا^(٤)

(١) وَهُوَ لَعْنُهُمْ فِي آيَةِ ١٦٠ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ .

(٢) ذَكَرَهُ الْبَيْضاوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ١ : ٢٠٣ .

(٣) تَفْسِيرُ الْكَشَافِ ١ : ٣٢٥ .

(٤) فِي «ط» تَعَاقِبُهُمَا .

كل بخلف الآخر ﴿وَالْفُلُكِ﴾ استفن ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾
 ينفعهم، أو: بالذي ينفعهم، والاستدلال بأحوالها، وبالبحر وعجائبه ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 مِنَ السَّمَاءِ﴾: من السحاب، أو: ما فوقه، و«من» للإبتداء ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ بيان لـ «ما»
 ﴿فَأَخْيَاهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالنبات ﴿وَبَثَّ﴾: فرق ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ عطف
 على «أنزل» أي: وما بث.

أو: على «أحيا» أي: وبث بالمطر من الدواب، لأنهم يعمون بالخصب.
 و«من» للبيان، أو للتبعض. ﴿وَتَضْرِبُ الرِّيَّاحُ﴾: تقلبها في مهابتها وأحوالها.
 وأفردا «حمزة» و«الكسائي». ^(١) ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ للرياح تقلبه ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ﴾ بمشيئة الله تعالى ﴿لَايَاتٍ﴾ دلائل على وجود الإله، ووحدته، وعلمه،
 وقدرته، ولطفه، وحكمته، وسعة رحمته من وجوه شتى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: ينظرون
 فيها بعيون عقولهم.

[١٦٥]- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً﴾ من الأصنام أو الرؤساء الذين
 يتبعونهم ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ يعظمونهم ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ كتعظيمه، أي يسوون بينه وبينهم في
 محبتهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ لأنهم لا يعدلون عنه الى غيره، والمشركون
 يعدلون عن أندادهم الى الله تعالى عند الشدائد، وعن صنم الى آخر ﴿وَلَوْ يَرَى﴾:
 يعلم ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالشرك ﴿إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ﴾: حين يبصرونه في القيامة ﴿أَنَّ
 الْقُوَّةَ﴾: القدرة ﴿لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ مغني عن مفعولي «يرى»، وجواب «لو» محذوف أي
 ندموا أي ندم. وقرأ «ابن عامر» و«نافع»: «ولو ترى» - ^(٢) على الخطاب للرسول -،
 أي: ولو ترى ذلك لرأيت امراً عظيماً، و«ابن عامر»: «إِذْ يُرْزَنُ» ^(٣) مبنياً
 للمفعول، و«يعقوب»: «إِنَّ» - بالكسر -، وكذا: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾

(١) حجة القراءات: ١١٨.

(٢) حجة القراءات: ١١٩.

(٣) حجة القراءات: ١٢٠.

- على الاستئناف - (١).

[١٦٦] - ﴿إِذْ تَبَرَأَ﴾ أي إذ تبرأ المتبرِّون، بدل من «إذ يرون» ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ الرؤساء ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ من الاتباع ﴿وَوَرَأُوا الْعَذَابَ﴾ حال باضمار «قد» ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ الوصل التي كانت بينهم من مودة، أو: قرابة، أو: إتباع، أو: عهد، وهو عطف على «تبرأ».

[١٦٧] - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: الاتباع ﴿لَوْ أَن لَنَا كَرَّةٌ﴾ ليت لنا عودة الى الدنيا ﴿فَتَبَرَّأْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ﴾ الإراء الفطيع ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ ندامات، مفعول ثالث لـ «يرى» ﴿وَمَا لَهُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ عدل عن «وما يخرجون» إليه؛ مبالغة في الخلود وإقناطاً من الكرة.

[١٦٨] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ بعضه. نزلت في قوم حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام ﴿حَلَالًا﴾: مباحاً، مفعول «كلوا» أو: صفة مصدر محذوف، أو: حال من «ما» ﴿طَيِّبًا﴾: مستلذذاً، أو: طاهراً من الشبهة ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: لا تقتدوا به، فتحرّموا حلالاً، وتحلّلوا حراماً. وسكن «الطاء» «نافع» و«ابوعمر» و«حمزة» (٢).

والخطوة: ما بين قدمي الماشي ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهر العداوة، لانه أظهرها بدعائه لكم الى المعاصي.

[١٦٩] - ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ بيان لعداوته، وتحريم اتّباعه. وأمره: تزيينه ودعاؤه لهم الى الشرّ، والسوء: القبيح، أو: ما لا حدّ فيه، والفحشاء: ما تجاوز الحدّ في القبح، أو: ما فيه حد (٣) ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ كإدعاء

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٨.

(٢) حجة القراءات: ١٢٠.

(٣) أي من الحدود الشرعية، كالجلد والزّجم.

الأنداد والأولاد له، وتحريم حلاله، وبالعكس، والافتراء عليه، ومنه: الفتوى والقضاء بغير دليل.

[١٧٠] - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ الضمير للناس، وعدل عنهم للخطاب لبيان ضلالهم بالالتفات، كأنه قيل للعقلاء: انظروا إلى هؤلاء الحمقاء ماذا يقولون ﴿قَالُوا بَلْ نَنْبُعُ مِمَّا أَلْفَيْنَا﴾: وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا﴾ نزلت في المشركين، أو: اليهود ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَغْفِلُونَ شَيْئًا﴾ من الذين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ للحق وفيه ذم التقليد للقادر على النظر.

[١٧١] - ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ﴾ فيه حذف مضاف، أي: مثل داعي الذين كفروا كمثل الناعق، أو: مثل الذين كفروا كبهائم الناعق، والمعنى: مثل داعيهم إلى الإيمان في عدم تأملهم فيما يتلى عليهم كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلا تصويته، ولا تفهم معناه ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ﴾ خبر محذوف، وفيه ذم ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ لتركهم النظر.

[١٧٢] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ من مستلذاته أو حلاله. والإضافة بيانية؛ إذ لا يكون الرزق إلا الحلال، فيفيد المنع من أكل الحرام كالضار والنجس وكل خبيث ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ الذي رزقكموها ﴿إِنْ كُنتُمْ إِِيَاءَهُ تَعْبُدُونَ﴾: تخصونه بالعبادة، وتقرون أنه المنعم، فإن العبادة لا تتم إلا بالشكر.

[١٧٣] - ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ أكلها، أو: الإنتفاع بها. وهي: ما مات بغير تذكية شرعاً - ولو بإخراج المسلم السمك من الماء حياً، وأخذة الجراد حياً - ﴿وَالذَّمَّ﴾ مطلقاً إلا ما خرج بدليل - كالمختلف في الذبيحة - ولا يقيد بالمسفوح لآية: ﴿أَوْ ذِمًّا مِّنْهُنَّ﴾^(١) لعدم المنافاة؛ إذ لا حجية لمفهوم الوصف ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ خص لحمه - وجعلته حرام - لأنه المعظم ﴿وَمَا أَهْلٌ بِهِ لَبِئْسَ اللَّهُ﴾ أي: رُفِعَ

به الصَّوت للضَّم عند ذبحه، أو: ما لم يُسَمَّ الله عليه - سَمِيَ غيره أم لا - ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ إلى أكل هذه. وكسر النون «عاصم» و«ابو عمرو» و«حمزة» وضمَّها الباقون^(١) ﴿غَيْرِ تَاغٍ﴾ اللَّذَة، أو: على الإمام ﴿وَلَا عَادٍ﴾ حَدَّ الضَّرورة، أو بقطع الطريق ﴿فَلَا إِنْكُمْ﴾ لا حرج ﴿عَلَيْهِ﴾ في أكله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمعاصي، فكيف رخصه؟^(٢) ﴿رَحِيمٌ﴾ بالتوسعة على عباده. والحصص بالاضافة الى ما حرَّموه على أنفسهم، أو حين نزول الآية، فلا ينافيه تحريم أمور آخر بعدها.

[١٧٤] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ - من اليهود - ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾: التوراة في نعت محمد صلَّى الله عليه وآله وسلم ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ نَمَنًا﴾: عوضاً ﴿قَلِيلًا﴾ من حطام الدنيا ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾: ملوَّها، يقال: أكل في بطنه، وفي بعض بطنه ﴿إِلَّا النَّارَ﴾ في الحال؛ لأنَّه يؤديهم اليها، فكانهم آكلوها، أو: المآل، أي: يأكلونها في جهنم ﴿وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بما يحبون ولكن بنحو: ﴿اخْسَأُوا فِيهَا﴾،^(٣) أو عيَّر به عن غضبه ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ بالثناء عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم.

[١٧٥] - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى﴾ الكفر بالإيمان ﴿وَالْعَذَابُ بِالْمُفْضِرَةِ﴾ إذ كتموا الحق للرشا ﴿فَمَا أَضْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ تعجيب من التباسهم بمرجبات النار من غير مبالاة.^(٤)

[١٧٦] - ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أنَّ ﴿اللَّهُ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ فكتموه وكذبوه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾: القرآن، فقالوا: سحر وتقول، وتعليم

(١) حجة القراءات: ١٢٢.

(٢) أي فكيف لا يكون غفوراً في مارتخص. ووردت الكلمة في «الف» هكذا: مرخصه.

(٣) سورة المؤمنون: ٣٣/ ١٠٨.

(٤) في النسخ: بلامبالاة.

بشر، وأساطير الأولين، أو: كتب الله فآمنوا ببعض، وكفروا ببعض، أو: التوراة والإنجيل. و«اختلفوا» بمعنى: تخلّفوا عن الحق في تأويلها ﴿لَقِيَ شِقَاقِي﴾ خلاف ﴿يَعْمِدُ﴾ عن الحق.

[١٧٧] - ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾^(١) وهو الفعل المرضي ﴿أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ الخطاب لأهل الكتاب؛ إذ أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حولت وزعم كل فريق أن البرّ التوجه إلى قبلته، فقبل لهم: ليس البرّ ما أنتم عليه، أو يعتمهم والمسلمين أي: ليس كل البرّ أمر القبلة. ونصب «حمزة» و«حفص»: «البرّ» خبراً.^(٢) ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ الذي يهتم به برّ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ أو لكنّ ذا البرّ من آمن ﴿بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ صدق بالمبدأ والمعاد ﴿وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ جنسه، أو القرآن. وخفف «نافع» و«ابن عامر»: «لكن»، ورفع: «البرّ»^(٣) ﴿وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ﴾ أعطاه ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ حال، أي مع حبّ المال كما روي:

«أنّ أفضل الصدقة أن تعطيه وأنت صحيح شحيح، تأمل العيش، وتخشى الفقر»^(٤) أو: حبّ الله، أو: الإتياء ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ للمعطي أو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو المروي عن الصادقين عليهما السلام^(٥) ﴿وَالْيَتَامَى﴾: المحاييج منهم ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾: من لم يجدوا نفقة السنة ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: المسافر المنقطع به، سمي: ابنه؛ للملازمة، وقيل: الضيف.^(٦) ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾: من ألجأهم الفقر إلى السؤال ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ في ابتياعها لعتقها، أو فكها بمعاونة المكاتبين ﴿وَأَقَامَ

(١) في المصحف الشريف بقراءة «حفص»: «البرّ» كما سيثير إليه المؤلف.

(٢) حجة القراءات: ١٢٣.

(٣) حجة القراءات: ١٢٣.

(٤) بحار الأنوار ٩٣: ١٧٨ و ١٨٢.

(٥) تفسير البرهان ١: ١٧٥ وكرر العرفان ١: ٢٢٠.

(٦) قاله ابن عباس وقتادة وابن جبير - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٦٢.

الصَّلَاةُ ﴿بِحُدُودِهَا﴾ ﴿وَعَنِ الرِّكْوَةِ﴾ المفروضة، فـ«أتى المال» يحتمل أن يراد به: المندوبة، ويؤيده تفسير: «ذوي القربى» بقرابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

أو: المفروضة، ويكون لبيان المصرف، وهذا للحث عليها ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِمَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ عطف على «من آمن» ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ نصب على المدح ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾: الفقر ﴿وَالضَّرَاءِ﴾: المرض ﴿وَجِينَ النَّاسِ﴾: وقت القتال ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ الله فيما قبلوا منه وعاهدوه ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ بفعلهم النار.

قال أصحابنا: المعنى بالآية «أمير المؤمنين عليه السلام»؛ إذ لم يجمع هذه الخصال غيره بالإجماع.^(١)

[١٧٨] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ﴾: فرض ﴿عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ﴾: التعويض ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ بأن يفعل بالقاتل عمداً ما فعل بالمقتول، أي: ليس له الإمتناع إذا اختار الولي ذلك، فلا ينافيه جواز أخذ الدية، والعفو بلا شيء.

روي أنه كان في الجاهلية بين حَتين دماء، وكان لأحدهما طول على الآخر، فأقسموا لقتلن الحر منكم بالعبد، والذكر بالأنثى، فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت، وأمرهم أن يتساووا أي يتكافؤوا^(٢) ﴿الْحَرُّ بِالْحَرِّ﴾ يقتض به ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ مفهومه: نفي قتل الحر بالعبد، وبالعكس، والذكر بالأنثى وبالعكس، ولا حجية لمفهوم الوصف، لكن ثبت بدليل آخر منع قتل الحر بالعبد.

ويعضده: سبب النزول وجواز قتل الذكر بالأنثى، مع أداء نصف ديته وكذا عكسه، وقتل العبد بالحر. وقد يفهمان من الآية أيضاً للأولوية. وقيل: نسخ مفهومها

(١) تفسير التبيان ٢: ٩٩ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٦٤.

(٢) رواه البيضاوي في تفسيره ١: ٢١٣ - ٢١٤.

بآية: ﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾^(١) فيقتل الحرّ بالعبد والذكر بالأنثى. ^(٢) وردّ بأنه حكاية ما في التّوراة، وبمنع عمومها، وبأولويّة التّخصيص. هذا على القول بمفهومها، وأمّا على قولنا من عدم اعتبار المفهوم فلا حاجة إلى النسخ ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾: ترك له ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ من دم أخيه المقتول ﴿شَيْءٌ﴾ وضميراً له «وَأَخِيهِ» له «مَنْ» وهو: القاتل، وقيل: أراد بالأخ وليّ الدم، ^(٣) سمّي أخاه ليعطف عليه بالعفو أو قبول الدية. واحتجّ الطبرسي بقوله: «شيء» على سقوط القود بعفو بعض الأولياء. ^(٤) ولا يعلم له موافق من الأصحاب، والمشهور بينهم خلافه، فجوزوا القود للبعض لكن يؤدي حصص الرّاضين بالدية إليهم، وبالعفو إلى الولي، والأخبار في ذلك مختلفة. وقيل المعنى: «فمن عفي له من جهة أخيه شيء من العفو» لأنّ عفا الشيء - بمعنى: تركه - لم يثبت، بل أعفاه، فيكون إشارة إلى أنّ بعض العفو كالعفو التام في إسقاط القود ^(٥) ﴿فَاتَّبَاعٌ﴾ فعلى العاصي إتباع ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: لا يشدد في الطلب ﴿وَأَدَاءٌ﴾ أي: على المعفو عنه أداء ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الولي ﴿بِإِحْسَانٍ﴾: الدّفع - مع القدرة - بلا مطل ﴿ذلك﴾ إشارة إلى جميع ما تقدّم ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ إذ خيركم بين القصاص والدية والعفو. وكان على اليهود: القصاص - فقط -، وعلى النصارى: العفو أو الدية ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ بِغَيْرِ ذَلِكَ﴾ قتل بعد قبول الدية، أو العفو - وهو المروي عن الصّادقين عليهما السّلام - ^(٦) وقيل: قتل غير قاتله ^(٧) ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة أو في الدّنيا بالقصاص.

(١) وهي الآية ٤٥ من سورة المائدة.

(٢) كنز العرفان ٢: ٣٥٥.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٢٦٥.

(٤) ذكر هذا البيضاوي في تفسيره ١: ٢١٤.

(٥) تفسير العياشي ٧٦: ١ الحديث ١٦٢ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٦٦.

(٦) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ١٥٨.

[١٧٩] - ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ إيجاز حوى الفصاحة والبلاغة بجعل القصاص وهو ضد الحياة ظرفها، وتعريفه وتنكيرها لإفادة أنَّ في هذا الجنس من الحكم حياة عظيمة، إذ العلم بالإقتصاص يردع القاتل عن القتل، فيكون سبب حياة نفسين؛ ولأنهم كانوا يقتلون غير القاتل، والجماعة بالواحد، فتثور الفتن بينهم، فإذا اقتص من القاتل يسلم الباقون فيصير ذلك سبباً لحياتهم ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾: ذوي العقول. نودوا للتفكر في حكمة القصاص من حفظ النفوس ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القتل خوفاً من القصاص.

[١٨٠] - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: ظهرت أسبابه وأماراته ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾: مالا كثيراً؛ لما روي عن عليّ عليه السلام: أنه دخل على مولى له، وله سبعمائة درهم أو ستمائة فقال: ألا أوصي؟، فقال: لا، إنما قال الله سبحانه: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ وليس لك كثير مال.^(١)

وقيل: مطلق المال،^(٢) وهو الموافق لعدم تقييد الأصحاب بالكثير، ويمكن الجمع: بالتفصيل بوجود الوارث المحتاج وعدمه. ﴿الْوَصِيَّةُ﴾ مرفوع بـ «كتب» وتذكيره بتأويل: «أن توصوا»، ولهذا ذكر الراجع في «بدله»، وللفضل ﴿لِلَّذِينَ وَالَاقْرَبِينَ﴾ قيل: كانت الوصية للوارث في بدء الإسلام واجبة، فنسخت بآية الموارث،^(٣) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، أَلَا لَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ».^(٤)

ورد بأن آية الموارث لا تنافيها بل تؤكدُها؛ لقوله: «من بعد وصية»، ولو سلم

(١) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ١٦٧.

(٢) قاله الزهري - كما في تفسير مجمع البيان ١: ١٦٧.

(٣) رواه العياشي في تفسيره ١: ٧٧ الحديث ١٦٧.

(٤) تفسير الكشاف ١: ٣٢٤.

فنسخ الوجوب لا يرفع الجواز، والخبر - لو سلم صحته - فأحاد لا ينسخ الكتاب، ويحمل على تجاوز الثلث، والآية وإن ظهرت في الوجوب لكنها حملت على النّدب - للإجماع على عدم الوجوب -، والحكم باق؛ لما مرّ وأصالة عدم النسخ والأخبار.

«سئل الباقر عليه السلام: هل تجوز الوصية للوارث؟ فقال: نعم، وتلا هذه الآية^(١)

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالعدل. فلا يتجاوز الثلث ولا يفضل الغني، ولا يضرّ بالوارث ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ مصدر مؤكد، أي: حقّ ذلك حقاً.

[١٨١] - ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾: غير ذلك الإيصاء ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ وتحققه ﴿فَإِنَّمَا

إِئْتَمَهُ﴾ فما إثم التبديل إلا ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ لأنهم الذين حافوا^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وعيد للمبدل.

[١٨٢] - ﴿فَمَنْ خَافَ﴾: توقع وعلم ﴿مِنْ مُوَسٍ﴾. وشدّده حمزة

و«الكسائي»^(٣) ﴿جَنَفًا﴾: ميلاً عن الحق في الوصية خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ تعمداً للحيف ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بالرد إلى الحق ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في تبديل الباطل إلى الحق بخلاف العكس ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِّلْمُذْنِبِ﴾ للمذنب ﴿رَجِيمٌ﴾ به، فكيف المصلح المستحق للأجر.

[١٨٣] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ﴾: فرض ﴿عَلَيْكُمْ الصَّيَامُ﴾ هو - لغة -:

الإمساك، و - شرعاً - : الإمساك المخصوص ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ مثل كتابته ﴿عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: الأنبياء والأمم من لدن «آدم».

وفيه ترغيب وتطبيب للنفسوس. والتشبيه في أصل الصوم، وقيل في العدد

(١) تفسير العياشي ١: ٢٦٦ الحديث ١٦٤.

(٢) حافوا، من الحيف وهو: الميل في الحكم والظلم والجور، وفي البيضاوي ١: ٢١٥ فما إثم الإيصاء المغير أو التبديل الأعلى مبدله لأنه هو الذي حاف وخالف الشرع.

(٣) في «الف» زيادة: «ويعقوب وابوبكر». ينظر حجة القراءات: ١٢٤.

والوقت،^(١) كما روي: أَنَّ رمضان كتب على النَّصارى فوق في حرّ أو برد شديد فحولوه الى الرَّبيع، وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله^(٢) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ به المعاصي فإنه يقمع الشهوة، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «خِصَاءُ أُمْتِي الصَّوْمِ».^(٣)

[١٨٤] - ﴿إِيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ محصورات، أو: قلائل. ونصبها بـ «الصَّيَامِ» وإن

وجد الفصل، إذ الظَّرْفُ تكفيه الرائحة،^(٤) وهي: رمضان.^(٥)

وقيل: عاشورا، وثلاثة أيام من كل شهر، ثم نسخ وجوبها به،^(٦) والأصح: الأول. لأصالة عدم النَّسخ فلا يثبت إلا بدليل، وليس^(٧) ﴿فَقَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾ بحيث يضرب الصوم ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾: راكب سفر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعلية صوم عدّة أيام المرض أو السفر ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ جمع أخرى، ولم ينصرف للوصف والعدل، وهو صريح في الوجوب، ودعوى: أنه رخصة، وإضمار: «فأفطر» خلاف الظاهر، ولا دليل عليه ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ قيل: كان القادرون على الصَّوم مخيرين بينه وبين الفدية ثم نسخ بقوله ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾^(٨) وقيل: غير منسوخ بل المراد به الحامل المقرب والمرضع القليلة اللَّبَن.

ومن كان يطيقه ثم أصابه كبر أو عطاش^(٩) فصار بحيث لا يطيقه إلا بمشقة،

(١) تفسير القرطبي ٢: ٢٧٤.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢٧١ وتفسير القرطبي ٢: ٢٧٤.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٢٧٢.

(٤) أي: رائحة الفعل كما هو مسطور في كتب النحو.

(٥) أي: الأيام المحدودات.

(٦) قاله قتادة - كما في تفسير مجمع البيان ١: ١٧٣ - ومثله في تفسير التبيان ٢: ١١٧ وكثر العرفان ٢٠١: ١ وتفسير الكشاف ١: ٣٢٤.

(٧) أي: لا يوجد الدليل على ثبوت النَّسخ.

(٨) الآية ١٨٥ من هذه السورة.

(٩) في «ط»: عطش وعليه فلا بد أن يكون العطش بحيث يصير المكلف به مشرفاً على الموت.

وهو المروي عن أهل البيت عليهم السلام ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ لكل يوم مد للفقار. وأضاف «نافع» وابن عامر «فدية» إلى طعام «وجمعا: «المساكين»، وأقرده الباقون، ولم يضيفوا فدية» (١) ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فزاد في الفدية، أو على الواحد ﴿فَهُوَ﴾ فالطوع أو: الخير ﴿خَيْرٌ لَهُ وَإِنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الفدية، والظاهر اشتراطه بعدم ضرر يوجب اضرار المطوعين (٢) ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما في الصوم من الفضيلة والمصالح، أي: لا اخترتموه، أو إن كنتم من أهل العلم والتمييز علمتم أنه خير لكم، فالجزء محذوف.

[١٨٥] - «شَهْرُ رَمَضَانَ» خبر لمحذوف، أي: الأيام المعدودات، أو: مبتدأ خبره «الذي»، أو هو صفته والخبر «فمن شهد»، و«رمضان» مصدر رمض أي: احترق، سمي به مضافاً إليه الشهر، ومفرداً - كما ورد: «من صام رمضان» - (٣) فالنهي عن إفراده للكرامة. (٤)

وتسمية الشهر به لوقوعه في رمض الهواء بالشمس، أي: حرارته، أو: لارتماضهم فيه من الجوع والعطش، أو: لارتماض الذنوب فيه. ومنع صرفه للعلمية والألف والتون. «الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» جملة إلى سماء الدنيا، ثم نجوماً إلى الأرض، أو: ابتدأ إنزاله فيه، أو: انزل في شأنه «هُدًى»: هادياً «لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ»: آيات واضحة «مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ»: مما يهدي إلى الحق ويفرق بينه وبين

(١) تفسير العياشي ١: ٧٨ الحديث ١٧٦ وكنز العرفان ١: ٢٠٣.

(٢) حجة القراءات: ١٢٤.

(٣) في «الف» و«ط»: المطوعين.

(٤) مستدرک الوسائل/ كتاب الصوم/ الباب الرابع من ابواب الصوم المندوب، الحديث ٧، وكذا في الباب ٢٦ الحديث: ٦.

(٥) ورد النهي عن افراده في الكافي ٤: ٦٩ - كتاب الصيام باب النهي عن قول: «رمضان» الحديث ١٥٣.

الباطل ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ حضر الشهر غير مسافر ولا مريض ﴿مِنْكُمْ الشَّهْرَ﴾ كلّه أو بعضه . ونصبه على الظرف كالضمير في ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ أي : فليصم فيه ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ كرّر تأكيداً لوجوب الإفطار والقضاء . ولا يفيد وجوب التتابع ، وقراءة «متابعة» شاذة لا عمل بها ، والظاهر الإستحباب ومستمر المرض إلى رمضان آخر يكفر عن كل يوم بمدّ ولا قضاء عليه — على الأظهر — .
 للأخبار الصحيحة فتخصص الآية . ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾ في جميع أموركم ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ فلذلك أمركم بالإفطار في السفر والمرض ولم يكلفكم الصوم ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ علة الأمر بمراعاة عدّة ما أفطر فيه . وشدّد «ابو بكر» : «تُكْمِلُوا» .^(١) ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ علة لتعليم كيفية القضاء ، أي : لتعظّموه بالثناء عليه على هدايتكم إلى العلم بكيفية العمل ، أو : على الذي هداكم اليه ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ علة اليسر وإسقاط الصوم ، ففيه لفّ ونشّر ، أو : الكلّ معطوف على علة مقدرة ، مثل : ليسهل عليكم وتكملوا .

[١٨٦] - ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ أي : فقل لهم : إني عليم بأحوالهم ، سمع لدعائهم كما يسمع القريب كلام مناجيه . مثل كمال علمه بهم بحال من قرب مكانه منهم .

روي أن أعرابياً قال للرسول صلى الله عليه وآله وسلم : أقرب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناديه ؟ فنزلت^(٢) ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ﴾ تقرير للقرب ، ووعده للدّاعي بالإجابة — عاجلاً أو آجلاً — بما سأل ، أو : بما هو خير منه بحسب المصلحة إذا وقع الدّعاء بشروطه . واثبت «ورش» و«أبو عمرو» «الياء» — فيهما — وصلاً^(٣) ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا

(١) حجة القراءات : ١٢٦ .

(٢) رواه الحسن — كما في تفسير التبيان ٢ : ١٢٩ وتفسير مجمع البيان ١ : ٢٧٨ .

(٣) حجة القراءات : ١٢٦ .

لي ﴿إِذَا دَعَوْتَهُمْ لِلْإِيمَانِ وَالطَّاعَاتِ كَمَا أُجِيبُهُمْ إِذَا دَعَوْنِي لِحَوَائِجِهِمْ﴾ ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾
امر بإحداث الإيمان والتّبات عليه، أو بالتّصديق بقدرته على الإجابة. وفتح «ورش»
«الباء»^(١) ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: راجين إصابه الحق.

[١٨٧] - ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ التي يصبح منها صائماً ﴿الرَّقِئْتُ﴾ أصله:
القول الفاحش، فكنتي به عن الجماع، لأنّه من لوازمه ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ عذّي به إلى
لتضمّنه معنى الإفضاء. وإيثاره هنا استهجناً لما ارتكبه كما سمّاه: خيانة.^(٢)

عن المصّادق عليه السلام: «كان الأكل محرّماً في شهر رمضان بالليل بعد النّوم وكان
النكاح حراماً بالليل والنّهار، وكان رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقال
له «مطعم بن جبير» نام قبل أن يفطر، وحضر «الخندق» فاغمي عليه وكان قوم من
السّباب ينكحون بالليل سرّاً، فنزلت^(٣) ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ استئناف
يبيّن سبب الإحلال وهو صعوبة الصّبر عنهنّ لشدة الملابس والمخالطة - التي هي
وجه تمثيل كلّ منهما باللباس لصاحبه.. وقيل: وجهه ستر كلّ حال صاحبه ومنعه
عن الفجور^(٤) ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ بالمعصية المؤدّية
إلى العقاب.

والاخذيان أبلغ من الخيانة - كال'كساب - من الكسب ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل
توبتكم عن ذنبيكم ﴿وَعَفَا﴾: محاه ﴿عَنْكُمْ﴾ فالآن بأشروهمنّ ﴿لما رفع التحريم عنكم .
والمباشرة: كناية عن الجماع ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ واطلبوا ما قدّره لكم من
الولد؛ إذ حكمة شرع النكاح: التّناسل لا مجرد قضاء الوطر.^(٥)

(١) حجة القراءات: ١٢٦.

(٢) في هذه الآية وسيذكره بعد سطور.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٢٨٠.

(٤) نقل هذا القول البيضاوي في تفسيره ١: ٢١٩.

(٥) الوطر: الحاجة، والمراد بها هنا (الجنسية).

وقد يستفاد كراهة الوطي في الدبر لا الحرمة، وكراهة العزل عن الأمة والمتعة. وأما تحريمه في الحرّة - لو قيل به - فلدليل آخر. ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ﴾: يظهر ﴿لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾: الفجر المعترض في الأفق ﴿مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾: ما يمتد معه من ظلمة الليل. شتبا بخيطين أسود وأبيض ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾: بيان للخيط الأبيض، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود، لدلالته عليه، أو: للتبعض، أي: بعض الفجر وأوله. قيل: ظاهرها حلّ الرث والمباشرة في جميع الليل إلى الفجر، فلا يشترط الصّوم بالغسل ليلاً^(١) وفيه: أنها مقيدة بأخبار أهل البيت عليهم السّلام^(٢) مع كون الغاية للشرب - المتأخر - أولى، وللأكل - أيضاً - لأنهما كشيء واحد، وغاية المباشرة تعلم من السنّة، وأما الأخبار المفيدة لعدم الإشتراط^(٣) فمحمولة على التقية، أو: عدم التعمد - كما بيّناه في محله - ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ بيان حدّه ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ﴾: لا تلامسوهن بشهوة، فيحرم الجماع ومقدماته نهائياً وليلاً ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾: معتكفون ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ التي يجوز الاعتكاف فيها، وهي: كلّ مسجد جامع - في الأظهر -.

والاعتكاف لبث فيه على وجه مخصوص ﴿تِلْكَ﴾ الإحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ فَلَا تَقْرُبُوهَا بالمخالفة، نهوا عن قربها مبالغة في منع التعدي ﴿كَذَلِكَ﴾ البيان ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ تعدي حدوده.

[١٨٨] - ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿يَبَيِّنُكُمْ﴾ ظرف ﴿بِالْبَاطِلِ﴾: بالوجه الذي لم يبيحه الله ﴿وَتَذَلُّوا بِهَا﴾ عطف على «تأكلوا» أي: ولا تلقوا أمرها ﴿إِلَى الْحُكَّامِ﴾ أو: نصب بإضمار: «أن» ﴿لِتَأْكُلُوا﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾

(١) كما ورد في تفسير الكشاف ١: ٣٢٩.

(٢) وسائل الشيعة ٧: ٤١٢ كتاب الصوم، الباب ١٦ من ابواب ما يمسك عنه الصائم.

(٣) كما في وسائل الشيعة ٧: ٤١٢ كتاب الصوم الباب ١٦ الحديث ٥.

طائفة ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ : بموجب الاثم — كاليمين الكاذبة وشهادة الزور —
﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطلون، فإن ارتكاب الذنب مع العلم به أقيح .

[١٨٩] — ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ ما الحكمة في اختلاف حالها وزياتها
ونقصانها؟ ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ : معالم لهم يوقتون بها معاملاتهم وعدد
نسايتهم وصومهم وفطرهم، ومعالم للحج يعرف بها وقته ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا
الْبُيُوتَ﴾ ضم الباء «ابرعمر» و«ورش» و«حفص» وكسرهما الباقون^(١) ﴿مِنْ ظُهُورِهَا﴾
كان أناس إذا أحرموا لم يدخلوا بيتاً من بابه، بل يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجة
خلفه، ويرون ذلك براً فقبل لهم : إنه ليس ببر ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ بر ﴿مَنْ اتَّقَى﴾ ما حرم
الله . واتصل بما قبله لأنه من أفعالهم في الحج، فذكر — بعد ذكر أنها مواقيت —
استطراداً، أو : لأنهم سألوا عنها ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ إذ لا بر في العدول .
أو : باسروا الأمور من وجوها .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «أنا مدينة العلم وعلي بابها ولا تؤنسى المدينة إلا
من بابها» .^(٢)

وقال الباقر عليه السلام : «آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أبواب الله» .^(٣)

وقال الصادق عليه السلام : «الأوصياء، هم أبواب الله التي منها»^(٤) ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾
في أوامره ومناهيه^(٥) ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ : لكي تظفروا بالهدى .

[١٩٠] — ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جاهدوا في دينه لإعزازه ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾

(١) حجة القراءات : ١٢٧ .

(٢) تفسير مجمع البيان ١ : ٢٨٤ وتفسير البرهان ١ : ١٩١ .

(٣) تفسير العياشي ١ : ٨٦ الحديث ٢١٠ .

(٤) تفسير البرهان ١ : ١٩٠ .

(٥) في «الف» و«ب» : ونواحيه .

أي: لا الكافرين، فتكون منسوخة بـ ﴿قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾^(١) أو: اريد بهم من يُتوقع منهم القتال ليخرج الشيوخ والصبيان والنساء فلا نسخ، أو: أهل مكة .
روي أنهم صدوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل، فيخلوا له مكة ثلاثة أيام، فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ألا يفوا لهم، ويقاثلوهم في الحرم والشهر الحرام، وكرهوا ذلك، فنزلت^(٢) ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ بإبتداء القتال، أو: بقتال من نهيتهم عن قتاله، أو: بالمثلة، أو: بالمفاجأة بدون دعوة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: لا يريد لهم الخير.

[١٩١] — ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ حَيْثُ نَفَقْتُمْوهُمْ﴾: وجدتموهم، في حل أو حرم
﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُم﴾ وقد فعل بمن لم يسلم يوم الفتح ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ أي: البلاء الذي يحل بالإنسان - كالإخراج من الوطن - ﴿أَشَدُّ﴾: أصعب ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾
أو: شركهم في الحرم أشد من قتلهم إياهم الذي عابوكم به ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ لابتدائهم بالقتال عنده وهتك حرمة ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾: بدؤكم به . ﴿فَاقتُلُوهُمْ﴾ ولا تبالوا، فإنهم الذين هتكوا حرمة . وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «ولا تقتلوه حتى يقتلوكم فإن قتلوكم» - بإرادة البعض -^(٣) ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزء ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ يفعل بهم كنعلمهم .

[١٩٢] - ﴿فَإِنْ انْتَهَوْا﴾ عن الكفر والقتال ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر ما أسلفوا .
[١٩٣] - ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ خالصاً ﴿لِلَّهِ﴾
﴿فَإِنْ انْتَهَوْا﴾ عن الشرك ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فلا عقوبة عليهم، وإنما هي على الكافرين . وسمي جزاء الظالم ظلماً: للمشكلة كـ «اعتدوا عليّ»^(٤) .

(١) سورة التوبة: ٢٦/٩ .

(٢) رواه ابن عباس كما في تفسير مجمع البيان ١: ٢٨٤ .

(٣) حجة القراءات: ١٢٧ .

(٤) في قوله تعالى: «فاعتدوا عليه» الآية ١٩٤ من هذه السورة .

[١٩٤] - «الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ» قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة، وخرجوا العمرة القضاء فيه فكروا قتلهم لحرمته، فقبل لهم: هذا الشهر بذاك «وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ» أي: فيها قصاص: من هتك حرمة هناك له حرمة، فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثله ولا تبالوا، وأكدته: «فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ»: فجازوه بمثل فعله «وَأَتَقُوا اللَّهَ» في المجازاة، ولا تعدوا إلى ما لا يحل لكم «وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» فينصرهم.

[١٩٥] - «وَأَتَقُوا» من أموالكم «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» في وجوه البرّ والجهاد «وَلَا تُلْقُوا»: تطرحوا «بِأَيْدِيكُمْ» «الْبَاءُ» مزيدة، وأريد بالأيدي: الأنفس «إِلَى التَّهْلُكَةِ»: الهلاك. وعدّي بـ«إلى» لتضمنه الإنتهاء، أي: لا تهلكوا أنفسكم بالإسراف الذي يأتي عليها أو بترك الغزوة والإنفاق فيه فيغلب عليكم العدو.

أو بالإمساك المؤدي إلى الهلاك، أو المعنى: لا تجعلوا التهلكة آخذة بأيديكم «وَأَحْسِنُوا» الأعمال «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ».

[١٩٦] - «وَاتَّبِعُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ» أذوهما تامين بشرائطهما، وأقيموهما إلى آخر ما فيهما «لِلَّهِ» لوجهه خاصة. فيفيد وجوبهما ابتداءً، وقد يفيد وجوب إتمامهما منذوبين - بعد الشروع «فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ»: مُنْعَمٌ عن أحدهما مُحْرَمِينَ.

والحصر والاحصار: المنع، كالصد والإصداد.

وظاهر أصجابنا وأخبارهم: اختصاص الحصر بالمرض، والصد: بالعدو، لاختلافهما حكماً.

وعزى الطبرسي تعميم الحصر فيهما إلى أئمتنا عليهم السلام. (١) «فَمَا اسْتَيْسَرَ» فعليكم، أو: فاهدوا ما تيسر «مِنَ الْهَدْيِ» بدنة أو بقرة أو شاة للإحلال «وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ»: لا تحلوا «حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ» حتى تعلموا بلوغه مكانه الذي يذبح

فيه ؛ وهو - في المرض - للحاج «منى» يوم النحر، وللمعتمر «مكة» في الساعة التي وعد المبعوث معهم، و- في العدو - مكانه الذي صد فيه حين يريد الإحلال.

ومنا من خیر في المرض بين ذلك والبعث. والأخبار مختلفة ^(١) ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾ مرضاً محجوجاً للحلق ﴿أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ كقمل أو غيره ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ أي فحلق، فالواجب فدية ﴿مِنْ صِيَامٍ﴾ ثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ على عشرة مساكين، لكل مد، وروي: ستة، لكل مدان ^(٢) ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ شاة يذبحها.

روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لـ «كعب بن عجرة»: «لعلك آذاك هوامك» قال: نعم، فنزلت ^(٣) ﴿فَإِذَا أُمِيتُمْ﴾ المرض أو المرض والعدو، أو: كنتم في حال سعة وأمن ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ انتفع بالتقرب بها إلى الله قبل انتفاعه بالتقرب بالحج في أشهره، أو: انتفع بإحلاله منها باستباحة ما حرم عليه إلى أن يحرم بالحج ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ فعليه ما تيسر ^(٤) ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ فهو واجب على المتمتع يذبحه بـ «منى» يوم النحر ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ هدياً. قيل ولا ثمنه ﴿فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ في الحج سابع ذي الحجة، وثامنه، وتاسعه، فإن فاته فيها فبعد أيام التشريق من ذي الحجة ﴿وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهليكم، ولو أقام ^(٥) بمكة انتظر قدر وصول صحبه، أو: مضي شهر ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ﴾ رفع توهم أن الواو بمعنى: «أو»، وتأکید ليعلم جملة كما علم تفصيلاً ﴿كَامِلَةٌ﴾ في بدلية الهدى، أو: تأكيد آخر للمبالغة في حفظ العدد ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التمتع ﴿لَعَنَ لَمْ يَكُنْ أَفْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ من كان من «مكة» على ثمانية

(١) ينظر اختلاف الاخبار في ذلك في كتاب الكافي ٤: ٣٦٩ كتاب الحج. باب المحصور والمصدود.

(٢) رواه العياشي في تفسيره ١: ٩٠ الحديث ٢٣١ والطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٢٩١.

(٣) تفسير العياشي ١: ٩٠ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٩١ وتفسير البرهان ١: ١٩٥.

(٤) في «ط»: ما استيسر.

(٥) في «ط»: ولو بقي.

وأربعين ميلاً، فالتمتع فرضه، ومن كان دون ذلك فلا متعة له، بل فرضه القرآن أو الأفراد ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بالمحافظة على حدوده، سيما الحج ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالف؛ ليمنعكم العلم عن الخلاف.

[١٩٧]- ﴿الْحَجُّ﴾ أي: وقته ﴿أَشْهُرُ مَعْلُومَاتٍ﴾ معروفة: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، وقيل: تسعة من ذي الحجة بـ «ليلة النحر»^(١) وقيل: العشرة؛^(٢) فالجمع لإقامة البعض مقام الكل، أو لإستعماله فيما فوق الواحد. وبناء الخلاف: أن المراد بوقته، وقت أفعاله أو إحرامه! ﴿فَمَنْ فَرَضَ﴾: أوجب على نفسه ﴿فِيهِنَّ الْحَجُّ﴾: حج التمتع وغيره بحيث يلزمه إتمامه بالتلبية مطلقاً، أو بالإشعار، أو التقليد للقرآن..

ودلت على عدم صحة إحرام الحج في هذه الأشهر، بل عمرة التمتع - لدخولها فيه - ﴿فَلَا رَمَتْ﴾: فلا جماع ﴿وَلَا فُسُوقٌ﴾: لا كذب، أو: لا خروج عن حدود الشرع ﴿وَلَا جِدَالٌ﴾: لا حلف بالله - ولو صادقاً - ﴿فِي الْحَجِّ﴾ في زمان فرضه. وأريد بنفي الثلاثة: النهي. وخص بالحج - ومنها ما يحرم مطلقاً لأنه في الحج أسمع^(٣) كلبس الحرير في الصلاة. ورفع «أبو عمرو» و«ابن كثير» الأولين، وفتح الثالث، وفتح الباقيون الثلاثة^(٤) ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ يجازيكم به، ولا يضيعه؛ لعلمه به ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ - لمعادكم -: التقوى ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

وقيل: كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون، ويكونون كلاً على الناس فنزلت فيهم ﴿وَاتَّقُوا يَٰ أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ خصوا بالخطاب لأن مقتضى العقل خشية الله وتقواه. وأثبت «أبو عمرو»: «الياء» وصلاً.

(١) وهو مختار الشافعي - على ما في تفسير الكشاف ١: ٤٤٦.

(٢) وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٢٩٣..

(٣) أي: اقبح - كما في مجمع البحرين.

(٤) نقله البيضاوي في تفسيره ١: ٢٢٥.

[١٩٨] - «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» إِنْ «أَنْ تَبْتَغُوا» فِي أَنْ تَطْلُبُوا «فَضْلًا» أَي: رِزْقًا «مِنْ رَبِّكُمْ» بِالتَّجَارَةِ، كَانُوا يَتَأَمُّونَ بِالتَّجَارَةِ فِي الْحِجِّ فَرَفَعَ ذَلِكَ، أَوْ: مَغْفِرَةً مِنْهُ «فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ» دَفَعْتُمْ بِكَرَّةٍ - مِنْ «أَفَاضَ الْمَاءُ» أَي: صَبَّهُ بِكَرَّةٍ -، وَأَصْلُهُ: «أَفْضَمَ أَنْفُسَكُمْ»، فَتَرَكَ لظَهْوَرِهِ «مِنْ عَرَفَاتٍ»: جَمْعٌ، سَمِّيَ بِهِ، وَنُؤِنٌ وَكِسْرٌ.

وفيه: التَّعْرِيفُ وَالتَّأْنِيثُ، لِأَنَّ تَنْوِينَهُ لِلْمُقَابَلَةِ، وَمَنْعَ الصَّرْفِ إِنَّمَا يُذْهَبُ تَنْوِينُ التَّمَكُّنِ، وَالكسر يتبع التَّنْوِينَ وَجُوداً وَعَدَمًا، أَوْ لِأَنَّ تَاءَهُ لَيْسَتْ لِلتَّأْنِيثِ، بَلْ هِيَ مَعَ الْأَلْفِ عِلَامَةُ الْجَمْعِ، وَهِيَ تَمْنَعُ مِنْ تَقْدِيرِ «تَاءٍ» فِيهِ، لِأَنَّهَا كَالْبَدَلِ لَهَا؛ لِاخْتِصَاصِهَا بِالْمَوْثُوكِ «تَاءٍ» بِنْتٌ.

وَسَمِّيَ الْمَوْثُوكُ بِهِ، لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرَفَهُ بَعْدَ وَصْفِهِ لَهُ، أَوْ لِقَوْلِهِ: «عَرَفْتُ» حِينَ أَرَاهُ جِبْرَائِيلَ الْمُنَاسِكَ، أَوْ لِأَنَّ «آدَمَ» وَ«حَوَّاءَ» التَّقِيَا فِيهِ فَتَعَارَفَا، أَوْ لِتَعَارُفِ النَّاسِ فِيهِ. ثُمَّ الْإِفَاضَةُ مِنْهَا الْمَأْمُورُ بِهَا فَرَعَ الْكُونَ فِيهَا فَيُثْبِتُ وَجُوبَ وَقُوفِهَا «فَإِذْ كُرُوا اللَّهَ» بِالنَّسِيجِ وَنَحْوِهِ «عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ» مَوْضِعٌ مَحْدُودٌ كـ«عَرَفَةٍ» سَمِّيَ «مَشْعَرًا» لِأَنَّهُ مَعْلَمُ الْعِبَادَةِ، وَ«حَرَامًا» لِحَرَمَتِهِ، وَيُفِيدُ: وَجُوبَ وَقُوفِهِ؛ لِاسْتِلْزَامِ الذِّكْرِ الْمَأْمُورِ بِهِ عِنْدَهُ: الْكُونَ فِيهِ وَوَجُوبُ الذِّكْرِ.

وَلَكِنْ أَكْثَرُ الْأَصْحَابِ عَلَى اسْتِحْبَابِهِ، فَجَازَ أَنْ يَكُونَ كُنَايَةً عَنِ الْكُونَ «وَإِذْ كُرُوا» بِالنَّيِّاءِ وَالشُّكْرِ «كَمَا هَذَا كُمْ»: حَسَبَ هِدَايَتِهِ إِيَّاكُمْ، أَوْ: كَمَا عَلَّمَكُمْ الْمُنَاسِكَ وَغَيْرَهَا «وَإِنْ كُنتُمْ» مُخَفَّفَةٌ [مِنْ] الثَّقِيلَةِ «مِنْ قِبَلَةٍ» أَيِ الْهَدْيِ «لِمَنْ الضَّالِّينَ»: الْجَاهِلِينَ بِالْإِيمَانِ وَالْعِبَادَةِ. وَ«الْلَامُ» فَارِقَةٌ.

[١٩٩] - «ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ» مِنْ عَرَفَةٍ، كَانَ قَرِيشٌ يَقْفُونَ بِهِ «جَمْعٌ»^(١) وَلَا يَقْفُونَ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ بِهِ «عَرَفَةً» تَرْفَعًا عَلَيْهِمْ، فَأَمَرُوا بِمَسَاوَاتِهِمْ،

(١) بِالْفَتْحِ فَالْكَوْنُ: الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ - كَمَا فِي مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ «جَمْعٌ» -.

فـ«ثم» لتفاوت ما بين الإفاضة إذ تلك حرام، وهذه واجبة. كذا قيل^(١). وفيه نظر؛ إذ لا تفاوت بين المتعاطفين بل بين فعلهم وما أمروا به، وليس ذلك مفاد «ثم» وقيل: من «جمع» إلى «منى» بعد الإفاضة من «عرفات» إليها.^(٢) والأمر عام ويراد به «الناس» إبراهيم، والأنبياء وهو الأنسب بـ«ثم» والسوق «وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ» من ذنوبكم بالندم عليها «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»: كثير المغفرة والرحمة.

[٢٠٠] - «فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْكُمْ مَنَاسِكُكُمْ»: فرغتم من عباداتكم الحجيّة «فَاذْكُرُوا اللَّهَ» ذكراً كثيراً «كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ» صفة المصدر المحذوف. كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون ويذكرون مفاخر آبائهم وأيامهم «أَوْ أَشَدَّ» عطف على «ذكركم» أي: أو ذكر أشد «ذِكْرًا» تمييز، أي: أشدّيته تكون من حيث كونه ذكراً لا من جهة أخرى، أو: على «ذكركم» بجعله بمعنى: الذّاكر، أي: أو كذاكر أشد. «فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ» تقسيم للذاكرين إلى طالب بذكره عرض الدنيا، وطالب به خير الدارين «رَبَّنَا ءَاتِنَا»: اجعل عطاءنا «فِي الدُّنْيَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ»: من نصيب، لقصر همه على الدنيا، أو من طلب خلاق.

[٢٠١] - «وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً»: سعة الرزق وحسن الخلق «وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً» رضوانك والجنة «وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ» بالعفو. وعن علي عليه السلام: «الحسنة - في الدنيا - المرأة الصالحة، وفي الآخرة: الحوراء، وعذاب النار: امرأة السوء».^(٣)

[٢٠٢] - «أُوْلَئِكَ» إشارة إلى القسم الثاني، أو: اليهما - «لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا» من جنسه، وهو جزاء، أو: من أجله «وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ» يحاسب جميع

(٢) وهو ما يظهر من كلام البضاوي في تفسيره ١: ٢٢٧.

(٣) قاله الضحاك - كما في احكام القرآن لابن العربي ١: ٢٣٩.

(١) تفسير الكشاف ١: ٣٥٠ وروى قريباً منه في تفسير مجمع البيان ١: ٢٩٨.

العباد في قدر لمحمة، أو: يوشك أن يقيم القيامة فيحاسبهم، فاكسبوا الخير.

[٢٠٣] - ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾: كبروه ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ عقيب خمس عشرة صلاة في «منى» وعشرة في غيرها. وأولها - مطلقاً - ظهر «يوم النحر»، وصورة التكبير في الفقه،^(١) والمشهور عندنا استحبابه، ومنا من أوجبه^(٢) ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾: استعجل النحر ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: نفر في ثاني أيام التشريق بعد الزوال والرمي إلى الغروب ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بتعجله ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ إلى الثالث فنفر فيه أي وقت شاء بعد الرمي ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ رفع لثومهم الإثم بالتأخر لو اقتصر على نفيه بالتعجل.

قال الصادق عليه السلام: لو سكت لم يبق أحد إلا تعجل ولكنه قال: «ومن تأخر فلا إثم عليه».^(٣) أو: نفيه فيهما للتخير بينهما. والرد على أهل الجاهلية؛ إذ منهم من أثم المتعجل، ومنهم من أثم المتأخر ﴿لَمَنِ اتَّقَى﴾ أي: ذلك التخير للمتقي المعاصي؛ لآنة الحاج - على الحقيقة - أو: لمن اتقى الصيد والنساء في إحرامه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ اجتنبوا معاصيه ﴿وَاعْلَمُوا أَنكُمُ إِلَهِي تُخْشَرُونَ﴾ ترجعون إلى موضع حكمه فيجازيكم بما عملتم.

[٢٠٤] - ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ نزلت في المرائي، وقيل: في «الأخنس بن شريق»، كان حسن المنطق ويدّعي الإسلام ومحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم،^(٤) وقيل في المنافقين^(٥) ﴿مَنْ يُعْجِبْكَ قَوْلُهُ﴾: يروقك ويعظم في قلبك ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ متعلق بالقول، أي: ما يقوله في معنى الدنيا؛ إذ هي مراده من إدعاء الإسلام والمحبة

(١) يراجع تفصيل ذلك في الكتب الفقهية وقد رويت فيها روايات ذكرها الكليني في الكافي ٥١٦: ٤

في باب التكبير أيام التشريق.

(٢) يراجع جواهر الكلام ٢٠: ٣٥ باب التكبير بمعنى مستحب.

(٣) تفسير نورالثقلين ١: ٢٠٢ الحديث ٧٤١.

(٤) قاله السدي - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٠٠ -.

أو: بـ «يعجبك» أي: يعجبك في الدنيا قوله حلاوة وفصاحة، ولا يعجبك في الآخرة للدهشة، أو لأنه لا يؤذن له في القول «وَيُشْهِدُ اللَّهَ» يحلف به ويستشده «عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ» أي: أنه مضمّر ما يقول «وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ» جمع: خصم، أي: أشد الخصوم خصومة، أو: مصدر، أي: شديد المخاصمة والجدال.

[٢٠٥] - «وَإِذَا تَوَلَّى»: ذهب عنك، أو: صار والياً «سَمَى فِي الْأَرْضِ»: عمل فيها «لِيُقْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ» كما فعل الأخنس بـ «تقيف» إذ بيتهم وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم.

أو: كما تفسد ولادة السوء بالقتل والإتلاف. أو: بالظلم حتى يحبس الله بشؤمه القطر، فيهلك الحرث والنسل «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ»: لا يرضاه.

[٢٠٦] - «وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ» حملته الحمية الجاهلية على الإثم الذي أمر باتقائه، من: «أخذته بكذا»: الزمته إياه «فَحَسْبُ جَهَنَّمَ»: كفته عقوبة «وَلَيْسَ الْبِرَّاهُ»: الوطاء، تهكم به. وحذف المخصوص للعلم به.

[٢٠٧] - «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ»: يبيعهها ويذلها «ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ»: طلباً لرضاه.

نزلت في «علي» عليه السلام حين ذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الغار وبات على فراشه يفديه نفسه.^(١) وقيل: في «صهيب» عذبه المشركون ليرتد فافتدى بماله ثم هاجر.^(٢)

وقيل: في كل مجاهد في سبيل الله^(٣) «وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ» فينيلهم ما حاولوه من مرضاته.

(٤) قاله الحسن - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٠٠.

(٢) تفسير نورالثقلين ١: ٢٠٤ الحديث ٧٥٧ وتفسير مجمع البيان ١: ٣٠١.

(٣) قاله عكرمة - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٠١.

[٢٠٨] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ : الإنقياد والطاعة ، ولذا قيل : للإسلام والصلح .^(١) فتحه «ابن كثير» و«نافع» و«الكسائي» وكسره «الباقون»^(٢) ﴿كَافَّةً﴾ : جملةً ، من : «كف» ، كأنهم كفّوا تفرقهم باجتماعهم . حال من الضمير ، أو : السِّلْم ، أي : دوموا على الطاعة أو : أطيعوا جميعاً ، أو : الزموا أحكام الإسلام جميعاً .

والخطاب للمؤمنين ، أو : المنافقين ، أو : مؤمني أهل الكتاب إذ سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإقامة على السّبت وتحريم الإبل . ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ بتفرقكم ، أو تفريقكم ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ مظهر للعداوة .

[٢٠٩] - ﴿فَلَا تَزُولُ﴾ عما أمرتم به ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ النِّيَّاتُ﴾ : الحجاج ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه البطش ﴿حَكِيمٌ﴾ : لا يبطش إلا بحق .

[٢١٠] - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ معناه النفي ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أمره ، أو : بأسه ، أو : يأتيهم الله بنقمته ، فحذف المأتي به لدلالة : «عزيز حكيم»^(٣) عليه ﴿فِي ظُلُلٍ﴾ جمع «ظله» وهي ما أظلك ﴿مِنَ الْعَمَامِ﴾ السحاب الأبيض .

وإتيان النعمة من مظنة الرحمة أقطع ؛ إذ الشر إذا أتى من حيث لا يحتسب كان أصعب ، فكيف إذا أتى من حيث يُحتسب الخير ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَفُضِّي الْأَمْرُ﴾ فرغ من أمر تدميرهم . والتعبير بالماضي لتحقيق وقوعه ﴿وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ وبناء «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» للفاعل .^(٤)

[٢١١] - ﴿سَلِّ يَسَّىٰ إِسْرَءِيلَ﴾ أمر للرسول^(٥) صلى الله عليه وآله وسلم ، أو : لكل أحد .

(٤) قاله الحسن - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٠١ - .

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٣٠٢ .

(٢) حجة القراءات : ١٢٠ .

(٣) المذكور في آخر الآية السابقة .

(٤) حجة القراءات : ١٢٠ .

والسؤال تقرير ﴿كَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾: معجزة واضحة على أيدي أنبيائهم.

أو: حجة في الكتب على صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم. و«كم» إستفهامية مقررة، أو: خبرية، ومحلها النصب بالمفعولية ﴿وَمَنْ يَبْدُلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾: آياته؛ إذ هي سبب الهدى - وهو أجل النعم - بجعلها سبب الضلال، أو: بالتحريف ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ تمكّن من معرفتها أو عرفها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له، أو لمن عصاه.

[٢١٢] - ﴿رُبُّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ حسنها الشيطان في أعينهم، وحببها إليهم فلا يريدون غيرها، أو: زينها الله بخلق المشتهايات فيها، والشهوة فيهم؛ إذ التكليف إنما يتم بها ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يهزءون بهم لفقرهم، أو: لزهدهم في الدنيا، و«من» للإبتداء ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ عبر بهم عن «الذين آمنوا» ليفيد أنهم متقون، أو: إن استعلائهم بالتقوى ﴿فَوَقَّعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لأنهم في «عليين» وهم في «سجين» أو: لأنهم في كرامة وهم في هوان، أو: لاستطاعتهم عليهم فيسخرّون منهم كما سخروا منهم في الدنيا ﴿وَاللَّهُ يَزُزُّ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تقدير فيوسع ابتلاء أو استدراجاً.

[٢١٣] - ﴿كَانَ النَّاسُ﴾ من بني آدم ونوح، أو: أهل السفينة ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الحق، أو: على الكفر ﴿فَبَعَثَ﴾ أي: فاختلفوا، فبعث ﴿اللَّهُ النَّبِيِّنَ﴾ لقوله: «في ما اختلفوا فيه» ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾: جنسه.

والمعنى: مع بعضهم، لا مع كل واحد.

قيل: عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً، والرسل - منهم - ثلاثمائة وثلاثة عشر.^(٥) والمسمى في القرآن: ثمانية وعشرون ﴿بِالْحَقِّ﴾ متلبساً به، حال من «الكتاب» ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي: الله، أو: الكتاب ﴿فِيمَا اختلفُوا فِيهِ وَمَا اختلفَ فِيهِ﴾ في الحق أو الكتاب ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أعطوا العلم به؛ إذ جعلوا المزيل

(٥) في «ط»: للنبي.

للإختلاف سبباً لحصوله ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا﴾: ظلماً، وطلباً للرئاسة ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾ بيان لـ «ما» ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بلفظه وأمره ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ موصل إلى النجاة.

[٢١٤] - ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ﴾ لما ذكر اختلاف الأمم على انبيائهم

تشجيعاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين على الصبر مع مخالفهم، إلتفت إليهم بالخطاب. و «أَمْ» منقطعة، وهزنتها للإنكار ﴿وَلَمَّا يَأْتِيَكُمُ﴾ نفي مع توقع ﴿مِثْلَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي مثل حالهم فتصبروا كما صبروا ﴿مَنْتَهُمُ النَّسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ استئناف بيان لـ «مثل» ﴿وَرَزَّلْنَا لَهُمْ﴾ أزعجوا بأنواع البلايا ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ لاستطالة زمان الشدة، وفناء الصبر. ورفع «نافع»: «يقول» - حكاية لحال ماضيه - ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ معناه طلب النصر وتمنيته ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ استئناف، أي: فليل لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر.

[٢١٥] - ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ كان «عمرو بن الجموح» شيخاً ذا مال، فقال

للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يَمْ أَنْصَدَقْ، وعلى من أَنْصَدَقْ؟ فنزلت. ^(٢)

وكان المراد ما ينفقون على الوجه الكامل، فدخل المصرف بقرينة سؤال «عمرو»

فقوله: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: مال، بيان للمنفق، وقوله: ﴿قُلِ الَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ بيان للمصرف ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ شرط، جوابه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ لا يضيعه. قيل: منسوخة بفرض الزكاة. ^(٣) وقيل: لا نسخ؛ ^(٤) لجواز إعطائها المذكورين لا على وجه النفقة. وقد تحمل على الإنفاق

(١) تفسير البضاوي ١: ٢٢١-٢٢٢.

(١) حجة الفراءات: ١٣١.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٣٠٩.

(٣) قاله السدّي - كما في تفسير التبيان ٤: ٢٠٠ و تفسير مجمع البيان ١: ٣١٠.

الواجب والمندوب، أو: المندوب فقط.

[٢١٦] - «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ»: صعب عليكم، مكروه طبعاً والوصف بالمصدر للمبالغة. «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً» - طبعاً - في الحال كالجهاد «وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» في المآل؛ إذ فيه الظفر أو الشهادة «وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً» ترك الجهاد حباً للحياة «وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ» إذ فيه الذلّ وحرمان الأجر «وَاللَّهُ يَعْلَمُ» ما يصلحكم «وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» ذلك.

[٢١٧] - «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ» بعث صلى الله عليه وآله وسلم «عبدالله بن جحش»^(١) على سرية، فغنموا عيراً لقريش، فيها «عمرو بن عبدالله الحضرمي» وثلاثة معه، فقتلوه وأسرُوا اثنين،^(٢) وكان ذلك غرة رجب، وهم يرونه من جمادى، فقالت قريش: استحل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الشهر الحرام، وكتبوا يسألونه عن ذلك تشيئاً، وشق على أهل السرية وقالوا: «ما نبرح حتى تنزل توبتنا» فنزلت،^(٣) وردّ صلى الله عليه وآله وسلم العير، وروي: أنه أخذها، وهي أول غنيمة في الإسلام.^(٤) «قَاتِلْ فِيهِ» بدل اشتمال من «الشهر» «قُلْ قَاتِلْ فِيهِ كَيْفَ» ذنب عظيم، قيل: منسوخ^(٥) ب: «فَاتْلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ»^(٦) وردّ: بقاء بعض أحكامه، وبرجحان التخصيص على النسخ «وَصَدَّ»: منع «عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» طاعته، أو: الإسلام «وَكُفِّرْ بِهِ» أي: بالله. «وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» قيل: عطف على: «سَبِيلِ اللَّهِ»^(٧) ويردّه: عطف: «وكفر»

(٤) قاله الحسن - كما في تفسير البيان ٢: ٢٠٠ و تفسير مجمع البيان ١: ٣١٠.

(١) هو ابن عمّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣١٢.

(٢) والثالث افلت، انظر تفسير روح المعاني ٩٢/٢ وتفسير القرطبي ٤٢/٣.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٣١٢.

(٤) رواها البيضاوي في تفسيره ١: ٢٣٤ عن ابن عباس.

(٥) قاله قتادة - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٢.

(٦) سورة التوبة: ٥/٩.

على «صدّ» لفصله بين الموصول والصلة. وقيل: على «صدّ» بتقدير: وصدّ المسجد، وردّ: بضعف حذف المضاف وبقاء جزّ المضاف اليه.

وقيل: على الهاء في «تساءلون به» ويشهد لصحته بدون إعادة الجار: «تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ»^(١) - بالجسر -، وهو من السبع،^(٢) وشعر الفصحاء،^(٣) ولعلّ الكفر به: عدم احترامه «وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ» أهل المسجد وهم: النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون «أَكْثَرُ عِنْدَ اللَّهِ» من فعل السرية - بناءً على ظنهم -، وهو خير للأربعة المذكورة «وَالْفِتْنَةُ» أي: الكفر، أو: الإخراج «أَكْثَرُ مِنَ الْقَتْلِ» قتل عمرو «وَلَا يَزَالُونَ» أي: الكفار «يُقَاتِلُونَكُمْ» لدوام عداوتهم لكم «حَتَّى يَرْدُّوكُمْ»: كي يردوكم «عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا» استبعاد لاستطاعتهم «وَمَنْ يَزِيدْكُمْ عَنْ دِينِهِ قِيمَتٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» صريح في ثبوت الإحباط بالردة - مع الموت عليها -؛ إذ الموافاة بالإيمان شرط في استحقاق الثواب - كما عليه الأصحاب -، ويحمل نفهم الإحباط على أنّ الثواب المستحق لا يحبط «فِي الدُّنْيَا» لفوات فوائد الإسلام الدنيوية «وَالْآخِرَةِ» لإنتفاء الثواب «وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» لكفرهم.

[٢١٨] - «إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ظن قوم أن السرية إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فنزلت^(٤) «أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ» نصرته في الدنيا وثوابه في الآخرة «وَاللَّهُ غَفُورٌ» لذنوبهم «رَحِيمٌ» بهم.

(٧) قاله المبرّد - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٢ -.

(١) سورة النساء: ١/٤.

(٢) وهي قراءة حمزة - كما في تفسير البياضوي ١: ٢٢٤.

(٣) وفي خاتمة كتاب «الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله» بحث وافٍ حول هذا الموضوع، ينظر.

[٢١٩] - «يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ» وهو كل شراب مسكر، وفي حكمه: الفقاع؛ لأخبار أئمتنا عليهم السلام،^(١) وهو في الأصل: مصدر «خمره»: إذا ستره، سمي به للمبالغة «وَالْمَيْسِرِ» مصدر - كـ «المَوْعِذ» - سمي به القمار؛ لأنه أخذ مال الغير بيسر، أو: سلب يساره، أي يسألونك عن تعاطيهما «قُلْ فِيهِمَا» في تعاطيهما «إِنَّمَا كَيْدٌ يُوْدِي إِلَىٰ إِرْتِكَابِ سَائِرِ الْمُحَرَّمَاتِ وَتَرْكِ الْوَاجِبَاتِ «وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ» من كسب المال واللذة والطرب والقوة «وَأَنفُسُهُمَا» : عقابهما الأخروي الدائم ومفاسدهما الدنيوية «أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا» الذنوبي القليل الزائل، فإفادتها لتحريمهما ظاهرة «وَيَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ» سأله صلى الله عليه وآله وسلم «عمرو بن الجموح» عن النفقة في الجهاد أو الصدقات «قُلِ الْعَفْوَ» : الوسط بين الإسراف والإقتار، أو: ما فضل عن قوت السنة، أو: أطيب المال، أو: ما سهل إنفاقه «كَذَلِكَ» التبيين لأمر الثقة والخمر والميسر أيها الجمع.^(٢) ومحل الكاف: النصب، صفة لمصدر محذوف أي: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ»: الحجج في الأحكام تبيناً، مثل ذلك التبين «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ».

[٢٢٠] - «فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» فتوزنون أبقاهما وأكثرهما نفعاً «وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ» لما نزل «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا»^(٣) اجتنبوا مخالطتهم

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٣١٣.

(١) تفسير العباسي ١: ١٠٦ الحديث ٣١٣ وتفسير نورالثقلين ١: ٢١٠.

(٢) كذا في النسخ وفي تفسير البيضاوي ١: ٢٣٦. وإنما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القليل والجمع.

وفي تفسير التبيان ٢: ٢١٤ إنما وحد الكاف في كذلك وإن كان الخطاب لجماعة لاحد أمرين: احدهما في تقدير كذلك أيها السائل والثاني: أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ويدخل فيه الأمة.

والإهتمام بشأنهم فشق ذلك عليهم، فذكر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾ أي: مداخلتهم لإصلاحهم ﴿خَيْرٌ﴾ من مجانبتهم ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ وتعاشروهم ﴿فَأَخَوَانُكُم﴾ أي: في الدين، ومن حق الأخ أن يخالط أخاه ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ لا يخفى عليه من داخلهم بإفساد وإصلاح فيجازيه بفعله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبَكُمْ﴾: لحملكم على العنت، وهو المشقة ولم يطلق لكم مداخلتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب قادر على ما يشاء ﴿حَكِيمٌ﴾: يفعل ما توجبه الحكمة.

[٢٢١]- ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾ لا تزوجوهن ﴿حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ قيل: لا يشمل الكتابيات،^(٢) وقيل: يشملها^(٣) لكنه منسوخ أو مخصص بقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾^(٤) وقيل: هو ناسخ لذاك.^(٥)

روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم بعث «مرثداً» إلى «مكة» ليخرج ناساً من المسلمين فدعته «عناق» إلى نفسها، فأبى، وكانت خلته في الجاهلية، فقالت: هل لك أن تزوج بي فقال: حتى استأذن رسول الله، فاستأذنه فنزلت ﴿وَلَا تَزَوِّجُوا مَرْثَدَةً﴾ مملوكة ﴿مُؤْمِنَةً خَيْرٌ مِنْ﴾ حرة ﴿مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ لما لها أو جمالها. و«لو» بمعنى: «إن» ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ لا تزوجوهم المؤمنات ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ والتحريم ثابت في الكتابي - أيضاً - سواء شمله المشرك أم لا، للإجماع والأخبار ﴿وَلَعَبْدٌ﴾ مملوك ﴿مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ﴾ حر ﴿مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ ماله أو جماله.

(٢) سورة النساء: ٤/ ١٠.

(١) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٢١٦.

(٢) قاله قتادة وسعيد بن جبير - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٢١٨.

(٣) قاله ابن عمر وبعض الزيدية وهو مذهبنا - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٢١٨.

(٤) سورة المائدة: ٥/ ٥.

(٥) نقل هذا القول القرطبي في تفسيره ٣: ٦٧ عن اسحاق بن ابراهيم الحربي.

وتفسير «الأمة» و«العبد» بما يعمّ الأحرار — لأنّ الناس إماء الله وعبيده — خلاف الظاهر، مع نفويت المبالغة «أُولَئِكَ» إشارة إلى المشركين والمشركات «يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ» أي: الكفر المؤدي إلى دخولها فحقهم ألا يواصلوا «وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ» إلى ما يوجههما «بِأَذْنِهِ» بأمره وتوفيقه «وَيُيَسِّرُ آيَاتِهِ» حججه: أوامره ونواهيه «لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» لكي يعلموا ويتذكروا.

[٢٢٢] — «وَيَسْأَلُونَكَ» قيل: كانوا في الجاهلية لم يواكلوا^(١) الحيض ولم يساكنوها كفعل اليهود، فسئل صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فتزلت^(٢) «عَنِ الْمَحِيضِ» مصدر كـ«المبيت» «قُلْ هُوَ أَذَى» أي: الحيض قذر مؤذ من يقربه، نفرة منه «فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ» اسم زمان أو مكان، أي: اجتنبوا مجامعتهم في الفرج زمان الحيض، أو: في مكانه، وقيل إجتنبوا ما تحت الإزار^(٣) «وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ» تأكيد للحكم «حَتَّى يَطْهُرْنَ» بيان غايته، وشدد «حمزة» و«الكسائي» أي: يغتسلن، فيحرم الوطء قبل الغسل، وخففه الباقون،^(٤) أي: ينقين، فلا يحرم قبله، وعليه الأصحاب، وجمعوا بين القراءتين بحمل «تَطْهَرْنَ» على معنى «طَهَّرَ» لوروده لغة كـ«تَبَيَّنَ» بمعنى «بان» وكذا «فَإِذَا تَطْهَرْنَ» أي: طهرن، أو غسلن الفرج، حملاً على المعنى اللغوي؛ إذ لمع إرادة الغسل؛ لم تثبت الحقيقة الشرعية. «فَأَتَوْهُنَّ» للإباحة بالمعنى الأخص، أو الأعم، فتتأني فيه الأحكام الأربعة «مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» من قبل الطهر لا الحيض، أو من قبل النكاح لا الفجور، وعن «الفراء» لو أراد الفرج لقال: «فِي حَيْثُ» «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ» من الذنوب أو الكبائر «وَيُحِبُّ

(١) كذا في النسخ، والصحيح: لا يواكلون، وكذا فيما بعده.

(٢) قاله الحسن وقتادة والربيع — كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٩.

(٣) قاله أبو حنيفة والشافعي — كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٩.

(٤) حجة القراءات: ١٣٤.

الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء، ويعضده سبب نزول ﴿فِيهِ رِجَالٌ﴾ الآية^(١) أو من الصغائر. [٢٢٣] - ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ﴾: محل حَرْث ﴿لَكُمْ﴾ قيل نزلت ردّاً على اليهود، قالوا: إذا أتى الرجل المرأة من خلفها في قبلها خرج الولد أحول^(٢) ﴿فَأَنْتُمْ حَرْثُكُمْ﴾ أي: نساءكم ﴿أَنْتُمْ﴾ من أين ﴿شِئْتُمْ﴾ واحتج به «مالك» على جواز إثباتها في الذبر، وليس ببعيد، وعليه أكثر أصحابنا على كراهة^(٣) واحتج به سائر فقهاءهم على المنع قالوا معناه: فأتوهن من أي جهة شئتم في القبل؛ لأنه محل الحرث. ورد بمنع إفادته المنع؛ إذ الحرث المأمور بإثباته هو النساء لا القبل.

ولو صرح بالقبل لما أفاد منع غيره إلا بمفهوم ليس بحجة. ﴿وَقَدْ مُؤَا لَاتِنَفْسِكُمْ﴾ الأعمال الصالحة، وقيل: التسمية على الوطء^(٤)، وقيل: طلب الولد^(٥) ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك معاصبه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَا قُوهُ﴾: ملاقو جزائه ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالثواب والجنة. [٢٢٤] - ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾ نزلت في «عبدالله بن رواحة» حلف لا يكلم ختته^(٦) ولا يصلح بينه وبين اخته^(٧) ﴿عُرْضَةً﴾: معرضاً ﴿لِإِمَائِكُمْ﴾ فتبتذله بكنة الحلف به، ويؤيده: ﴿وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾^(٨) ﴿أَنْ تَبْرُوا وَتَقُوا وَتُضِلُّوا﴾ علة للنهي. أي: أنهاكم عنه إرادة بركم وتقواكم وإصلاحكم ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ فإن الحلاف مجتر على الله، فلا يكون براً متقياً، ولا مصلحاً ذات البين.

(١) سورة التوبة: ٩/ ١٠٨.

(٢) قاله ابن عباس وجابر - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٢٠.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٣٢١.

(٤) قاله عطاء - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٢١.

(٥) تفسير مجمع البيان ١: ٣٢١.

(٦) الختن: كل من كان من قبل المرأة مثل الاب والاخ - مختار الصحاح، ختن -.

(٧) تفسير مجمع البيان ١: ٣٢٢.

(٨) سورة القلم: ٦٨/ ١٠.

وقيل : المعنى : ولا تجعلوا الله حاجزاً لما حلفتكم عليه ،^(١) واللام متعلق بـ «تجعلوا» ، أو بـ «عُرْضة» ويفيد عدم إنعقاد الحلف على المرجوح ، كما وردت به الأخبار^(٢) ﴿وَاللّٰهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأسراركم .
[٢٢٥] - ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللّٰغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو ما لا عقد معه - كالمفوض لسبق اللسان به - ، أو للجهل بمعناه كـ «لا والله» ، و«بلى والله» أي : لا يؤاخذكم بما لا قصد بعمه بعقاب ولا كفارة ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبْتُمْ﴾ : قصدت ﴿قُلُوبُكُمْ﴾ من الأيمان ، وواطأت فيها ألسنتكم ﴿وَاللّٰهُ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل بالعقوبة .

[٢٢٦] - ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ يحلفون ألا يطؤهن مطلقاً ، أو : أزيد من أربعة أشهر ، وعذي بـ «من» دون «على» لتضمنه معنى البعد ﴿تَرْبُصُ أَزْوَاجَهُ أَشْهُرٌ﴾ مبتدأ ، خبره «لِلَّذِينَ» . اضيف الى الظرف اتساعاً ، أي : للمولى حق الانتظار في هذه المدة وابتدائها وقت الإيلاء ، وقيل : حين الحكم ، فلا يطالب بفيئة ولا طلاق ﴿فَإِنْ فَاءُوا﴾^(٣) رجعوا عن اليمين بالطوع - للقادر - ، وبإظهار العزم عليه - للعاجز - في المدة أو بعدها ﴿فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ : يغفر ما قصدوا بالإيلاء من ضرار النساء ، أو إثم الحلف ، فإنه غير مشروع ، ولهذا يجب حثه^(٤) والكفارة - إن فاء في المدة - عند الأصحاب ، أو بعدها - أيضاً - عند أكثرهم ، فان مضت المدة ولم يفيء ألزمه الحاكم : إما الطلاق أو الفقة والكفارة ، فان أبى منهما حبسه حتى يختار أحدهما .

(١) تفسير التبيان ٢ : ٢٢٥ وتفسير مجمع البيان ١ : ٢٢٢ .

(٢) تفسير العياشي ١ : ٢٢٢ الحذف : ٢٢٩ وتفسير البرهان ١ : ٢١٧ .

(٣) تراجع تعليقنا على الآية ٦١ من هذا السورة .

(٤) في مجمع البحرين مادة «حث» : «والحث في اليمين نقضها والنكث فيها» ، وفي التنزيل سورة ص : ٢٨ / ٤٤ : «وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنت أنا وجدناه صابراً» .

[٢٢٧] - ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ صَمَمُوا قصده ثم أوقعوه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾

لطلاقهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضماثرهم .

[٢٢٨] - ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾ أي : الحرائر المدخول بهن من ذوات الأقراء ؛ إذ حكم

غيرهن خلاف ما ذكر بمقتضى الأدلة ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ معناه الأمر والتعبير بالخبر للتأكيد

﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ بعث لهن على الصبر عن التزويج بقمع نفوسهن الطوامح الى الرجال

﴿ثَلَاثَةَ﴾ مفعول به أو ظرف ﴿قُرُوءٍ﴾ جمع قرء ، للطهر والحيض ، بالإشتراك أو

الحقيقة والمجاز . والمراد به - هنا - الطهر - على الأصح - ، وذكر «القروء» وهو للكثرة

- والمقام للقلّة ، وصيغتها : الأقراء - ؛ لاستعمال كل من الجمعين مكان الآخر ، أو

أؤثر لكثرة استعماله ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الحمل

أو الحيض إستعجالاً للعدّة وإبطالاً لحق الرجعة . ويفيد قبول قولها في ذلك ﴿إِنْ

كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الغرض منه : أن كمال الإيمان يمنع من الكتمان ،

لا اشتراط^(١) تحريره به ﴿وَيُؤْمَلَتُهُنَّ﴾ جمع : بعل ، وهو : الزوج ، والثناء لتأنيث

الجمع كالعمومة . والضمير للرجعيات ، وهو أخص من المرجع ، ويمكن تخصيص

المرجع به وإن اختلف فيه ﴿أَحَقُّ بِرُؤْسِهِنَّ﴾ إلى النكاح ، أي : ليس الرجعة إلّا لهم ،

فهـ «أفعل» بمعنى : الفاعل ﴿فِي ذَلِكَ﴾ : في زمان التربص ﴿إِنْ أَرَادُوا﴾ بالرجعة

﴿إِضْلَاحًا﴾ حث على قصد الإصلاح لهن ومنع من الضرار ، لا شرط للرجعة ؛

لصحتها مع قصد الضرار - إجماعاً - وإن حرم ﴿وَلَهُنَّ﴾ على الرجال من الحقوق

﴿مِثْلَ الَّذِي﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ في الوجوب - لا في الجنس - ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ : بالوجه

الذي لا ينكر شرعاً وعرفاً ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ : شرف وفضيلة ؛ إذ يشاركونهم في

اللذة ويفضلونهن بالقيام عليهن والرعاية لهن ، أو زيادة في الحق .

(١) في «ب» و«ج» : لا اشتراط ، وكان في «الف» هكذا أيضاً الا أنه صحح الى ما اثبتناه في المتن ،

وذكر معناه في تفسير البيضاوي ١ : ٢٤٠ أيضاً .

وقد بينت الأخبار حقوق الجانبين وزيادة حقوق الرجل. ^(١) حتى ورد فيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «لو كنت امرأةً أحدًا أن يسجد لأحد، لأمرات المرأة أن تسجد لزوجها». ^(٢) وإن امرأة سألته عن حق الزوج فذكره لها، فقالت: «فما لي من الحق مثل ما له علي؟ فقال: لا، ولا من كل مائة واحدة» ^(٣) «وَاللَّهُ عَزِيزٌ» قادر على ما يشاء ﴿حَكِيمٌ﴾ فاعل بمقتضى الحكمة.

[٢٢٩] - ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ أي: التطلاق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق لا الجمع، ولم يرد التنبيه، أو: التطلاق الرجعي إثنان. لما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل: أين الثالثة؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أو تسريح بإحسان» ^(٤) ﴿فَلْيَمْسِكْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾ تخيير لهم بعد تعليمهم كيفية التطلاق بين إمساكهن بحسن المعاشرة وتسريحهن سراحاً جميلاً كما علمهم، فهو حكم مبتدأ، وعلى الثاني، معناه: فبعد التلطيقين الواجب إمساك بالمراجعة على وجه لا ينكر عرفاً وشرعاً، أو تسريح بإحسان بالطلقة ^(٥) الثالثة، أو بأن لا يراجعها حتى تبين - وهو المروي عن الصادقين عليهما السلام - ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَاءٍ مَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور ﴿شَيْئًا﴾ قيل: كانت زوجة ثابت بن قيس تبغضه، فقالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا أنا ولا ثابت بن قيس، لا يجمع رأسي ورأسه شيء، فنزلت. ^(٦)

واختلعت منه بحديقة أصدقها إياها، والخطاب للحكام، واسند الأخذ والإعطاء اليهم لأنهما بأمرهم، أو: للأزواج وما بعده للحكام ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ أي: الزوجان

(١) ذكرت هذه الحقوق باسهاب في مكارم الأخلاق ٢١٢ - ٢١٨.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٣٢٧.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٣٢٧ وتفسير نورالثقلين ١: ٢٢٢ الحديث ٨٥٥ وتفسير البرهان ١: ٢٢٠.

(٤) تفسير التبيان ٢: ٢٤٤.

(٥) في «الف»: بالتطليقة.

(٦) تفسير التبيان ٢: ٢٤٤ وتفسير مجمع البيان ١: ٣٢٧.

﴿أَلَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ ترك إقامة أحكامه - من لوازم الزوجية - . وبنى «حمزة» : «يخافا» للمفعول، ^(١) ف«أن» بصلتها بدل اشتمال من الضمير ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أيها الحكماء ﴿أَلَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ نفسها واختلعت به، ولو بأزيد من المهر - لعموم «ما» - وعليه الأصحاب في الخلع، ومنعوا من الزائد في المباراة؛ للأخبار المخصصة للآية. ^(٢)

والمعنى : لا إثم عليه في الأخذ ولا عليها في الإعطاء وإن أئمت في إظهار الكراهة ﴿وَبَلَكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ تجاوزوها بالمخالفة ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وظاهرها تقييد الأخذ بالتباغض من الجانبين وهو في المباراة لا الخلع؛ إذ شرطه البغض من المرأة فقط .

[٢٣٠] - ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الطلاق المكرر المذكور في : «الطلاق مرتان» ^(٣) واستوفى نصابه، أو الثالثة بعد المرتين ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ : من بعد ذلك الطلاق ﴿حَتَّى تَكْبَحَ﴾ تزوج ﴿زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ والنكاح يُسند إلى كل منهما كالتزويج، ويحتج - بإسناده إليها - على عدم اعتبار الولي في البالغة الرشيدة، وفيه كلام ولا بد من الوطء، للأخبار ^(٤) والإجماع ^(٥) وشذذ اكتفاء «ابن المسيب» ^(٦) بالعقد وقد يحمل النكاح على الوطء ويستفاد العقد من : «زوجاً» كدوامه من ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ أن يرجع كل من الأول والمرأة إلى صاحبه بالزواج ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ

(١) حجة القراءات : ١٢٥ .

(٢) وسائل الشيعة ١٥ : ٤٩٣ الباب الرابع من كتاب الخلع والمباراة .

(٣) هذا بناء على مذهب من جعل التشريع طلاقاً - راجع تفسير مجمع البيان ١ : ٣٢٠ .

(٤) ذكر جملة منها في تفسير العياشي ١ : ١١٦ الحديث ٣٦٤ .

والكافي ٥ : ٢٥٥ كتاب النكاح باب تحليل المطلقة لزوجها الحديث ٤ .

(٥) نقل الإجماع صاحب كنز العرفان في ٢ : ٢٨٠ .

(٦) هو سعيد بن المسيب .

يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴿ ما شرعه من لوائح الزَّوجِيَّة . ولا وجه لتفسير الظن - هنا - بالعلم ؛ إذ لا يعلم العواقب إلا الله ، ولمنافاة «أن» الناصبة للعلم ﴿وَتِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودَ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ للعلماء المستمعين بالبيان .

[٢٢١] - ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَسْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ : آخر عدتهن . والأجل يقال :

للمدة وآخرها ، وأريد بالبلوغ : المقاربة ؛ إذ لا إمساك بعد تقضي الأجل ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ : راجعوهن من غير ضرار ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ : اتركوهن حتى تنقضي عدتهن بلا ضرار ، وكثر هذا الحكم للإهتمام به ﴿وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ لا تراجعوهن طلب الإضرار بهن ، أو مضرين ، فنصب علة أو حالاً . كَانَ المطلق يترك المطلقة حتى تقارب الأجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها ، وهو : الضرر ﴿لِتَعْتَدُوا﴾ : لتظلموهن ، أو تلجنوهن إلى الإفتداء ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضها للعذاب ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ أي : جدوا في رعايتها ، والعمل بها ، ولا تنهاونوا بها . يقال لمن لم يجد في الأمر : إنما أنت هازي . ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم فقابلوها بالشكر ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ : القرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ : السنة ، فاعملوا بهما ﴿يَعِظْكُمْ بِهِ﴾ بما أنزل ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تهديد وتأکید .

[٢٢٢] - ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَسْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ : انقضت عدتهن ، فالبلوغ على

حقيقته للسياق ﴿فَلَا تَعْصِلُوهُنَّ﴾ : تمنعهن ﴿أَنْ يَكْبَحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ الخطاب عام ، أي : ليس لأحد ذلك ، أو للأزواج الذين يمنعون نساءهم بعد العدة عن التزويج ظلماً للحمية لقوله : «إذا طلقتم» . أو للأولياء ؛ لما روي : أن «مقل بن يسار» عضل أخته أن ترجع إلى زوجها الأول بعقد جديد .^(١)

ويحتج به على ثبوت الولاية على المرأة ؛ إذ لو استقلت لم يكن لمفضل الولي

معنى . وفيه : بعد تسليم السبب ، منع كون الأخ ولياً ، ولو سلم لم يستلزم كون الخطاب للأولياء ، ولو سلم لم يلزم من استقلالها عدم منع أحد لها ظلماً ﴿إِذَا تَرَاصُوا بَيْنَهُمْ﴾ أي : الخطاب والنساء ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً ، حال عن الواو ، أو صفة مصدر محذوف ، ويفيد جواز العضل عن غير الكفو ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور أيها الجمع ، أو : السامع ، أو : الرسول ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إذ هو المتفع به ﴿ذَلِكَ﴾ أي : عملكم الموجب ما ذكر ﴿أَزْكَى﴾ خير ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ من دنس الذنوب ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه الصلاح ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك .

[٢٢٣] - ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ خبر أريد به : الأمر - مبالغة - ، وهو للندب أو الوجوب ، فيخص فيما إذا تعذر غير الأم . وتخصيصها بالمطلقات ؛ إذ الكلام فيهن - بعيد^(١) ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ : نعت لرفع احتمال التسامح ﴿لِمَنْ﴾ أي : هذا الحكم لمن ﴿أَرَادَ أَنْ يُسِّمَ الرِّضَاعَةَ﴾ ، أو : متعلق بـ «يرضعن» ؛ إذ الأب يجب عليه الإرضاع ، والأم ترضع له غالباً .

وظاهره : أن أقصى مدة الرضاع حولان ، ولا يعتد به بعدهما ، وجواز النقص ويحد بأحد وعشرين شهراً ، وبعض الأخبار يفيد جواز الزيادة على الحولين ،^(٢) وحدها الأصحاب بشهر أو شهرين إذا اقتضتها المصلحة ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أي : الأب - إذ الولد يولد له ، وعبر به إشارة إلى المعنى الموجب للإرضاع . عليه ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ قيل : يفيد وجوب أجره المثل للأم ، وقيل : المراد به نفقة الزوجية ، وقد يخص بالمطلقة^(٣) ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً وعرفاً بحسب وسعه كما نبه عليه : ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فلا تكلف ما لا تطيقه ، كما ثبت امتناعه عقلاً ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ

(١) اذن كلمة : «الوالدات» تعم المطلقات وغيرهن .

(٢) كما ورد في وسائل الشيعة ١٥ : ١٧٦ الباب ٧٠ من أبواب احكام الاولاد الحديث ٤ .

(٣) قاله الضحاك والثوري - كما في تفسير البيان ٢ : ٢٥٦ وتفسير مجمع البيان ١ : ٢٢٥ .

يُولَدُهَا وَلَا مَوْلُودَ لَهُ يُولَدُ لَهُ، بيان له، أي: لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه. ورفع «ابن كثير» و«أبو عمرو» «تضاراً»^(١) وأصله - على القراءتين - : «تضارر» بالكسر، أو الفتح - بناءً للفاعل أو المفعول -، أي: لا يضر كل منهما الآخر بالتعديء إلى ما لا يجوز بسبب الولد.

وعلى الكسر جاز كونه بمعنى: «يضر»، والباء صلته، أي: لا يضر الوالدان بالولد فتسيء الأم تعهده، ويقصر الأب في حقه، وأضافته إليها تارة وإلى أخرى استعطاف لهما عليه، وحث على عدم التقصير في حقه ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ الذي وجب على الأب، عطف على: «وعلى المولود له» وما بينهما اعتراض للبيان. و«الوارث»: وارث الأب، وهو الولد، أي: مؤن المرضعة من ماله إذا مات أبوه، أو: الباقي من الأبوين - وهو: الأم -، ورثة الأب،^(٢) وقيل: ورثة الصبي^(٣) وكلاهما ضعيف ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي الوالدان ﴿فَصَالَا﴾ قبل الحولين أو بعدهما، صادراً ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ مشتمل على مصلحة الطفل.

والتشاور: استخراج الرأي - من: «شرت العسل» أي: استخرجته - ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فيه واشتراط رضا الأب لولايته، والأم لأحققتها بالتربية، وهي أعلم بحال الصبي ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا﴾ المراضع ﴿أَوْلَادَكُمْ﴾ إسترضع كـ «أرضع» ينصب مفعولين، حذف أحدهما للإستغناء عنه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه، ويفيد أن للاب إسترضاع غير الأم، لكنه مقيد بما إذا لم يستلزم الإضرار بها؛ للنهي عنه ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ إلى المراضع ﴿مَا أَتَيْتُمْ﴾: ما أردتم إعطاؤه. وقرأ «ابن كثير»: «أَتَيْتُمْ»^(٤)

(١) حجة القراءات: ١٣٦.

(٢) قاله قيس بن ذؤيب - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٢٥.

(٣) قاله الحسن وقتادة والسدي - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٢٥.

(٤) حجة القراءات: ١٣٧.

من: «أنتى جميلاً» أي: فعله ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً، صلة «سلمتم» وجواب الشرط يعلم مما قبله. وليس التسليم شرطاً لجواز الإسترضاع بل أريد الحث على ما هو الأصلح للطفل ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بالمحافظة على حدوده سيما في أمر الأطفال والمراضع ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وعد ووعد.

[٢٣٤] - ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: بعدهم، كقولهم: «السمن منوان بدرهم»: أو: أزواج الذين يتوفون يتربصن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ أنت باعترار الليالي وتدخل الأيام معها، ولم يذكروا في مثله قط، حتى أنهم يقولون: «صمت عشرة».

والحكم يعم الصغيرة والكبيرة، والمدخول بها وغيرها، والمسلمة والكتابية. وأما الحامل: فبأبعد الأجلين؛ لإجماعنا والأخبار^(١)

والوضع عندهم لآية: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ﴾^(٢) ونخصت عندنا بالطلاق. ثم منّا من أدخل المتمتع بها في الحكم، ومنّا من نصف لها المدة، وكذا الخلاف في الأمة، وأخبارنا مختلفة في كل منهما ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الحكّام أو المسلمون ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التعرض للخطّاب ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ الذي لا ينكر شرعاً، ويفهم أنّ عليهم منعهن لو فعلن ما ينكر، فان قصروا أئموا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ترغيب وترهيب.

[٢٣٥] - ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ المعتدات غير الرجعتيات. والتعريض: إيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً، كقول السائل: جئتك لأزورك، والكناية: الدلالة على الشيء بذكر لوازمه كـ «كثير الزّماذ» للمضياف.

(١) وسائل الشيعة: ١٥: ٤٥٥ باب ٣١ من أبواب العدد.

(٢) سورة الطلاق: ٤/٦٥.

والخطبة بالكسر - : طلب المرأة . وتعريض خطبتها ، أن يقول لها : أنت جميلة ، ورب راغب فيك ، ونحوه ﴿أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أضمرتم ي قلوبكم بلا تصريح ولا تعريض ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ لرغبتكم فيهن فلا تصبرون على الكتمان .

وفيه نوع توبيخ وحذف ، أي : فاذكروهن ، ليتجه استدراك ﴿وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ : جماعاً لأنه يسر ، أو : لا تواعدوهن في السر بما يستهجن ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ وهو : التعريض بلا تصريح . والاستثناء من محذوف ، أي : لا تواعدوهن مواعدة إلا مواعدة معروفة ، أو : بقول معروف . وقيل : منقطع من «سرّاً»^(١) ويلزمه كون التعريض موعوداً وليس كذلك ، ويفيد : جواز تعريض خطبة المعنونة وحرمة تصريحها ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد أي : لا تعزموا عقد عقدة النكاح ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ ينقضي المكتوب من العدة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من العزم ﴿فَاخْذَرُوهُ﴾ ولا تعزموا ما لا يجوز ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن عزم ولم يفعل خشية الله ﴿حَلِيمٌ﴾ : يمهل العقوبة .

[٢٣٦] - ﴿لَا جُنَاحَ﴾ : لا تبعة ﴿عَلَيْكُمْ﴾ من مهر ، أو : لا إثم . رفع لتوهم منع الطلاق قبل المسيس ﴿إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ : تجامعوهن . وقرأ «حمزة» والكسائي : «تماسوهن»^(٢) ﴿أَوْ تَفَرِّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي : وتفرضوا ، أو : إلا أن تفرضوا . أي : لا تبعة على المطلق من المهر ما لم يمس المطلقة ، ولم يسم لها مهراً ؛ إذ مع المس عليه المسعى ، أو مهر المثل ، وبدونه مع التسمية نصف المسعى ، فمنطوقها ينفي وجوب المهر في الصورة الأولى ، ومفهومها يثبت في الجملة في الأخيرتين ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ عطف على مقدر ، أي : فطلقوهن ومتعهوهن ، وتقدير

(١) نقل هذا القول البيضاوي في تفسيره وضغفه ، ينظر تفسير البيضاوي ١ : ٢٤٨ .

(٢) حجة الفراءات : ١٣٧ .

المتعة بحسب حال الزوج لقوله ﴿عَلَى الْمُؤْسِعِ﴾ من له سعة ﴿قَدْرُهُ﴾ بالسكون، أو الفتح - على القراءتين -، ما يطيقه ﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾: الضيق الحال ﴿قَدْرُهُ﴾ والمتوسط داخل في أحدهما. والمحكم في التقدير: العرف، ولا ينافيه ما قدره الأصحاب لكل من الأقسام فوجبت المتعة للمطلقة قبل المس، والفرص بالمنطوق، وانتفى وجوبها لغيرها بالمفهوم ﴿مَتَاعاً﴾: تمتعاً ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً وعرفاً بحسب المروءة ﴿حَقّاً﴾: واجباً، أو حق ذلك حقاً ﴿عَلَى الْمُخْنِينِ﴾ إلى أنفسهم بالإمثال، أو إلى المطلقات بالتمتع. سَمُوا بالمشاركة محسنين ترغياً.

[٢٣٧] - ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أي: فعليكم، أو: فالواجب نصف المسمى، ودلّ على أنّ الجناح المنفي آنفاً بعة المهر ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾ أي: المطلقات عن حقهنّ كلّاً أو بعضاً. والصيغة للمؤنث ووزنها «يفعلن» ولا اثر له «أن» فيها؛ لبنائها وتأتي للمذكر، ووزنها «يفعون» بحذف اللام ﴿أَوْ يَعْفُوا﴾ عطف على محلّ «يعفون» ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾: الولي إذا كانت صغيرة أو غير رشيدة - إذ له العفو إذا اقتضته المصلحة، لكن لا عن الكل - عند الأصحاب -.

وقيل: الزوج؛^(١) لأنه المالك لحله وعقده. وعفوه أن يسوق اليها المهر كمالاً، وفيه بعد ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ خطاب للأزواج، فعلى الأول: لما ذكر عفو المرأة وليها ذكر عفو الزوج، وعلى الثاني: أعيد ذكره تأكيداً، وجمع بإعتبار كلّ زوج أو للزوجين معاً بتغليب الذكورة ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: ولا تركوا أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ عليم.

[٢٣٨] - ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ بأدائها لأوقاتها بحدودها، وكأنّ الأمر بها خلال أحكام الأولاد والأزواج لئلا تلهيم عنها ﴿وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾ بينها، أو

(١) قاله سعيد بن المسيّب وقتادة والضحاك... كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٤.

الفضلى، وخصّص بعد التعميم لفضلها، واختلف في تعيينها وبكل واحدة من الخمس قائل.^(١) وقيل: أخفيت ليهتم بالكل كـ «ليلة القدر»^(٢) «وقوموا لله قانتين»: داعين، أو ذاكرين أو: خاشعين أو: طائعين، أو: ساكتين. واحتج بها على وجوب القنوت في الصلاة، وفيه تأمل، وعلى وجوب القيام والنية فيها، وليس ببعيد.

[٢٣٩] - «فَإِنْ خِفْتُمْ» عدواً أو غيره ولم يمكنكم الصلاة بشرائطها «فَرَجُلًا» جمع راجل «أَوْ رُكْبَانًا» أي: فصلّوا راجلين، أو راكبين على أي هيئة يمكنكم «فَإِذَا أَمِيتُمْ» من الخوف «فَاذْكُرُوا اللَّهَ» صلّوا صلاة الأمن، أو: اشكروه على الأمن «كَمَا» ذكرنا مثل ما «عَلَّمَكُم» من الشرائع، أو: شكراً يوازيه. و«ما» موصولة أو مصدرية «مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ» موصولة أو موصوفة.

[٢٤٠] - «وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيُذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ» نصبها «أبو عمرو» و«ابن عامر» و«حمزة» و«حفص» بتقدير: يوصون وصية، أو: الزموا وصية. ورفعها الباقر بتقدير: وحكم الذين يتوفون وصية، أو: عليهم وصية.^(٣) «مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ» نصب بـ «يوصون» - ان قدر -، وإلا فـ «وصية» «غَيْرَ إِخْرَاجٍ» بدل منه، أو: حال من أزواجهم، أي: غير مخرجات، والمعنى: أنه يجب على المقاربين للوفاة أن يوصوا بأن تتمتع أزواجهم بعدهم حولاً بالنفقة والسكنى. قال الطبرسي: اتفق العلماء على أن الآية منسوخة.^(٤)

ونقل عن «الصادق» عليه السلام: نسخها بـ «أربعة أشهر وعشراً»، ولعلّه متأخر نزولاً - وإن تقدم تلاوة -، وبآية الموارث، ولعلّ النسخ لوجوب الوصية دون الجواز

(١) ذكرت الأقوال مع تسمية قائلها في تفسير التبيان ٢: ٢٧٥ وتفسير مجمع البيان ١: ٣٤٣.

(٢) قاله الربيع بن خثيم وإبويكر الوارق - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٣.

(٣) ذكر ذلك في حجة القراءات: ١٤٨.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٥.

﴿فَإِنْ خَرَجْتَ﴾ من منزل الزوج ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الحكماء أو الأولياء للميت ﴿فِيمَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من ترك الحداد ﴿مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ شرعاً. ويفيد أنها كانت مخيرة بين ملازمة المنزل والحداد وأخذ النفقة، وبين الخروج وتركها ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لا يقهر ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعل للمصلحة.

[٢٤١] - ﴿وَالْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ قيل: عموماً وجوب المتعة لكل مطلقة بعد إيجابها لواحدة منهن^(١).

وعندنا أن العموم مخصص بالآية السابقة، وقيل: التمتع يعم الواجب والمندوب، وقيل: أريد به نفقة الزوجة^(٢).

[٢٤٢] - ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائله وأحكامه تبييناً مثل ذلك التبيين للأحكام المذكورة ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تستعملون عقولكم فيها.

[٢٤٣] - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تقرير لمن سمع بقصصهم، أو: الخطاب عام - لأنه كالمثل في التعجب - . ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: أهل «داوردان» قرية قبل «واسط»^(٣) هربوا من الطاعون فأماتهم الله ثم أحياهم، ليعلموا أن لامفر من حكمه.

أو: قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد ففروا ﴿وَهُمْ أَلُوفٌ﴾ كثيرة ﴿خَذَرَ الْمَوْتِ﴾ مفعول له ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ أي: فأماتهم. وعبر به تنبيهاً على أنهم ماتوا مorte رجل واحد بمشيئته تعالى، وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد؛ إذ الموت لا مفر منه، وأفضله الشهادة ﴿ثُمَّ أَخْبَاهُمْ﴾ قيل: مر عليهم «حزقيل» عليه السلام: وقد عريت عظامهم، وتقطعت أوصالهم، فتعجب منهم، فأوحى إليه:

(١) قاله سعيد بن جبير وابوالعالية والزهرى - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٥.

(٢) قاله ابو علي الجبائي - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٥.

(٣) تقع شرقي واسط، وبينها وبين «واسط» فرسخ، كما في معجم البلدان ٢: ٤٢٤ - باب الدال والالف..

نَادِ فِيهِمْ أَنْ قَوْمُوا بِإِذْنِ اللَّهِ، فَنَادَى، فقاموا. (١)

وعن الباقر عليه السلام: أَنَّهُمْ رَدُّوا وَعَاشُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ مَاتُوا بِأَجَالِهِمْ (٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ كإحياء أولئك ليعتبروا، واقتصاص خبرهم لتستبصروا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ له حق شكره.

[٢٤٤] - ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لما بيّن أن الفرار من الموت غير منجٍ لهم، أمرهم بالقتال في دينه؛ لأنه إن قدر موتهم فازوا بالشهادة وإلا فبالثواب ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمائرهم.

[٢٤٥] - ﴿مَنْ﴾ استفهامية مبتدأ، ﴿ذَا﴾ خبره ﴿الَّذِي﴾ صفته - أو: بدل - ﴿يُقْرِضُ اللَّهَ﴾: ينفق في طاعته، أو: يعمل لوجهه، فإقراضه تمثيل لتقديم ما يطلب به ثوابه ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾: إقراضاً خالصاً لوجهه، أو مقرضاً حلالاً طيباً ﴿فِيضَاعِفَهُ لَهُ﴾ فيضاعف جزاءه.

وصيغة المفاعلة للمبالغة ونصبه «عاصم» جواباً «للاستفهام» (٣) إذ المعنى أيقض الله أحداً؟ وشدّده «ابن كثير» بلا ألف رافعاً، «وابن عامر» ناصباً (٤) ﴿أَضْعَافًا﴾ جمع ضعف، نصب حالاً من الضمير المنصوب، أو مصدرأ على أن الضعف اسم للمصدر، وجمع للتشويح، أو مفعولاً ثانياً لتضمن المضاعفة التصيير ﴿كَثِيرَةً﴾ لا يحصيها إلا الله ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾: يقتصر على قوم ويوسع على قوم حسب المصلحة، فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم، لئلا يقتصر عليكم، وقريء بالسين والصاد (٥) واختلف النقل فيهما (٦) ﴿وَالَّذِينَ تُرْجَعُونَ﴾ تأكيد للجزاء.

(١) ذكر قصتهم الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٢٤٧ عن جماعة من المفسرين.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢٤٧.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٢٤٨.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٢٤٨.

(٥) حجة القراءات: ١٢٩.

[٢٤٦] - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ﴾ جماعة الأشراف ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ «من» للتبعية ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ من بعد وفاته، و«من» للإبتداء ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ﴾: «شمعون، أو: «يوشع» أو: «اشمويل» ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أنهض للقتال معنا أميراً نصدر في تديبره عن رأيه. وجزم «نقاتل» على الجواب ﴿قَالَ هَلْ عَبَيْتُمْ﴾ وكسر «نافع»: «السين»^(١) ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ شرط فصل بين «عسى» وخبره وهو: ﴿أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ استفهم عما هو متوقع عنده من جبنهم عن القتال تقريراً ﴿قَالُوا وَمَالَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ﴾ وأي داع لنا إلى ترك القتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ وذلك أن «جالوت» و«العمالقة» كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين، فغلبوا على ديار بني اسرائيل وسبوا ذراريهم ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ ثلاثمائة وثلاثة عشر، عدد أهل بدر ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ في ترك القتال، وعيد لهم.

[٢٤٧] - ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ﴾ اسم عبري كـ«جالوت» - لا «فَعَلُوت» من الطُول، لمنع صرفه -، قيل: لما دعا الله نبيهم أن يملكهم أتى بعضا يُقاس بها من يملك، فلم يساوها إلا «طالوت»^(٢) ﴿مَلِكًا قَالُوا أَنَّى﴾: من أين ﴿يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَهْلُ الْفُتُورِ﴾ أي: أنا ﴿أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ ورائة. قيل: إنه كان من سبط «بنيامين» ولم يكن فيهم الملك والنبوة، وإنما كان الملك في سبط «يهودا» والنبوة في سبط «لاوي» وكان فيهم خلق من السبطين^(٣) ﴿وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ ولا بد للملك من مال يعتضد به.

(١) حجة القراءات: ١٢٩.

(٢) قاله السدي - كما في تفسير روح المعاني ٤: ٤٤٣ د.

(٣) ينظر تفسير مجمع البيان ١: ٢٥٢، برواية عن الحلبي عن أبي عبد الله (ع) - ينظر

تفسير العياشي ١: ١٢٢.

قيل : كان سقاءً أو دباغاً ، فأنكروا تملكه لسقوط نسبه وفقره ،^(١) فردّ عليهم ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ ﴾ : اختاره ﴿ عَلَيكُمْ ﴾ وهو أعلم بالمصالح منكم ﴿ وَزَادَهُ ﴾ ما هو أنفع مما ذكرتم ﴿ بِنِطْطَةٍ ﴾ : سعة ﴿ فِي الْعِلْمِ ﴾ ولا يتم أمر السياسة إلا به ﴿ وَالْجِسْمِ ﴾ إذ الجسيم أعظم في النفوس ، وأقوى على مكابدة الحروب . كان إذا مدّ الرجل القائم يده نال رأسه ﴿ وَاللَّهُ ﴾ له الملك ﴿ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ ﴾ الفضل ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بمن يصلح للملك .

[٢٤٨] - ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ﴾ حين طلبوا منه الحجة على تملك الله «طالوت» :

﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ : الصندوق «فَعَلَوْتُ» من التوب ؛ لرجوع ما يخرج منه اليه غالباً ، وهو صندوق التوراة .

وقيل : إنه المنزل على أم موسى لتقذفه به في اليم ،^(٢) وكان من شمشاد^(٣) مموهاً بالذهب ، نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين^(٤) ﴿ فِيهِ ﴾ في إتيانه ﴿ سَكِينَةٌ ﴾ سكن وطمانينة لكم ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أو في التابوت أي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة ، وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قذمه فتسكن نفوسهم ويثبتون ، أو : صورة لها وجه كوجه الإنسان فيها ريح هفافة^(٥) أو آية يسكنون اليها ﴿ وَبَقِيَتْ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ ﴾ رضراض الألواح ،^(٦) وعصا موسى ، وثيابه ، وعمامة هرون .

(١) نقله الزمخشري في تفسير الكشاف ١: ٣٧٩ .

(٢) ذكره الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٣٥٣ عن علي بن إبراهيم في تفسيره .

(٣) هو خشب الشمشاد .

(٤) ذكره البضاوي في تفسيره ١: ٢٥٣ .

(٥) الهفافة مؤنث الهفاف . وهي الريح الطيبة .

(٦) في «الف» : رضاض ، والرضراض : فئات الألواح ، وهي مكسوراتها .

وَالْهَمَا: أَنْفُسُهُمَا، ^(١) وَالْآلَ مَقْحَم، ^(٢) أَوْ: أَنْبِيَاءُ بَنِي يَعْقُوبَ لِأَنَّهُمْ بَنُو عَمَّتِهِمَا ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قِيلَ: رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا اسْتَحَقُّوا بِهِ بَعْدَ مُوسَى، فَزَلَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ يَشَاهِدُونَهُ ^(٣) وَقِيلَ: كَانَ بَعْدَهُ فِيهِمْ يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ فَأَفْسَدُوا فَعَلِبِهِمُ الْأَعْدَاءُ عَلَيْهِ، وَبَقِيَ فِيهِمْ إِلَى أَنْ بَعَثَ «طَالُوتُ» فَابْتَلَوْا بِالْمَوْتِ وَالْوَبَاءِ، فَتَشَاءَ مَوَا بِهِ، فَوَضَعُوهُ عَلَى ثَوْرَيْنِ، فَسَاقَهُمَا الْمَلَائِكَةُ إِلَى طَالُوتَ ^(٤) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مِنْ كَلَامِ نَبِيِّهِمْ، أَوْ خُطَابٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

[٢٤٩] - ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ﴾ أَصْلُهُ فَصَلَ نَفْسَهُ، فَكْشَرَ فَحَذَفَ ^(٥) مَفْعُولُهُ، وَصَارَ كَاللَّازِمِ، أَي: انفصل عن بلده ﴿بِالْجُنُودِ﴾ وَكَانُوا ثَمَانِينَ أَلْفًا، اخْتَارَهُمْ إِذْ لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا الشَّابُّ النَّشِيطُ الْفَارِغُ، وَكَانَ الْوَقْتُ قِيظًا ^(٦) فَشَكُوا قَلَّةَ الْمِيَاهِ ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾: مَعَامِلَكُمْ مَعَامِلَةَ الْمُخْتَبَرِ ﴿بَنَهَرٌ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ فَلَيْسَ مِنْ جَمَلَتِي أَوْ فَلَيْسَ بِمُتَّحِدٍ بِي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾: لَمْ يَذُقْهُ ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ﴾ اسْتِنَاءً مِنْ «فَمَنْ شَرِبَ» «غُرْفَةً يَدِيهِ» فِيهِ قِرَاءَتَانِ: ^(٧) الضَّمُّ بِمَعْنَى الْمَعْرُوفِ، وَالْفَتْحُ مَصْدَرًا، وَالْمَعْنَى: الرِّخْصَةُ فِي الْقَلِيلِ دُونَ الْكَثِيرِ ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ كَرَعُوا فِيهِ ^(٨) ﴿إِلَّا

(١) يعني: مما ترك موسى وهارون، يقول العرب آل فلان، يريدون نفسه - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٥٥٣.

(٢) أي: اقحم كلمة «الآل» في العبارة، تفخيماً لشأن موسى وهارون كما في تفسير البيضاوي ١: ٢٥٤.

(٣) قاله ابن عباس والحسن - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٥٥٣.

(٤) نقل هذا القول كل من الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٢٥٣ والزمخشري في تفسير الكشاف ١: ٣٨٠.

(٥) كذا ورد في النسخ والصحيح كما في تفسير البيضاوي ١: ٢٥٤ - واصله فصل نفسه عنه، ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللزام -.

(٦) القِيظ: شدة الحر.

(٧) ذكرنا في حجة القراءات: ١٤٠.

(٨) يقال: كرع في الماء أو الاتاء: إذا مد عنقه وتناول الماء بفيه من موضعه.

قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴿ القليل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر، وقيل أكثر. ^(١)

روي أَنَّ من اقتصر على الغرفة زوي، ومن استكثر غلب عطشه وعجز عن المضي ^(٢) ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ القليل ﴿ قَالُوا ﴾ أي: بعضهم لبعض ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ ﴾ جبار من العمالقة من ولد «عمليق بن عاد» ﴿ وَجُنُودِهِ ﴾ لكثرتهم ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ ﴾ وهم الخَلَصُ منهم، الَّذِينَ يَتَّقُونَ لقاء ثواب الله، أو: القليل: المؤمنون، وضمير «قالوا» للكثير المخالفين، كأنهم تفاولوا به والنهر بينهما ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ ﴾ فرقة ﴿ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ بأمره ونصره ﴿ كَمْ ﴾ خبرية: أو: استفهامية ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ بالنصر.

[٢٥٠] - ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَبَثَّ أَقْدَامَنَا ﴾ في مداحض الحرب ^(٣) ﴿ وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ بذلك وبإلقاء الرعب في قلوبهم.

[٢٥١] - ﴿ فَهَرَمَوْهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ بنصره ﴿ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ ﴾ كان «إيشا» في جند طالوت مع ستة من بنيهِ وكان داود سابعهم وأصغرهم يرعى الغنم، فأوحى الله إلى نبيهم: أَنَّهُ الذي يقتل جالوت، فطلبه من أبيه، فأتى فقالت له ثلاثة أحجار في طريقه: إِنَّكَ تقتل جالوت بنا، فحملها ورماء بها، وقتله وزوجه طالوت بنته ﴿ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ في الأرض المقدسة، ولم يجتمعوا على مُلْكٍ قبل داود ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾: النبوة ﴿ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ كمنطق الطير والسرود ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ أي: لولا أن يدفع بعض الناس ببعض، أو: ينصر المسلمين على الكفار ويكفّ بهم فسادهم ﴿ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ بغلبة المفسدين فيها ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ في دينهم ودنياهم.

(١) قاله السدي - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٥٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس - كما في روح المعاني ٢: ١٤٧.

(٣) المداحض: المساقط والمزالق.

[٢٥٢] - ﴿تِلْكَ﴾ القصص المذكورة من خبر الألوف وتمليك طالوت وآيته، ونصر جنده، وقتل جالوت ﴿ءَايَاتُ اللَّهِ﴾: دلالاته ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾: بالصدق الذي لا يشك فيه أحد ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ لإخبارك بها ولم تقرأ ولم تسمع .

[٢٥٣] - ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ إشارة إلى جماعة الرسل المذكورة في السورة، أو: المعلومة له من الله عليه وآله وسلم ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بمنقبة تخصه دون غيره ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ تفضيلاً له ، وهو موسى عليه السلام ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ فضله على غيره بمراتب متفاوتة، وهو محمد من الله عليه وآله وسلم حيث خص بفضائل لا تحصى كالعلوم الوافرة، والآيات الباهرة، والحجج المتكاثرة، والدعوة العامة، والمعجزة المستمرة القائمة .

والإبهام لتعظيم قدره كأنه العَلَمُ المتميز بهذا النعت فلا يشبه ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ خصه وموسى بالذكر لوضوح معجزاتهما العظيمة التي بها فضلا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ مشيئة إلهاء ﴿مَا أَفْتَلَّ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد الرسل ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾: الحجج الواضحة، لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضاً ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ﴾ بتوفيقه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ بخذلانه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَكُوا﴾ كرر تأكيداً ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من العصمة والخذلان .

[٢٥٤] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ مما وجب انفاقه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ﴾ حتى يمكنكم تدارك ما فاتكم بابتياح ما تنفقونه ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ حتى يسامحكم به أخلاؤكم ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ إلا لمن اذن له الرحمان حتى تتكلوا على شفيع يشفع لكم في حط ما في ذممكم . وفتح «ابن كثير» و«أبو عمرو» ثلاثتها، ورفعها الباقون^(١) ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ أي: التاركون للزكاة . عبر عنهم بالكافرين تغليظاً ﴿هُمْ

الظَّالِمُونَ ﴿لأنفسهم﴾.

[٢٥٥] - ﴿الله لا إله إلا هو﴾ مبتدأ وخبر. والمعنى أنه المستحق للعبادة لا غيره ﴿الْحَيُّ﴾ الذي يصح أن يعلم ويفقد ﴿الْقَيُّومُ﴾: الدائم القيام بتدبير خلقه وحفظه ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾: فتور يتقدم النوم فلذلك قدمت على ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ والقياس العكس، والجملة نفى للتشبيه، وتأكيده «القيوم». إذ لا تدبير ولا حفظ لمن ينعس أو ينام؛ ولذا فصلت كآتي بعدها ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تقرير لقيوميته، وإثبات لتوحيده بالألوهية: وما فيهما بعَمَّ ما دخل في حقيقتهما وما خرج عنهما متمكناً فيهما ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ بيان لكبريائه، أي: لا أحد يتمالك يوم القيامة أن يشفع لأحد إلا إذا أذن له ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما قبلهم وما بعدهم، أو عكسه، أو أمور الدنيا وأمور الآخرة أو عكسه، والضمير له «ما في السموات والأرض» تغليظاً للعقلاء، أو لما دلَّ عليه «من ذا» من الملائكة والأنبياء ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ من معلومه ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أن يعلموه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ كرسية: علمه، أو: ملكه، تسمية باسم محلِّ العالم، أو: الملك، أو: العرش، أو جسم دونه، محيط بالسموات، وهو في الأصل: اسم لما يجلس عليه، ولا يفضل عن مقعد القاعد ﴿وَلَا يَؤُودُهُ﴾: لا يتقله من الأود أي العوج ﴿حِفْظُهُمَا﴾ حفظ السموات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ عن المثل والنذ ﴿الْعَظِيمُ﴾ الشأن، ولاشتمال الآية على توحيدته تعالى، وأصول صفاته الكمالية، ونعوته الجلالية.

ورد في شأنها ما ورد؛ كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد. ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمته الله على نفسه وجاره، وجار جاره».^(١)

(١) تفسير جوامع الجامع ١: ١٤٠ وفي آخره: والايات حوله.

وقال الباقر عليه السلام: «من قرأ آية الكرسي مرة، صرف الله عنه ألف مكروه من مكاره الدنيا، وألف مكروه من مكاره الآخرة، أسير مكروه الدنيا: الفقر، وأيسر مكروه الآخرة: عذاب القبر»^(١) إلى غير ذلك.

[٢٥٦] - ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي: لم يجبر الله أمر الإيمان على الإيجاب، ولكن على الاختيار ﴿قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ﴾ تميّز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة. وقيل: إخبار، معناه النهي، أي: لا تكرهوا في الدين.^(٢) وهو إما عام نسخ بآية السيف،^(٣) أو خاص بالذميين.

قيل: كان لأنصاري إبان فتنة قبل البعثة ثم قدما المدينة فقال أبوهما: والله لا أدعكما حتى تُسلما، فاخصموا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتزلت^(٤) ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ فعلوت من الطغيان، مقدم اللام، وهو: الشيطان أو: ما عبد من دون الله ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ﴾ تمسك ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾: المحكمة، تمثيل للمعلوم بالنظر بالمحسوس ﴿لَا انْقِصَامَ﴾ لا انقطاع ﴿لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ بالضمائر.

[٢٥٧] - ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ متولي أمر الذين أرادوا أن يؤمنوا أو: ناصرهم باللطف ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾ بلطفه ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾: من الكفر إلى الإيمان. والجملة خبر ثاني أو استئناف، بيان للولاية، أو الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبهة في الدين، إن عرضت لهم بتوفيقه لحلها إلى نور اليقين ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ صمموا

(١) رواه العياشي في تفسيره ١: ١٣٦ عن أبي عبد الله عليه السلام.

(٢) قاله مجاهد كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٦٣.

(٣) آية السيف هو قوله تعالى: «فإذا انسלخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذلهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد» (سورة التوبة: ٢/٩).

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٣٦٣.

على الكفر ﴿أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: الشيطان، أو: رؤوس الضلالة ﴿يُخْرِجُونَهُمْ﴾ بوسوستهم إليهم ﴿مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾: من الإيمان إلى الكفر، أو: من نور البينات إلى ظلمات الشبهات. وقيل: نزلت في قوم ارتدوا عن الإسلام^(١) ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وعيد.

[٢٥٨] - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ تعجيب من محاجة «نمرود» وكفره ﴿أَنَّهُ آتَاهُ﴾: لأن آتاه ﴿اللَّهُ الْمَلِكُ﴾ ما تسلط به من المال والخدم، لا التسلط،^(٢) أو: ملكه إيتاء للعباد، أي: أبطره الإيتاء فحاج لذلك، أو: حاج لأجله، أي: وضع المحاجة موضع الشكر على ذلك أو: وقته ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ ظرف لـ «حاج» أو بدل من «أَنَّهُ آتَاهُ» إن أريد به الوقت ﴿رَبِّي الَّذِي يُخَيِّ وَيُمِيتُ﴾ يخلق الحياة والموت. وحذف «حمزة» «ياء»، «رَبِّي»^(٣) ﴿قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾: أعطي من القتل وأقتل، وقرأ «نافع»: أنا بالالف^(٤) ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ لم يجب إبراهيم معارضته، لظهور فسادها؛ إذ المراد من الإحياء والإساة خلقهما - لا الإبقاء والقتل -، وعدل إلى دليل لم يمكنه التمويه فيه.

وعن الصادق عليه السلام: «إن إبراهيم قال له: فأحي من قتلته إن كنت صادقاً»،^(٥) ثم استظهر عليه بما احتج به ثانياً.

قيل: لما كثر إبراهيم عليه السلام الأصنام، سجنه أياماً ثم أخرجه ليحرقه فقال له: من ربك الذي تدعو إليه؟، وحاجته فيه^(٦) ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾: صار مبهوراً ملزماً

(١) قاله مجاهد - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٦٥.

(٢) في «الف»: لا السليط.

(٣) حجة القراءات: ١٤٢.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٣٦٧ وجوامع الجامع ١: ١٤١.

(٥) نقله البيضاوي في تفسيره ١: ٢٦٠ - ٢٦١.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم بإيائهم قبول الهداية، أو: لا يهديهم إلى المحاجة؛ أو: إلى الجنة.

[٢٥٩] - ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ﴾ تقديره: أو رأيت مثل الذي، فحذف لدلالة «ألم تر» عليه، أو: الكاف مزيدة، والتقدير: ألم تر إلى الذي حاج أو، الذي مر. وهو «عزير بن شرحب» أو: «أرميا» أو: «الخضر» عليه السلام. وقيل: كافر بالبعث. ^(١) ﴿عَلَى قَرْيَةٍ﴾ هي بيت المقدس حين خربه «بخت نصر» أو: التي خرج منها الألوف ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾: خالية ساقطة حيطانها على سقوفها ﴿قَالَ أَنَّى﴾ ظرف أو: حال، أي: متى أو: كيف ﴿يُخْبِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ إقرار بالمعجز عن معرفة طريق الإحياء - إن كان القائل مؤمناً -، أو: استبعاد - إن كان كافراً - ﴿فَأَمَّا اللَّهُ﴾ فلبث «مائة عام ثم يبعثه»: أحياء ﴿قَالَ﴾ الله تعالى - أسمعته صوتاً، أو: ملك، أو نبي -: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ - بِالْأَدْغَامِ، وَفَكَه -﴾ ﴿قَالَ﴾ - قول الظان -: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

وقيل: أميت ضحى وبعث بعد المائة آخر النهار، فقال - ولم يعاين الشمس -: يوماً، ثم التفت ورأى بقية منها فقال: «أو بعض يوم» ^(٢) ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةً عَامًا فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾ قيل: كان تيناً أو: عنباً ^(٣) ﴿وَشَرَابِكَ﴾ كان عصيراً أو: لبناً ﴿لَمْ يَنْسَنَهُ﴾: لم يتغير بمر السنين، أخذ من السنة، ولامها إمّا: هاء - فالهاء أصلية -، أو: واو - فهاء السكت -، وأفرد الضمير لأن الطعام والشراب كالجنس الواحد. وجد الكل على حاله ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ أي: إلى عظامه أو: إليه، سالماً كما ربطته، أعشناه بلا ماء وعلف ﴿وَلَنَجْزِيَنَّكَ أَجْرًا لِّمَا تَعْمَلُ﴾ فعلنا ذلك.

(١) قاله مجاهد - كما في تفسير روح المعاني ٤: ١٨٠.

(٢) قاله قتادة كما في تفسير الطبري ١: ٢٥٠.

(٣) نقل هذا القول كل من القمي في تفسيره ٨٦: ١ وتفسير العياشي في تفسيره ١: ١٤٠ وينظر تفسير البرهان ١: ٢٤٨.

قيل : إنه رجع إلى قومه على حماره ، فقال : أنا عزير فكذبوه ، فأملى التوراة عن حفظه ، وكان «بخت نصر» أحرقها ، وكان جذه دفنها ، فأخرجها وعارضوها بما أملى ، فما حرم حرفاً ، فقالوا : هو «ابن الله» .^(١) قيل : رجع وهو شاب وأولاده شيوخ فلماذا حدثهم بحديث قالوا : حديث مائة سنة .^(٢)

وعن عليّ عليه السلام : «أنه خلف امرأته حاملاً وله خمسون سنة فرجع ابن خمسين ، ولابنه مائة»^(٣) ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ : عظام الحمار أو : أهل القرية أو : عظامه . أحيا الله عينه فنظر ﴿كَيْفَ تَنْشُرُهَا﴾ - بالمهملة - : نحيها ، و - المعجمة - : نرفع بعضها على بعض للتركيب . والجملة حال من العظام ، أي : انظر إليها محياة ﴿ثُمَّ نَكُوسُهَا لَحْماً فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ﴾ أمر الاحياء ، أو : كمال قدرة الله تعالى ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي» : «إِعْلَمُ»^(٤) - أمراً من مخاطبه ، أو : من نفسه تبكيتاً - .

[٢٦٠] - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْخِي الْمَوْتَى﴾ سأل ذلك ليعلم عياناً . روي : أنه رأى جيفةً تاكل منها سباع البرّ ، ودوابّ البحر ، فقال : ربي قد علمت انك تجمعها من بطون هذه ، فأرني كيف نحيها لأعابن ذلك^(٥) ﴿قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ﴾ بأنني قادر على الإحياء ؟ . قال له ذلك وقد علم أنه أرسخ الناس إيماناً ليجيب بما أجاب ؛ فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلَى﴾ آمنت ﴿وَلَكِنْ﴾ سألت ﴿لِيُطَمِّنَنَّ قُلُوبِي﴾ : يزداد يقيناً وسكوناً بانضمام العيان إلى الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ جمع طائر كـ «صحب لصاحب» ، أو مصدر سمي به . وهي طاووس وديك

(١) نقله الألبان في تفسيره ١: ٢٦٢ .

(٢-٣) تفسير مجمع البيان ١: ٢٧٠ .

(٤) حجة القراءات ١٤٤ .

(٥) تفسير مجمع البيان ١: ٢٧٢ وتفسير العياشي ١: ١٤٢ وروضة الكافي ٣٠٥ .

وحمامة و غراب ﴿فَصُرْمُنْ﴾ اضممهن ﴿إِلَيْكَ﴾ لتأملها. وكسر «حمزة»: الصاد^(١) ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ أي: ثم جزئهن، و فرق أجزاءهن على الجبال، وكانت عشرة - عن الصادق عليه السلام - .^(٢) وقيل: سبعة.^(٣) وقيل: أربعة^(٤) ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ قل لهن: تعالين ياذن الله ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾ ساعيات سرعات طيراناً أو مشياً. روي: أنه أمر أن يذبحها، ويتنف ريشها، ويقطعها، ويخلط أجزاءها، ويفرقها على الجبال، ويمسك رؤسها، ثم يدعوهن ففعل، فجعلت أجزاء كل واحد تجتمع حتى صارت جثثاً، ثم أقبلن فانضممن إلى رؤسهن^(٥) ﴿وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله وأقواله.

[٢٦١] - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في وجوه البر، أي مثل نفقتهم ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ أو مثلهم كمثل باذر حبة ﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ أسند الإنبات إلى الحبة لأنها سبب - كالماء والأرض - والمنبت هو الله تعالى.

والتمثيل بذلك لا يقتضي وجوده، وقد يوجد في الدخن^(٦) ونحوه، وفي البر في أرض قوية ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ لا يضيق عليه ما شاء من الزيادة ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحقها بنيتّه، وقدر إنفاقه.

[٢٦٢] - ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾ هو: أن

(١) حجة القراءات: ١٤٥.

(٢) تفسير العياشي ١: ١٤٢ و ١٤٤.

(٣) قاله السدي وابن جريج - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٥٧٢.

(٤) قاله ابن عباس والحسن وقتادة - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٥٧٢.

(٥) جوامع الجامع ١: ١٤٤.

(٦) الدخن - كففل - نبات حبه صغير أملس.

يعتد بإحسانه على من أحسن إليه ^(١) ﴿وَلَا أَدَى﴾ هو: أن يتناول عليه بسبب إنعامه عليه. و«ثم» للتفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٢٦٣]- ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: رد جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ ستر على السائل، أو: عفو عن إلحافه، ^(٢) أو: نيل مغفرة من الله بالرد الجميل ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى﴾ خبر لهما. وصح الابتداء بالنكرة للوصف ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن إنفاقكم ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل بعقوبة من يمن ويؤذي.

[٢٦٤]- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾ أجروا ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَدَى﴾ المنافين للإخلاص المستحق به الثواب ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ كإبطال المنافق المراني بإنفاقه، أو: مماثلين للمراني و«رثاء» مفعول له، أو: حال، أي: مرانياً، أو: مصدر، أي: إنفاقاً رثاءاً ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لا يصدق بثواب الله في الآخرة ﴿فَمَثَلُهُ﴾ فمثل المراني ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أملس ﴿عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ مطر عظيم القطر ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾: أجرد، لا تراب عليه ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ لا يجدون ثواب ما عملوا رثاءاً. والضمير لـ«الذي ينفق» مراداً به الجنس أو الفريق ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ لا يفسرهم على الطاعة.

وفيه تعريض بأن المن، والأذى، والرثاء، من صفات الكافر لا المؤمن.

[٢٦٥]- ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ اتِّعَافَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتُبَيْتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ وليثبتوا بعضها على الإيمان، فإن المال شقيق الروح، فمن بذل ماله لله تعالى ثبت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها.

أو: تصديقاً للإسلام وتحقيقاً للجزاء مبتدأً من أصل أنفسهم ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ١: ٢٦٣.

(٢) الإلحاف: الإلحاح كما سيذكره المصنف في تفسير الآية ٢٧٣ من هذه السورة.

أي: ومثل نفقتهم كمثل بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: بمكان مرتفع؛ إذ شجره أنضر وثمره أكثر. وفتح «عاصم» وابن عامر: الرء، وضمّها الباقون^(١) ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: مطر عظيم القطر ﴿فَأَتَتْ أَكْثُهَا﴾ ثمرتها. وسكّنه «ابن كثير» و«نافع» و«أبرعمرو»^(٢) ﴿ضِفْفَيْنِ﴾: مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل، وقيل: أربعة أمثاله^(٣) ونصب حالاً، أي مضاعفاً ﴿فَإِنْ لَمْ يُصْبِحْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها، أو: فيصيبها طلّ. والمعنى: أن نفقتهم زاكية عند الله لا تضيع بحال وإن تفاوتت باعتبار ما ينضم إليها من الأحوال.

أو: تمثيل حالهم عنده تعالى بجنة بربوة، ونفقتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في أجرهم بالوابل والطلّ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ترغيب في الإخلاص، وترهيب من الرياء.

[٢٦٦] - ﴿أَبُودُ أَحَدُكُمْ﴾ الهمزة للإنكار ﴿أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ خصاً بالذكر لآتهما أكرم أشجارها فغلبا ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ يدلّ على احتوائها على سائر الأشجار ﴿وَأَصَابَةُ الْكَبِيرِ﴾ الواو للحال ﴿وَلَهُ دُرَّةٌ ضَعْفَاءُ﴾ صغار، عجزة عن الكسب، فهو للشيوخوخة والعالة أحوج ما يكون إلى جنته ﴿فَأَصَابَهَا إِغْصَافٌ﴾ ريح مستديرة من الأرض نحو السماء كالعمود ﴿فِيهِ نَارٌ فَاخْتَرَقَتْ﴾ هذا مثل لمن يعمل الحسنات لا يريد بها وجه الله تعالى، فإذا اشتدت حاجته إليها في الآخرة وجدها محبّطة فينحسر حسرة صاحب الجنة ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ فيها فتعتبرون بها.

[٢٦٧] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ من جيده أو: حلاله

(٢٥) حجة القراءات: ١٤٦.

(٢) نقل هذا القول البيضاوي في تفسيره ١: ٢٦٤ ولعله مبني على الخلاف في أن الضعف هل هو المثل أو المثلان.

﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ حذف المضاف لسبق ذكره، أي: ومن طيبات ما أخرجنا من الغلات والمثار والمعادن. والمراد: إمّا الإنفاق والفرص، أو ما يعتمه والنفل ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ﴾: ولا تقصدوا الرديء أو الحرام من المال مطلقاً ﴿تُنْفِقُونَ﴾ حال من فاعل «تيمموا»، ويجوز تعلق «منه» به، والضمير للخبيث، والجملة حال منه ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخِيذِهِ﴾ والحال أنكم لا تأخذونه في حقوقكم لخبثه ﴿إِلَّا أَنْ تُنْفِضُوا فِيهِ﴾ تتسامحوا في أخذه من «أغمض بصره» أي غضه، وهذا يعضد إرادة الرديء ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن إنفاقكم ﴿حَمِيدٌ﴾ بقبوله.

[٢٦٨] - ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ في الإنفاق - والوعد يأتي في الخير والشر - ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْقَحْشَاءِ﴾: بالبخل، والبخیل يسمى فاحشاً، أو: المعاصي ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَفَضْلاً﴾: خلفاً أفضل مما أنفقتم في الدنيا والآخرة ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله للمنفق ﴿عَلِيمٌ﴾ بإنفاقه.

[٢٦٩] - ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾: العلم النافع ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ قدم ثاني المفعولين اهتماماً به ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ وكسر «يعقوب» التاء^(١) أي: يؤته الله ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ تكبير تعظيم، أي: أي خير كثير ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ بالآيات ﴿إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: ذوو العقول، العالمون العاملون.

[٢٧٠] - ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ حسنة أو قبيحة ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ في طاعة أو معصية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الذين يمنعون الصدقات، أو ينفقون في المعاصي، أو ينذرون فيها، أو لا يفون بالنذر ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ تمنعهم من عذاب الله.

[٢٧١] - ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ فنعم شيئاً ابدأوها. وفتح النون

«ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» وكسرهما الباقون^(١) ﴿وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتُؤْتُوْهَا الْفُقَرَاءَ﴾ سراً ﴿فَهُوَ﴾ فالإخفاء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قيل: هذا في النفل، لما روي من أولوية إيداء الفرض^(٢) فإن صح خصص الآية. وإلا فهي على عمومها ﴿وَيُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنَ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ قرأ «ابن عامر» و«عاصم» - في رواية -: بالياء والرفع^(٣) والفعل لله، و«ابن كثير» و«أبو عمرو» و«عاصم» - في أخرى -: بالنون مرفوعاً^(٤) خبر لمحذوف و«نافع» و«حمزة» و«الكسائي» مجزوماً على محلّ الجزاء^(٥) ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ سراً وجهراً ﴿خَبِيرٌ﴾ عليهم.

[٢٧٢] - ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾: لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين، وإنما عليك تبليغهم الأوامر والنواهي ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ يُلطف بمن يعلم أنه يصلح باللفظ ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾: مال ﴿فَلَا تُفْسِدُكُمْ﴾ ثوابه لا لغيركم، فلا تمتوا عليه، ولا تنفقوا الخبيث ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ ليس نفقتكم إلا طلباً لرضى الله تعالى، أو: معناه النهي ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ثوابه أضعافاً تأكيداً^(٦) للشرطية السابقة ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ لا تنقصون ثوابه، قيل: كان المسلمون يمتنعون من التصدق على غير أهل دينهم فترلت^(٧) وخصت بالنفل؛ لمنع صرف الفرض إلى الكافر.

[٢٧٣] - ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ أي: اعمدوا، أو: صدقاتكم للفقراء ﴿الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أخصرهم الجهاد ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لاشتغالهم به ﴿ضَرْباً﴾: ذهاباً ﴿فِي

(١) حجة القراءات: ١٤٦-١٤٧.

(٢) رواها الكليني في الكافي ٥٠١: ٣ والطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢٨٤: ١ والحويزي في تفسير نور الثقلين ٢٨٩: ١.

(٣) حجة القراءات: ١٤٧-١٤٨ والكشف عن وجوه القراءات ١: ٣١٦.

(٤) في الأصل والمطبوعة: تأكيداً - وهو خطأ -.

(٥) قاله ابن عباس وابن الحنفية وسعيد بن جبير - كما في تفسير مجمع البيان ٢٨٥: ١ -.

الأَرْضِ» للكسب. وقيل: هم أهل الصفة وهم نحو من أربعمائة من فقراء المهاجرين كانوا في صفة المسجد، دأبهم التعلّم والعبادة والخروج في كل سرية يبعثها النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(١) «يَحْشَبُهُمُ الْجَاهِلُ» بحالهم «أَغْيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ» من جهة امتناعهم عن المسألة «تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ» من الضعف ونحوه. والخطاب له صلى الله عليه وآله وسلم، أو: عام «لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا»: الحاحاً. نصب مصدراً لأنه سؤال خاص وهو أن يلزم حتى يُعطى، أو: حالاً، والمعنى: لا يسألون وإن سألوا للضرورة لم يلحفوا، أو: نفي الأمرين «وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» ترغيب في الإنفاق.

[٢٧٤] - «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً» يعمون الأوقات والأحوال وأموالهم بالصدقة.

نزلت في عليّ عليه السلام لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدّق بواحد ليلاً وواحد نهاراً وواحد جهراً.^(٢)

وقيل في خيل المرباط،^(٣) والظاهر الأول للأخبار والشهرة،^(٤) لكنّها نعم كلّ من فعل ذلك والسبق له (ع) «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ» بالإستحقاق «عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ».

[٢٧٥] - «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا» يأخذونه، وذكر الأكل لأنه أغلب منافع المال.

والربا: الرّيادة في المعاملة أجلاً أو عوضاً، وكتب ك«الصلوة» - على لغة - تفخيماً، وألحق به^(٥) الفأ تشبيهاً بسواو الجمع «لَا يَقُومُونَ» إذا حشروا من قبورهم «إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ» إلا قياماً كقيام المصروع. هذا على زعمهم أن

(١) قاله الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام مارواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٢٨٧.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢٨٨.

(٣) قاله أبو امامة وإبوالدرداء وآخرون - كما في تفسير روح المعاني ٤: ٤١.

(٤) هي كثيرة متظافرة من الخاصة والعامة ينظر تفسير العياشي ١: ١٥١ وتفسير البرهان ١: ٢٥٧.

(٥) كلمة «به» زيادة منا اقتضاها السياق.

الشيطان يخبطه فيصرع .

والخبط : ضرب على غير استواء ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ : الجنون وهو — على زعمهم — :
 أَنَّ الْجَنِّيَّ يَمَسُّهُ فَيَخْطُلُ عَقْلُهُ ، يعني : أَنَّهُمْ يَنْهَضُونَ وَيَسْقُطُونَ كَالْمَصْرُوعِينَ ، لِأَنَّهُ
 تَعَالَى أَرَبِيٌّ فِي بَطْنِهِمْ الرَّبَا فَأَنْقَلَبُوا ، وتلك سيماهم في المحشر ﴿ذَلِكَ﴾ العقاب
 ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ قاسوا الربا على البيع ، قالوا : كما جاز بيع ما
 يساوي درهماً بدرهمين جاز بيع درهم بدرهمين .^(١) وكان الأصل : إِنَّمَا الرِّبَا مِثْلُ
 الْبَيْعِ ، ولكن عكس مبالغة ، كَانَهُمْ جَعَلُوا الرِّبَا أَصْلًا ، وقاسوا به البيع ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ
 الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ رد لقياسهم ؛ إذ الأحكام تبع للحكمة فجاز اختلاف حكم
 المتماثلين لحكمة يعلمها الله ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ : بلغه وعظ ونهي ﴿مِّن رَّبِّهِ
 فَاتَّقِهَا﴾ : فَاتَّعِظْ ﴿قُلْ مَا سَلَفَ﴾ أخذه قبل النهي لا يلزمه رده ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾
 يحكم في شأنه ، ولا اعتراض لكم عليه ، أو يجازيه على انتهائه إن امتنع لله تعالى
 ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إِلَى الرِّبَا ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لكفرهم بتحليل
 ما حرم الله ، أو : أُرِيدَ الْمَكْتُبُ الطَّوِيلُ .

[٢٧٦] - ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ : يهلكه ويذهب ببركته ﴿وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾ ينميها

بزيادة الثواب والعمال .

وفي الحديث : «إِنَّ اللَّهَ يَرْبِي الصَّدَقَةَ كَمَا يَرْبِي أَحَدَكُمْ مَهْرًا» .^(٢)
 وفيه : «ما نقصت زكاة من مال قط»^(٣) ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ : مصر على

(١) والفرق واضح : فإن من أعطى درهمين بدرهم ضيع درهماً ، وأما من اشترى سلعة تساوي درهماً
 بدرهمين فلعل مساس الحاجة بها . أو أن توقع رواجها يجبر هذا الغبن .

(٢) تفسير مجمع البيان ١ : ٣٩٠ وهو مروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والمهر : ولد الفرس
 أول ما ينتج من الخيل .

(٣) تفسير الكشف ١ : ٤٠١ ، وقريب منه ما في جوامع الجامع ١ : ١٥١ .

تحليل الحرام ﴿أَيْمٌ﴾: متماذٍ في ارتكابه.

[٢٧٧] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾

عظفهما على ما يعتمها لفضلهما ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٢٧٨] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا﴾: وانتركوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾

البقايا التي اشترطتم على الناس وهي الربا. قيل: كان له «ثقيف» مال على بعض قريش، فطالبوهم عند المحل^(١) بالمال والربا، فنزلت^(٢) ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن صح إيمانكم.

[٢٧٩] - ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: فاعلموا بها، من

«أذن به» أي: علم به. وقرأ «حمزة» و«عاصم» - في رواية - «فأذنوا» أي: فأعلموا بها غيركم،^(٣) من الأذن أي: الاستماع. وتكنير «حرب» للتعظيم، وحرب الله: حرب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ﴾ من الإرتباء ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بأخذ الزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالتقصان.

[٢٨٠] - ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ وقع غريم ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾: إعسار ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ فالواجب،

أو: فعليكم إنظار ﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾: يسار.

وعن الصادق عليه السلام: «أَنْ حَذَّ الإِعْسَارُ أَنْ لَا يَقْدِرَ عَلَى مَا يَفْضُلُ عَنْ قُوَّتِهِ

وقوت عياله على الإقتصاد»^(٤) ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ بالإبراء ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أكثر ثواباً من الإنظار، أو: خير مما تأخذون لبقاء ثوابه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشر، أو: ما في

(١) أي: الأجل.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢٩٢ وجوامع الجامع ١: ١٥١.

(٣) حجة القراءات: ١٤٨.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٢٩٣.

التصدق من الأجر.

[٢٨١] - ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾: يوم القيامة، أو: يوم الموت فتأهبوا للقاءه. وفتح «أبو عمرو» الناء وكسر الجيم^(١) ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ جزاءه خيراً كان أو شراً ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب وزيادة عقاب.

روي: أنها آخر آية نزل بها «جبرئيل» عليه السلام وقال: «ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة» وعاش الرسول بعدها أحدًا وعشرين يومًا^(٢) وقيل: سبعة أيام^(٣).
[٢٨٢] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ﴾: دأين بعضكم بعضاً وتعاملتم «بدين» بمعاملة أحد العوضين فيها مؤجل. وذكر «الدين» مع «تدايتم» تأكيداً، أو: لرفع توهمه بمعنى: تجازيتم من أول الأمر.

وعن ابن عباس: أنها في السلم خاصة^(٤) ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مؤقت بالأيام والشهور - لا بالحصاد ونحوه - «فأكتبوه» لأنه أوثق. والأمر للإستحباب أو: الإرشاد ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ بالسوية - لا يزيد ولا ينقص - ويفيد اشتراط كونه فقيهاً أميناً لينتم الغرض ﴿وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾: لا يمتنع أحد من الكتابة «كما علّمه الله»: مثل ما علمه من الكتابة بالعدل.

قيل: النهي للتحريم، والكتابة فرض كفائي^(٥) وقيل: نسخ وجوبها به - ولايضار كاتب^(٦) «فليكتب» الكتابة المعلّمة. عبّ النهي عن الإمتناع منها بالأمر بها

(١) حجة القراءات: ١٤٩.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٤.

(٣) قاله سعيد بن جبير ومقاتل - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٤ إلا ان فيه: «سبع ليال» وذكر هذا القول وأقوال أخرى: البيضاوي في تفسيره ١: ٢٦٩ والزمخشري في تفسير الكشاف ١: ٤٠٢.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٧.

(٥) قاله الشعبي والرماني والجبائي - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٧.

(٦) قاله الضحاك - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٧.

تأكيداً ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ أي: المدينون، لآثه المشهود عليه.

والإملاال: الإملاء. ﴿وَلْيَتْلِ اللهَ رَبَّهُ﴾ في الإملاال ﴿وَلَا يَتَخَسَّ مِنْهُ﴾ ولا ينقص من الحق ﴿شَيْئاً﴾ قدراً أو وصفاً ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً﴾: ناقص العقل مبذراً ﴿أَوْ ضَعِيفاً﴾: صيباً أو: شيخاً مختلاً ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ﴾ أو غير مستطيع ﴿أَنْ يُعْلِلَ هُوَ﴾ لخريس أو جهل اللغة ﴿فَلْيُمْلِلِ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ أي من يلي أمره كالأب والجد والوصي والحاكم والوكيل والمرجم، على تفصيل في محله ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾: اطلبوا أن يشهد شاهدان ﴿مِنْ رِجالِكُمْ﴾ المؤمنين. ويفيد اشتراط بلوغ الشاهد وإيمانه.

والأمر للاستحباب، أو: الإرشاد ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾ أي: الشاهدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرجُلٌ﴾ فليشهد رجل ﴿وَأَمْرأتانِ﴾ وهو مخصوص بالأموال ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنْ الشَّهَدَاءِ﴾ لعدالته عندكم. والقيد للجميع ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ الشهادة بأن تنساها ﴿فَتَذْكُرَ إِحْدَاهُمَا الْآخَرى﴾ وعلة اعتبار تعدد المرأة: التذكير، لكن جعل الضلال علة لكونه سبباً له، كقولهم: «أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعته» فكانه قيل: إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلَّت. ويشعر بنقص ضبطهن. وقرأ «حمزة» «إِنْ تَضِلَّ» — على الشرط —، ورفع «فَتَذْكُرِ»، و«ابن كثير» و«أبو عمرو»: «فتذكر» من «الإذكار»^(١) ﴿وَلَا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ لإقامة الشهادة أو تحملها.

وسموا «شهداء» لمجاز المشاركة. و«ما» مزيدة. وظاهر النهي: التحريم ﴿وَلَا تَسْمُوا﴾: ولا تملأوا ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أي: الدين أو الحق ﴿صَغِيراً﴾ كان ﴿أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ﴾ المسمى ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الكتب ﴿أَفْسَطُ﴾: أعدل ﴿عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ﴾: وأثبت ﴿لِلشَّهَادَةِ وَأَذْنَى آلا تَرْتَابُوا﴾: وأقرب إلى أن لا تشكوا في قدر الدين وأجله ﴿إِلَّا أَنْ

(١) حجة القراءات: ١٥٠ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٩٥ وتفسير البضاوي ١: ٢٧٠.

تَكُونُ نِجَارَةً ﴿١﴾ نَصَبَهَا «عَاصِمٌ خَيْرًا»^(١) أَي : إِلَّا أَنْ تَكُونَ التَّجَارَةُ تِجَارَةً ﴿حَاضِرَةً﴾ حالةً ، وَتَعَمُّ الْمَبَايِعَةَ بَعِينَ - أَوْ : دِينَ - غَيْرَ مُؤَجَّلٍ ، وَلَا يَبْعَدُ تَخْصِيصُهَا بِالْأَوَّلِ .

وَرَفَعَهَا الْبَاقُونَ^(٢) - عَلَى «كَانَ» الثَّامَةَ - أَوْ : عَلَى أَنَّهَا الْإِسْمُ ، وَالْخَبَرُ : (تُذِيرُونَهَا) أَي : تَتَعَاظِنُهَا ﴿بَيْنَكُمْ﴾ يَدَّأَيْبُ وَالْإِسْتِثْنَاءُ مِنَ التَّدَايِينِ وَالتَّعَامُلِ ، أَيِ إِنْ كَانَتِ الْمَعَامَلَةُ بَيْعًا يَدَّأَيْبُ ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ لِبَعْدِهَا عَنِ الشُّكِّ وَالتَّنَازُعِ ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ مُطْلَقًا لِلِإِحْتِيَاطِ . وَالْأَمْرُ لِلِاسْتِحْبَابِ أَوْ : الْإِرْشَادِ ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ نَهَايَهُمَا عَنِ تَرْكِ الْإِجَابَةِ وَالتَّحْرِيفِ فِي الْكِتَابَةِ وَالشَّهَادَةِ - إِنْ بَنِيَ لِلْفَاعِلِ - ، أَوْ : نَهَى عَنِ الضَّرَرِ بِهِمَا بِاسْتِعْجَالِهِمَا عَنْ مَهْمٍ ، أَوْ : تَكْلِيفِ الْكَاتِبِ قِرَاطَسًا وَنَحْوَهُ ، أَوْ : الشَّهِيدَ مَوْنةً مَجِيئِهِ مِنْ بَلَدٍ - إِنْ بَنِيَ لِلْمَفْعُولِ - ، ﴿وَأِنْ تَفْعَلُوا﴾ الْمَضَارَّةُ ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾ : خُرُوجٌ عَنِ الطَّاعَةِ ، لِأَحَقِّ ﴿بِكُمْ وَأَقْسُوا اللَّهَ﴾ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ مَا فِيهِ مَصَالِحُكُمْ ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لَعَلَّ تَكَرُّارَ لَفْظَةِ «اللَّهُ» فِي الْجُمْلَةِ الثَّلَاثَةِ لِكُونِهِ أَدْخَلَ فِي التَّعْظِيمِ مِنَ الضَّمِيرِ .

[٢٨٢] - ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ مُسَافِرِينَ ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ تَقُومُ مَقَامَ الْوَثِيقَةِ ، أَوْ : فَالْوَثِيقَةُ رِهَانٌ . وَتَقْيِيدُ الْإِرْتِهَانِ بِالسَّفَرِ وَعَدَمِ وَجْدَانِ الْكَاتِبِ ، خَرَجَ مُخْرَجَ الْغَالِبِ .

واعتبر الجمهور - سوى «مالك» - فيه القبض ،^(٣) وعليه أكثر الأصحاب .
وَأَدْعَى «الطَّبْرَسِيُّ» عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ ،^(٤) وَكَأَنَّهُ لَمْ يَتَّعِدْ بِالْخِلَافِ . وَقَرَأَ «ابْنُ كَثِيرٍ» وَ«ابْنُ عَامِرٍ» : «فَرِهَانٌ»^(٥) كـ «سُقْفٌ» وَكِلَاهُمَا جَمْعُ رَهْنٍ ، بِمَعْنَى : الْمَرْهُونُ . ﴿فَإِنْ

(١) حجة القراءات : ١٥١ .

(٢) ذكر ذلك البيضاوي في تفسيره ١ : ٢٧١ .

(٤) تفسير مجمع البيان ١ : ٤٠٠ .

(٥) حجة القراءات : ١٥٢ .

أَمِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا: فَإِنْ وَثِقَ الدَّائِنُ بِالْمَدْيُونِ وَلَمْ يَرْتَهِنْ مِنْهُ ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِيَ مِنْ أَمَانَتِهِ﴾ أَي: دِينَهُ الَّذِي ائْتَمَنَهُ عَلَيْهِ، وَسُمِّيَ أَمَانَةً لِذَلِكَ. ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ فِي الْخِيَانَةِ ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ أَيُّهَا الشُّهُودُ ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا﴾ مَعَ تَمَكُّنِهِ مِنْ أَدَانِهَا ﴿فَإِنَّهُ إِثْمٌ﴾ خَيْرٌ «إِنْ» ﴿قَلْبُهُ﴾ فَاعِلُهُ، أَوْ مَبْتَدَأُ «إِثْمٍ» خَبَرُهُ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ «إِنْ» وَأَسَدُ الْإِثْمِ إِلَى الْقَلْبِ لِأَنَّ الْكُتْمَانَ فِعْلُهُ، أَوْ: لِأَنَّهُ رَئِيسُ الْأَعْضَاءِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: تَمَكَّنَ الْإِثْمُ فِي نَفْسِهِ. وَمَلِكٌ أَشْرَفُ أَعْضَائِهِ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ تَرْهِيْبٌ.

[٢٨٤] - ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مَلِكًا وَخَلْقًا ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ مِنَ السُّوءِ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ فِي الْقِيَامَةِ ﴿فَيَغْفِرَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فَضْلًا ﴿وَيُعَذِّبَ مَنْ يَشَاءُ﴾ عَذْلًا، وَلَا يَدْخُلُ - فِيمَا يَخْفِيهِ الْإِنْسَانُ - مَا لَيْسَ فِي وَسْعِهِ الْخَلْقُ مِنْهُ، كَحَدِيثِ النَّفْسِ، وَلَكِنْ مَا اعْتَقَدَهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ^(١) وَلَا يَنَافِيهِ مَا اشْتَهَرَ أَنَّهُ لَا يَعْاقِبُ بِعِزْمِ الْمَعْصِيَةِ، وَيُثَابُ بِعِزْمِ الطَّاعَةِ، لِحُجُوزِ كَوْنِ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَا يَعْاقِبُ عِقَابَ تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ وَإِنْ عَوَّبَ عِقَابَ الْعِزْمِ، بِخِلَافِ عِزْمِ الطَّاعَةِ فَإِنَّهُ يُثَابُ بِهِ ثَوَابَ تِلْكَ الطَّاعَةِ تَفْضُّلًا مِنْ تَعَالَى. وَرَفَعَهُمَا^(٢) «ابْنَ عَامِرٍ» وَ«عَاصِمَ» اسْتِنْسَافًا، وَجَزَمَهُمَا الْبَاقُونَ عَطْفًا عَلَى الْجُزْأِ^(٣) ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فَيَقْدِرُ عَلَى الْمَغْفِرَةِ وَالْعَذَابِ.

[٢٨٥] - ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عَطْفٌ عَلَى الرَّسُولِ ﴿كُلٌّ﴾ أَي: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَالضَّمِيرُ الْمُنَوَّى لِلرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ، أَوْ: مَبْتَدَأٌ، وَالضَّمِيرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالْخَبَرُ: جُمْلَةٌ: «كُلٌّ» ﴿ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾. وَقُرَأَ «حَمَزَةً» وَ«الْكَسَانِي»: «وَكُتَابِهِ»،^(٤) أَي: الْقُرْآنُ أَوْ: الْجَنْسُ ﴿لَا تُفَرِّقُوا﴾ يَقُولُونَ:

(١) يَزِيدُ: لَكِنْ يَدْخُلُ فِيمَا يَخْفِيهِ الْإِنْسَانُ مَا اعْتَقَدَهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ. فَيَعْاقِبُ عَلَيْهِ.

(٢) أَي: «يَغْفِرُ» وَ«يُعَذِّبُ».

(٣) حُجَّةُ الْقُرَّاءَات: ١٥٢، وَالْجُزْأُ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ».

(٤) حُجَّةُ الْقُرَّاءَات: ١٥٢.

لا تفرق: وقرأ «يعقوب» بالياء،^(١) والفعل له «كل»^(٢) «يَبْنِ أَحَدٌ» بمعنى: الجمع - لوقوعه في سياق النفي -، ولذلك دخل عليه «بين» «مِنْ رُسُلِهِ» أي نؤمن بجميعهم لا ببعض دون بعض «وَقَالُوا سَمِعْنَا» قولك «وَأَطَعْنَا» أمرك «غُفْرَانِكَ رَبَّنَا»: إغفر غفرائك «وَالْبَلَكُ الْمَاصِرُ»: المرجع بعد الموت، وهو إقرار بالبعث.

[٢٨٦] - «لَا يَكَلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» إلا ما تتسع فيه طاقتها، ولا تضيق عنه، أي: ما دونها «لَهَا مَا كَسَبَتْ» من خير «وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ» من شر، لا يثاب بطاعتها، ولا يؤاخذ بذنبها غيرها.

وخصّ الكسب بالخير والإكساب بالشر، لأن في الإكساب إعتمالاً، والشر تشبيه النفس الأمانة، فهي أعمل في تحصيله بخلاف الخير «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا» إن تعرضنا لما يؤدي بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط أو: إغفال، أو: إن تركنا، أو: أذنبنا، أو يكون الدعاء به لاستدامة فضله تعالى كـ «إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»^(٣) «رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا» عبء^(٤) «يَاصِر حَامِلُهُ، أي: يحسه مكانه لثقله، استعير للتكليف الشاق «كَمَا حَمَلْتَهُ» حملاً مثل حملك «عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا» كتكليف بني إسرائيل بقتل الأنفس، وقطع موضع النجاسة وغير ذلك^(٥) «رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ» من العقوبات «وَاغْفُ» وامح «عَنَّا» ذنوبنا «وَاغْفِرْ لَنَا» واسترها ولا تفضحنا بها «وَارْحَمْنَا» وانعم علينا «أَنْتَ مَوْلَانَا» الأولى بنا «فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» فمن حق المولى أن ينصر عبيده على أعدائهم.

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٤٠٢.

(٢) أي ان الفعل وهو: لا يفرق - على قراءة يعقوب - له «كل آمن».

(٣) في سورة الفاتحة الآية: ٥.

(٤) في «الف»: عباً والعب: الحمل والثقل.

(٥) للتفصيل ينظر تفسير نور الثقلين ١: ٣٠٦ والاحتجاج للطبرسي ١: ٢٢٧.

سورة آل عمران

[٣]

مائتين آية مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١ - ٢] - ﴿الَمْ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ حق «الميم» الوقف عليها، والابتداء بما بعدها، وقرأ بها «عاصم» وفتحها الباقيون، ^(١) لا لإلتقاء الساكنين - لجوازه في الوقف، ولذا لم يحرك في «لام» -، بل لإلتقاء فتحة الهمزة عليها، إيذاناً بأنها في حكم الثابت؛ لأنها حذفت تخفيفاً، لا للدرج؛ إذ الميم في حكم الوقف. ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ روي أن ذلك إسم الله الأعظم. ^(٢)

[٣] - ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: القرآن نجوماً ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق في إخباره، أو بما يحقق أنه منه تعالى، وهو حال، وكذا ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ جملة على موسى وعيسى، وهما أعجميان، وقيل: مشتقان من

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ٤٠٥ وتفسير الكشاف ١: ٤١٠.

(٢) ورد ذلك عن ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٠٧.

الوري^(١) والنجل. ^(٢) ووزنهما: «تفعلة» و«إفعليل».

[٤] - ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل تنزيل القرآن ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ لقومهما ﴿وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ﴾ جنس الكتب السماوية، فإنها تفرق بين الحق والباطل، من عطف العام على الخاص، أو: القرآن. وكرر ذكره بوصفه المادح له، تعظيماً لشأنه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ من كتبه وغيرها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بكفرهم ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالب لا يمنع من أن يعذب ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ لا يقدر على مثله أحد.
والنقمة: عقوبة المجرم.

[٥-٦] - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كلّي أو: جزئي، إيمان أو: كفر، كائن ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: في العالم، فعبر عنه بهما؛ إذ الحس لا يتجاوزهما وفيه تقرير للحياة وفي ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من الصور المختلفة، تقرير للقيومية، وأثبت لعلمه تعالى بإتقان فعله في تصوير الجنين، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا يعلم غيره علمه، ولا يقدر قدرته ﴿الْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله.

قيل: هذا حجاج على من زعم أن «عيسى» كان رباً، وهم وفد «نجران» حاجوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيه، فنزلت أوائل السورة إلى نيف وثمانين آية، تقريراً لحججه عليهم. ^(٣)

[٧] - ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾: أحكمت عبارتها^(٤) بالحفظ من الإحتمال، ﴿هُنَّ أَمْ الْكِتَابِ﴾: أصله، يُرَدُّ إليها غيرها.

(١) الوري: مأخوذ من: وري الزند. وهو نوره وضياه.

(٢) الإنجيل معرب انجيليون باليونانية ومعناه إنباء جيد أو بشارة أو خبر مفرح - كما في محيط المحيط «انجيل».

(٣) قاله الكلبي ومحمد بن اسحاق والربيع بن أنس - كما في تفسير مجمع البيان ٤٠٦: ٢.

(٤) في «ط»: عباراتها.

وأفرد «أم» على إرادة كل واحدة، أو المجموع «وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ»: محتملات لأيعلم مرادها إلا بالظن؛ ليجتهد العلماء في تدبرها وتحصيل ما يتوقف عليه فهم مرادها، فينالوا بإتباعهم القرائح - في استخراج معانيها، وردّها الى المحكمات - رفيع الدرجات، وقوله تعالى: «كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ»^(١) أي: حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ، وقوله: «كِتَاباً مُتَشَابِهاً»^(٢) أي: يشبه بعضه بعضاً في صحة المعنى، وجزالة اللفظ «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ»: ميل عن الحق إلى البدع «فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ»: يتعلقون به في باطلهم «إِنِّيغَاءَ الْفِتْنَةِ»: طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم «وَأَنِّيغَاءَ تَأْوِيلِهِ»: أن يؤوّلوه على مرادهم «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ» الحق «إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ»: الثابتون فيه.

عن الصادق عليه السلام: «نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله»^(٣) ومن وقف على [«إِلَّا»]^(٤) الله فسر التشابه بما استأثر الله تعالى بعلمه، كوقت قيام الساعة ونحوه، والأصح الأول «يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ» حال من «الراسخين»، أو: خبر له - إن جعل مبتداً - «كُلٌّ» أي: من التشابه والمحكم «مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» مدح للراسخين بإلقاء الذهن وإعمال الفكر في رد التشابه الى المحكم.

[٨] - «رَبِّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا» من مقول الراسخين، أي: لا تبلسنا ببلاء تزيغ فيه قلوبنا «بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا» لدينك، أو: لا تمنعنا أطفافك بعد إذ لطفت بنا «وَعَبَّ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً»: نعمه، أو: لطفاً ثبت به على الإيمان «إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» للنعيم.

(١) سورة هود: ١/١١.

(٢) سورة الزمر: ٢٣/٢٩.

(٣) تفسير نور الثقلين ١: ٣١٦ الحديث ٣٤.

(٤) كلمة: «إِلَّا» زيادة اقتضاها السياق، اخذناها من تفسير البضاوي ٢: ٥٤.

[٩] - ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ لجزاء يوم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: في وقوع اليوم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾: الوعد.

[١٠] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: بدل رحمته أو طاعته أو: من عذابه ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ خطبها.

[١١] - ﴿كَذَّابٍ﴾ مصدر دأب في العمل، أي: كدح فيه، فنقل الى معنى الشَّان. ومحل الكاف: الرفع، أي: دأب هؤلاء كذاب ﴿إِلَّا فِرْعَوْنُ﴾ في الكفر، أو: النصب بد «تغني» أو «وقود»، أي: لن تغني عنهم كما لم تغن عن أولئك، أو توفد بهم كما توفد بأولئك ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطف على «آل فرعون» ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ تفسر لدأبهم، أو ييان لسببه ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾: أهلكهم ﴿يَذْنُوبُهُمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ترهيب للكفرة.

[١٢] - ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مشركي مكة ﴿سَنُغْلِبَنَّ﴾ أي: يوم بدر ﴿وَتُخْشَرُونَ﴾ إلى جَهَنَّمَ. أو: لليهود حين حذرهم بعد «بدر» أن ينزل بهم ما نزل بقريش، فقالوا: «لا يغرنك أنك أصبت أغماراً لا علم لهم بالحرب، لئن قاتلتنا لعلمت أننا نحن الناس» فنزلت، ^(١) وصدق الوعد بقتل «قريظة» وإجلاء «النضير» وفتح خيبر ^(٢) وضرب الجزية على ما بقي.

وهو من آيات النبوة. وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالياء فيهما - على الأمر -، ^(٣) بأن يحكى لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه ﴿وَبَشِّرِ الْمُبَادِلِ﴾: جهنم، أو: ما مهّدوا لأنفسهم.

[١٣] - ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ خطاب للمشركين، أو: اليهود، أو: المؤمنين

(١) نقله البضاوي في تفسيره ٦: ٢.

(٢) ما بين المعقوفين من «ب».

(٣) حجة القراءات: ١٥٣.

﴿فِي فِتْنَتَيْنِ التَّقَاتَا﴾ يوم بدر ﴿فِنَّةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ﴾ يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين، قريب ألفين، أو: مثلي عدد المسلمين ستمائة وستة وعشرين. قُتلوا أولاً في أعينهم حتى اجترأوا عليهم كما قال: ﴿وَيُقِلُّكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾^(١) فلما لا قوهم كُثِّروا في أعينهم حتى غلبوا.

أو: يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين -، وكانوا ثلاثة أمثالهم - ليثبتوا ثقة بالنصر الذي وُعدوه في: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾^(٢) وقرأ «نافع» بالتاء^(٣) ﴿رَأَى الْعَيْنَ﴾: رؤية مكشوفة معانية ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كما أيد أهل بدر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التقليل والتكثير ونصر القليل على الكثير ﴿لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ عظة لذوي العقول.

[١٤]- ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ أي: المشتهايات جعلها شهوات مبالغه، والمزَيْن هو: الله، للإبتلاء، أو: لبقاء النوع وتغيُّثه.

وقيل: الشيطان،^(٤) إذ الآية في معرض الذم. ويبيِّن الشهوات بقوله: ﴿مِنْ النَّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ﴾ جمع: قنطار، وهو: المال الكثير، وقيل: ملء مسك ثور،^(٥) وقيل: مائة ألف دينار^(٦) ﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾ مبنية منه للتأكيد كـ «بذرة مبدرة» ﴿مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾: المعلّمة من السومة، وهي: العلامة، أو: المرعية من أسام الدابة وسومها ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ ذَلِكَ﴾

(١) سورة الأنفال: ٨/٤٤.

(٢) سورة الأنفال: ٨/٦٦.

(٣) حجة القراءات: ١٥٤.

(٤) قاله الحسن - كما في تفسير التبيان ٢: ٤١١ وتفسير مجمع البيان ١: ١٧٠.

(٥) قاله ابونضرة والفراء وهو مروى عن الإمامين الباقر والصادق عليه السلام - كما في تفسير التبيان

٢: ٤١١ وتفسير مجمع البيان ١: ١٧٠.

(٦) قاله سعيد بن جبيرة - كما في تفسير الكشاف ١: ١٦٠.

المذكور ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾: المرجع .

[١٥] - ﴿قُلْ أُوْبَيْحُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ﴾ المتاع الفاني ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ استئناف لبيان ما هو خير، أو: يتعلق اللام بـ «خير» ويرتفع جنات على ^(١) «هو جنات» ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الأدناس خلقاً وخلقاً ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ وضم «عاصم» «الراء» ^(٢) ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ أي بأعمالهم فيجازيهم بها .

[١٦] - ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ صفة للمتقين، أو: مدح منصوب أو مرفوع .

[١٧] - ﴿الصَّابِرِينَ﴾ على الطاعة وعن المعصية، ^(٣) مجرور أو: منصوب كما مر، وكذا البواقي ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ﴾: المطيعين ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ أموالهم في سبيل الخير ﴿وَالْمُسْتَفْزِرِينَ بِالشَّحَارِ﴾ المصلين وقت السحر . عن الصادق عليه السلام: «من استغفر الله سبعين مرة في السحر، فهو من أهل هذه الآية» ^(٤) .

[١٨] - ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بدلالته على وحدانيته بعجيب صنعه، وبالآيات الناطقة بها ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ بالإقرار بها ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ به، وبالإحتجاج عليها، شبه ذلك في البيان بشهادة الشاهد ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾: مقيماً للعدل في أمور خلقه، نصب حالاً من «الله»، وجاز إفراده - دون «جاء زيد وعمرو ركباً» - لعدم اللبس، أو: من «هو» فتكون حالاً مؤكدة وعاملها معنى الجملة، أي: تفرّد قائماً، أو: على المدح، ويندرج في المشهود به - على الأخيرين - ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرر

(١) في «الف» زيادة: تقدير.

(٢) حجة القراءات: ١٥٧.

(٣) وفي الحديث الصبر ثلاثة: صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر عند المعصية .

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٤١٩ وتفسير نور الثقلين ١: ٢٢١ الحديث (٦١) .

تأكيداً ﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي لا مغالب له ﴿الْحَكِيمُ﴾: الذي لا يخلل بالعدل وهما مقرران للوحدانية والعدل. ورفعاً بدلاً من «هو»، أو: خبراً لمحذوف. وورد في فضلها أخبار.^(١)

[١٩] - ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ جملة مستأنفة تؤكد الأولى، أي: لا دين مرضي عند الله غير الإسلام، وهو: التوحيد والتمسك بشريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفتح «الكسائي» «إِنْ» بدلاً من «أَنَّهُ»^(٢) ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى وأهل الكتب السالفة في دين الإسلام فأثبتة قوم، وخصه قوم بالعرب، ونفاه قوم، أو: في التوحيد فثلث النصارى، وقالت اليهود: ﴿عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٣) وقيل: هم اليهود، اختلفوا بعد موسى،^(٤) وقيل: النصارى اختلفوا في أمر عيسى^(٥) ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بعد أن علموا الحق، أو تمكنوا^(٦) من العلم به بالدلائل ﴿يَغْيَا﴾ حسداً وطلباً للرئاسة ﴿يَبْتَنُّهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ وعيد لهم. وفسر في البقرة.^(٧)

[٢٠] - ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ في الدين ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾: أخلصت نفسي لله وحده وهو الدين القيم الذي دعت إليه الرسل، وقامت عليه الحجج. وعبر بالوجه عن النفس لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة ﴿وَمَنْ آتَبَعَنِي﴾ عطف على التاء. وحسن للفصل، أو: مفعول معه. وحذف «عاصم» و«حمزة» و«الكسائي» الياء

(١) ينظر تفسير نور الثقلين ١: ٣٢٢ الحديث (٦٥) وما بعده.

(٢) حجة القراءات: ١٥٧.

(٣) سورة التوبة: ٣٠/٩.

(٤) قاله الربيع - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٢١.

(٥) قاله محمد بن جعفر بن الزبير - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٢١.

(٦) في «ب» و«ط»: وتمكنوا.

(٧) في تفسير الآية ٢٠٢ من سورة البقرة.

اجتزاء بالكسرة^(١) ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمِينَ﴾: من لا كتاب لهم كمشركي العرب ﴿أَسْلَمْتُمْ﴾ بعد وضوح الحجج، أم أنتم بعد على كفركم؟. ومثله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَّبِعُونَ﴾^(٢) وفيه توبيخ لهم بالمعاندة ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ فقد نفخوا أنفسهم بإخراجها من الضلال ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ لم يضروك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾: ما عليك إلا أن تبليح ﴿وَاللَّهُ بِبَصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ وعد ووعد.

[٢١] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ هم أهل الكتاب المعاصرون له صلى الله عليه وآله وسلم، قتل أولوهم الأنبياء ومتابعيهم، وهم رضوا به، وحاولوا قتل الرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين فعصعهم الله تعالى. وقرأ «حمزة»: «ويقاتلون الذين»^(٣) ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ تدخل الفاء خبر «إن» المتضمن للجزاء لعدم تغييرها معنى الإبتداء بخلاف «ليت» و«لعل» ومنعه سبويه، فالخبر.

[٢٢] - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ كقولنا: «زيد - فاعرف - رجل كريم» ﴿وَمَالَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يدفعون عنهم العذاب.

[٢٣] - ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ﴾: التوراة، أو: جنس الكتب المنزلة، و«من» للتبعيض، أو البيان. وتكسر «النصيب» للتعظيم أو: التحقير ﴿يُدْعَوْنَ﴾ يدعوهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾: القرآن أو: التوراة ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو: في أن دين إبراهيم عليه السلام: الإسلام، أو: في أمر الرجم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ استبعاد لتوابعهم مع علمهم بوجوب الرجوع إليه ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ شأنهم الإعراض. والجملة حال من

(١) حجة القراءات: ١٥٨.

(٢) سورة المائدة: ٩١/٥.

(٣) حجة القراءات: ١٥٨.

«فريق» وسوّغَه الوصف .

[٢٤] - ﴿ذَلِكَ﴾ التوليّ والإعراض ﴿يَأْتَهُمْ قَالُوا﴾ بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب، بقولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾: قلائل ﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من أن آباءهم - الأنبياء - يشفعون لهم .

[٢٥] - ﴿فَكَتِفَ إِذَا جَمَعْتَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ تهويل لما أعد لهم في الآخرة ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾: جزاء ما كسبت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الضمير لـ «كل نفس» لآته في معنى: كل الناس .

[٢٦] - ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ الميم عوض من «يا» ولذا «لا يجتمعان» وهو من خصائص هذا الاسم، كدخول «يا» عليه مع لام التعريف، وتاء القسم، وقطع همزته ﴿مَالِكِ الْمُلْكِ﴾ كله، تتصرف فيه تصرّف الملاك، وهو نداء ثانٍ، وقيل: صفة^(١) ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾ أي: ما تشاء منه ﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ وكذا: ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ فالملك الأول عام، والآخران خاصان . وقيل: الملك - هنا - : النبوة، ونزعه: نقلها من قوم إلى قوم^(٢) ﴿وَيُزَيِّدُ مَنْ تَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ في الدنيا والدين بالنصر والإدبار، والتوفيق والخذلان ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ لم يذكر الشر لأن أفعاله تعالى من نافع وضار لمصالح، فكلها خير، أو: لأن الكلام وقع في الخير؛ إذ وعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمته ملك فارس والروم فأنكره المنافقون ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

[٢٧] - ﴿تُزِيلُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُزِيلُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ تعاقب بينهما بإدخال كل واحد في الآخر، بالنقص والزيادة ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: من النطفة ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾: النطفة ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ أو: المؤمن من الكافر، وبالعكس، وخفف

(١) نقله البضاوي في تفسيره ٢: ١١ .

(٢) قاله مجاهد - كما في تفسير البيان ٢: ٤٢٩ .

«الميت» ابن كثير، و«أبو عمرو» و«ابن عامر» و«أبو بكر»^(١) ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وفي ذكر قدرته على معاقبة الليل والنهار، وإخراج الحي من الميت وعكسه، ورزقه الواسع دلالة على أن القادر على ذلك كله، قادر على إتياء الملك ونزعه، والإعزاز والإذلال.

[٢٨] - ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ نهوا أن يوالوهم لقربة ونحوها حتى لا يحبوا ولا يغيضوا إلا في الله ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنهم الأحقاء بالموالاة، فلا يؤثروا الكفرة عليهم ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ ومن يولهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾ : من ولاية الله ﴿فِي شَيْءٍ﴾ يسمى ولاية؛ إذ لا يجتمع موالاة متعادين ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْيَةً﴾ :^(٢) إلا أن تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه، أو: مصدر، وعدي الفعل بـ«من» لتضمنه معنى: تخافوا. وقرأ «يعقوب» تَقْيَةً،^(٣) رخص لهم إظهار موالاتهم إذا خافوهم، مع إبطان عداوتهم ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه، وهو ترهيب بليغ.

[٢٩] - ﴿قُلْ إِنْ تَخْشَوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوا﴾ من ولاية الكفار وغيرها ﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فيعلم سرركم وعلنكم ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقابكم، وهذا بيان لقوله: «ويحذركم الله نفسه»^(٤) لأن نفسه متصفة بعلم وقدره ذاتيين، يحيطان بجميع المعلومات والمقدورات فلا يجسر على معصيته لإطلاعه عليها، وقدرته على العقوبة بها.

[٣٠] - ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ

(١) حجة القراءات: ١٥٩

(٢) في الأصل: «تقاة» - بالألف -.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٤٢٩.

(٤) في الآية السابقة.

لَوْ أَنَّ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا يَمِيدًا ﴿٣٠﴾ نصب «يوم» بـ «توّد» أي : تتمنى كل نفس يوم تجد جزءا عملها من خير وشر حاضراً لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهولاً مسافة بعيدة ، أو : بـ «اذكر - مضمراً» . و«توّد» حال من ضمير «عملت» أو خبر «ما عملت من سوء» ونقصرت تجد على «ما عملت من خير» . وليست «ما» شرطية لارتفاع «توّد» ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ تهيب للحث على عمل الخير وترك السوء ، والأول للمنع من موالاة الكفرة ، فلا تكرر ﴿وَاللَّهُ زَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ومن رأفته أن حذرهم عقابه .

[٣١] - ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ : تريدون طاعته ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ حتى تصح دعواكم محبته ﴿يُخَبِّئْكُمْ اللَّهُ﴾ جواب الأمر ، أي : يرض عنكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ : يستر ذنوبكم بالغفر ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن أطاعه واتبع نيته .
نزلت حين قالت اليهود : نحن أبناء الله وأحباؤه ، أو : حين قال وفد نجران : إنا^(١) نعبد المسيح حباً لله .

[٣٢] - ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ماضٍ أو : مضارع ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ لا يرضى عنهم . وعدل عن «لا يحبهم» للتعميم ، والدلالة على ان التولي كفر ، واختصاص محبته بالمؤمنين .

[٣٣] - ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بالنبوة والإمامة والعصمة . وآل إبراهيم : اسماعيل وإسحاق وأولادهما ، ودخل فيهم النبي وآله صلوات الله عليهم .

وآل عمران : موسى وهارون ابنا عمران بن يصر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب .
أو : عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود بن إيشا من ولد

(١) وقد ورد في تفسير البيضاوي ٤ : ١٣ : «انما» وفي تفسير مجمع البيان ١ : ٤٣٢ : انه قول محمد بن جعفر بن الزبير .

يهوداً^(١) بن يعقوب، وكان بين العمرانين ألف وثمان مائة سنة.

[٣٤] - ﴿ذُرِّيَّةٌ﴾ بدل أو حال من الآلين ﴿بَغْضُهَا﴾ متشعب ﴿مِنْ بَغْضٍ﴾

أو: من بعض في الدين ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ بالأعمال.

أو لقول امرأة عمران وبنتها، فيتصب به، أو: به «أذكر - مضمرًا».

[٣٥] - ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ بن ماثان «حَنَّة بنت فاقوذا» جدَّة عيسى،

وكانت لعمران بن يصهر بنت، اسمها: «مريم» أكبر من «هارون»، فظن ان المراد

امراته، ويطله كفالة زكريا؛ لمعاصرتة لابن ماثان، وتزوّج بنته «إشاع» أم يحيى

أخت «مريم» للآب ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾ رأت طائراً يطعم فرخه فحنَّت

للولد، فقالت: «اللهم إنَّ لك عليّ نذراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت

المقدس، فيكون من خدَمِهِ»، فحملت بمريم، وهلك عمران، وكان هذا النذر

مشروعاً عندهم ﴿مُحَرَّرًا﴾: معتقاً لخدمته - حال - ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي﴾ ما نذرت ﴿إِنَّكَ

أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لقولي ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنبيي.

[٣٦] - ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ الضمير لما «في بطني» وأنت لأنه كان أنثى، أو:

لتأويله بالنفس، أو: النسمة ﴿قَالَتْ﴾ - تحسراً إلى ربّها، إذ كانت ترجو أن تلد ذكراً،

ولذا نذرت تحريره -: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ حال ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا﴾ بالشيء الذي

﴿وَضَعَتْ﴾ قاله تعالى تعظيماً لموضوعها، وتجهيلاً لها بقدره، وقرأ «ابن عامر» و«أبو

بكر»: «وضعت»^(٢) تسلية لنفسها، أي: ولعلَّ لله فيه حكمة، أو: هذه الأنثى خير

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ الذي طلبت ﴿كَالْأُنْثَى﴾ التي وُهِبَتْ،^(٣) فاللام للعهد، وإن كان من

قولها فللمجنس، أي: وليس الذكر كالأنثى فيما نذرت ﴿وَأِنِّي سَمِعْتُهَا مَرْيَمَ﴾ عطف

(١) في تفسير اليبضاوي ٢: ١٤: يهودا بالمعجمة.

(٢) حجة القراءات: ١٦٠.

(٣) في النسخ - هنا - زيادة: لها.

على «إِنِّي وَضَعْتُهَا»، وما بينهما اعتراض . وذكرت تسميتها لربها طلباً لأن يعصمها حتى يطابق فعلها إسمها، لأن مريم في لغتهم بمعنى : العابدة ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا﴾ : أجبرها ﴿بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ : المطرود .

[٣٧] - ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ : فرضي بها في النذر مكان الذكر ﴿بِقَبُولِ حَسَنٍ﴾ القبول : ما يقبل به الشيء ، وهو اختصاصها بإقامتها مقام الذكر، أو : مصدر على حذف مضاف ، أي : بذى قبول حسن ﴿وَأَنبِئَهَا نَبَأَنَا حَسَنًا﴾ مجاز عن تربيتها بما يصلحها ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ شدد «الفاء» «حمزة» و«الكسائي» و«عاصم» ، وقصروا : «زكريّا» غير «عاصم» - في رواية - على أنه مفعول والفاعل هو الله ، أي جعله الله كافلاً لها ، وضامناً لمصالحها ، وخفف الباقون ومدوا «زكريّا» مرفوعاً .^(١)

روي : أن «حنة» حين ولدتها لفتها في خرقه وأتت بها إلى المسجد ، وقالت للأخبار : «دونكم النذيرة» فتنافسوا فيها ؛ لأنها كانت بنت إمامهم ، وصاحب قربانهم ، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم ، فقال زكريّا : «أنا أحقُّ بها ، عندي أختها» فأبوا إلا القرعة فانطلقوا - وهم سبعة وعشرون - إلى نهر ، وألقوا فيه أقلامهم ، فطفأ قلم «زكريّا» ورسبت أقلامهم ، فتكفلها^(٢) ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ أي : الغرفة التي بناها لها ، أو : المسجد ، أو : أشرف مواضعه ، سمي به لأنه محلّ محاربة الشيطان ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ قيل : كان يدخل عليها وحده ، وإذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب ، فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء ، والشتاء في الصيف ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي﴾ من أين ﴿لَكَ هَذَا﴾ : الرزق الآتي في غير حينه والأبواب مغلقة ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فلا تستبعد . قيل : تكلمت صغيرة كعيسى ، وما

(١) حجة القراءات : ١٦١ .

(٢) رواه ابن اسحاق وجماعة - كما في تفسير مجمع البيان ١ : ٢٢٦ هـ .

رضعت قط، وكان رزقها يأتيها من الجنة كرامة لها،^(١) ومن منع ذلك لغير الأنبياء جعله إرهاباً^(٢) لنبوّة عيسى - عليه السلام -، أو: معجزة لذكرياً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِتَقْدِيرٍ حَسَابٍ﴾: بغير تقدير لكثرة، أو بغير استحقاق تفضلاً به. من كلامها، أو: كلامه تعالى. ولفاظمة عليها السلام مثل هذه الكرامة.^(٣)

[٣٨] - ﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المكان - أو: الوقت؛ إذ تستعار للزمان - ﴿دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ﴾ لما رأى كرامة مريم على الله ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كما وهبتها له - ﴿حَنَّةُ﴾ العاقر المعجوز، أو: لما رأى الفاكهة في غير وقتها طمع في ولادة العاقر، فسأل الولد ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾: مجيبه.

[٣٩] - ﴿فَتَذَكَّرَهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ جبرئيل، أي: نودي من جنسهم، وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «فناداه» بالتذكير والإمالة^(٤) ﴿وَهُوَ قَائِمٌ﴾ حال عن «الهاء» ﴿يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ حال من الضمير في «قائم» ﴿أَنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ﴾ أي: بأن الله، وكسرهما «حمزة» و«ابن عامر» على إضمار القول أولاً لأن النداء منه، وخفف «حمزة» «يشرك» فاتحاً ياءه.^(٥) ﴿يَبْخَى﴾ علم أعجمي، وإن كان عربياً فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: بعيسى، سمي بذلك، لأنه حصل بأمره تعالى بلا أب ﴿وَسَيِّدًا﴾ يسود قومه وقد فاق الناس في أنه ما ارتكب سيئة ﴿وَحَصُورًا﴾: لا يقرب النساء حصراً لنفسه عن الشهوات ﴿وَنَبِيًّا﴾ ناشئاً ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أو كائناً من جملة الأنبياء.

(١) نقله البضاوي في تفسيره ١٦: ٢.

(٢) الارهاص: الأمر الخارق العادة الذي ظهر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته.

(٣) وردت فيه روايات كثيرة، للتفصيل ينظر تفسير الدر المنثور ٢٠/ ١، تفسير الكشف ١/ ٢٢١ جوامع الجامع ١/ ١٧١، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢/ ٢٢٩.

(٤) حجة القراءات: ١٦٢.

(٥) حجة القراءات: ١٦٢-١٦٣.

[٤٠] - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ تَعَجَّبَ ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبِيرُ﴾ : أدركني كبر السن وأضعفني ، وكان له تسع وتسعون سنة ولإمراته ثمان وتسعون ﴿وَأَمْرَاتِي حَائِزٌ﴾ : لا تلد ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ أي : مثل ذلك الفعل العجيب وهو خلق الولد من هرمين ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ أو : كما أنتما عليه يفعل ما يشاء من خلق الولد .

[٤١] - ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ : علامة لوقت الحمل لأنلقاه بالشكر ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ : أن لا تغدر على تكليمهم ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ وإنما خصص المنع بتكليمهم لتخلص المدة لذكر الله وشكره على النعمة ، وكأنه قيل : آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر ﴿إِلَّا زَمْزَماً﴾ إشارة بيد أو غيرها ، والإستثناء منقطع ، أو : متصل إن أريد بالكلام مادته على الضمير ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً﴾ في إيتام المنع وفيه تأكيد لما قبله ﴿وَسَبِّحْ بِالنَّعِشِيِّ﴾ : من الزوال إلى الغروب ﴿وَالْأُبْكَارِ﴾ من الفجر إلى الضحى .

[٤٢] - ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ كلّموها شفاهاً كرامة لها . ومنكر الكرامة جعله إرهاباً ^(١) لنسوة عيسى - عليه السلام - ، أو معجزة لذكرنا ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أولاً حين تقبلت من أمك ورباك وأكرمك برزق الجنة ﴿وَوَهَّبُكِ﴾ مما يستقذر من النساء ﴿وَاصْطَفَاكِ﴾ آخرأ بالهداية وتكليم الملائكة والولد بلا أب ﴿عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانك ، إذ فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين مطلقاً . ^(٢)

[٤٣] - ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ أمرت بالصلاة بذكر أركانها ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي : في الجماعة ، أو : مع من يركع في صلاته لا مع من لا يركع .

[٤٤] - ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ أي : ما سبق من القصص من

(١) انظر الهامش (٢) في الصفحة السابقة .

(٢) وردت فيه روايات كثيرة ، ينظر الكتب المؤلفة في مناقب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ومنها الجزء الخاص بحياتها من بحار الأنوار .

الغيبوب التي لا تعرف إلا بالوحي ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ التي كانوا يكتبون بها التوراة للإقتراع، أو: قداحهم. قرر كونه وحياً على التهكم^(١) إذ طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع، وعدم السماع متيقن عندهم، فلم يبق إلا المشاهدة ولم يتوهمها عاقل^(٢) ﴿أَيُّهُمْ﴾ أي: ليعلموا أيهم ﴿يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ تشاحاً فيها.

[٤٥] - ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ بدل من «إذ قالت» أو: من «إذ يختصمون» على أن الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع^(٣) ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ﴾ ذكر الضمير نظراً إلى المعنى «الْمَسِيحُ» من الألقاب الشريفة، أصله - في لغتهم - مسيحا، ومعناه: المبارك «عيسى» معرب إيشوع «ابن مَرْيَمَ» صفة جعلت من الأسماء لأنها تُعَيَّن تمييزها، أو المراد: أَنَّ أَسْمَهُ المميز له عن غيره هذه الثلاثة، إذ الاسم علامة المسمى. وإتما قيل: «ابن مريم» والخطاب لها، ليعلم أنه يولد من غير أب؛ إذ لا ينسب إلى الأم إلا إذا عدم الأب. «وَجِيئَهَا» حال من «كلمة» وسوغه وصفها «في الدنيا» بالنبوة «وَالْآخِرَةَ» بالشفاعة «وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» من الله، أو: أريد رفعه إلى السماء.

[٤٦] - ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ أي: يكلمهم حال الطفولة والكهولة كلام الأنبياء بلا تفاوت.

والمهد مصدر، سمي به ما يمهّد مضجعاً للصبي. قيل: رفع شاباً فالمراد «وكهلاً» بعد نزوله،^(٤) وذكر تقلب أحواله تنبيهاً على نفى الإهتة «وَمِنَ الصَّالِحِينَ»

(١) في «ب» و«ج» زيادة: لمنكره. والتهكم: السخرية.

(٢) في «ب» و«ج» زيادة: فتعين كونه وحياً.

(٣) في «ط»: واحد.

(٤) قاله زيد بن اسلم - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٤٣.

حال رابع من : «كلمة» .

[٤٧] - ﴿قَالَتْ رَبِّ أَتَى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ تعجب ، أو : استفهام عن أنه يكون بزواج أو بدونه ﴿قَالَ﴾ جبرئيل ، أو : الله ، وجبرئيل المبلغ ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فإنه يقدر أن يخلق الأشياء بلا أسباب كما يخلقها بأسباب .

[٤٨] - ﴿وَنُعَلِّمُهُ﴾ ^(١) عطف على «يشرك» ، أو «وجيهاً» ، أو : كلام مبتدأ ، وقرأ «عاصم» و«نافع» بالياء ^(٢) «الِكِنَاتِ» أو جنس الكتب المنزلة ﴿وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ خصاً لفضلهما .

[٤٩] - ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ نصب بمضمر على إرادة القول ، تقديره : ويقول : أرسلت رسولاً بآتي قد جئتكم ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ نصب بديل «أني قد جئتكم» ، أو جزر بديل «آية» ، أو : رفع على «هي اني» ، وكسرهما «نافع» على الإستئناف ^(٣) أي : أقدر لكم شيئاً مثل صورة الطير ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ فيصير حياً طياراً ، وقرأ «نافع» : «طائراً» ^(٤) ﴿يَاذَنَ اللَّهُ﴾ : بأمره ، دلّ به على أن إحياءه من الله تعالى ، لا منه ﴿وَأُفْرِئُ الْأَعْمَى﴾ : الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ قيل : ربما اجتمع عليه ألوف من المرضى من أطاق منهم أناه ، ومن لم يطق أناه عيسى عليه السلام وما يداوي إلا بالدُّعاء ^(٥) ﴿وَأُخِي الْمَوْتَى﴾ وممن أحيا : سام بن نوح عليه السلام ﴿يَاذَنَ اللَّهُ﴾ كرّر لدفع وهم اللاهوتية ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ كان يقول للرجل : أكلت كذا وخبيء

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «يعلمه» كما يشير إليه المؤلف .

(٢) حجة القراءات : ١٦٣ .

(٣) حجة القراءات : ١٦٤ .

(٤) قاله وهب - كما في تفسير مجمع البيان ١ : ٤٤٥ .

لَكَ كَذَا ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مصدِّقين بالمعجزات

[٥٠] - ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ عطف على «رسولاً» أو: منصوب بمضمر دلَّ عليه «جنتكم»، أي: وجنتكم مصدقاً ﴿وَلَا حِلَّ﴾ مقدَّر بالمضمر، أي: وجنتكم لأحلَّ ﴿لَكُمْ بَغْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في شريعة موسى كلحم الإبل، والشحوم، والشرب^(١) وبعض الطير، والسماك، والسبت ﴿وَجِنتُكُمْ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[٥١] - ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ أي: جنتكم بآية من إلهام ربكم وهي قلبي: إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وربكم، فإِنَّه القول الذي اجمع عليه الرُّسل، وقوله: «وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا» إعتراض، أو: تكرير لقوله: «قَدْ جِنتُكُمْ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ» أي جنتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم من الخلق، والإبراء والإحياء والإنباء وغيره، فاتَّقُوا اللَّهَ في مخالفتي، وأطيعوني في دعوتي، ثُمَّ ابْتَدَأْ بالدعوة، فقال: إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وربكم، إشارة إلى الاعتقاد الحق ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ إشارة إلى العمل ﴿هَذَا﴾ أي: الجمع بين الأمرين ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ موصل إلى النجاة.

[٥٢] - ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ علمه علم ما يدرك بالحواس ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ ذاهباً إليه، أو: الجار متعلق بـ «أنصاري» مضمناً معنى الإضافة، أي: مَنْ الَّذِينَ يَضِيفُونَ أَنْفُسَهُمْ إِلَى اللَّهِ فِي نَصْرِي ﴿قَالَ الْخَوَارِثُونَ﴾ حواري الرجل: خالسته، من الحور وهو البياض الخالص، سُمِّيَ بِهِ أصحاب عيسى عليه السلام لنقاء قلوبهم وخلوص نيتهم ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أنصار دينه ﴿ءَاَمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ استشهدوه لَأَنَّ الرُّسُلَ يوم القيامة يشهدون لقومهم وعليهم.

[٥٣] - ﴿رَبَّنَا ءَاَمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ بالوحدانية، أو: مع الأنبياء الَّذِينَ يشهدون لأممهم، أو أُمَّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم شهداء (١) في «ب» الثروب، والشرب: هو الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش والامعاء.

على الناس .

[٥٤] - ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي : اليهود الذين أحسَّ منهم الكفر بتوكيلهم من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ برفعه عيسى ، وإلقاء شَبِّهٍ على من أراد اغتياله حتى قُتل ، وإسناد المكر اليه تعالى للمقابلة ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أنفذهم كيداً .

[٥٥] - ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ ظرف لـ «خير الماكرين» ، أو لـ «مكر الله» ﴿يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوًى﴾ : مستوفٍ أجلك ، وعاصمك من قتلهم الى أجلك المسمى ، أو : متسلمك من الأرض ، من : «توفيت كذا» : تسلمته ﴿وَرَفَعْنَاكَ إِلَيْنَا﴾ الى سمائي ومقر ملائكتي ﴿وَمُطَهَّرْنَاكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من خبت صحبتهم ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ يعلونهم بالحجة أو السيف في أكثر الأحوال ، ومتبعوه ، هم المسلمون لأنهم متبعوه في أبواب التوحيد ، دون من كذبه وكذب عليه من اليهود والنصارى ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ الخطاب لعيسى ومن تبعه وكفر به ، على التغليب ﴿فَأَخْرَجْنَاكُمْ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين .

[٥٦-٥٧] - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَتُوفِيهِمْ﴾^(١) أجورهم تفصيل للحكم ، وقراً «عاصم» : «فيوفيههم» - بالياء -^(٢) ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ لا يرضى عنهم .

[٥٨] - ﴿ذَلِكَ﴾ أي : ما ذكر من نبأ عيسى وغيره . وهو مبتدأ ﴿تَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ خبره ﴿وَمِنَ الْآيَاتِ﴾ حال من الهاء ، أو : خبر آخر ، أو : لمحذوف ﴿وَالذِّكْرِ﴾ : القرآن ﴿الْحَكِيمِ﴾ وصف به لكثرة حِكْمِهِ كأنه ينطق بالحكمة .

[٥٩] - ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ ان حاله المعجبية كحال آدم ﴿خَلَقَهُ

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص «فيوفيههم بالياء» - كما يشير إليه المؤلف - .

(٢) حجة القراءات : ١٦٤ .

مِنْ تُرَابٍ ﴿جُمْلَةٌ مَفْسُورَةٌ لِمَا لِأَجْلِهِ الشَّبَهُ، وَهُوَ: خَلَقَهُ بِلَا أَبٍ، كَخَلَقَ آدَمَ بِلَا أَبٍ وَأُمٍّ، شَبَهُ الْغَرِيبَ بِالْأَعْرَبِ، لِيَكُونَ أَقْطَعُ لِلْخَصْمِ، وَالْمَعْنَى: قَدَّرَهُ جَسَداً مِنَ التُّرَابِ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ أَي: أَنشَأَهُ بَشِراً كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾^(١) ﴿فَيَكُونُ﴾ حِكَايَةً حَالٍ مَاضِيَةٍ.

[٦٠]- ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ خَبَرٌ مَحْذُوفٌ ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ نَهْيُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مِنْ بَابِ التَّهَيُّجِ لَزِيَادَةِ الْيَقِينِ.

[٦١]- ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ مِنَ النَّصَارَى ﴿فِيهِ﴾ فِي عَيْسَى ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: مِنَ الدَّلَائِلِ الْمَوْجِبَةِ لِلْعِلْمِ ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾: هَلِّمُوا بِالْعَزْمِ ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ أَي: يَدْعُ كُلُّ مَنِ وَمِنْكُمْ أَبْنَاءَهُ وَنِسَاءَهُ وَمَنْ هُوَ كَنَفْسِهِ، إِلَى الْمِبَاهِلَةِ ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ نَتَبَاهَلُ، بَأَنْ نَلْعَنَ الْكَاذِبَ مَتَّاً.

وَالْبَهْلَةُ - بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ - اللَّعْنَةُ ﴿فَتَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ عَطَفَ مَفْسُورٌ. رَوَى: أَنَّهُمْ حِينَ دَعَا إِلَى الْمِبَاهِلَةِ قَالُوا: حَتَّى نَنْظُرَ، فَتَخَالَوْا، فَقَالَ الْعَاقِبُ - وَكَانَ ذَا رَأْيِهِمْ -: وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُمْ نَبْوَتَهُ، وَلَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْفَصْلِ مِنْ أَمْرِ صَاحِبِكُمْ.

وَاللَّهُ مَا بِأَهْلٍ قَوْمٍ نَبِيّاً إِلَّا هَلَكُوا، فَإِنْ أَيْتَمَ إِلَّا إِلْفٌ^(٢) دِينَكُمْ فَوَادَعُوهُ وَانصَرَفُوا. فَاتَوَهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ غَدَا آخِذاً بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَفَاطِمَةَ خَلْفَهُ -.

فَقَالَ أَسْقِفْهُمْ: يَا مَعْشَرَ النَّصَارَى، إِنِّي لَأَرَى وَجْهاً لَوْ سَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَزِيلَ جِبلاً مِنْ مَكَانِهِ لِأَزَالَهُ، فَلَا تَبْهَلُوا. فَأَبَا الْمِبَاهِلَةَ وَصَالِحُوهُ عَلَى أَلْفِي حَلَةٍ، وَعَارِيَةُ ثَلَاثِينَ دِرْعاً فِي كُلِّ عَامٍ.

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ بَاهَلُوا لِمَسَخُوا قَرْدَةً وَخَنَازِيرًا،

(١) سورة المؤمنون: ١٤/٢٣.

(٢) الإلف بكسر الهمزة: الصداقة والمؤانسة.

ولا اضطرم الوادي عليهم ناراً، ولا ستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر.^(١)
وهو برهان واضح على صحة نبوته، وعلو درجة أهل العبا^(٢) في الفضل على من سواهم.

[٦٢] - ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي قُصَّ من نبي عيسى عليه السلام ﴿لَهُوَ﴾ فصل، أو: مبتدأ خبره: ﴿الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ «من» مزيدة للاستغراق، وهو ردٌّ على النصارى في تثليثهم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ المتفرد في القدرة الكاملة والحكمة البالغة، فلا يشارك في الإلهية.

[٦٣] - ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ وعيد لهم. ولم يقل: «بهم» ليدل على أن الإعراض عن الحجج والتوحيد إفساد للدين بل للعالم.

[٦٤] - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ هم أهل الكتابين، أو: وفد نجران؛ أو: يهود المدينة ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾: مستوية ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ لا يختلف فيها الرسل، والكتب وتفسيرها ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أن نوحده بالعبادة مخلصين ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً﴾ ولا نجعل أحداً شريكاً له في استحقاق العبادة ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ولا نقول: عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ، ولا: المسيح ابن الله، ولا نطيع الأخبار فيما أخذوا من التحليل والتحریم، لأن كلاً منهم بعضنا وبشر مثلنا.

روي أنه حين نزلت: ﴿يَتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.^(٣)

قال «عدي بن حاتم»: ما كنا نعبدهم يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: أليسوا كانوا يحلون لكم ويحرمون، فتأخذون بقولهم؟ فقال: نعم. قال (ص): «هو

(١) نقل هذه الرواية البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٢ وروى بعضه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٤٥٢: ١.

(٢) يراد بهم اصحاب الكساء وهم فاطمة وابوها وبنوها صلوات الله عليهم اجمعين.

(٣) سورة التوبة: ٣١/٩.

ذاك»^(١) ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن التوحيد ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: لزمتمكم الحجة فاعترفوا بأننا مسلمون دونكم، أو: بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق الجلي.

[٦٥] - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم منهم، فتنازعوا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ف قيل لهم: إن اليهودية والنصرانية حدثتا بعد نزول التوراة والإنجيل على موسى وعيسى عليهما السلام، وكان إبراهيم قبل موسى بألف سنة، وقبل عيسى بألفين، فكيف يكون عليهما ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ استحالة دعاكم.

[٦٦] - ﴿مَا﴾ للتنبيه ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدا ﴿هَؤُلَاءِ﴾ خبره: ﴿حَاجَجْتُمْ﴾ جملة مية للاولى، أي: أنتم هؤلاء الحمقاء، وبيان حماقتكم أنكم جادلتم ﴿فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ مِمَّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ ولا ذكر في كتابيكم من دين إبراهيم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ دين إبراهيم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ جاهلون به.

[٦٧] - ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ تصريح بمقتضى الحجة المقررة ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾: مائلاً عن الأديان الباطلة ﴿مُسْلِمًا﴾: مخلصاً لله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُفْرِكِينَ﴾ كما لم يكن منكم، أو: تعريض بشركهم به عزيزاً والمسيح.

[٦٨] - ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾: أخصهم به وأقربهم منه، من الولي: أي القرب ﴿لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ سابقاً ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ معه لموافقته له في أكثر شريعته أصالة ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ناصرهم.

[٦٩] - ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾: هم اليهود، دعوا «حذيفة» و«عماراً» و«معاذاً» الى اليهودية، و«لو» بمعنى: «أن» ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ وما يلحق وبأل إضلالهم إلا بهم؛ إذ يضاعف به عذابهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بعود ضرره عليهم.

- [٧٠] - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بما نطقت به التوراة والإنجيل من صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بأنها آيات الله ، أو : بالقرآن وأنتم تشهدون نعته في كتابكم .
- [٧١] - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْفُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ : تخلطونه به بالتحريف ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ انه حق .
- [٧٢] - ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ : أظهروا الإيمان بالقرآن ﴿وَجَهَ النَّهَارِ﴾ : أوله ﴿وَآخِرُوا﴾ به ﴿ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي : يشكون في دينهم ظناً بأن رجوعكم لخلل ظهر لكم .
- وقيل : لما حولت القبلة الى الكعبة ، قال كعب بن الأشرف لأصحابه : آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا اليها أول النهار ، ثم صلوا إلى الصخرة آخره ، لعلهم يقولون : هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون .^(١)
- [٧٣] - ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ﴾ ولا تصدقوا إلا لأهل دينكم ، أو : لا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلا لمن كان على دينكم فإنهم أرجى رجوعاً ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ يوفق من يشاء للإسلام ويشبهه عليه ﴿أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ يتعلق بـ «لا تؤمنوا» أي : لا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم ، ولا تفشوه للمسلمين لئلا يزيدهم ثباتاً ، ولا للمشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام . أو بمحذوف ، أي : قلت ذلك ودبرتموه لأن يؤتى ، يعني : دعاكم الحسد إلى ذلك ويؤيده قراءة «ابن كثير» : «أن يؤتى» - على الإستفهام - للتوبيخ ،^(٢) أي : الآن يؤتى ، دبرتم كذا ؟^(٣)

(١) تفسير الكشاف ٤٣٦: ١ ونقل معناه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٤٦٠ .

(٢) حجة القراءات: ١٦٥ .

(٣) أي : هل دبرتم كذا لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم .

وقوله: «إِنَّ الْهُدَى هُدَى، اللَّهُ» اعتراض يفيد أَنَّ كيدهم لا ينفع، أو: خبر «إِنَّ» و«هُدَى اللَّهُ» بدل من «الهدى» ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ عطف على «أَنْ يَزْنِيَ» - على الأولين -، و- على الثالث - معناه: حتى يحاجوكم عند ربكم فيقطعوكم، و«الواو» لأحد، لآته في معنى الجمع ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٧٤] - ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فلا هداية ولا توفيق إلا من لطفه تعالى.

[٧٥] - ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ﴾ كعبدالله بن سلام، استودعه قرشي ألفاً ومائتي أوقية^(١) ذهباً، فأذاه إليه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ﴾ كـ «فيحاص»^(٢) بن عازوراء استودعه قرشي ديناراً فجحده.

وقيل: المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة فيهم، والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة فيهم^(٣) ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَاتِماً﴾: إلا مدة دوامك قائماً على رأسه تطالبه بالعنف ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ترك الأداء، الدال عليه: «لَا يُودُّهُ» ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾: بسبب قولهم ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّاتِ﴾ أي: في شأن من لبسوا أهل ديننا ﴿سَبِيلٌ﴾: عتاب. استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا: لم يجعل لهم في كتابنا حرمة.

وقيل: بايع اليهود رجالاً من قريش فأسلموا فتقاضوهم، فقالوا لا حق لكم لتركمكم دينكم وذلك في كتابنا^(٤) ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ﴾ بما ادعوا ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون.

(١) الأوقية تساوي نصف سدس الرطل وكانت في القديم وزن أربعين درهماً.

(٢) في تفسير مجمع البيان ١: ٤٦٢ فحاص، وفي تفسير البضاوي ٢: ٢٦١ فحاص.

(٣) نقله البضاوي في تفسيره ٢: ٢٦١.

(٤) قاله الحسن وابن جريج كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٦٢.

[٧٦] - ﴿بَلَىٰ﴾ عليهم فيهم سبيل ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَأَتَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ استئناف مقرر لما نابته «بلى»، والضمير في: «بعهده» الله، أو: «من» وعموم المتقين. ناب العائد^(١) من الجزاء الى «من» وأفاد إعطاء بالتقوى، وهو يعم أداء الواجبات وترك المحرمات.

[٧٧] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾: يستبدلون ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: بما عاهدوه عليه من الإيمان لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ وبما حلفوا به من قولهم: والله لنؤمننَّ به ولننصرنه^(٢) ﴿ثُمَّ أَقْبِلَا﴾ عرض الدنيا ﴿أُولَٰئِكَ لَآخِلَاقٌ﴾ لا نصيب ﴿لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ بما يسرهم، أو بشيء أصلاً، وإنما تحاسبهم الملائكة. أو: كناية عن سخطه عليهم مثل: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ إذ من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن تكليمه ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: ولا يبني عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على فعلهم. نزلت في أحبار كتموا أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وحرّفوا التوراة للرشوة، أو: في رجل حلف كاذباً في تنفيق سلعته^(٣).

[٧٨] - ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾ «كعب» و«مالك» و«حيي» وغيرهم ﴿يَلُونُ أَلَيْسَتْهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ يفتلونها بتلاوته عن الصحيح الى المحرّف ﴿لَتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الضمير للمحرّف الدال عليه «يلون» ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ تأكيد لقوله: «وما هو من الكتاب»، وتشنيع عليهم بالكذب، لإدعائهم ذلك تصريحاً لا تعريضاً ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تأكيد وتسجيل بتعمد الكذب على الله.

[٧٩] - ﴿مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُؤَيِّنَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا

(١) الظاهر ان العبارة سقط، والصحيح - كما في تفسير الفيضاي ٢: ٢٦٦ - ناب مناب العائد.

(٢) إقتباس من قوله تعالى: «ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ».

(٣) نقل الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٤٦٢ الاول عن عكرمة والثاني عن مجاهد والشعبي.

عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ» تكذيب لعبدة عيسى - عليه السلام - . وقيل : إن أبا رافع القرظي ، ورئيس وفد نجران قالاً : يا محمد أتريد أن نعبدك ، ونتخذك رباً؟ قال : معاذ الله أن نعبد غير الله ، وأن نأمر بعبادة غيره ، ما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني .^(١)

وقيل : قال رجل : يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض ، أفلا نسجد لك؟ قال : لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ، ولكن أكرموا نبيكم ، واعرفوا الحق لأهله .^(٢) ﴿وَلَكِنْ﴾ يقول : ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ الرباني : منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون ، وهو : الكامل علماً وعملاً ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ : بسبب كونكم معلمين الكتاب ، وبسبب كونكم دارسين له ؛ إذ ثمرة التعليم والتعلم كسب العلم والعمل وقرأ «نافع» و«ابن كثير» و«أبو عمرو» : «تعلمون» أي : عالمين .^(٣)

[٨٠] - ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ نصبه «ابن عامر» و«حمزة» و«عاصم» عطفاً على «ثم يقول»^(٤) و«لا» زيدت تأكيداً لمعنى النفي في «ما كان» أي : ما كان لبشر أن يستنبه ، ثم يأمر الناس بعبادته ، ويأمركم باتخاذ المربوبين أرباباً . ورفع الباقون استئنافاً^(٥) ﴿أَيُّهَا مَرْكُم بِالْكَفْرِ﴾ إنكار ، والمستتر^(٦) للبشر ، أو : الله ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ دلَّ على أَنَّ الخطاب للمسلمين وهم القائلون : «أفلا نسجد لك» .

[٨١] - ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ

(١) قاله ابن عباس وعطاء - كما في تفسير مجمع البيان ١ : ٤٦٦ .

(٢) نقل هذا القول كل من الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١ : ٤٦٦ والبيضاوي في تفسيره ٢ : ٢٧ .

(٣) حجة القراءات : ١٦٧ .

(٤) حجة القراءات : ١٦٨ .

(٥) أي : الضمير المستتر .

رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴿١﴾ أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ نَبِيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَشِّرُوا أُمَّهَم بِهِ ، وَيَأْمُرُوهُم بِتَصْدِيقِهِ وَنَصْرِهِ ، أَوْ : أَخَذَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَأُمَّهَم بِذَلِكَ وَاسْتَغْنَى بِذِكْرِهِ عَنْ ذِكْرِ الْأُمَم ، أَوْ أَخَذَ الْمِيثَاقَ الَّذِي وَثَّقَهُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَى أُمَّهَم ، عَلَى إِضَافَةِ الْمِيثَاقِ إِلَى الْفَاعِلِ .

وعن الصادق عليه السلام معناه : أَخَذَ الْمِيثَاقَ أُمَّهَم بِالْعَمَلِ بِمَا أُوتُوا بِهِ ، فَمَا وَفُوا .
وَالَام «لِما» لِلْقِسْم ، لِأَن أَخَذَ الْمِيثَاقَ بِمَعْنَى : الْإِسْتِحْلَاف . وَ«ما» شَرْطِيَّة ، وَلَتُؤْمِنُنَّ» سَدٌّ مَسَدٌ جَوَابُ الْقِسْم وَالشَّرْط .

أَوْ : مَوْصُولَةٌ . وَكسَر «حمزة» لام «لِما» ^(١) فَتَكُونُ «ما» مُصَدِّرِيَّة ، أَي : لِأَجْلِ إِيْتَائِي إِيَّاكُمْ بَعْضَ الْكُتُبِ ثُمَّ مَجْبِيءَ رَسُولٍ مُّصَدِّقٍ أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ .

أَوْ : مَوْصُولَةٌ أَي : أَخَذَهُ لِلَّذِي أَتَيْتَكُمْ بِهِ وَجَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لَهُ . وَقُرَأَ «نافع» :
أَتَيْنَاكُمْ ^(٢) ﴿قَالَ أَفَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَيَّ دَلِيلًا إِضْرِي﴾ : عَهْدِي ، سَمِي بِهِ لِأَنَّهُ يُؤْصِرُ ،
أَي : يَشُدُّ ﴿قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ : فَلْيَشْهَدْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْإِقْرَارِ ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أُمَمِكُمْ ، وَهُوَ تَحْذِيرٌ بَلِيغٌ .

[٨٢] - ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الْمِيثَاقَ وَالتَّوَكِيدَ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾
الْمُنْمَرِدُونَ كُفْرًا .

[٨٣] - ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ نَبْتَغُونَ﴾ ^(٣) عَظَفَ عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَتَوَسَّطَتْ بَيْنَهُمَا هَمْزَةُ الْإِنْكَارِ أَوْ عَلَى مُحْذَوْفٍ تَقْدِيرُهُ «تَتَوَلَّوْنَ دِينَ اللَّهِ تَبْغُونَ» وَقَدْ مِ الْمَفْعُولُ بِهِ لَتُوجِهُ الْإِنْكَارَ إِلَيْهِ . وَقُرَأَ «أَبُو عَمْرٍو» وَ«حَفْص» بِلَفْظِ الْغِيَّةِ ، وَالْبَاقُونَ :

(٢٤) حجة القراءة : ١٦٨ .

(٢) فِي الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ بِقِرَاءَةِ حَفْص : «يَبْغُونَ» كَمَا سَيُشِيرُ إِلَيْهِ الْمُؤَلِّفُ .

بالتاء، ^(١) بتقدير «قل لهم»، ﴿وَلَهُ اسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ طائعين بالنظر في الحجج، وكارهين بالسيف أو معاينة ما يلجىء إلى الإسلام ﴿وَالَّذِينَ تَرْجَعُونَ﴾ ^(٢) وقرأ «حفص» بالياء، ^(٣) والضمير له «من».

[٨٤] - ﴿قُلْ ءَمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أمر صلى الله عليه وآله وسلم بأن يُخبر عن نفسه ومن معه بالإيمان، أو: بأن يتكلم عن نفسه تكلم الملوك؛ إجلالاً له، والنزول يُعدى بـ «على» و«إلى» لأنه من فوق، وينتهي إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: متقادون موحدون.

[٨٥] - ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾ غير الإنقياد لله تعالى وتوحيده ﴿دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي من طلب غير الإسلام فَقَدْ النفع ووقع في الخسران.

[٨٦] - ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَتْهُمْ ^(٤) الْبَيِّنَاتُ﴾ كيف بلطف بهم وقد علم تصميمهم على كفرهم؛ إذ تركوا الحق بعد ما وضح لهم، وتمسكوا به، وهو استبعاد وإنكار، ولا ينافي قبول توبة المرتد، لعلمه تعالى بشركه الإصرار. و«شهدوا» عطف على معنى الفعل في «إيمانهم»، أو: حال من «كفروا» بتقدير «قد» ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لا يلطف بهم لعلمه بأن اللطف لا ينفع بهم لعنادهم.

(١) حجة القراءات: ١٧٠.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يرجعون» كما يشير إليه المؤلف.

(٣) حجة القراءات: ١٧٠ وعليه المصحف الشريف المطبوع في إيران بقرائه.

(٤) في: «ط»: «جاءتهم». واثبتناه على ما في المصحف الشريف بقراءة حفص.

[٨٧] - ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

والتمسك بمفهومه في منع لعن غيرهم ضعيف .

[٨٨] - ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في اللعنة أو العقوبة التي استحقوها بها ﴿لَا يُخَفَّفُ

عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ .

[٨٩] - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ : الإرتداد ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا ، أو :

دخلوا في الصلاح ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ : يغفر ذنوبهم ﴿رَحِيمٌ﴾ : ينعم عليهم . نزلت

في الحارث بن سويد ، حين ندم على رذته ، فأرسل الى قومه : سلوا هل لي من توبة؟

فأرسلوا إليه بالآية ، فأتى المدينة فتاب .^(١)

[٩٠] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ هم اليهود كفروا بعيسى

عليه السلام بعد إيمانهم بموسى ، ثم ازدادوا كفراً بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أو : بمحمد

صلى الله عليه وآله وسلم بعد إيمانهم به قبل مبعثه ، ثم ازدادوا كفراً بإصرارهم وطعنهم فيه ،

وصدّهم عن الإيمان .

أو : قوم ارتدّوا ولحقوا بمكة ، ثم ازدادوا كفراً بقولهم : «نتربص بمحمد ريب

المنون» فَإِنْ رَجَعْنَا نَافِقًا بِإِظْهَارِ التَّوْبَةِ^(٢) ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ لنفاقهم فيها ، أو : لأنهم

لا يتوبون إلّا عند المعاينة لارتدادهم وزيادة كفرهم ، ولذا ترك «الفاء» فيه ﴿وَأُولَٰئِكَ

هُمْ الضَّالُّونَ﴾ .

[٩١] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ

ذَهَبًا﴾ أتى به «الفاء» ايذاناً بأن سبب امتناع قبول الفدية : الموت على الكفر ، و«ذهباً»

تمييز ﴿وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ التقدير : فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء

الأرض ذهباً .

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٤٧١ .

(٢) في «ط» : فإن رجعنا أظهرنا التوبة .

أو: «وَلَوْ افْتَدَىٰ بِمِثْلِهِ، أي: معه، وكثر حذف المثل؛ إذ المثلان كشيء واحد ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إقناط من العفو عنهم تفضلاً ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾: يدفعون العذاب. ومن زيدت للإستغراق.

[٩٢] - ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ لن تبلغوا كمال البر، أو: لن تكونوا أبراراً، أو: لن تدرکوا برَّ الله، وهو: ثوابه ﴿حَتَّىٰ تَنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي: من المال، أو: مما يعتمه والنفس والبدن والجاه في سبيل الله وطاعته ومعاونة الناس.

ويعم الإنفاق الواجب والنفل ومن «للتبعض أو للتبيين ﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ أي من أي شيء طيب أو خبيث، ومن «بيانية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيجازيكم بحسبه.

[٩٣] - ﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾ أي: المطاعم ﴿كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ حلالاً لهم، وهو مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث، والمفرد والجمع، قال الله تعالى: ﴿لَاهُنَّ حَلٌّ لَهُمْ﴾^(١) ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَآئِيلُ﴾ يعقوب ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ كان به عرق النساء^(٢) فنذر إن شفي لم يأكل العروق ولحوم الإبل، و[كان] ذلك أحب الطعام إليه.^(٣)

وقيل: أشارت عليه الأطباء باجتنابه فحرّمه بإذن من الله^(٤) ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزَلَ التَّوْرَةُ﴾ مشتملة على تحريم ما حرّم الله عليهم فيها بظلمهم. وهو تكذيب لدعوى اليهود براءتهم مما نعي عليهم في: ﴿فَظَلَمْنَا مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ﴾^(٥) الآية

(١) سورة الممتحنة: ١٠/١٠.

(٢) وهو من اوجاع المفاصل، والنسا بالفتح والفصر - اسم عرق مخصوص وهو وريد يمتد على الفخذ وتقدير الكلام: وجع العرق الذي هو النساء، فالإضافة بيانية.

(٣) وهذا قول ابن عباس ومجاهد والضحاك - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٧٥.

(٤) ذكر هذا القول الزمخشري في تفسير الكشاف ١: ٤٤٥. وكذا الليثاني في تفسيره ٢: ٣١.

(٥) سورة النساء: ٤/١٦٠.

ونحوها إذ قالوا: لئنا أول من حرمت عليه وقد كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعده حتى انتهى التحريم إلينا.

وردَ لمنهم النسخ وإنكارهم دعوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم موافقة إبراهيم عليه السلام في تحليل لحوم الإبل ﴿قُلْ قَاتِلُوا بِالشُّورَةِ فَأَنْتُمْ مُوَاهِدُونَ﴾ كُتِبَ صَادِقِينَ ﴿أمر بتبكيتهما بما في كتابهم من أنه تحريم حادث بظلمهم لا قديم، فلم يجسروا أن يأتوا بها، وفيه حجة على صدقة.

[٩٤] - ﴿فَمَنْ أَفْزَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ﴾ بزعمه أن تحريم ذلك قديم ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الذي لزمهم من الحجة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بمكابرة الحق الواضح.

[٩٥] - ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ تعريض بكذبهم، أي: ثبت أنه صادق فيما أنزل، وأنتم الكاذبون ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ ملة الإسلام التي هي مثل ملة إبراهيم لتخلصوا من اليهودية التي حملتكم على التحريف، وألزمتكم تحريم طيبات أحلت لإبراهيم وأتباعه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بشركهم.

[٩٦] - ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ جعل متعبداً لهم، والواضع هو الله تعالى - لقراءة البناء للمفاعل - ﴿لَلَّذِي﴾ للبيت الذي ﴿بَيَّكَةً﴾ لغة في «مكة».

وقيل: موضع المسجد.

وبكة: البلد،^(١) من البك، أي: الزحم، أو: الدق للإزدحام فيها ودقها أعناق العتاة.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «أول مسجد وضع، المسجد الحرام، ثم بيت المقدس»^(٢).

وعن علي عليه السلام: «كان قبله بيوت لكنه أول بيت وضع للعبادة»^(٣) وأول من بناه

(١) نقل هذا القول البيضاوي في تفسيره ٢: ٢١.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٤٧٧.

«إبراهيم» ثم قوم من «جرهم» ثم «العمالقَة» ثم «قريش»^(١) وقيل: «آدم» ثم «إبراهيم»^(٢) وفيه روايات أخر^(٣) «مُبَارَكًا» كثير الخير لمن حجّه واعتمره، حال من المستكن في «بيكة» أو «وضع» «وَهْدَى لِلْعَالَمِينَ» لأنه متعبد بهم.

[٩٧] - «فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ» كإهلاك أصحاب الفيل وغيرهم، ومخالطة السباع الصّيد في حرمه ولم تتعرض له،^(٤) «وَأَنَّ الطَّيْرَ لَا يَعْלוهُ» «مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ» بدل البعض من «آيات»، أو مبتدأ حذف خبره، أي: منها، أو عطف بيان لها، على أَنَّ كلاً من أثر القدم في الحجر، وغوصها الى الكعبين، وحفظه مع كثرة الأعداء، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء آية.

وسبب هذا الأثر قيامه عليه حين بنى البيت. أو عطف بيان لخبر «إِنَّ»؛ إذ الحرم كلّ مقامه فضلاً عن البيت «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» عطف على «مقام» من حيث المعنى، أي: ومنها أَمْنٌ من دخله، أو: فيه آيات المقام والأمن. وطوى ذكر غيرهما إيداناً بكثرة الآيات، أي هي هاتان وكثير سواهما، أو: جملة مستأنفة والضمير في «دخله» لـ «مقام»، وهو خبر عن إجابة دعاء إبراهيم عليه السلام: «اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا»^(٥).

وعن الصادق عليه السلام: «من دخله عارفاً بما أوجبه الله عليه كان آمناً في الآخرة من النار»^(٦) أو: أمر، أي: لِيُؤْمِنَنَّ مَنْ دخله جانياً خارجة، ولا يُتَعَرَّضَ له، ولكن يلجأ الى الخروج «وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَظُّ النَّيِّتِ»: قصده على الوجه المخصوص. وكسر

(١) ورد ذلك باختلاف يسير في تفسير البرهان ١: ٣٠١.

(٢) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٣١.

(٣) راجع تفسير البرهان ١: ٢٩٩.

(٤) كذا في النسخ، والمراد: ان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها.

(٥) سورة البقرة: ١٢٦/٢.

(٦) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٤٧٨ عن أبي جعفر عليه السلام.

الحاء «حمزة» و«الكسائي» و«حفص»^(١) «مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» بدل البعض من الناس .

وفسرت الإستطاعة بالزاد والراحلة، ونفقة واجبي النفقة ولو مبذولة، وصحة البدن، وتخلية السرب، وعليه أصحابنا، لكن اشترط بعضهم الرجوع الى كفاية لرواية ضعيفة^(٢) معارضة بالآية وأخبار صحيحة^(٣) مع تأويلها، والضمير في «إليه» للبيت أو الحج . «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» أكد أمر الحج بإيجابه بصيغة الخبر . والجملة الإسمية، وإيراده على وجه يُفيد أنه حق لله في رقاب الناس، وتخصيص الحكم بعد تعميمه، وهو تكرير للمراد، وبيان بعد إبهام، وتغليظ تركه بتسميته كفراً، كما سُمي تاركه في الحديث يهودياً أو نصرانياً^(٤) .

وذكر الإستغناء الدال على المقت والسخط، وإبدال «عنه» بـ«عن العالمين» الدال على الإستغناء عنه بالبرهان أو: على عظم السخط .

[٩٨] - «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» الذالة على صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم «وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ» والحال أنه مطلع على أعمالكم فمجازيكم بها .^(٥)

[٩٩] - «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ» التي أمر بسلوكها، وهو الإسلام . كانوا يحتالون لصدة المؤمنين عنه، ويفرون بين الأوس والخزرج بتذكيرهم تحاربهم وتعاديهم الجاهلي ليعودوا لمثله «تَبْعُونَهَا عِوَجًا» حال

(١) حجة القراءات : ١٧٠ .

(٢) اوردها الحر العاملي في وسائل الشيعة ٨ : ٢٥ في الباب التاسع من ابواب وجوب الحج - الحديث الرابع - .

(٣) ينظر الوسائل ٨ : ١٩ الباب السابع من ابواب وجوب الحج - الحديث الاول - .

(٥) في «ط» فيجازيكم بها .

من «الواو»، أي طالبين اعوجاجاً بتلييسكم على الناس لتوهمو أن فيه عوجاً عن الحق، أو: بإغرائكم بين المؤمنين ليختل أمر دينهم ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ أنها سبيل الله، والصادُّ عنها ضال مضل، أو: وأنتم نقاة عند أهل دينكم يستشهدون بكم في أمورهم ﴿وَمَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد لهم .

[١٠٠] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ نزلت في الأوس والخزرج إذ مرَّ شاس بن قيس^(١) اليهودي بنفر منهم جلوس يتحدثون؛ فغاضه تألفهم فأمر يهودياً أن يذكرهم «يوم بعث»^(٢) وينشدهم مما قيل فيه، فتنازعوا وتغاضبوا، ودعوا بالسلاح، فاتاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أندعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام، «وألَّف بينكم» فعرفوا أنها نزغة شيطان وكيد عدو، فألقوا السلاح وبكوا وتعانقوا، وانصرفوا معه صلى الله عليه وآله وسلم» .

[وَأَمَّا]^(٣) خاطبهم الله تعالى بنفسه بعد أمره نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بخطاب أهل الكتاب إجلالاً لهم وإيذاناً بأنهم الأحقاء بأن يخاطبه .

[١٠١] - ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ استبعاد لكفرهم حال وجود ما بدعوههم إلى الإيمان، ويصرفهم عن الكفر ﴿وَمَنْ يَغْتَصِمْ بِاللَّهِ﴾ يتمسك بدينه، أو: يلتجئ إليه في مهامه ﴿فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فقد اهتدى البتة^(٤) .

[١٠٢] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ واجب تقواه، وهو فعل

(١) جاء في هامش «الف» مايلي: بعث - بالباء موحدة والعين مهملة والثاء مثناة -: يوم مشهور في الجاهلية وكان الظفر فيه للأوس . منه رحمه الله .

(٢) الزيادة اقتضاها السياق .

(٣) في «الف»: فقد اهتدى إليه .

الواجب وترك الحرام.

وعن الصادق عليه السلام: «هو أن يطاع فلا يعصى، ويُذكر فلا ينسى، ويُشكر فلا يكفر»^(١) ونحو ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٢) وفيه تأكيد للنهي عن طاعة أهل الكتاب.

واصل تفاع «وقية» قبلت واوها «تاء» وياؤها «ألفاً» ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ولا تكوننَّ على حال سوى الإسلام إذا أدرركم الموت.

[١٠٣] - ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ بدينه أو كتابه. وعن الصادق عليه السلام: «نحن حبل الله»^(٣) استعير الحبل لذلك، لأنَّ التمسك به سبب للنجاة من النار، كما أن التمسك بالحبل سبب للنجاة من التردّي. والإعتصام ترشيح^(٤) ﴿جَمِيعاً﴾: مجتمعين عليه ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾: ولا تتفرقوا عن الحق تفرّق أهل الكتاب باختلافهم، أو تفرقكم الجاهلي بالمحاربة ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ في الجاهلية ﴿فَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ متواصلين متحابين.

كان الأوس والخزرج أخوين تطاولت الحروب والعداوة بين أولادهما مائة وعشرين سنة حتى أزالها الله وألّف بينهم بالإسلام وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ مشفين على الوقوع في جهنم لكفركم؛ إذ لو متم عليه لوقعت فيها.

وشفا الشيء جرفه: كشفته^(٥) ولامها واو، قلبت في المذكر وحذفت في المؤنث

(١) تفسير الثبيان ٤: ٥٤٤ وتفسير نور الثقلين ١: ٢٧٦ عن معاني الأخبار.

(٢) سورة التغابن: ١٦/٢٤.

(٣) تفسير البرهان ١: ٣٠٧.

(٤) أي استعاز للوثوق به والاعتماد عليه كلمة «الاعتصام» ترشيحاً للمجاز.

(٥) أي كشفة الشيء، فإن شفا بمعنى الشفة، وشفا البشر وشفتها: طرفها، كالجانب والجانبية. وأصله شفو. وهذا ما قصده المصنّف بقوله: ولامها واو.

﴿فَأَنقَضْكُم﴾ بالإسلام ﴿مِنْهَا﴾ من الحفرة أو النار ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك البيان ﴿يُبَيِّنُ﴾ الله آيَاتِهِ دلالة ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لكي تثبتوا على الهدى، أو تزدادوه.

[١٠٤] - ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ «من» للتبعيض. واحتج به من أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفاية، ومن قال بالعينية، جعلها للتبيين، أي: وكونوا أمة ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ يعم الأفعال والتروك الحسنة شرعاً وعقلاً ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالطاعة ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: المعصية، وهو من عطف الخاص على العام، إيداناً بفضلهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأخصاء بالفلاح.

[١٠٥] - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ في الدين، وهم اليهود والنصارى ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الدلائل الموجبة للاتفاق على الحق ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وعيد للمتفرقين.

[١٠٦] - ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ نصب بالظرف وهو «لهم» أو به «اذكر» مضمراً.

والبياض من النور، والسواد من الظلمة، فيوسم أهل الحق ببياض الوجه، والصحيفة، وسمي النور بين يديه ويمينه، وأهل الباطل بأضداد ذلك، أو: هما كناية عن ظهور البهجة والكآبة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: فيقال لهم: أكفرتم. والهمزة للتوبيخ، أو التعجيب من حالهم، وهم المرتدون أو أهل البدع، أو أهل الكتاب، كفروا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد إيمانهم به قبل مبعة، أو جميع الكفار كفروا بعد إقرارهم حين أشهدهم على أنفسهم،^(١) أو تمكنا من الإيمان بالنظر في الحجج. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أمر إهانة. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفركم.

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ﴾ قالوا بلى... (سورة الاعراف: ١٧٢/٧).

[١٠٧] - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْتِغَتْ وُجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ ثوابه الدائم . سمي رحمة - وهو مستحق - ، بإعتبار سببه ، وهو التكليف الذي هو تفضل . وعكس الترتيب في ذكرهم ليكون مطلعاً ومقطعاً للكلام . ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ استئناف للتأكيد ، كأنه قيل : كيف يكونوا فيها ؟ فأجيب به .

[١٠٨ - ١٠٩] - ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ المتضمنة للوعد والوعيد ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ متلبسة ﴿بِالْحَقِّ﴾ والعدل ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾ شيئاً من الظلم ﴿لِلْمَالِئِينَ﴾ لأحد من خلقه ؛ إذ لا يظلم إلا جاهل أو محتاج ، وهو منزّه عن ذلك . وبين غناه بقوله : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فيجازي بما وعد وأوعد كلاً بفعله .

[١١٠] - ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ دلّ على الخيرية فيما مضى ، ولم يدل على انقطاع طاريء كقوله : ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١) أو : كتسم في علم الله ، أو : في الأمم قبلكم ﴿أُخْرِجَتْ﴾ أظهرت ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ استئناف لبيان خيريتهم ، أو : حال عنها ، فيفيد اشتراطها بالأوصاف المذكورة ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ يعتم الإيمان بكل ما أمر أن يؤمن به ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ إيماناً يعتد به ﴿لَكَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ مما هم عليه ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ كعباد الله بن سلام وأضرابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المتمردون في الكفر .

[١١١] - ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ إلا ضرراً يسيراً كطمني ووعيد ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَانَ﴾ منهزمين ، ولا يضروكم بقتل وأسر ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ لا يعانون عليكم ، ولا يمنعون منكم وهو عطف على الشرطية لا الجزاء ، فيكون نفي النصر مطلقاً لا مقيداً بقتالهم . و«ثم» للتراخي في المرتبة .

والآية من الغيب الذي واقفه الواقع من حال «قريظة» و«النضير» و«بني قينقاع»

و«يهود خيرة».

[١١٢]- «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ» فهي محيطة بهم إحاطة البيت المضروب على أهله «أَيَّنَ مَا تُقِفُوا» وجدوا «إِلَّا يَحْبِلُ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلُ مِنَ النَّاسِ» استثناء من أعم الأحوال، أي: ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا معتصمين بدمه الله تعالى وذمة المسلمين «وَيَاءُ»^(١): رجعوا «يَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ» فاليهود غالباً فقراء ومساكين «ذَلِكَ» الضرب والبوء «بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ» بسبب كفرهم «بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ» ويقتلهم «الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ» الكفر والقتل «بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ» بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله؛ إذ الإصرار على الصغائر يجرُّ إلى الكبائر، أو: ذلك الضرب والبوء بعصيانهم واعتدائهم مع الكفر والقتل إذ هم مخاطبون بالفروع أيضاً.

[١١٣]- «لَيْسُوا سَوَاءً» ليس أهل الكتاب مستوين «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ»: مستقيمة عادلة، من «أَقَمْتُ الْعُودَ فِقَامًا» وهو الذين أسلموا منهم. وهو استئناف لبيان نفي استوائهم «يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ عِثَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ» عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود. لأنه أبلغ في المدح. أو: أريد صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها.

[١١٤]- «يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» وصفوا بصفات ليست في اليهود؛ لا نحرافهم عن الحق وعدم تهجدهم، وشركهم وتغييرهم صفة الآخرة، ومداهتهم وتباطئهم عن الخيرات «وَأُولَئِكَ» الموصوفون «مِنَ الصَّالِحِينَ» الذين صلحت أحوالهم عند الله تعالى.

[١١٥]- «وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ نَكْفُرَهُ» فلن تنقصوا ثوابه، سمي ذلك كفراناً كما سمي توفية الثواب شكراً، وضمَّن معنى الحرمان فعَدَى إلى مفعولين.

(١) يراجع تعليقنا على كلمة «باء» في الآية ٦١ من سورة البقرة.

وقرأ «حفص» و«حمزة» و«الكسائي» بالياء فيهما^(١) «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ» بشارة لهم، وإيدان بأنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى.

[١١٦] - «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ»: من عذابه «شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ» ملازموها «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

[١١٧] - «مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ» سمعة أو قرينة أو في عداوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ»: برد شديد، ويقال للريح الباردة: كالصرصر، فهو وصف للبرد، مبالغة، كقولهم: برد بارد «أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» بالمعاصي «فَأَمْلَكَتْهُ» عقوبة لهم إذ الإهلاك عن سخط أشد. شبه ما أنفقوا في ضياعه بحرث عصاة أهلके البرد، فذهب حطاماً، وهو من التشبيه المركب، ولذا جار إيلاء الأداة، الريح دون الحرب، أو يقدر: كمثل مهلك الريح، وهو: الحرث «وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ»: وما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم «وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» حيث لم يأتوا بها مستحقةً للقبول، أو: ما ظلم أهل الحرث بإهلاكه، ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة.

[١١٨] - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً» هو الذي يعرفه الرجل أسرارَه ثقةً به، شبه ببطانة الشوب «مِنْ دُونِكُمْ» كسائنة من غير المسلمين، أو: متعلق به «لَا تَتَّخِذُوا» «لَا يَأْلُوَنَكُمْ خِيَالاً» لا يقصرون لكم في الفساد.

والألو: التقصير، وتعديته بالحرف، ثم عدي إلى مفعولين في نحو: لا آلوك جهداً، بتضمين معنى: المنع، «وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ» تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة «قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ» في كلامهم؛ لعدم تمالكهم أنفسهم «وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ» مما بدا، والروا للحال «قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ» الدالة على وجوب موالة أولياء الله، ومعاداة أعدائه «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» ما بيّناه. والجمل الأربع

مستأنفات للتعليل، وقيل الثلاثة الأول نعوت لـ «بطانة».

[١١٩] - «هَذَا» للتنبيه «أَنْتُمْ» مبتدأ، خبره «أَوْلَاءُ» المخاطبون في موالاة الكفرة «تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ» بيان لخطتهم في موالاتهم، وهو خبر ثان، أو خبر لـ «أَوْلَاءُ» والجملة خبر «أنتم»، أو: صلة، أو حال عاملها معنى الإشارة «وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ» بجنسه «كُلُّهُ» وهو حال، أي: لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم، فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم؟.

وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم «وَإِذَا لَقَوُكُمْ قَالُوا آمَنَّا» نفاقاً «وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ» من أجله. يوصف المغتاط والنادم بعض الأنامل «قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ» دعاء عليهم بزيادة غيظهم بازدياد عز الإسلام وأهله، حتى يموتوا به «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» فيعلم ما في صدورهم من البغضاء، وهو من المقول، أي قل لهم: إن الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه من عض الأنامل، أو خارج عنه، أي: قل لهم ذلك ولا تتعجب من إطلاعي إياك على ما يسرونه، فإني عليم بالأخفى وهو ضمائرهم.

[١٢٠] - «إِنْ تَمَسَسْتُمْ» تصبكم - على الاستعارة - «حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا» بيان لفرط بغضهم؛ إذ حسدوا ما نالهم من نعمة وشمتوا بما أصابهم من محنة «وَإِنْ تَصْبِرُوا» على عداوتهم، أو: التكاليف «وَتَتَّقُوا» موالاتهم، أو: المعاصي «لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً» لحفظ الله إياكم، وضَمَّ الراء إبتاعاً، وقرأ «نافع» و«ابن كثير» و«أبو عمرو»: «يَضُرُّكُمْ» من ضاره يضيره^(١) «إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ»^(٢) من الصبر والتقوى وغيرهما «مُحِيطٌ» علماً، ففاعل بكم ما أنتم أهله.

(١) حجة القراءات: ١٧١.

(٢) كذا في النسخ بالتاء، وهو قراءة الحسن وإبراهيم، وفي المصحف الشريف بالياء وهي القراءة المشهورة ينظر تفسير مجمع البيان ١: ٤٩٤.

[١٢١] - ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿غَدَوْتُ مِنْ أَهْلِكَ﴾ بالمدينة ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

تنزلهم، أو: تتخذ لهم ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ مواطن، واستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان إتساعاً ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾^(١) و﴿تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾^(٢) ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنبأكم.

روي أن المشركين نزلوا به «أحد» يوم الأربعاء، فاستشار النبي أصحابه. فقال «عبدالله بن أبي» وأكثر الأنصار: يا رسول الله لا تخرج من المدينة فما خرجنا منها الى عدوتنا إلا ظفر بنا، ولا دخلها علينا إلا ظفروا به، فكيف وأنت فينا، فدعهم فإن أقاموا فبشر محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال والنساء والصبيان، وإن رجعوا فبالخية.

وقال جماعة: أخرج بنا اليهم وألحوا، فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب أحد يوم السبت، وصف أصحابه وجعل ظهره الى «أحد» وأمر «عبدالله بن جبير» على الرماة، وقال: انضحوا عنا بالنبل، لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا، غلبنا أو غلبنا.^(٣)

[١٢٢] - ﴿إِذْ هَمَّتْ﴾ بدل من «إذ غدوت» أو متعلق بـ «سميع عليم» ﴿طَائِفَتَانِ

مِنْكُمْ﴾ «بنو سلمة» من الخزرج «وبنو حارثة» من الأوس، وهما الجناحان^(٤) ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ تجبنا.

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نحو الف رجل؛ ووعدهم النصر، إن صبروا، فأنخزل^(٥) «ابن أبي» بثلاث الناس، وقال: علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فتبعهم «عمرو بن حزم الأنصاري» فقال: أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم. فقال «ابن أبي»:

(١) سورة القمر: ٥٤/٥٥.

(٢) سورة النمل: ٢٧/٢٩.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٤٩٥ عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل.

(٤) أي كانا جناحي العسكر يومئذ.

(٥) أنخزل من المكان: انفرد.

لو نعلم قتالاً لا تبغناكم، فهم الحيان باتباعه، فعصمهم الله، فمضوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ وكأنه هم خطرة^(١) لقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ إذ لا تثبت الولاية مع العزيمة، أو أريد: والله ناصرهما، فما لهما يفسلان ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أمرهم بأن لا يتوكلوا إلا عليه.

[١٢٣] - ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِتَدْرِ﴾ ذكرهم بما نفعهم التوكل، و«بدر» ماء بين الحرمين، سمي باسم صاحبه ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ حال، وعدل عن «ذلان»^(٢) ليدل على قلتهم مع ذلتهم، لقلة العدة والعدد ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الثبات ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ بتقواكم نعمة نصره.

[١٢٤] - ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ظرف لـ «نصركم» أو بدل ثانٍ من «إذ غدوت» على أن قوله لهم يوم أحد [كان]^(٣) مع اشتراط الصبر والتقوى فلم يصبروا عن الغنائم، ولم يتقوا مخالفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فلم تنزل الملائكة ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ انكار أن لا يكفيهم ذلك، وجيء بـ «لن» اشعاراً بأنهم كانوا لضعفهم وقوة عدوهم كالأيسين من النصر، وشدد «ابن عامر»: «منزلين»^(٤).

[١٢٥] - ﴿بلى﴾ ايجاب لمنفي «الن»، أي: بلى يكفيكم، ثم وعدهم الزيادة على الصبر والتقوى بقوله: ﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ﴾ أي المشركون ﴿مِنْ قَوَرِهِمْ هَذَا﴾ مصدر «فارت القدر» أي: غلت، فاستعير للسرعة. والمعنى: إن يأتوكم من ساعتهم هذه ﴿يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ في حصال اتيانهم

(١) لا هم عزيمة اذ لو كان هم عزيمة وقصد لكان ذمهم أولى من مدحهم.

(٢) في «الف»: ذلائل، و«الاذلة» جمع قلة و«الذلان» جمع الكثرة.

(٣) الزيادة اقتضاه السياق.

(٤) حجة القراءات: ١٧٤.

بلا تأخير ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ معلّمين، من التسويم، أي: إظهار السيماء، أو: مرسلين - من التسويم، أي: الإرسال - وكسر الواو «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«عاصم»^(١).

[١٢٦] - ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي إمدادكم بالملائكة ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾ بشارة ﴿لَكُمْ﴾ بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ ولتسكن اليه من الزرع ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ لا من العدد والعدة، ولا من الملائكة، وإنما أمدهم ووعدهم به بشارة لهم، وتقوية لقلوبهم ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغالب في حكمه ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي ينصر، ويخذل بحسب المصلحة.

[١٢٧] - ﴿لِيُطَمَّعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ متعلق بـ «نصركم»، أو «وما النصر»، والمعنى: ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر، وهو ما كان «يوم بدر» من قتل سبعين، وأسر سبعين من رؤسائهم ﴿أَوْ يَخْشَتُهُمْ﴾: أو يحتربهم.

والكبت: شدة غيظ يقع في القلب ﴿فَيَقْلِبُوا خَائِبِينَ﴾ فينهزموا منقطعي الأمل - [١٢٨] - ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ اعتراض ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ﴾ عطف على ما قبله، والمعنى: إن الله مالك أمرهم، فإما أن يهلكهم أو يهزمهم، أو يتوب عليهم إن تابوا، أو يعذبهم إن أصروا، ليس لك من أمرهم شيء، إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم وجهادهم، أو: على الأمر، بإضمار «إن» أي: ليس لك من أمرهم أو: من التوبة عليهم أو: من تعذيبهم شيء.

وقيل: «أو» بمعنى: إلا أن، أي ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتسرب به، أو يعذبهم فتستفي بهم. وقيل: شجَّ يوم أحد، وكسرت رباعيته فقال: كيف يفلح قوم نالوا من نبيهم. فنزلت^(٢).

(١) حجة القراءات: ١٧٢.

(٢) قاله انس بن مالك وابن عباس والحسن وقتادة والربيع - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٥٠١.

وقيل: هم بالدعاء عليهم فنهاه الله لعلمه أن فيهم من يتوب^(١) ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ مستحقون للعذاب بظلمهم.

[١٢٩] - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فله الأمر كله ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ من مذنبى المؤمنين. ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ ممن لم يتب ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للمؤمنين.

[١٣٠] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ لا تأخذوا زيادة مكررة، ولعل التقيد بحسب ما وقع، إذ كان الرجل يربى الى أجل ثم يزيد فيه زيادة أخرى، وهكذا. وقرأ «ابن كثير» و«ابن عامر»: «مضاعفة»^(٢) ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مناهيه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ راجين الفلاح.

[١٣١] - ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ باجتناب ما يوجب دخولها.

ودلّ على أنها معذة للكفرة أصالة، وللعصاة تبعاً.

[١٣٢] - ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ترغيب بالوعد بعد التهيب بالوعيد. و«لعلّ» في نحو ذلك تفيد دقة مسلك الطاعة.

[١٣٣] - ﴿وَسَارِعُوا﴾: وبادروا. وحذف «الواو» «نافع» و«ابن عامر»^(٣) ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الى ما يوجب المغفرة كالتوبة والطاعة ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: عرضها كعرضهما. ذكر العرض مبالغة في وصفها بالسعة لأنه دون الطول^(٤) قيل: كسبع سماوات وسبع أرضين، لو تواصلت. ^(٥) ﴿أُعِدَّتْ﴾ هيئت

(١) ذكر معناه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٥٠١: ١ عن ابي علي الجبائي.

(٢) حجة القراءات: ١٧٤ وتفسير البيضاوي ٤٣: ٢.

(٣) حجة القراءات: ١٧٤.

(٤) ان العرض انما يفيد معنى مايقابل الطول فيما لو ذكر «الطول» ايضاً، وحيث انه لم يذكر الطول هنا أصلاً فالعرض بمعنى: السعة. لا ما يقابل الطول.

(٥) قاله ابن عباس - كما في تفسير الكشاف ٤٦٣: ١ وتفسير البيضاوي ٤٣: ٢.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ فهي مخلوقة اليوم .

[١٣٤] - ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ نعت للمتقين ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ في حالي العسر واليسر، أو: كل الأحوال إذ لا تخلو من مسرة أو مضرة، أي: لا يمنعهم حال عن الإنفاق ما قدروا عليه ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ الممسكين عليه، فلم يعضوه مع القدرة، من «كظم القربة» أي: ملاها وشذ رأسها ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ التاركيين مواخذة من جنى عليهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ للعهد، إشارة إلى هؤلاء، أو: الجنس، ويدخلون فيه :

[١٣٥] - ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ فعله عظيمة القبح - كالزنا - ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بارتكاب ذنب .

وقيل : الفاحشة : الكبيرة، وظلم النفس : الصغيرة^(١) ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ تذكروا نهيهم أو عقابه أو عظمتهم ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ بالتوبة ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ استفهام معناه النفي، معترض لبيان سعة رحمته ومغفرته وحث على التوبة وتقوية للرجاء ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ ولم يقيموا على الذنب ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حال من «يصروا» أي: لم يصروا على القبيح، عالمين به .

[١٣٦] - ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ إستئناف يبين ما قبله إن عطف «الذين» على «المتقين»، أو خبر له - ان ابتدء به . - وأفاد الكلام ان المؤمنين ثلاث طبقات : متقون وتائبون - ولهم الجنة والمغفرة إستحقاقاً .

ومصرون لا يستحقون ذلك، ولا ينفي التفضل ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ المخصوص محذوف، تقديره: نعم اجرهم ذلك، أي: المغفرة والجنات .

[١٣٧] - ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ وقائع، سنّها الله تعالى في الأمم المكذبة

(١) قاله القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٥٠٦ هـ .

نحو ﴿وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا﴾^(١) ﴿سَنَّ اللَّهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾^(٢) ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ لتعظوا بما ترون من آثار هلاكهم .

[١٣٨] - ﴿هَذَا﴾ إشارة الى قوله : «قد خلت» أو: الى ما ذكر من أمر الممتنين والتائبين، وقوله : «قد خلت» اعتراض، أو: الى القرآن ﴿يَبَيِّنُ لِلنَّاسِ وَهُدًى﴾ أي مع كونه بيان للمكذبين فهو زيادة تثبيت ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

[١٣٩] - ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ لا تضعفوا في الجهاد بما اصابكم ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على من قُتل منكم، تسلياً لهم عما اصابهم بأحد ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ وحالكم أنكم أعلى منهم شأنًا، لأن قتالكم لله، وقتالهم للشيطان، وقتالكم في الجنة، وقتالهم في النار. أو: لأنكم نلتهم منهم بـ«بدر» أكثر مما نالوا منكم بـ«أحد» أو: هو بشارة لهم بالغبلة، أي: وأنتم الأعلون في العاقبة ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لا تهنوا ان صح إيمانكم فإنه يوجب قوة القلب والثقة بالله، أو متعلق بـ«الأعلون» .

[١٤٠] - ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ ضم القاف «حمزة» والكسائي «و» أبو بكر» وفتحها الباقون^(٣) لغتان في الجراح، أو: الفتح لها، والضم لألهمها، يعني: إن نالوا منكم بـ«أحد» فقد نلتهم منهم بـ«بدر»، ثم لم يهنوا وأنتم أولى بأن لا تهنوا؛ إذ ترجون من الله ما لا يرجون .

وقيل: كان المسان يوم «أحد» إذ نال المسلمون منهم قبل أن يخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم^(٤) ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿الْأَيَّامُ﴾ وهي أوقات الظفر، خبره . أو: صفته، والخبر: ﴿نُذَارُهَا﴾: نصرتها ﴿يَبَيِّنُ النَّاسِ﴾ تدليل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء .

(١) سورة الأحزاب: ٢٣/٦١ .

(٢) سورة الأحزاب: ٢٣/٢٨ و٦٢ .

(٣) حجة القراءات: ١٧٤ .

(٤) نقل هذا القول البيضاوي في تفسيره ٢: ٤٤ .

والمداولة كالمعاودة، يقال: داوت الشيء بينهم فتداولوا، ﴿وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ المعلن محذوف، أي: وليتميز الثابتون على الإيمان مقن على حرف^(١) فعلنا ذلك، وليس المراد اثبات علمه تعالى، بل إثبات متعلقه، أو المعنى: ليعلمهم علماً يتعلّق بالجزاء، وهو العلم بالشيء موجوداً، أو عطف على علة محذوفة، أي: نداولها لحكم، وليعلم الله ايذاناً بأن المصلحة فيه غير واحدة، وإن فيما يصيبهم مصالح لا يعلمونها ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ ويكرم بعضكم بالشهادة يعني: شهداء أحد، أو: يتخذ منكم شهوداً موثقين بصبرهم في الابتلاء ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ اعتراض يفيد بأنه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة، وإنما يمكنهم أحياناً استدراجاً لهم وابتلاء للمؤمنين.

[١٤١]- ﴿وَلْيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ليخلصهم من الذنوب إن كانت الدولة عليهم ﴿وَيَمْحَقْ﴾ ويهلك ﴿الْكَافِرِينَ﴾ إن كانت عليهم، والمحق: فناء الشيء حالاً فحالاً.

[١٤٢]- ﴿أَمْ﴾: بل أ ﴿حَسِبْتُمْ﴾ وهو الإنكار ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ ولَمَّا تجاهدوا، أريد بنفي العلم، نفي متعلقه، إذ لو وقع لعلمه تعالى. ولما كـ لم مع تضمنه توقع الفعل فيما يستقبل ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ نصب بإضمار إن على أن الواو للجمع.

[١٤٣]- ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّونَ الْمَوْتَ﴾ بالشهادة، خطاب لمن لم يشهدوا بدرأ، وتمنوا أن يجضروا مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وآله ليكرموا بالشهادة كشهداء بدره فالحوا يوم أحد، في الخروج ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ رأيتموه معانين له، حين قتل من قتل منكم.

(١) الذي ورد ذكرهم في قوله تعالى: ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه . . . (سورة الحج: ٢٢/ ١١).

وَبَخُوا عَلَى تَمَتِّيهِمُ الْمَوْتَ ثُمَّ انْهَزَاهُمْ، وَيَجُوزُ تَمَتِّيُ الشَّهَادَةِ وَإِنْ تَضَمَّنَتْ غَلْبَةَ الْكُفَّارِ؛ إِذْ لَمْ يَقْصِدْ بِهِ إِلَّا نِيلَ الْكَرَامَةِ فَقَطْ.

[١٤٤] - ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فَيُخْلَوُ كَمَا خَلُوا ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ إنكار لانقلابهم عن دينه لخلوه بموت أو قتل، مع علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به.

روى أن «عبدالله بن قمية»^(١) لما كسر رباعية النبي، وشجّه ذبّ عنه صاحب الراية «مصعب بن عمير» فقتله ابن قمية - ويرى أنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم - فقال: قتل محمدًا، وصرخ صارخ أن محمدًا قتل، فانكفأ الناس، وجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو: «إِلَى عِبَادِ اللَّهِ» فاجتمع إليه ثلاثون، وكشفوا عنه المشركين، وقال بعض المسلمين: «لَيْتَ ابْنُ أَبِي يَأْخُذَ لَنَا أَمَانًا مِنْ أَبِي سَفِيَانَ».

وقال ناس منافقون: لو كان نبيًّا ما قتل، ارجعوا إلى دينكم.

فقال «أنس بن النضر»: إن كان محمد قتل، فرتبه حيّ، وما تصنعون بالحياة بعده؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه، اللهم إني أعوذ إليك ممّا يقولون، وأبرأ منه. ثم قاتل حتى قتل، فنزلت^(٢) ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ يَرْثِ فَلَن يُضَرَّ اللَّهُ شَيْئًا﴾ بل يضر نفسه ﴿وَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ نعمة الإسلام بباتهم عليه كـ «أنس» وأمثاله.

[١٤٥] - ﴿وَمَا كَانَ لِتَقْصِيسِ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بعلمه وأمره، أي: لكل نفس أجل مسمّى في علمه، لا يؤخره إحجام^(٣) عن الجهاد، ولا يقدمه إقدام عليه، وفيه تشجيع على الجهاد «كِتَابًا» مصدر مؤكد، أي: كتب الموت كتاباً «مُؤَجَّلًا» مؤقَّتًا

(١) كذا في الأصل - بتشديد الباء المثناة من تحت - . ولكنه في جوامع الجامع ١: ٢٠٨: قمتة. وفي تفسير الكشف ١: ٤٦٧ وتفسير البيضاوي ٢: ٤٦: قمية.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٥١٣ وجوامع الجامع ١: ٢٠٨.

(٣) الاحجام ضد الاقدام.

لا يتقدم ولا يتأخر ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ تعريض بمن أدخلوا مراكزهم وأقبلوا على الغنائم، فاتاهم المشركون من ورائهم فهزمهم ﴿ثَوَابَهُ مِنْهَا﴾ من ثوابها ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ ثَوَابَهُ مِنْهَا وَسَجَرِي الشَّاكِرِينَ﴾ للنعمة فلم يؤثروا شيئاً على الجهاد.

[١٤٦] - ﴿وَكَايُن﴾ بمعنى «كم»، وأصله: «أي» دخلتها الكاف واثبت تنوينها خطأً على غير قياس. وقرأ «ابن كثير»: «وكاين» كـ «كاغن»^(١) ﴿مِنْ نَبِيٍّ﴾ بيان له ﴿فَاتَلَّ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ ربانيون علماء عبّاد، أو: جماعات، وقرأ «ابن كثير» و«نافع» و«أبو عمرو»: «قتل»^(٢) والفاعل «ربّيون»، أو: ضمير النبي، و«معه ربّيون» حال عنه ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾: فما فتروا ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من قتل النبي، أو بعضهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن الجهاد ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ وما خضعوا لعدوّهم، أصله: استكن، فاشبعت الفتحة ألفاً من السكون؛ إذ الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يشاء، وهذا تعريض بما أصابهم بالإرجاف بقتله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ فينصرهم ويرضى عنهم.

[١٤٧] - ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَبَثِّ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: وما كان قولهم - مع كونهم ربانيين - إلا هذا القول، وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم، كسرّاً لها، والإستغفار منها قبل طلب الثبوت في مواطن الحرب والنصر على العدو، ليكون عن خضوع وزكاء،^(٣) فيكون أخرى بالإجابة. وإنما جعل «ان قالوا» اسماً لأنه أعرف، لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث.

[١٤٨] - ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ﴾ بما قالوا ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر والغنيمة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابٍ

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٥١٦ حجة القراءات: ١٧٤.

(٢) حجة القراءات: ١٧٤.

(٣) أي: طهارة.

الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٩﴾ خَصَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ بِالْحَسَنِ إِذَا نَأَى بَأْتُهُ الْمَعْتَدَ بِهِ عِنْدَهُ .
[١٤٩] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة : «ارجعوا الى دين اخوانكم» .^(١)

وقيل : ان تستأمنوا «أبا سفيان» واصحابه يردوكم الى دينهم .^(٢)

وقيل : عام في إطاعة الكفرة فإنها تجزى الى موافقتهم .^(٣)

[١٥٠] - ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَيْكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ فلا تحتاجون معه

الى نصر غيره .

[١٥١] - ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ قذف في قلوبهم الخوف يوم

«أحد» فرجعوا من غير سبب . وقيل : لما رجعوا ندموا ببعض الطريق وعزموا ان يعودوا

اليهم يستأصلوهم فالقى الله في قلوبهم الرعب .^(٤) وضمه «ابن عامر» و«الكسائي»^(٥)

﴿يَمَّا أَشْرَكُوا﴾ بسبب اشراكهم ﴿بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ آلهة ليس على اشراكها

حجة ، فالمراد نفي الحجة ونزولها . وأصل السلطنة : القوة ﴿وَمَا أَوَاهُمُ النَّارُ وَيَشْسُ

مَنْوَى الظَّالِمِينَ﴾ أي : مثواهم ، وعدل الى الظاهر للتعليل .

[١٥٢] - ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ اياكم النصر بشرط الصبر والتقوى وكان

كذلك حتى خالفتم ﴿إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ بِأَذْنِهِ﴾ تقتلونهم من «حسه» : إذا أبطل حسه ، لما

أقبل^(٦) المشركون جعل الرماة يرشقونهم ، وباقي المسلمين يضربونهم بالسيف حتى

(١) تفسير مجمع البيان (١: ٥١٨)، عن علي عليه السلام .

(٢) قاله السدي - كما في تفسير الكشاف (١: ٤٦٩) .

(٣) نقله البيضاوي في تفسيره ٤: ٢٧٠ .

(٤) نقله البيضاوي في تفسيره ٤: ٧٧ والزمخشري في تفسير الكشاف (١: ٤٧٠) .

(٥) حجة القراءات: ١٧٦ .

(٦) في «ط» : لما أشرف .

هزمهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِنْتُمْ﴾ جبستم وضعف رأيكم ﴿وَتَنَارَغْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ حين انهزم المشركون قال بعض الرماة: فما موقفنا ها هنا؟ .

وقال آخرون: لا نخالف أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فثبت أميرهم في نفر دون العشر ونفر الباقيون للنهب، وهو معنى: ﴿وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْيَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ ومن النصر والغنيمة وحذف جواب «إذا» وهو «ابتلاكم» ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ وهم من أدخلوا مراكزهم للغنيمة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ وهم من ثبتوا، طاعة لأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾: كفكم ﴿عَنْهُمْ﴾ إذ كروا عليكم فغلبوكم ﴿يَسْتَلِيكُمْ﴾ ليمتنح صبركم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ بعد أن عصيتم أمر الرسول ﴿وَاللَّهُ دُوفَضِّلَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يتفضل عليهم بالعفو.

أو في كل الأحوال سواء غلبوا أو غلبوا؛ إذ الإبتلاء نعمة .

[١٥٣] — ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ نصب بـ «صرفكم» أو: بـ «يتليكم» أو

بإضمار «إذكروا» .

والإصعاد: الإبعاد في الأرض ﴿وَلَا تَلْمُزُون عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ لا يقف أحد لأحد ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ إلَيَّ عباد الله، أنا رسول الله ﴿فِي أَخْرِيكُمْ﴾ في سافتكم ﴿فَأَنَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ عطف على «صرفكم»، أي فجازاكم غمًّا بسبب غم اذقتموه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعصيانكم له .

أو فجازاكم عن فشلكم وعصيانكم غمًّا متصلًا بغمٍّ بالإرجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وظفر المشركين والقتل والجرح ﴿لِكَيْلًا تَحْزَنُوا﴾ لتتمرسوا على تجرُّع الغموم فلا تحزنوا فيما بعد ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من نفع ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من ضرر ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ عالم بأعمالكم .

[١٥٤] — ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنٌ﴾ أمنًا، مفعول . ﴿نُعَاسًا﴾ بدل منه،

أو هو المفعول و«أمن» حال منه .

عن أبي طلحة: غشنا النعاس في مصافنا وكان السيف يسقط من يد أحدنا
 فيأخذه ﴿يَغْشَى﴾ النعاس. وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالناء للأمة^(١) ﴿طَائِفَةٌ مِنْكُمْ﴾
 خلّص المؤمنين ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ هم المنافقون، أي: ومنكم طائفة ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾
 ما بهم إلا هم خلاص أنفسهم ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ﴾ صفة أخرى لـ «طائفة» أو حال، أو
 إستئناف ﴿غَيْرِ﴾ الظن ﴿الْحَقُّ﴾ الذي يجب أن يظن به. نصب مصدراً ﴿ظَنَّ﴾
 الجاهليّة بدل له، أي ظناً: يختص بالملة الجاهلية أو أهلها ﴿يَقُولُونَ﴾ للرسول
 صلى الله عليه وآله وسلم. وهو بدل: «يظنون» ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ هل لنا من أمر
 الله، أي: النصر والفتح نصيب؟ ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ﴾ النصر ﴿كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ وأوليائه. وهو
 اعتراض. ورفع «أبو عمرو»: «كله» بالإبتداء^(٢) ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾
 استئناف، أو حال من «يقولون»، أي: يظهرون أنهم مسترشدون، ويظنون النفاق
 ﴿يَقُولُونَ﴾ في أنفسهم، أو بعضهم لبعض، بدل «يخفون» أو استئناف لبيان «لَوْ
 كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ» النصر الذي وعدناه ﴿شَيْءٌ﴾ أو كان لنا اختيار ولم نخرج ﴿مَا قُتِلْنَا
 هَهُنَا﴾ لما غلبنا وقتل أصحابنا في هذا الموطن ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ
 كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ في علم الله ﴿إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم ليكون ما علم كونه
 ﴿وَلَبِيتِلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ من الإخلاص. وهو علة لمحذوف، أي: فعل ذلك
 لبيتلي، أو عطف على محذوف، أي: لبرزوا لمصالح وللإبتلاء، ﴿وَلَيُمَحِّصَ مَا فِي
 قُلُوبِكُمْ﴾ وليخلصه من الشك ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بأسرارها قبل ظهورها،
 وفيه وعد ووعد.

[١٥٥] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ انهزموا به «أحد» ﴿يَوْمَ النَّعْيِ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا
 اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أي: كان السبب في توليهم ان طلب الشيطان

(١) حجة القراءات: ١٧٦.

(٢) حجة القراءات: ١٧٧.

منهم الزلل، فأطاعوه واقتروا ذنوباً بترك المركز حرصاً على الغنيمة، فمنعوا التأييد.
وقيل: إستزلأه لهم: توليهم، وهو بسبب ذنوب قدموها؛ إذ الذنب يجرّ الى الذنب - كالطاعة - ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لتوبتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل العقاب.

[١٥٦] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: المنافقين ﴿وَقَالُوا لَاخُذُونَاهُمْ﴾ لأجلهم، وأخوتهم: اتفاهم نسباً أو مذهباً ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ سافروا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ لنجاة ونحوها. ومجيء «إذا» مع «قالوا» على حكاية الحال الماضية ﴿أَوْ كَانُوا غَزَى﴾ جمع غاز كـ «غى» «عاف» ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ مقول «قالوا» ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ متعلق بـ «قالوا» واللام للعاقبة كـ «لام» ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ﴾^(١) أو: لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل حسرة في قلوبهم خاصة وذلك إشارة الى اعتقادهم الدال عليه قولهم أو مادلاً عليه النهي، أي: لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم؛ إذ مخالفتهم تغتهم ﴿وَاللَّهُ يُخَيِّ وَيُخَيِّثُ﴾ لا الحضر ولا السفر، فقد يحيى في السفر ويميت في الحضر ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فلا تمانلوهم. وقرأ «ابن كثير» و«حمزة» و«الكسائي» بالياء،^(٢) أي: الذين كفروا.

[١٥٧] - ﴿وَلَيْسَ قُلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَثْمٌ﴾ في سبيله. وكسر «الميم»، «حمزة» و«الكسائي» من مات يمات^(٣) ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ﴾ جواب القسم، وأغنى عن

(١) سورة القصص: ٢٨/٨.

(٢) حجة القراءات: ١٧٧.

(٣) حجة القراءات: ١٧٨ وفيه: قال القراء: «مات» مأخوذة من يمات على وزن فعل يفعل مثل سمع يسمع، وكان الأصل: يموت، ثم نقلوا فتحة الواو الى الميم وقلبو الواو ألفاً لأنفتحاح ما قبلها فصارت «يمات» الا انه لم يجرى «يمات» في المستقبل.

الجزاء . والمعنى : ان السّفر والغزو لم يقدّما أجلاً ، وان وقع ذلك في سبيل الله ، فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت ﴿خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ﴾ من منافع الدنيا ، لو لم تموتوا . وقرأ «حفص» بالياء^(١) أي : الكفار .

[١٥٨] - ﴿وَلَيْنَ مُنَّمْ﴾ بالقراءتين ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ﴾ الواسع الرحمة ، لا الى غيره ﴿تُخْشَرُونَ﴾ فيعظم أجوركم .

[١٥٩] - ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾ «ما» مزيدة للتأكيد ، وتقديم الظرف للحصر ، أي ما لنت لهم إلا برحمته وهي أن وفقك للرفق بهم ﴿وَلَوْ كُنْتَ ظَفَّارًا﴾ جافياً ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ : قاسيه ﴿لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ : لتفرقوا عنك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختص بك ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما لله ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي : أمر الحرب ونحوه مما لم يوح اليك ، تطبيقاً لنفوسهم ، ونأسيماً لسنة المشاورة للأمة ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ عقدت قلبك على شيء بعد الشورى ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في امضاء أمرك على الأصلح إذ لا يعلمه غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فيهدبهم للصلاح .

[١٦٠] - ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ كما نصركم به بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ فلا أحد يغلبكم ﴿وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ﴾ كما خذلكم به أحد ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾ بعد خذلانه . أو بعد الله ، أي : إذا تعديتموه فلا ناصر لكم .

وفيه تنبيه على الموجب للتوكل وحث على ما يستحق به نصر الله ، وتحذير عما يوجب خذلانه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فليخصوه بالتوكل عليه لإيمانهم به ، وعلمهم أن لا ناصر سواه .

[١٦١] - ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ وما صحّ لنبي أن يخون في المغنم ؛ إذ النبوة تنافي الخيانة . يقال : غل في الغنيمة : إذا أخذ منها خفية - كـ «أغل» - ، والمراد به براءة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مما اتهم به ؛ إذ فقدت قطيفة حمراء يوم بدر ، فقال

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٥٢٤ . وعليه القراءة في المصحف الشريف المتداول .

بعض المنافقين: لعلَّ النبيَّ أخذها، أو ظنَّ به الرماة يوم «أُحد» حين اخلوا المركز للغنيمة وقالوا: نخشى ان لا يقسم لنا، أو نهيه صلى الله عليه وآله وسلم، إذ روي انه قَسَمَ المغنم ولم يقسم لطلائع بعثها. ^(١) فَعُرِفَ الحكم.

وسمي حرمانهم غلولاً مبالغة. وقرأ «نافع» و«ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» «يغل» - بصيغة المجهول - ^(٢) ومعناه: وما صحَّ له أن يوجد غالاً، أو أن ينسب الى الغلول «وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ» يأت بالذي غلَّه يحمله على ظهره - كما في الحديث - ^(٣) أو: بما حمل من وباله «ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ» تعطى جزاؤه وافيًا. ولم يقل يوفي ما كسب، للمبالغة فإنه إذا كان كل كاسب مجزياً بعمله شمل الحكم الغال وغيره «وَمَنْ لَظَلَمُونَ» فلا ينقص ثواب محسنهم ولا يزيد عقاب مسيئهم.

[١٦٢] - «أَتَمَنِ اتَّبِعَ رِضْوَانَ اللَّهِ» بطاعته «كَمَنْ بَاءَ»: رجع «يَسْخَطُ مِنَ اللَّهِ» بسبب المعصية «وَمَا أَوَاهُ» ومصيره «جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» يفرق بينه وبين المرجع بمخالفته للحالة الاولى بخلاف المرجع.

[١٦٣] - «هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ» أي: متفاوتون في الثواب والعقاب تفاوت الدرجات، أو: ذووا درجات «وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ» عالم بأعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها.

[١٦٤] - «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» خصوا - مع عموم نعمة البعثة - لأنهم المتفعلون بها «إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» من جنسهم عربياً ليسهل عليهم فهم كلامه، أو: من نسبهم ليكونوا عارفين صدقه وأمانته، ويفخروا به «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ

(١) نقل الرواية البيضاوي في تفسيره ٥١: ٢.

(٢) حجة القراءات: ١٨٠.

(٣) والحدث طويل، نقل الطبرسي موضع الحاجة منه في تفسير مجمع البيان ١: ٥٣٠.

ءَايَاتِهِ ﴿الْقُرْآنَ، وكانوا قبل جهالاً لم يسمعوا حياً﴾ **﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾** ويطهرهم من دنس العقائد والأعمال **﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾** القرآن والسنة **﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾** «إن» المخففة واللام فارقة، أي: وإن الشأن كانوا من قبل بعثته في ضلال ظاهر.

[١٦٥] - **﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مِصْيَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾** «الهمزة» للتقريع، و«الواو» لعطف الجملة على قصة «أحد». و«لَمَّا» ظرف «قُلْتُمْ» مضاف إلى «أصابتكم» أي: حين أصابتكم مصيبة - وهو قتل سبعين منكم بـ«أحد» والحال انكم نلتهم ضعفها بـ«بدر» من قتل سبعين وأسر سبعين - قتلتم من أين هذا أصابنا وقد وعدنا النصر **﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾** أي: انتم السبب فيه لترككم المركز أو لاختياركم الخروج من المدينة.

أو الفداء يوم بدر **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** فيقدر على النصر ومنعه.
[١٦٦] - **﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾** بأحد **﴿فَيَاذَنُ اللَّهُ﴾** فتبخلته الكفار. سميت «اذناً» لأنها من لوازمه **﴿وَلْيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**.

[١٦٧] - **﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾** ليميز الفريقان فيظهر إيمان المؤمنين وكفر المنافقين **﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾** عطف على «نافقوا» أو كلام مبتدأ: **﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا﴾** خيروا بين أن يقاتلوا للأخرة أو للدفع عن أنفسهم.

أو المعنى: قاتلوا العدو أو ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فإن كثرة السواد مما يروّعهم **﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ﴾** لو نحسن **﴿قِتَالاً لَأَتَيْنَاكُمْ﴾** لو نعلم ما يسمى قتالاً لاتبعناكم فيه، لكنه ليس بقتال، بل إلقاء النفس إلى التهلكة **﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾** إذ انخزلهم وقولهم هذا، أمانة تؤذن بكفرهم. أو: هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان، إذ كان فعلهم وقولهم تقوية للمشركين **﴿يَقُولُونَ﴾** يأتواهم ما ليس في قلوبهم، يظهرون بالإيمان ويطنون الكفر. وذكر الأفواه

تأكيداً لنفي نواطئ قلوبهم لالستهم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق، فإنه يعلمه مفصلاً بإحاطة، وأنتم تعلمون مجملًا بآمارت.

[١٦٨] - ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ رفع بدلاً من واو «يكتُمون» أو نصب وصفاً للذين نافقوا أو على الذم ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ لأجلهم يعني: من قتل بأحد من جنسهم أو أقاربهم ﴿وَقَعَدُوا﴾ أي؛ قالوا وقد قعدوا عن القتال ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ على القعود ﴿مَا قَتَلُوا﴾ كما لم تقتل ﴿قُلْ فَادْرَءُوا﴾ فادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في ان سبب نجاتكم من القتل القعود. يعني إنَّ القعود غير مغني، لأنه كما يكون سبباً للنجاة والقتال سبباً للموت، قد يكون الأمر على العكس.

[١٦٩] - ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا﴾ نزلت في شهداء بدر، أو أحد، والخطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أو لكل أحد. وشدد «ابن عامر»: «قتلوا»^(١) لكثرتهم ﴿بَلْ أَحْيَاءُ﴾ بل هم أحياء ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ مقربون شرفاء ﴿يُرْزَقُونَ﴾ من الجنة وهو تأكيد لكونهم أحياء.

[١٧٠] - ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهو كرامة الشهادة والحياة وشرف الرتبة والتعم في الجنة ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ يسرون بالبشارة ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي بإخوانهم المجاهدين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ زماناً أو رتبة ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بدل من «الذين» والمعنى: يستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم إذا بعثوا لم يصبهم خوف، ولا حزن. وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة، وازدياد الطاعة.

[١٧١] - ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ كرر ليعتلق به ما هو بيان لقوله «ألا خوف». أو الأول بحال اخوانهم والثاني بحال انفسهم ﴿يَنْفَعُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أجراً لأعمالهم ﴿وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه. ونكراً تعظيماً ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على «فضل» وكسرها

«الكسائي»^(١) استثناءً معترضاً يفيد أن ذلك أجرٌ لإيمانهم .

[١٧٢] - «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَِّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ» وضمه

«حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر»^(٢) والموصول صفة «المؤمنين»، أو نصب على المدح، أو مبتدأ خبره: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ» و«من» للبيان، إذ المستجيبون كلهم محسنون متقون .

لما رجع «أبو سفيان» وأصحابه فبلغوا «الروحاء» ندموا وهموا بالعود، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فندب أصحابه لطلبهم وقال :

لا يخرجنَّ معنا إلّا من حضر يومنا بالأمس، فخرج في جماعة مع ما بهم من القرح، حتى بلغوا «حمراء الأسد» على ثمانية أميال من المدينة، فالتقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا، فنزلت .

[١٧٣] - «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ» لما

انصرف «أبو سفيان» من «أحد» نادى : يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن شاء الله . فلما كان القابل خرج في أهل مكة حتى نزل «مر الظهران»^(٣) فالتقى الله عليه الرعب فبدا له [أن يرجع]^(٤) فلقى «نعيم

(١) حجة القراءات: ١٨١ .

(٢) أي قرأوا قاف «القرح» بالضم .

(٣) كذا في الأصل وتفسير البيضاوي ٥٤: ٢ وتفسير الكشاف ٥٨٠: ١ ولكنه في تفسير مجمع البيان ٥٤٠: ١ هكذا : «حتى نزل مجنة من ناحيه الظهران» وفي معجم البلدان ٧: ٣٩٠ مايلي : «مجنة» بالفتح وتشديد النون اسم المكان من الجنة وهو السر والاختفاء . . . اسم سوق للعرب كان في الجاهلية، وكان «ذوالمجاز» و«مجنة» و«عكاظ» = اسواقاً في الجاهلية .

قال الاصمعي : وكانت مجنة يمرّ الظهران قرب جبل يقال له : الاسفل، وهو بأسفل «مكة» على قدر يريد .

(٤) الزيادة اقتضاها السياق، واخذناها من تفسير البيضاوي ٥٤: ٢ .

ابن مسعود، وقد قدم معتمراً، فجعل له عشرًا من الإبل إن ثبُط المسلمين، فأتى فوجدهم يتجهزون، فقال لهم: أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم إلا شريد، أفريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم، ففتروا.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي، فخرج في سبعين وهم يقولون: حسبنا الله، ^(١) «والناس» الأول: «نعيم»؛ لأنه من جنسهم. والثاني: أبو سفيان وأصحابه ﴿فَرَّادُهُمْ﴾ المقول أو القول أو القائل ﴿إِيمَانًا﴾ إذ لم يصغوا له، بل قوى يقينهم والعزم على الجهاد. ويفيد أن الإيمان يزداد وينقص كما جاء في الأثر ^(٢) ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ محسبنا وكافينا من «أحسبه» أي كفاه ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ونعم الموكول إليه هو

[١٧٤] - ﴿فَانْقَلَبُوا﴾ فرجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ بعافية وزيادة إيمان ﴿وَفَضْلٍ﴾ وريح في التجارة التي وافوا بها سوق بدر ﴿لَمْ يَمَسِّنْهُمْ سُوءٌ﴾ من كيد عدو ﴿وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بجرأتهم وخروجهم ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ قد تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا. وفيه تحسير لمن تخلف؛ إذ حرم نفسه ما نالوا.

[١٧٥] - ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ يعني المثبِّط «نعيمًا» أو «أبا سفيان»، و«الشيطان» خبر «ذلكم» وما بعده بيان لشيطنته، أو صفة وما بعده الخبر. أو الإشارة إلى القول على نية مضاف أي: إنما ذلكم قول الشيطان أي إبليس. ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ القاعدين عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو يخوفكم من أوليائه أبي سفيان واتباعه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ يعني الناس على الأول، و«أوليائه» على الثاني ﴿وَخَافُونَ﴾ فاطمعو رسولي وجاهدوا معه، وأثبت «أبو عمرو» «الياء» وصلًا ﴿إِنْ كُنْتُمْ

(١) في «ط»: حسبنا الله ونعم الوكيل.

(٢) وفي تفسير البيضاوي ٢: ٥٤ قلنا: يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص؟ قال: نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار.

مُؤْمِنِينَ ﴿إِذِ الْمُؤْمِنُونَ لَا يَخَافُونَ إِلَّا اللَّهَ .

[١٧٦] - ﴿وَلَا يَحْزَنُونَكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يقعون فيه سريعاً وهم المنافقون المتخلفون، أو قوم ارتدوا، أي: لا يحزنوك خوف أن يضروك ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ﴾ لن يضروا أولياء الله بكفرهم وانما يضرون به أنفسهم ﴿شَيْئاً﴾ مفعول أو مصدر ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا﴾ نصيباً من الثواب ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ وفي ذكر الإرادة، اشعار ببلوغهم الغاية في الكفر حتى أراد أرحم الراحمين أن لا يرحمهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ بدل الثواب .

[١٧٧] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تكرير للتأكيد، أو عام والأول خاص بالمنافقين أو المرتدين .

[١٧٨] - ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل أحد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول ﴿أَنْتُمْ نُمَلِّئُ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ﴾ بدل منه، ناب مناب المفعولين ولكونه المعول عليه اقتصر على مفعول واحد أو المفعول الآخر على حذف مضاف أي: ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب ان املاءنا خير لهم^(١) .

أو لا تحسبن حال الذين كفروا: ان املاءنا خير لهم . و«ما» مصدرية حقها الفصل خطأ، وانما وصلت تبعاً للرسم وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«عاصم» و«الكسائي» بالياء،^(٢) فـ«الذين» فاعل و«ان» وما في حيزها ناب مناب المفعولين .

(١) لمزيد من التوضيح للقارىء الكريم نقول:

ان «أنتما نملئ» . . . بدل اشتمال من «الذين» ناب مناب مفعولى «حسب» لكون البذل هو المعول عليه، أو بتقدير مفعول آخر مضافة وهو «أصحاب» بمعنى اهل، فيكون للفعل «تحسب» في هذه الحالة مفعولان: الأول هو «الذين» والثاني هو كلمة «أصحاب» المضاف اليها ما بعدها أي «أنتما نملئ» - للتصريح بنظر تفسير روح المعاني ٤: ١٣٠ .

(٢) كنز الدقائق ٢: ٢٨١ وحجة القراءات: ١٨٢ .

وفتح سينه - أين جاء - «ابن عامر» و«عاصم» و«حمزة»^(١).

والإملاء: الإمهال وإطالة العمر «إِنَّمَا نُعَلِّمُ لَهُمْ لِيَرْزُقَادُوا إِنَّمَا» استئناف يعلل ما قبله، و«ما» كافة، واللام للعاقبة «وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ».

[١٧٩] - «مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ لِيَتْرَكَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» أيها المخلص والمنافقون من اختلاطكم لا يعرف مخلصكم من منافقكم «حَتَّى يَبَيِّنَ» بالتخفيف والتشديد «الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ» حتى يعزل المنافق عن المخلص بإخباره رسوله بأحوالكم أو بالتكاليف الصعبة كبذل النفس والمال لله ليظهر به ما تضمرون «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ» وما كان ليؤتني احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من إيمان وكفر «وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَصِي بِرُؤُسِهِ» يختار لرسالته «مَنْ يَشَاءُ» فيعرفه بعض المغيبات بوحى أو نصب دليل «فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ» بأن تعلموه وحده مطلعاً على الغيب وتعلموهم عباداً مصطفىين، لا يعلمون إلا ما علمهم الله.

قيل: قال الكفرة: ان كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم صادقاً فليخبرنا من يؤمن ومن يكفر. فنزلت^(٢) «وَإِنْ تُؤْمِنُوا» بإخلاص «وَتَتَّقُوا» النفاق «فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ» على ذلك.

[١٨٠] - «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ» بالقراءتين. «التاء» على نية مضاف، أي: ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيراً لهم، وكذا «الياء»^(٣) ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أو أحد، وان جعل «الذين» فالمفعول الاول محذوف يدل عليه «يبخلون» أي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيراً لهم «بَلْ هُوَ الْبَخْلُ» يفسره «سَبِطُونَهُ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ

(١) كتر الدقائق ٢: ٢٨٢ وتفسير البضاوي ٢: ٥٥.

(٢) نقله البضاوي في تفسيره ٢: ٥٦.

(٣) حجة القراءات: ١٨٤.

الْقِيَمَةِ ﴿سِيلْزَمُونَ وَبَالَهُ إِلْزَامِ الطَّرْقِ .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل في عنقه شجاع يوم القيامة - وتلاها - ^(١) ﴿وَلَهُ مِيزَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وله ما فيهما مما يتوارث، فما لهم يخلون عليه بملكه، أو انه يرث ما يمنونه ويبقى عليهم وباله ﴿وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ من اعطاء ومنع ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيهم به . وقرأ «نافع» و«ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» بالناء ^(٢) - على الالتفات - .

[١٨١] - ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ قاله اليهود حين سمعوا ﴿من ذا الذي يقرض الله﴾ ^(٣) والمعنى انه لم يخف عليه وانه أعد لهم العقوبة عليه ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ في صحف الحفظة أو سنحفظه في علمنا، وقرن بقوله: ﴿وَقَتْلَهُمُ الْآنِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ إيداناً بأنهما في العظم سيان، وان هذا ليس بأول عظمة أجترحوها، وإن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه هذا القول، وقرأ «حمزه» «سيكتب» بالياء بصيغة المجهول ورفع «قتلهم» ويقول «بالياء» ^(٤) ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ونتنقم منهم بأن نقول لهم: ذوقوا العذاب المحرق . واستعمل الذوق له اتساعاً .

[١٨٢] - ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أُيْدِيكُمْ﴾ بما عملتم من المعاصي، وذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال بها ﴿وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ عطف على «بما قدمت» وسببته انه يستلزم العدل الموجب معاقبة المسيء وإثابة المحسن .

[١٨٣] - ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ هم جماعة من اليهود: ﴿إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ أمرنا في

(١) حجة القراءات: ١٨٣ .

(٢) تفسير البضاوي ٢: ٥٧ .

(٣) حجة القراءات: ١٨٤ .

(٤) سورة البقرة: ٢/ ٢٤٥ .

التوراة واطسانا ﴿أَنْ﴾ بَانَ ﴿لَا تُؤْمِنُ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَّا بِقُرْبَانٍ نَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ بهذه الآية الخاصة التي كانت لأنبياء بني اسرائيل ، وهو أن يقرب قربان فيدعو النبي فتزل نار فتحرقه ، وهذا محض افتراء ؛ إذ أكل النار القربان لم يوجب الإيمان إلا بكونه آية فهو وسائر الآيات سواء ﴿قُلْ﴾ في إلزامهم : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي﴾ كـ «ذكرى» و«يحيى» ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الكثيرة الموجبة للتصديق ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ وبمقترحكم ﴿فَلَمْ تَقْلَقْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ انكم تؤمنون بذلك .

[١٨٤] - ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوكَ^(١) بِالْبَيِّنَاتِ﴾ تسلياً له من الله عليه وآله وسلم عن تكذيب قومه واليهود ﴿وَالزُّبُرِ﴾ جمع زيور وهو الكتاب المتضمن للحكم أو الزواجر . وقرأ «ابن عامر» : «وبالزبر» ، بإعادة «الباء» للتأكيد^(٢) ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ التوراة والإنجيل والزبور .

[١٨٥] - ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ﴾ تعطون جزاء أعمالكم من ثواب وعقاب وافيأ ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يوم قيامكم عن قبوركم . واما نعيم القبر وعذابه فبعض الأجور لا توفيهها ﴿فَمَنْ رُخِّحَ﴾ : نحي^(٣) ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ فقد ظفر بالغبية ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي شهواتها وزيتها ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ شبتت بمتاع يغتر به طالبه بالتدليس حتى يشتره . والغرور مصدر أو جمع غار .

[١٨٦] - ﴿لَتَبْلُؤَنَّ﴾ أي : والله لمتحنن ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بتكليف الإنفاق وآفات نصيبها ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بالقتل والأسر والجراح والمصائب ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ الَّذِينَ أَتَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ من هجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم والظمن في الدين والصد عن الإيمان ، أخبروا بذلك قبل كونه ليوطنوا انفسهم على

(١) براجع تعليقنا على كلمة «باء» في الآية ٦١ من سورة البقرة .

(٢) حجة القراءات : ١٨٥ .

(٣) في «ج» و«ط» : نجأ .

الصبر حتى لا يرهقهم وقوعه ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ المعاصي ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ﴾ أي الصبر والتقوى ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ من معزومات الأمور التي يجب العزم عليها، أو معاً عزم الله عليه، أي: أوجبه.

[١٨٧] - ﴿وَإِذْ﴾: واذكروا إذ ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي العلماء به ﴿لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ حكاية مخاطبتهم. وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«عاصم» - في رواية - بالياء ^(١) لغيتهم، واللام جواب قسم نابه «أخذ ميثاقهم»، والهاء للكتاب ﴿فَتَبَدَّوْهُ﴾ أي الميثاق ﴿وَرَأَى ظُهُورَهُمْ﴾ فلم يراعوه. والنبد وراء الظهر مثل في الطرح وترك الإعتناء ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾ وأخذوا بدله ﴿ثُمَّنَا قَلِيلًا﴾ من عرض الدنيا ﴿فَبَشَّسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من كتم علماً من أهله أجم بلجام من نار. ^(٢)
وعن علي عليه السلام: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا. ^(٣)

[١٨٨] - ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴿خطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والمفعول الاول الموصول ^(٤) والثاني: «بمفازة»، وقوله «فلا تحسبنهم» تأكيد، تقديره: لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من كتمان الحق ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا من الاخبار بالصدق بمفازة: بمنجاة من العذاب، أي فائزين بنجاة منه، وقرأ «ابن كثير» و«ابن عامر» بالياء وفتح باء الاول وضم باء الثاني، ^(٥) «الذين» فاعل، ومفعولا

(١) حجة القراءات: ١٨٥.

(٢) تفسير جوامع الجامع ١: ٢٢٧.

(٣) تفسير جوامع الجامع ١: ٢٢٧ وتفسير مجمع البيان ١: ٥٥٢.

(٤) أي «الذين يفرحون».

(٥) حجة القراءات: ١٨٦.

«يحسبن» محذوفان بقرينة مفعولي تأكيده، والتقدير: «لا يحسبن الذين يفرحون فلا يحسبن أنفسهم بمفازة» ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بكفرهم وكذبهم.

نزلت في اليهود إذ سألهم صلى الله عليه وآله وسلم عن شيء في التوراة فأخبروه بخلاف ما فيها، وأروه أنهم صدقوا وفرحوا بما فعلوا، أو في المنافقين؛ إذ يفرحون بمنافقتهم المسلمين ويستحمدون اليهم بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة.

[١٨٩] - ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيملك أمرهم ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقابهم.

[١٩٠] - ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ كل يخلف

الآخر ﴿لَاَيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لدلائل على وجود الصانع ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته لذوي العقول السليمة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ويل لمن قرأها ولم يفكر [فيها]». ^(١)

[١٩١] - ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ يذكرونه دائماً على كل

الحالات من قيام وقعود واضطجاع.

وقيل: معناه: يصلون الله على هذه الأحوال حسب قدرتهم ^(٢) ﴿وَيَتَذَكَّرُونَ فِي

خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتباراً، وهو أفضل العبادات.

عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «لا عبادة كالتفكير» ^(٣) ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ أي

يتفكرون قائلين ذلك، و«هذا» إشارة الى الخلق على ارادة المخلوق من السماوات

والأرض، أي ما خلقته عبثاً ﴿مُتَبَحِّثُكَ﴾ تنزيهاً لك عن العبث. وهو اعتراض ﴿فَقِنَا

عَذَابَ النَّارِ﴾ لإخلالنا بالتفكير فيه. و«الفاء» تفيد أن علمهم بما لأجله خلقت

(١) تفسير الفيضاي ٢: ٥٩-٦٠ والزيادة منه.

(٢) كما ورد في رواية أبي حمزة الثمالي عن الباقر عليه السلام ينظر تفسير البرهان ١: ٢٢٢.

(٣) تفسير جوامع الجامع ١: ٢٢٩.

السموات والأرض دعاهم إلى الاستعاذة .

[١٩٢] - ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ فقد أبلغت في إخزائه، ونظيره ﴿فَقَدْ فَانَ﴾^(١) ويشعر بأن العذاب الروحاني أشد ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ المدخلين ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يدفعون عنهم العذاب قهراً، فلا ينفي الشفاعة؛ إذ لا قهر فيها .
وفيه أن ظلمهم سبب إدخالهم النار وفقدهم الأنصار .

[١٩٣] - ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ أوقع الفعل على المسموع، وحذف المسموع لغناء صفة عنه .

وفي إطلاق «منادياً» ثم تقييده بتفخيم لشأنه، والمراد به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقيل: القرآن .^(٢) والنداء ونحوه يعدى إلى اللام لتضمنته الانتهاء والإختصاص ﴿أَنْ﴾ بأن أو أي ﴿ءَاْمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ فأجبت ﴿رَبَّنَا فَافْرِزْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ كبائرنا ﴿وَكُفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ صغائرنا بتوفيقنا لإجتنب الكبائر ﴿وَتَوْفِّقْنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ مصاحبين لهم، معدودين من جملتهم . والأبرار: جمع بر أو بار .

[١٩٤] - ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ على تصديقهم من الثواب، أو على الاستسهم، أو يتعلق بمحذوف، أي: ما وعدتنا منزلاً على رسلك . سألوا إنجاز ما وعد تعبداً أو تذلاً، أو طلباً للتوفيق في حفظ أسبابه ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ولا تفضحنا، أو: ولا تهلكنا ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ بإثابة المؤمن وإجابة الداعي، وتكرير «ربنا» للمبالغة في السؤال والإشعار باستقلال الطلبات .

وعن الصادق عليه السلام «من حزنه أمر فقال خمس مرات: «ربنا» نجاه الله مما يخاف واعطاه ما أراد»^(٣) - وتلاها .

(١) في الآية ١٨٦ من هذه السورة .

(٢) قاله محمد بن كعب القرظي وقناة - كما في تفسير التبيان ٤: ٨٤ .

(٣) تفسير جوامع الجامع ١: ٢٣٠ .

[١٩٥]- ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ ما طلبوا . ويمدّ بنفسه وباللام ﴿أَنِّي﴾ بأنّي ﴿لَا أَصْنَعُ عَمَلًا مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَى﴾ بيان لـ «عامل» ﴿بَغَضُكُمْ مِنْ بَغْضٍ﴾ يجمع ذكوركم وانا انكم اصل واحد، أو الإسلام . وهو اعتراض لبيان شركة النساء مع الرجال فيما وعد العمال .

قيل : قالت «أم سلمة» : يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء؟ فترلت .^(١) ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ تفصيل لعمل العامل على جهة المدح ، أي هاجروا الشرك أو أوطانهم ، أو قومهم ، للدين ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي﴾ من أجل ديني وبسببه ﴿وَقَاتَلُوا﴾ المشركين ﴿وَقُتِلُوا﴾ واستشهدوا . وعكس «حمزة» و«الكسائي» .^(٢) إذ «الواو» لا توجب ترتيباً .

أو المراد : لما قتل منهم قاتلوا ولم يهتوا . وشدد «ابن كثير» و«ابن عامر» «قتلوا» للتكثير^(٣) ﴿لَا كُفْرًا﴾ لأمحون ﴿عَنْهُمْ سَبَاتْنِهِمْ وَلَدْخَلْنَهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا﴾ أي اثيبهم بذلك إجابة ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يستحقونه منه ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ على الأعمال ، لا يقدر عليه سواه .

[١٩٦]- ﴿لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أريد به الأمة ، أو لكل أحد ، والنهي للمخاطب ، وجعل للتقلب مبالغة بتنزيل السبب منزلة المسبب ، أي لا تنظروا الى ما هم عليه من السعة والحظ ، ولا تغتر بما ترى من تصرفهم في البلدان ، يكتسبون ويتجرون .

قيل : كان بعض المؤمنين يرون المشركين في سعة ورخاء فيقولون : إن أعداء الله

(١) تفسير التبيان ٤ : ٨٩ .

(٢) حجة القراءات : ١٨٧ .

(٣) حجة القراءات : ١٨٨ .

في العيش الرخيّ وقد هلكنا جوعاً. فنزلت. ^(١)

[١٩٧] - «مَتَاعٌ» أي: تقلّبهم متاع ﴿قَلِيلٌ﴾ في جنب ما أعد للمؤمنين، أو لزواله ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمِهَادَ﴾ أي ما مهّدوا لأنفسهم.

[١٩٨] - ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ النزول ما يعد للنازل من الكرامة، ونصب حالاً من «جنت» والعامل «لهم» أو مصدراً مؤكداً، أي: انزلوها إنزالاً ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ لدوامه ﴿خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ مما يتقلّب فيه الفجار لزواله.

[١٩٩] - ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ دخلت «اللام» في إسم «إنَّ» لفصل الظرف بينهما.

نزلت في «ابن سلام» وأصحابه، أو في ثمانين بين نجراني وحشي ورومي، كانوا على دين «عيسى» فأسلموا.

أو: في «أضخمه» ^(٢) النجاشي حين نعاه جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فخرج فصلّى عليه، فقال المنافقون: انظروا إليه يصلي على علج نصراني لم يره قطّ ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من الكتابين. ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ حال من فاعل «يؤمن» وجمع نظراً إلى المعنى ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ تَمَنَّا قَلِيلًا﴾ كما يفعل المحزفون ^(٣) ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الأجر المختص بهم الموعد في «اولئك يؤتون أجرهم مرتين» ^(٤) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لعلمه بالأعمال وجزائها، فأجرهم

(١) ذكره البيضاوي في تفسيره ٢: ٦٢.

(٢) «ب» و«ج»: أضخمه وفي «د»: ضخمه، وفي تفسير الكشاف وتفسير البيضاوي: أضخمه، ومعنى أضخمه: عطية - بالعربية - كما في تفسير الكشاف ١: ٤٩١.

(٣) في «ط»: المعجمون.

(٤) في سورة القصص: ٥٤/٦٨.

الموعود سريع الوصول .

[٢٠٠] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا﴾ على مشاقِّ التكاليف ﴿وَصَابِرُوا﴾ وغالبوا عدوكم بالصبر على القتال، أو على مخالفة الهوى . وذكر بعد الصبر مطلقاً تخصيصاً لشدة ﴿وَرَابِطُوا﴾ : وأقيموا في الثغور، رابطين خيلكم، مستعدين للغزو ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ باجتناب المعاصي ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ لكي تظفروا بالبغيه .

سورة النساء

[٤]

مائة وخمس وسبعون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

[١]- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يا بني آدم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾

آدم عليه السلام ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ عطف على محذوف، أي: من نفس واحدة أنشأها، وخلق من ضلعها، أو من فضل طيبتها أمكم «حواء»- بالمد-، أو: على خلقكم، أي: خلقكم من نفس واحدة وخلق منها أمكم ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ بيان لكيفية تولدهم منها، أي ونشر من النفس وزوجها ذكوراً وإناثاً كثيرة.

واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها لاقتضاء الحكمة كثرتهن.

ورتب الأمر بالتقوى على هذه القصة لدلالاتها على كمال القدرة الموجبة خشية

القادر، وتتمام النعمة الموجبة طاعة المنعم، أو لأن المراد أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم كما تعطيه الآيات الآتية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ تتساءلون، فأدغم التاء الثانية في السين، وحذفها «عاصم» و«حمزة» و«الكسائي»^(١) أي يسأل

بعضكم بعضاً بالله ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالنصب عطف على محل «به» أو على «الله» أي واتفقوا الأرحام فصلوها . وجراها «حمزة»^(١) عطفاً على الضمير المجرور . وقرنها باسمه تعالى ليؤذن بأن صلتها منه بمكان ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ : حافظاً .

[٢] - ﴿وَأَتَاوُا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ جمع يتيم ، وهو الذي مات أبوه ، من اليتيم وهو الانفراد ، على أنه اجري مجرى الأسماء ، كصاحب . وجمع «يتايم» فقلب «يتامى» أو جمع «يتمى» ثم جمع يتمى على يتامى ، كأسرى وأسارى .

ومقتضى الإشتقاق وقوعه على الصغار والكبار ، ولكن خص عرفاً بمن لم يبلغ . والمراد به - هنا - اما للبلغ على القياس أو الإتساع ؛ لقرب عهدهم بالصغر حثاً على دفع أموالهم اليهم أول بلوغهم إن أونس منهم رشد ؛ ولذا أمر بابتلائهم صغاراً .

أو غير البالغ ، والحكم مقيد ببلوغهم ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا﴾ ولا تستبدلوا ﴿الْخَيْثَ﴾ الحرام من أموالهم ﴿بِالطَّيِّبِ﴾ بالحلال من أموالكم ، أو بما أعد في الجنة لمن عفا عن مالههم ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ ولا تنفقوها مضمومة الى أموالكم حتى لا تفرقوا بينهما إلا قدر أجرة المثل بسبيل القرض ، أو الإستحقاق - على الخلاف - ، «فليأكل» بالمعروف^(٢) ، «إِنَّهُ» أي الأكل ﴿كَانَ حُوبًا كَثِيرًا﴾ . ذنباً عظيماً .^(٣)

[٣] - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ ألا تعدلوا ﴿فِي الْيَتَامَىٰ﴾ يتامى النساء إذا تزوجتم بهن ﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ﴾ فتزوجوا ﴿مَاطَاطٍ﴾ ما حل ﴿لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ من غيرهن . إذ كان الرجل يبعد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها فربما جمع عنده عشرةً منهن

(١) حجة القراءات : ١٨٨ .

(٢) في «الف» : وليأكل . والعبارة غير مرتبطة بما قبلها - كما ترى - وفي تفسير البيضاوي ٢ : ٦٥ جاءت العبارة هكذا : ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم : ولا تأكلوها مضمومة الى أموالكم اي لا تنفقوها معاً ولا تسوّوا بينهما وهذا حلال وذاك حرام ، وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى : «فليأكل بالمعروف» .

(٣) الآية ٦ من هذه السورة .

فيَقْصُرَ فيما يجب لهنَّ .

أو إن خفتن أن تجوروا في أمر اليتامى وتحرجن منه فخافوا أيضاً الجور في أمر النساء ، فانكحوا مقداراً تفون بحقه ، فلأنهم تحرجوا^(١) من ولاية اليتامى خوف الحرب ،^(٢) ولا يتخرجون من تكثير النساء واضاعتن .

أو تحرجوا^(٣) منهم ولا يتخرجون من الزنا ، فقل لهم : ان خفتن الجور في أمرهم فخافوا الزنا ، فانكحوا ما أحل لكم . وعبر بـ «ما» قصداً الى الوصف ، وايداناً بقلّة عقولهن «مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ» حال من «ما طاب» معدولة عن أعداد مكررة هي : ثنتان ثنتان^(٤) وثلاث ثلاث ، وأربع أربع ، منع صرفها للعدل والوصف ، أو لتكرير العدل باعتبار الصيغة والتكرير .

ومعناه : الإذن لكل ناكح يريد الجمع أن ينكح ما شاء من العدد المذكور ، متفقين فيه أو مختلفين ، نظيره : اقتسموا هذا المال درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ، ولو افردت وقيل اثنتين وثلاثاً وأربعاً لزم جواز الجمع بين الأعداد دون التوزيع ، ولو قيل «أو» لمنع الاختلاف في العدد «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا» بين هذه الأعداد أيضاً «فَوَاحِدَةً» فانكحوا واحدة وذروا الجمع «أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» سوى بين الحرة الواحدة والإمام لخفة مؤنتهن «ذَلِكَ» أي اختيار الواحدة أو التسري «أَذْنَى أَلَّا تُعَدِّلُوا» أقرب من أن لا تميلوا ، من عال الميزان : مال ، والحاكم جاز .

وقيل : أن لا تكثر عيالكم ، من «عال الرجال عياله» مأنهم ، فكنى عن كثرة

(١) كذا في النسخ ، والصحيح : كانوا يتخرجون .

(٢) في «ط» : خوف الجور .

(٣) كذا في النسخ ، والصحيح : كانوا يتخرجون . كما في تفسير البيضاوي ٢ : ٦٥ .

(٤) في النسخ : ثنتين ثنتين ، وفي تفسير البيضاوي ٢ : ٦٥ وتفسير الكشاف ١ : ٤٩٧ : ثنتين ثنتين وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً .

العيال بكثرة المؤمن، وبعضه قراءة: «أن لا تُعيلوا» من «عال» كثر عياله، وقلة العيال بالتسري؛ لأنه مظنة قلة الولد بالعزل.

[٤] - «وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ» مهورهن «نَحْلَةً» عطية، من «نحله كذا» أعطاه إياه عن طيب نفس نحلة ونحلاً. ونصبت مصدراً، إذ معناها الإيتاء، أو حالاً من «الواو» أو «الصدقات» أي آتوهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة، أو عطية من الله لهن، أو فريضة منه، فهي حال من الصدقات، والخطاب للأزواج، وقيل للأولياء، لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم «فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ» من الصداق، حملاً على المعنى «نفساً» تمييز، وتوحيدها لأنها لبيان الجنس، أي فإن وهبن لكم شيئاً من الصداق، وتجاوزت عنه نفوسهن طيبات «فَكُلُوهُ» خذوه وانفقوه «هَنِيئًا مَرِيئًا» حلاً بلا تبعة،^(١) من «هنؤ الطعام ومرؤ» أي ساغ بلا غص.

وقيل: الهني ما يلذه الآكل، والمرى ما يحمد عاقبه. وهما وصف للمصدر،^(٢) أو حال من الواو،^(٣) أو صفتان^(٤) نابتا مصدريهما.^(٥) قيل: تأثم ناس أن يقبل أحدهم من زوجته شيئاً مما نحلها، فنزلت.

[٥] - «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ» نهى للأولياء أن يعطوا من لا رشد لهم أموالهم، فيضيّعوها. وأضيفت إلى الأولياء لأنها بأيديهم، أو نهى لكل أحد عن إعطاء ماله كل سفيه، أو زوجته وأولاده؛ ثم ينظر إلى أيديهم.

(١) في هامش «الف»: في نسخة: أي عقوبة.

(٢) في هامش «الف»: أي أكلاً هنيئاً مريئاً فنصبهما على انهما مفعول مطلق. كذا.

(٣) في هامش «الف»: أي: حال كون المأكول هنيئاً. بل حالان من الضمير، وهو «الهاء».

(٤) في هامش «الف»: أي حال كونكم هنيئين. وتفسير البيضاوي على أنهما حال من الضمير فيحتمل الواو. (ع. ق.).

(٥) في هامش «الف»: فيكون الأصل هنؤتم هنيئاً - على الدعاء - والوقف على ذكر الفعلان (كلمات لاتقرأ) فصار هنيئاً مريئاً فيكون (كلمة لاتقرأ) المصدرية بالنيابة عن (كلمة لاتقرأ).

وسموا سفهاء استخفافاً بعقلهم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ أي تقومون بها، وعلى الأول يراد به التي من جنس ما جعل لكم قياماً. وقرأ «نافع»: «قيماً» بمعناه. ^(١)
﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ واجعلوها مكاناً لرزقهم وكسوتهم، بأن تنحروا فيها وتموتوهم من ربحها ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ حسناً شريعاً، أو عقلاً من وعد جميل.

[٦] - ﴿وَابْتَئُوا الْيَتَامَى﴾ اختبروهم قبل البلوغ بتتبع حالهم في صلاح الدين وإصلاح المال ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ كنى بذلك عن البلوغ وهو بأن يحتلم أو ينبت أو يبلغ الذكر خمس عشرة، والأنثى تسعاً ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُمْ﴾ أبصرتم ﴿مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ تهادياً إلى حفظ المال ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ عند تحقق البلوغ والرشد بلا تأخير ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ مسرفين ومبادرين كبرهم، أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ عن أكلها ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر أجرته أو كفايته، أو أقلهما مع الرد إذا أيسر، أو لا - على الخلاف - ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ بأنهم تسلموها، دفعاً للثمة والتخاصم ولزوم الضمان ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَٰسِبًا﴾ محاسباً، فلا تتعدوا حدوده.

[٧] - ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ هم المتوارثون بالقرابة ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدل من «مما» بتكرير العامل ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ نصب مصدر، بمعنى قسمة مفروضة، أو على الاختصاص، أي أعني نصيباً مقطوعاً واجباً لهم.

نزلت رداً للسنة الجاهلية من عدم توريث النساء. ^(٢)

[٨] - ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ قسمة التركة ﴿أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ ممن لا يرث ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ من المقسم شئناً، أمر ندب للورثة البالغ، وقيل أمر

(١) حجة القراءات : ١٩٠ .

(٢) في «ب» : النساء والأطفال .

وجوب، واختلف في نسخه ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ هو الدعاء لهم والاعتذار اليهم.

[٩] - ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ أمر للأوصياء بأن يخشوا الله في أمر اليتامى ليفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذرايهم الصغار بعدهم.

أو للحاضرين المريض عند الايضاء بأن يخشوا الله في أولاده، ويعجبون لهم ما يحبون لأولادهم فلا يتركوه أن يضربهم بصرف ما زاد على الثلث عنهم.

والرء بما في حيزه صلة «الذين» ومعناه: وليخش الذين صفتهم أنهم لو شاربوا أن يخلّفوا ذرية ضعافاً خافوا عليهم الضياع ﴿فَلْيَقُوءُوا اللَّهَ﴾ تأكيد للأمر بالخشية ﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ لليتامى بالشفقة والملاطفة كما يقولون لأولادهم، أو للمريض بمنعه عن تجاوز الثلث، وأمره بالتوبة وغيرها.

[١٠] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ ظالمين، أو على وجه الظلم ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ ملؤها «ناراً» ما يجر الى النار، أو يأكلونها يوم القيامة. عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يبعث ناس من قبورهم يوم القيامة تاجج من أفواههم ناراً» قيل: من هم؟ فقرأ الآية^(١) ﴿وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ وسيدخلون ناراً ملتهبة فظيمة.

وزم «الياء» «ابن عامر» و«أبو بكر»^(٢) يقال: «صلى النار» أي قاسى حرها، وأصليته: ألقته فيها.

[١١] - ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ يأمركم ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ في شأن ميراثهم وهو اجمال، تفصيله: ﴿لِلذَّكَرِ﴾ أي منهم، وحذف للعلم به ﴿مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيْنِ﴾ حيث

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ١٣.

(٢) حجة القراءات: ١٩١.

اجتمع الصنفان .

وقدم «الذكر» لفضله كما ضوعف حفظه لذلك ﴿فَإِنْ كُنْ﴾ أي المولودات ﴿نِسَاءً﴾ خلصاً ليس معهن ذكر ﴿فَوْقَ اثْنَيْنِ﴾ خبر ثان، أو صفة لـ «نساء» ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ﴾ الميت المعلوم من المقام ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ أي المولودة ﴿وَاحِدَةً﴾ . ورفعها «نافع»^(١) على التامة ﴿فَلَهَا النِّصْفُ﴾ .

واختلف في الإثنين فقال ابن عباس:^(٢) حكمهما حكم الواحدة: لأن الثلثين لما فوقهما، وقال الباقر - وهو الحق - : حكمهما حكم ما فوقهما للإجماع بعد ابن عباس .

ويعضده أن للواحدة الثلث مع أخيها، فأولى أن تستحقه مع أخت مثلها، وأن للأختين الثلثين، والبنتان أمس رحماً ﴿وَلَأَبَوَيْهِ﴾ ولأبوي الميت ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا﴾ بدل منه بإعادة العامل . وذكر تنصيصاً على استحقاق كل واحد منهما السدس، وتأكيذاً بتفصيل بعد اجمال ﴿السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ﴾ للميت ﴿وَلَدٌ﴾ وإن نزل ذكراً أو أنثى متعدداً أو لا، لكنهما يشاركان البنت في الباقي بعد السهام فيقسم أخماساً ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِلْمِثْلِثِ﴾ مما ترك أجمع ولو مع أحد الزوجين عندنا، وثلث ما بقي بعد نصيبه عند الجمهور، ولم يذكر ما للأب لظهور أن له الباقي ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ لأب أو أبوين، أقلهم ذكراً، وتنوب الاختان ذكراً، وأريد بالجمع ما فوق الواحد اجماعاً ما عدا ابن عباس إذ اعتبر الثلاثة فما زاد ﴿فَلِلْمِثْلِثِ السُّدُسُ﴾ يحجبها الإخوة عن الثلث إلى السدس، ولا يرثون .

وعن ابن عباس: أن لهم ما حجبروا عنه الأم،^(٣) وكسر «حمزة» و«الكسائي» همزة

(١) حجة القراءات: ١٩٢ .

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ١٤ وتفسير البضاوي ٢: ٧١ .

(٣) تفسير البضاوي ٢: ٧١ .

«فَلَامَةً»^(١) إتباعاً لما قبلها . «مِنْ بَعْدِ» متعلق بجميع ما تقدم من قسمة الموارث .
 أي : هذه الحصص للورثة من بعد «وَصِيَّةٌ يُوصِي بِهَا أَوْ ذَيْنِ» «أو» للإباحة وتنفيذ
 تساويهما في وجوب التقديم على القسمة انفراداً أم اجتماعاً .
 وقدمت الوصية على الدين مع تقدمه شرعاً اهتماماً بشأنها ، لأنها شاقّة على
 الورثة لشبهها بالإرث فهي مظنة التفريط بخلاف الدين لاطمئنانهم الى أداءه .

وبنى «ابن كثير» و«ابن عامر» و«أبو بكر» «يوصى» للمفعول^(٢) «ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ
 لَا تَذَرُونَ إِلَهُمْ أَقْرَبَ لَكُمْ نَفَقًا» اعتراض مؤكد لأمر القسمة ، أو تنفيذ الوصية ، أي :
 لا تعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم من أصولكم وفروعكم ، فاقسموا على ما بينه الله
 ولا تفضلوا بعضاً وتحرموا بعضاً ، أو ممن ترثونه منهم : أمن أوصى فعرضكم للأجر
 بتنفيذ وصيته ، أم من لم يوص فوفر عليكم ماله «فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ» مصدر مؤكد ، أي
 فرض ذلك فريضة «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا» بالمصالح «حَكِيمًا» فيما فرض .

[١٢] - «وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ» وان نزل ذكراً أو
 انثى ، منكم أو من غيركم «فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ
 يُوصِينَ بِهَا أَوْ ذَيْنِ» في الصورتين «وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ لَكُمْ وَلَدٌ» ولو من
 غيرهن «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ ذَيْنِ»
 وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثلث «وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ» وهو الميت
 «يُورَثُ» من «وُورَثَ» أي يورث منه ، صفة لـ «رجل» «كَلَالَةً» خبر «كان» أو الخبر
 «يورث» ، و«كَلَالَةً» حال من الضمير فيه ، وهو من لم يخلف ولداً ولا والدأ ، ويحتمل
 كون الرجل الوارث ويورث من أوزرث .

وكلاله من ليس بولد ولا والد ، وهي في الأصل مصدر بمعنى الكلال ،

(١) حجة القراءات : ١٩٢ .

(٢) حجة القراءات : ١٩٢ .

فاستعيرت لقربة ليست بأحدهما، لأنها كآلة بالإضافة اليهما، ثم وصف بها الموروث والوارث، بمعنى: ذي كلاله ﴿أَوْ امْرَأَةً﴾ عطف على «رجل» ﴿وَلَهُ﴾ أي للرجل وحذف حكم المرأة للعلم به من العطف ﴿أَخٍ أَوْ أُخْتٍ﴾ من الأم للإجماع والأخبار^(١) أيضاً، ويؤيده قراءة «أخ أو أخت من الأم»^(٢) وإن آخر السورة أن للاختين الثلثين، وللإخوة الكل، ولا يليق بأولاد الأم، والمقدر هنا فرض الأم فيليق بأولادها ﴿فَلِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الشُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ يستوي الذكر والأنثى في القسمة ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍ﴾ حال من فاعل «يوصى» المذكور على البناء للفاعل، أو المدلول عليه بـ «يوصى» على البناء للمفعول، أي: غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث أو قصد المضارة بالوصية لا القرية، أو الإيضاء بدين لا يلزمه ﴿وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن ضار وغيره ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل بالعقوبة.

[١٣] - ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة في النامى والوصايا والموارث ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ شرائعه، فإنها كالحدود المضروبة، الممنوع تعديها ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ﴾ وحد الضمير للفظ. وقرأ «نافع» وإن عامر بالنون^(٤) ﴿جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة لا صفة «جنات»، وإلا لأبرز الضمير لجريانها على غير من هي له، وجمع للمعنى ﴿وَذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٤] - ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ﴾ بالقراءتين ﴿نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ حال لا صفة «نار» لما مر ﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يتضمن إهانة.

[١٥] - ﴿وَاللَّامِي بَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ﴾ يفعلنها، يقال: «أتى الفاحشة

(١) راجع الكافي ١٠١:٧-١٠٣.

(٢) تفسير البيضاوي ٧٢:٢.

(٣) حجة القراءات: ١٩٣.

وجاءها وغشيها ورهقها» أي فعلها .

والفاحشة : الزنا ؛ لزيادة قبحه ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ أَزْوَجَ مِنْكُمْ﴾ فاطلبوا من قاذفهن شهادة أربعة رجال من المؤمنين عليهن ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُمْ﴾ فاحبسوهن ﴿فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ ملك الموت ، أو : يستوفى أرواحهن الموت .
 قيل : كان ذلك عقوبتهن أول الإسلام فنسخ بالحد^(١) واحتمل ارادة صيانتهم بعد جلدهن عن مثل فعلهن فكنى عنه بالإمساك ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ هو النكاح ، أو الحد .

قيل : لما نزلت آية الجلد ، قال : صلى الله عليه وآله وسلم : «قد جعل الله لهن سبيلاً»^(٢) .

[١٦] — ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيهَا مِنْكُمْ﴾ يريد الزاني والزانية . وشدد «ابن كثير» نون اللذان^(٣) ﴿قَادُومَهُمَا﴾ بالتوبيخ والتعير ﴿فَإِنْ تَابَا وَأُصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ فكفوا عن ايذائهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ علة الأمر بالإعراض . قيل : هذه سابقة على الاولى نزولاً،^(٤) وكانت عقوبة الزنا الأذى ثم الحبس ثم الجلد .

[١٧] — ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ﴾ قبول التوبة - من تاب عليه قبل توبته - واجب ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ بمقتضى وعده وفضله ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ متلبسين بها ، سفهاء ،^(٥) إذ ارتكاب الذنب جهل وسفه ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ من زمان قريب ، وهو ما قبل حضور الموت لقوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾^(٦) وقوله صلى الله عليه وآله

(١) جوامع الجامع ١: ٢٤٣ .

(٢) تفسير التبيان ٣: ١٤٣ .

(٣) حجة القراءات: ١٩٣ .

(٤) قاله الحسن - كما في تفسير التبيان ٣: ١٤٤ .

(٥) في «ب» : سفهاً . وفي «ج» : متلبسين بها حكماً سفهاء .

(٦) في الآية الآتية .

وسلم: «من تاب قبل ان يفرغر، تاب الله عليه»^(١) و«من» للتبعض، أي يتوبون في أي جزء من الزمان القريب الذي هو أمد الحياة ﴿فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ عدة بالوفاء بما اوجب على نفسه بقوله: «انما التوبة على الله» ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ فيعلم توبتهم ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يعاملهم به.

[١٨] - ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ نفى التوبة عن من سوفها الى حضور الموت ومن مات كافراً، وسوى بينهما في نفيها؛ لمجاوزة كل منهما وقت التكليف والإختيار ﴿أُولَٰئِكَ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يؤذن بقدرته على عذابهم متى شاء، ويؤكد عدم قبول توبتهم.

والإعتاد: التهيئة من العتاد، وهو العدة.

[١٩] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ وضمه «حمزة» و«الكسائي» أين جاء،^(٢) وهما لغتان.

كان الرجال إذا مات قريبه ألقى ثوبه على امرأته وقال: أنا أحق بها، فإن شاء تزوجها بصداقها الأول، وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها، فقيل: لا يحل لكم أن تأخذوهن على سبيل الإرث كارهات لذلك أو مكرهات عليه ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ عطف على «أن تروا»، و«لا» لتأكيد النفي، أي ولا تمنعهن من النكاح.

وأصل العضل: التضيق ﴿لَتَذُقْنَ مِنْهُمْ مَضًا ءَاتِيَهُنَّ﴾ كان الرجل يمسك زوجته إضراراً بها لتفتدي بما لها فنهوا عن ذلك ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ كالنشوز، أو كل معصية.

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٢٠.

(٢) حجة القراءات: ١٩٥.

والاستثناء من أعم عام الظرف، أي لا تعضلوهن للإفتداء إلا وقت إتيانهن بفاحشة. وفتح ياء «مبينة» ابن كثير و«أبو بكر»^(١) ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالنصفة في الفعل، والإجمال في القول ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَى أَنْ تَكْرَهُنَّ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ أي فلا تفارقوهن لكرهه النفس، إذ قد تكره الأصلح ديناً والأكثر خيراً وتحب ضده.

و«عسى» علة الجزاء ناثبة عنه، والتقدير: فان كرهتموهن فاصبروا عليهن، فمعى أن تكرهوا ما هو خير لكم.

[٢٠] - ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾ تزويج امرأة ومفارقة أخرى ﴿وَأَنْتُمْ إِحْدِيهِنَّ﴾ إحدى الزوجات إذ أريد جنس الزوج ﴿فِنْطَارًا﴾ مالا عظيماً ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ إنكار، أي أناخذونه باهتين وآمين، أو للبهت والاثم. كان الرجل إذا اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها أن تفتدى بما أعطاها ليتزوج به غيرها، فنهوا عن ذلك.

والبهتان: كذب يهت المكذوب عليه، ويقال للباطل.

[٢١] - ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ إنكار لأخذه، والحال انه وصل إليها بالملامسة ودخل بها، ووجب المهر ﴿وَأَخْذَنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ عهداً وثيقاً، وهو حق الصحبة والمضاجعة، أو قول الولي: «أنكحك على ما في كتاب الله من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان»^(٢).

[٢٢] - ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾ التي نكحها «آبَاؤُكُمْ» وإن علوا «مِنَ النِّسَاءِ» بيان «ما» ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ استثناء من لازم النهي، أي فتعاقبون بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف، أو من اللفظ مبالغة في التحريم كـ ﴿لَا يَذْقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا

(١) حجة القراءات: ١٩٦.

(٢) اقتباس من الآية ٢٢٩ من سورة البقرة.

الموتة الاولى^(١) أي لا تنكحوهن إلا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه .

أو منقطع ، أي ولكن ما سلف فلا تؤاخذون عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا﴾ علة النهي أي نكاحهن كان فاحشة وموجباً لمقت الله ما حل لأمة قط ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ سبيل من دان به .

[٢٣] - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ أي نكاحهن ، لما قبله وبعده ، وللتبادر كالأكل في «حرمت عليكم الميتة» . والأم من ولدتك أو ولدتك من ولدك وان علت ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ يعتم من ولدتها أو ولدتك من ولدها وان نزلت ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ الأخت : الانثى التي ولدها من ولدك بلا واسطة ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾ العمة أخت كل ذكر ولدك وان علا ﴿وَخَالَاتُكُمْ﴾ الخالة أخت كل انثى ولدتك وان علت ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ وإن نزلن ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾ نزل تعالى الرضاع منزلة النسب ، فسمي المرضعة أمّاً والمرضعة أختاً .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»^(٢) فيحرم منه السبع المحرمات بالنسب ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ يحرم بالمصاهرة أم الزوجة وان علت ، وبنتها من غير الزوج وان نزلت ، رباها أم لا .

وسميت «ربيبة» وقيدت بالحجر لتربيته لها في حجره غالباً . وللبعث على حفظها كولد . «ومن نساكنكم» متعلق بـ «ربائبكم» ، لقربه فلا تحرم الربيبة مؤبداً إلا بالدخول بالأم - اجماعاً - . ولا يصح تعلقه بـ «امهات نساكنكم» أيضاً لأن «من» إذا علقت بها تكون بياناً لـ «نساكنكم» ، وإذا علقت بالربائب تكون ابتدائية ولا تحمل كلمة واحدة على معنيين . فتحرم أم الزوجة مدخولاً بها أم لا .

(١) سورة الدخان : ٤٤ / ٥٦ .

(٢) جوامع الجامع ١ : ٢٤٧ . وتفسير التبيان ٣ : ١٥٧ .

ومنا من اعتبر الدخول كـبعض العامة، واخبارنا فيه مختلفة. ^(١) و«دخلتم بهن» كناية عن الجماع، أي دخلتم معهن السر، وقد يلحق به المس والتجريد «فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» يشعر بعدم اعتبار مفهوم القيود «وَحَلَائِلُ أَبْنَانِكُمْ» زوجاتهم من الحل للزوج، أو الحلول معه «الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ» دون من نبئتم، فيعم ولد الولد «وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ» عطف على المحرمات، فالمحرم الجمع دون العين، فلو فارق إحداها حلت له الأخرى «إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» ولكن ما مضى مغفور؛ لقوله: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا» فلا تيأسوا من رحمته.

[٢٤] - «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ» ذوات الأزواج، أحصنهن التزويج عطف على المحرمات «إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» من سبايا دار الكفر المزوجات، فإنهن حلال؛ لرفع السبي النكاح، أو ما ملكتم من الإماء المزوجات، فإن للمالك فسخ نكاحهن ووطئن بعد العدة على بعض الوجوه «كِتَابَ اللَّهِ» كتب ذلك كتاباً «عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ» عطف على «كتاب» المضمر وبناء «حمزة» والكسائي «للمفعول» ^(٢) عطف على «حرمت» «مَا وَرَاءَ ذَلِكَ» ما عدا ما ذكر من المحرمات إلا ما خص بالسنة كالمنكوحة على عمتها وخالتها وغيرها «أَنْ تَبْتَغُوا» بدل اشتغال من «ما» أو مفعول له، أي أحل ذلك إرادة أن تطلبوا النساء «بِأَمْوَالِكُمْ» بصدق أو ثمن. وقد لا يقدر له مفعول كأنه قيل أن تصرفوا أموالكم «مُحْصِنِينَ» اعفاء «غَيْرِ مُسَافِحِينَ» غير زناة «فَمَا اسْتَعْتَمْتُمْ» فمن تمتعتم «بِهِ» الهاء للفظ «ما» «مِنْهُمْ» من النساء. المراد به نكاح المتعة بدلالة قراءة «أبي» و«ابن عباس» و«ابن مسعود»: «فَمَا اسْتَعْتَمْتُمْ بِهِ مِنْهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى» ^(٣).

(١) تفسير البرهان ١: ٣٥٦.

(٢) حجة القراءات: ١٩٨.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٢٢.

ولا خلاف في شرعيته، وفعله الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزمن أبي بكر وبرهه من زمن عمر، ثم نهى عمر عنه، وأدعى نسخه، وخالفه جماعة من الصحابة والتابعين.

وأطبق أهل البيت عليهم السلام على بقاء شرعيته.

وقال علي عليه السلام: «لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي».^(١)

واعترف عمر أيضاً بشرعيته ونسب النهي عنه الى نفسه،^(٢) واضطرب نقلهم للنسخ بحيث لا يفيد الظن فضلاً عن القطع فكيف ينسخ به القطعي «فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ» التي وقع العقد عليها. والضمير لمعنى «ما» «فَرِيضَةً» أي مفروضة، حال من الأجور أو ابتاء مفروضاً، أو فرضها فرضاً «وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ» من استئناف عقد آخر بعد انقضاء المدة بزيادة في الأجر والمدة «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا» بمصالحكم «حَكِيمًا» فيما شرع لكم.

[٢٥] - «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا» غني، وأصله: الفضل والزيادة، أي: ومن لم يجد غنى يبلغ به «أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ» الحرائر «الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَآ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» فليتزوج من مملوكاتكم، أو فليستّر «مِنْ فِتْيَانِكُمْ» إمائكم «الْمُؤْمِنَاتِ» وظاهره جواز تزوج الأمة مع عدم امكان الحرية على الأول، ومفهوم الشرط عدم جوازه للحز مع امكان الحرية وقال به بعضنا.

وردّ باحتمال ارادة المعنى الثاني وعدم صراحة الشرط، وأن حججه فيما إذا لم يظهر له فائدة سوى نفي الحكم عن المسكوت وظاهر انه يفيد الحث على النكاح ولو بأمة.

وأولوية الحرية مع القدرة مع المعارضة بعموم «وأحلّ لكم ما وراء ذلكم» [و]

(٢) تفسير العياشي ١: ٢٢٢ وتفسير التبيان ٣: ١٦٧ وكترالعمال ١٦: ٥٢٢ الحديث ٤٥٧٢٨

(٤) يراجع سنن البيهقي ٧/ ٢٠٦ ومسنند احمد ٣/ ٢٥٦ - ٢٦٢.

﴿وَانكحوا الأيامى . . .﴾ الآية^(١) ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ فافتخروا بظاهر الإيمان وكَلُوا السرائر اليه فإنه العالم بها، فرب أمة تفضل الحرّة فيه . وهذا تأنيس بنكاح الإمام ﴿بَغْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ كلكم من آدم ودينكم الإسلام، فلا تستنكفوا من نكاحهن ﴿فَانكحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ مالكيهن ﴿وَهُنَّ أَجُورُهُنَّ﴾ مهورهن، ولعل المراد: وآتوا أهلهن . ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بلا مطل ونقص ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾: عفاف غير مُسَافِحَاتٍ: غير معلّقات بالزنا ﴿وَلَا مُتَّحِدَاتٍ أَخْدَانٍ﴾ أخلاء يزنون بهن سرّاً ﴿فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ﴾ بالتزويج . وبناء «حمزة» و«أبو بكر» و«الكسائي» للفاعل^(٢) ﴿فَلِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ بزنا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي الحرائر ﴿مِنْ الْعَذَابِ﴾ من الجلد كقوله تعالى: ﴿وليشهد عذابهما﴾^(٣) .

وليس الإحصان شرطاً للحد وانما ذكر لإفادة انه لا رجس عليهن أصلاً لأنه لا يتنصف ﴿ذَلِكَ﴾ أي نكاح الإمام ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ لمن خاف الوقوع في الزنا .

وأصله انكسار العظم بعد الجبر، فاستعير للمشفقة، ولا مشقة أعظم من الإثم . وقيل: أريد به الحد . والكلام في مفهومه ما مرّ^(٤) ﴿وَأَنْ تَصْرُوهَا﴾ وصبركم عن نكاح الإمام ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ للحقوق العار بالولد، وعدم اصلاحهن البيت ﴿والله عَفُوءٌ﴾ لذنوبكم بالتوبة أو بفضله ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم .

[٢٦] - ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبينَ لَكُمْ﴾ أحكام دينكم ومصالحكم وأصله «أن يبين»، فزيدت اللام لتأكيد ارادة التبيين ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ طرائق من

(١) سورة النور: ٢٤/٢٢ .

(٢) حجة القراءات: ١٩٨ .

(٣) سورة النور: ٢/٢٤ .

(٤) يراجع الآية ٢٢٠ من سورة البقرة و١١٨ من سورة آل عمران .

تقدمكم من أهل الحق لتقتدوا بهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ ويقبل توبتكم أو يرشدكم الى ما يحثكم على التوبة، أو الى طاعات تكفر سيئاتكم إن قمتم بها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالحكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبر لكم.

[٢٧] - ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرر للتأكيد ولينبى عليه ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ المبطلون، أو الزناة، أو المحجوس، أو اليهود فإنهم يحلون الاخوات من الأب، وبنات الأخ وبنات الأخت ﴿أَنْ تَمِيلُوا﴾ عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات أو احلال المحرمات ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾ إذ لا ميل أعظم من ذلك.

[٢٨] - ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ بإحلال نكاح الأمة وغيره من الرخص ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ لا يصبر عن النساء أو الشهوات.

[٢٩] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ بما حرّمه الشرع كالربا والقمار والظلم ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ منقطع، أي ولكن كون تجارة صادرة عن رضا المتبايعين غير منهية عنه.

وقيل : اريد بالمنهي عنه صرف المال فيما لا يرضاه الله، وبالتجارة صرفه بما يرضاه. ونصب الكوفيون «تجارة» على الناقصة^(١) أي : إلا أن تكن التجارة تجارة ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بالقائتها الى التهلكة، أو بالبيع^(٢) كفعل بعض الجهلة، أو بارتكاب ما يؤدي الى هلاكها في الدنيا والآخرة، أو اريد بالأنفس من كان من أهل دينهم، إذ المؤمنون كنفس واحدة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ أي : نهاكم عن ذلك لفرط رحمته بكم.

[٣٠] - ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي القتل، أو ما ذكر من المحرمات ﴿عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ إفراطاً في تعدي الحق، وإيماناً بما لا يستحق، أو اريد بالعدوان التعدي

(١) حجة القراءات: ١٩٩.

(٢) في «ط»: التبع، والبيع قتل الانسان نفسه غمّاً.

على الغير، وبالظلم ظلم النفس ﴿فَسَوْفَ نُضِلُّهُ﴾ ندخله ﴿نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هيناً لا مانع عنه .

[٣١] - ﴿إِنْ تَجَتَبَّهُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وهي كل ما أوعده الله عليه عقاباً، أو جعل فيه حداً . وقيل كل ما نهى الله عنه .

وصغر الذنب وكبره بالإضافة الى ما فوقه وما تحته، وروي أنها سبع، ^(١) والمعنى ان تركوا كبائر الذنوب ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ نغفر لكم ما سوى ذلك من الصلاة الى الصلاة، ومن الجمعة الى الجمعة، ومن شهر رمضان الى شهر رمضان .

وقيل : إِنْ تَرَكُوا كَبَائِرَ مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ نَكْفَرْ عَنْكُمْ مَا ارْتَكَبْتُمُوهُ مِنْهَا فيما سلف ^(٢) ﴿وَتَذَخَّلْكُمْ مَدْخَلًا﴾ وفتح «نافع» «الميم» ^(٣) أي موضعاً ﴿كَرِيمًا﴾ وهو الجنة، أو ادخالا مع كرامة .

[٣٢] - ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ من جهة الدنيا كالمال والجاه لئلا يؤدي الى التحاسد والتباغض، وارضوا بما قسم الله لكم ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ أي لكل من الرجال والنساء حظٌ وفضل بسبب ما اكتسب بالعمل لا بالחסد، أو ممَّا اكتسب من نعيم الدنيا بالتجارة وغيرها . فليرض بما قسم له، أو من الميراث . جعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص مكتسباً له ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي لا تتمنوا ما لغيركم واسألوا الله مثله من خزائنه . وقرأ «ابن كثير» و«الكسائي» «وَسْأَلُوا» ^(٤)

(١) رواه كل من المياشي ١: ٢٣٧ عن الباقر عليه السلام والطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٨٨ عن النبي وابن عباس، وهي : الإشراف بالله، وقتل النفس، وقذف المحصنة، واكل مال اليتيم، والربا، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين .

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٨٨ .

(٣) حجة القراءات : ١٩٩ .

(٤) حجة القراءات : ٢٠٠ .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فيلعم من يستحق التفضيل .

قيل : قالت ام سلمة : «يا رسول الله ، يغزوا الرجال ولا تغزوا ، وانما لنا نصف الميراث ، ليتنا رجالا» فنزلت .^(١)

[٣٣] - ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ ولكل ميت جعلنا ورثاً لما ترك . الضمير لـ «كل» و«من» صلة «موالي» لأنه بمعنى الوارث والوالدان استئناف مبين لـ «موالي» ، أو لكل قوم جعلناهم موالي حفظاً مما ترك الوالدان والاقربون على أن «جعلنا موالي» صفة «كل» والعائد اليه محذوف ، والجملة مبتدأ وخبر . ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ^(٢) أَيْمَانَكُمْ﴾ جمع يمين بمعنى اليد ، أو القسم ، أي الحلفاء الذين عاهدتموهم على النصرة والإرث ، وهو متبدأ ضمن معنى الشرط ، وخبره ﴿فَاتَوْهُمْ نَصِيحُهُمْ﴾ أو عطف على «الوالدان» وقوله : «فاتوهم نصيهم» تأكيد للجملة المتقدمة والضمير لـ «موالي» .

وقرأ أهل الكوفة : «عقدت»^(٣) قيل : التورث بالتعاقد منسوخ^(٤) بقوله تعالى : ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ .^(٥)

وعند اصحابنا أنه باق عند عدم الوارث النسبي والسببي وهو المسمى بضمان الجريرة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ مطلقاً .

[٣٤] - ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾ يقيمون مسلطون ﴿عَلَى النِّسَاءِ﴾ في السياسة والتدبير ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل

(١) تفسير مجمع البيان ٢ : ٤٠ .

(٢) وقد وردت الكلمة في المصحف الشريف بقراءة حفص : «عقدت» .

(٣) حجة القراءات : ٢٠١ .

(٤) تفسير مجمع البيان ٢ : ٤٢ وجوامع الجامع ١ : ٢٥٢ .

(٥) سورة الانفال : ٨ / ٧٥ وسورة الاحزاب : ٦ / ٢٢ .

والعلم وحسن الرأي وغير ذلك ﴿وَبِمَا أَنْتَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ عليهن من المهر والنفقة .
 قيل : إن «سعد بن الربيع» من نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته «حبيبة بنت زيد»
 فلطمها ، فانطلق بها ابوها الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فشكا . فقال صلى الله عليه وآله
 وسلم : «لَتَقْتَصَّ مِنْهُ» فنزلت ، فقال : «أردنا امرأ وأراد الله امرأ ، والذي أراد الله خيراً» .^(١)
 ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ مطيعات لله ولأزواجهن ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ لموجب الغيب
 أي يحفظن ما يجب حفظه في غيبة الأزواج من النفس والمال ، أو لأسرارهم ﴿بِمَا
 حَفِظَ اللَّهُ﴾ بحفظ الله إياهن بالتوفيق لحفظ الغيب ، أو بالذي حفظه الله لهن عليهم
 من المهر والنفقة ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم
 لظهور أسبابه ، أو أريد بالخوف العلم ﴿فِعْظُوهُنَّ﴾ فخوفوهن بالله ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي
 الْمَضَاجِعِ﴾ المراقد ، فلا تدخلوهن تحت اللحف أو لا تجامعهن ، أو ولوهن
 ظهوركم ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ ضرباً غير مبرح ولا مدم . والثلاثة مترتبة فيتدرج فيها ﴿فَإِنْ
 أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ الى التوبيخ والايذاء ، إذ التائب من الذنب كمن
 لا ذنب له ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيرًا﴾ فاحذروه فإنه أقدر عليكم منكم عليهن ، أو : انه
 مع علو شأنه تعصونه ويقبل توبتكم ، فاقبلوا توبتهن .

[٣٥] - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ﴾ خلاف ﴿بَيْنَهُمَا﴾ أصله شقاقاً بينهما ، فاضيف الى
 الظرف اتساعاً ، والضمير للزوجين المدلول عليهما بذكر الرجال والنساء ﴿فَاتَّقُوا﴾
 أيها الحكام ﴿حَكَمًا﴾ رجلاً عدلاً صالحاً للحكومة والإصلاح ﴿مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ
 أَهْلِهَا﴾ إذ الأقارب أعرف بأحوالهما وبما يصلحهما .

والمشهور أن هذا على الأغلب ، فلو بعثا من الأجانب صح . والأظهر أن بعثهما
 تحكيم لا توكيل ، فلا يشترط رضاهما إلا في التفريق ، وقيل : لا يشترط مطلقاً^(٢) ﴿وَإِنْ

(١) تفسير مجمع البيان ٢ : ٤٣ .

(٢) قاله مالك - كما في تفسير البيضاوي ٢ : ٨٦ .

يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴿الضميران للحكمين، أي: إن قصدا الإصلاح يوفق الله بينهما فتتفق كلمتهما ويحصل الغرض، أو للزوجين، أي: إن ارادا الإصلاح وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الوفاق والألفة. والاول للحكمين، والثاني للزوجين، أي إن قصدا الإصلاح أوقع الله بحسن نيتهما الوفاق بين الزوجين ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿خَيْرًا﴾ بالبواطن كالظواهر.

[٣٦] — ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ غيره، أو شيئاً من الاشراك ﴿وَالَّذِينَ﴾ واحسنوا بهما ﴿إِحْسَانًا وَيَذِي الْقُرْبَى﴾ القرابة ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ﴾ والجار ذي القربى ﴿القريب في الجوار، أو النسب أو الدين﴾ والجار الجنب ﴿البعيد جواراً أو نسباً أو ديناً﴾ والصاحب بالجنب ﴿الرفيق في سفر أو تعلم أو حرفة. وقيل: الزوجة^(١)﴾ وابن السبيل ﴿المسافر أو الضيف﴾ ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أرقائكم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا﴾ متكبراً لا يلتفت الى أقاربه وجيرانه واصحابه ﴿فَخُورًا﴾ عليهم.

[٣٧] — ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ نصب بدلاً من «من كان» أو على الذم، أو رفع عليه، أو مبتداً حذف خبره، تقديره: الذين يبخلون بما وجب عليهم، أو بإظهار صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به. وفتح «حمزة» والكسائي «الباء» والخاء^(٢) ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ المال والعلم أحقاء بالمعقوبة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ بذلك وغيره ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾ لهم. نزلت في اليهود الذين كانوا يتصحون للأنصار، ويقولون: لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر، أو: الذين

(١) قاله عبدالله بن مسعود وابن أبي ليلى والنخعي كما في تفسير مجمع البيان ٤/٢٦ وفي تفسير

التيبان ٣: ١٩٤ أن القائل: عبدالله بن مسعود وعليه السلام وأبراهيم ابن أبي ليلى.

(٢) حجة القراءات: ٢٠٣.

كتموا صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ^(١)

[٣٨] - ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ عطف على «الذين ييخلون»، أو «الكافرين»، أو مبتدا حذف خبره، ودل عليه «ومن يكن الشيطان» ﴿رِثَاءَ النَّاسِ﴾ مرائين، أو مرااة لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هم المنافقون أو مشركو مكة ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾ صاحباً، يتبع أمره كهؤلاء، أو هو وعيد لهم بأن يُقرن بهم في النار ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾ هو.

[٣٩] - ﴿وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أي ضرر عليهم بالإيمان والإنفاق في سبيل الله. وهو توبيخ لهم؛ إذ كل [ال] منفعة في ذلك وانما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ فيجازيهم بأعمالهم.

[٤٠] - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾ لا ينقص من أجر ولا يزيد في عقاب ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ زنة نملة صغيرة، أو جزء من أجزاء الهباء، لغناه عن الظلم وعلمه بقبحه، فيستحيل عليه تعالى في الحكمة - لا في القدرة - ﴿وَإِنْ تَكُ﴾ وإن يك مثقال الذرة، وأنت الضمير لتأنيث الخبر، أو لإضافة المثقال إلى مؤنث ﴿حَسَنَةً﴾ ورفع «ابن كثير» على التامة ^(٢) ﴿يُضَاعَفُهَا﴾ يضاعف ثوابها وقرأ «ابن كثير» و«ابن عامر»: «يضعفها» ^(٣) ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ﴾ ويعط صاحبها من عنده تفضلاً مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ عطاءً جزيلاً. وسمي «أجراً» لأنه تابع للأجر.

[٤١] - ﴿فَكَيْفَ﴾ حال هؤلاء الكفرة ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها وهو نبيها ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ الكفرة أو الشهداء أي على تصديقهم ﴿شَهِيدًا﴾.

[٤٢] - ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَدُّ﴾ يتمنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾

(١) تفسير التبيان ٣: ١٩٦.

(٢-٣) حجة القراءات: ٢٠٣.

أَنْ لَمْ يَبْعَثُوا، أَوْ كَانُوا هُمْ وَالْأَرْضُ سَوَاءً، أَوْ أَنْ يَدْفِنُوا فَتَسْوَى بِهِمُ الْأَرْضُ كَالْمَوْتِ ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى كِتْمَانِهِ لِأَنَّ جَوَارِحَهُمْ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ. وَقِيلَ: الْوَائِلُ لِلْحَالِ، أَيِ: يَتَوَدَّ أَنْ يَدْفِنُوا تَحْتَ الْأَرْضِ، وَأَنْهُمْ لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا، وَلَا يَقُولُونَ: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(١) لِأَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا ذَلِكَ خَتَمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، فَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُمْ، فَيَشْتَدُّ الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ، فَيَتَمَنُّونَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ. وَقُرَأَ «نَافِعٌ» وَ«ابْنُ عَامِرٍ»: «تَسَوَّى» عَلَى أَنَّهُ تَسَوَّى، أَذْغَمَ النَّاءُ فِي السَّيْنِ، وَحُذِفَ «حَمَزَةٌ» وَ«الْكَسَائِي» النَّاءُ الثَّانِيَةَ.^(٢)

[٤٣] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ أَيِ مَوَاضِعِهَا، وَهِيَ الْمَسَاجِدُ، أَوْ لَا تَصَلُّوا ﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ مِنَ النَّعَاسِ أَوْ الْخَمْرِ. وَالْخَطَابُ لَهُمْ قَبْلَ زَوَالِ عَقُولِهِمْ ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ فِي الصَّلَاةِ بِأَنْ تَصَحَّوْا.

نَقَلَ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَنَفَرًا مِنَ الصَّحَابَةِ شَرَبُوا خَمْرًا قَبْلَ نَزُولِ تَحْرِيمِهَا، فَصَلُّوا سُكَارَى، وَقُرَأَ إِمَامُهُمْ: «أَعْبُدُوا مَا تَعْبُدُونَ» فَتَزَلَّتْ.^(٣) وَيُشْعَرُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُصَلِّي أَنْ يَعْلَمَ مَا يَقُولُهُ فِي الصَّلَاةِ وَيُلَاحِظَ مَعَانِيَهُ ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ عَطَفَ عَلَى «وَأَنْتُمْ سُكَارَى» إِذْ مَحَلُّهُ النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ.

وَالْجَنْبُ يَسْتَوِي فِيهِ الْمَذْكُورُ وَالْمُؤَنَّثُ وَالْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ عَامَةِ الْأَحْوَالِ، أَيِ لَا تَدْخُلُوا الْمَسَاجِدَ جُنُبًا فِي عَامَةِ الْأَحْوَالِ إِلَّا حَالَ اجْتِنَازِكُمْ فِيهَا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ وَهُوَ مُقَيَّدٌ بِمَا عَدَى الْمَسْجِدِينَ، لَمَنْعِ الْجَوَازِ فِيهِمَا بِأَخْبَارِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

أَوْ لَا تَصَلُّوا جُنُبًا فِي حَالِ إِلَّا مُسَافِرِينَ، إِذَا لَمْ تَجِدُوا مَاءً فَيُرْخَصُ لَكُمْ الصَّلَاةُ

(١) سورة الانعام: ٢٢/١.

(٢) حجة القراءات: ٢٠٣.

(٣) تفسير البيضاوي: ٨٨: ٢.

بالتيمم وإن لم يرفع الجنابة ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ غاية النهي عن القربان حال الجنابة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ مرضاً يضره الماء أو يعجز عن تناوله ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ تفقدونه فيه . خص أولاً بالرخصة في التيمم المرضى والمسافرين جنباً أو محدثين ، لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر أسباب الرخصة .

ثم عمّ كل من وجب عليه طهارة وفقد الماء من هؤلاء وغيرهم بقوله : ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ هو المنخفض من الأرض ، كني به عن الحدث بخروج الخارج من أحد السبيلين لأنه يقصد له . وقيل «أو» بمعنى الواو ﴿أَوْ لَأَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي» : «المستم» ^(١) وهما بمعنى جامعتيهما ، عن أئمتنا عليهم السلام ، وعليه أصحابنا وأبو حنيفة . ^(٢) وقيل : مااستموهن بالبشرة ، وبه احتج الشافعي لنقض المس للوضوء ، ^(٣) ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ لعدمه ، أو لضرره إذ واجده كفاقه ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ فاقصدوا شيئاً من وجه الأرض طاهراً مباحاً ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾ أي بعضها ، إذ الباء للتبعيض بنص الباقر عليه السلام وهو الجبهة والجبينان الى طرف الأنف الأعلى للنص ^(٤) ﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾ ظهورها من الزند الى أطراف الأصابع ، للنص .

ومناً من أوجب استيعاب الوجه واليدين الى المرفقين كأكثر العامة لأخبار توهم ذلك ^(٥) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا غَفُورًا﴾ فلذلك خفف عنكم ورتخص لكم .

[٤٤] - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ من رؤية القلب . عذّي به «الى» بتضمين معنى : «ألم يتته

(١) حجة القراءات : ٢٠٤ .

(٢) تفسير التبيان ٢ : ٢٠٥ .

(٣) تفسير البضاوي ٢ : ٨٩ .

(٤) تفسير البرهان ١ : ٤٥١ الحديث ٦ و ١٦ .

(٥) تفسير البرهان ١ : ٢٧١ الحديث ٧ و ١٥ .

علمك ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ خطأ من علم التوراة وهم أحبار اليهود ﴿يَسْتَبْدِلُونَهَا بِالْهَدْيِ بِانْكَارِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ تخطئوا طريق الحق كما اخطأوه .

[٤٥] - ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿يَاغْدَاكُمْ﴾ وقد أخبركم بهم فاحذروهم ﴿وَكَفَى﴾ بِاللَّهِ وَلِيًّا يَلِي أَمْرَكُمْ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ يعينكم ، فاكثفوا به عن غيره ، وزيدت الباء للتأكيد .

[٤٦] - ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ بيان لـ «الذين أوتوا» وما ييهما اعتراض ، أو لأعدائكم ، أو صلة لـ «نصيراً» ، أو خبر محذوف ، أي منهم قوم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ يميلونه ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله فيها بتبديله بغيره ، أو بتأويله على ما يشتهون ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَسْمَعُ﴾ منا ﴿غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ حال تضمن الدعاء ، أي لا سمعت ، أو اسمع غير مجاب لك ﴿وَرَاعِنَا﴾ انظرنا ، يريدون به السب أو السخرية ﴿لَيَّا بِالنَّسْتِهِمْ﴾ فتلاً بها وتحريفاً بالحق الى الباطل بوضعهم «راعنا» مكان «انظرنا» و«غير مسمع» مكان «لا سمعت مكروهاً» أو يقتلون بها ما يضمرون من التحقير الى ما يظهرونه من التوقير ﴿وَطَعْنَا﴾ : عيياً ﴿فِي الَّذِينَ﴾ : الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانْظُرْنَا﴾ ولو حصل قولهم هذا بدل ما قالوه ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ مما قالوه ﴿وَأَقْرَبُ﴾ وأعدل منه ﴿وَلَكِنْ لَمَنَّهُمُ اللَّهُ يُكْفِرُهُمْ﴾ أبعدهم عن رحمته بسبب كفرهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم كلبن سلام واصحابه ، أو إلا إيماناً قليلاً ضعيفاً لا لإخلاص فيه .^(١)

[٤٧] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ مِنَ التَّوْرَةِ ﴿مِن قَبْلِ أَنْ نَنْطَوِّسَ وَجُوهَهَا فَتَرَدَّهَا عَلَى أَذْيَارِهَا﴾ نمحو ما فيها من عين وأنف وحاجب ، فنجعلها على هيئة أديارها ، وهي الأفقية أو ننكسها إلى خلف

﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ نخزيهم بالسخ، والضمير لأصحاب الوجوه، أو لـ«الذين» على الالتفات ﴿كَمَا لَعْنَا﴾ أخزينا ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ وهذا وعيد مشروط بعدم إيمانهم، فلما آمن بعضهم رفع.

أو: يقع في الآخرة، أو: منتظر يقع قبل يوم القيامة، أو أريد باللعن متعارفه، وقد لعنوا بكل لسان ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بكون شيء أو وعيده أو قضاؤه ﴿مَفْعُولًا﴾ كإثناً فلا بد أن يقع ما اوعدوا به إن لم يؤمنوا.

[٤٨] - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ﴾ أي الشرك ﴿بِهِ﴾ بدون توبة؛ للإجماع على غفرانه بها ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ ما سوى الشرك من المعاصي بدون توبة ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ تفضلاً، ومقتضاه الوقوف بين الخوف والرجاء، فلا إغراء فيه.

وتقييد المعتزلة آياه بالتوبة لاحجة له، وتخصيصه بالعمومات الوعيدية ليس أولى من العكس بل الأولوية للعكس، وإلا لساوى الشرك في الحكم، فيلغو التقسيم اليهما، وأن هذا يغفر وذاك لا يغفر، والتعليق بالمشيئة لا يجابهم الغفران بالتوبة - حاشا كلامه تعالى - ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ارتكبه،^(١) والإفتراء يقال للقول والفعل كالإختلاق.

[٤٩] - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ هم أهل الكتاب، قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾،^(٢) ﴿وَلَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾^(٣) ويعم كل من زكى نفسه ومدحها ﴿بَلِ اللَّهُ يَزَكِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فتزكيته هي المعتد بها دون تزكية غيره لعلمه بمن هو أهل التزكية، وقد ذمهم وزكى من ارتضاه من المؤمنين.

(١) هنا في هامش «الف» - بخط يفاير خط المتن - مايلي: يقول ارتكبه على انه اثمًا مفعول به لامفعول مطلق كما قال الطبرسي (ع. ق).

(٢) سورة المائدة: ١٨/٥.

(٣) سورة البقرة: ١١١/٢.

والتزكية : التطهير والوصف به ، وأصلها نفى المستقب **﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾** بعقابهم على تزكية أنفسهم **﴿فَيَلَا﴾** قدر ما في شق النواة .

[٥٠] - **﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾** في زعمهم أنهم اذكاء عنده **﴿وَكَفَى بِهِ﴾** بزعمهم هذا **﴿إِنَّمَا مُبِينًا﴾** بيناً .

[٥١] - **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾** صنمان لقريش ، أو كل ما عبد من دون الله .

نزلت في «حبي» و«كعب» خرجا في جمع من اليهود الى مكة يحالفون قريشاً على محاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالوا : «انتم أقرب الى محمد منكم البنا ، فلا نأمن مكرهم ، فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم» ففعلوا^(١) **﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أي فيهم **﴿هَؤُلَاءِ﴾** اشارة اليهم **﴿أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾** أرشد طريقاً .

[٥٢] - **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْسَعِنْ اللَّهَ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾** دافعاً عنه العذاب .

[٥٣] - **﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾** «أم» منقطعة ، والهمزة للإنكار ، أي ليس لهم حظ منه ، ولو كان **﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾** قدر النقرة في ظهر النواة لفرط بخلهم ، وإذا بعد الواو والفاء يجوز اعمالها والغاؤها ولذلك قرئ «لا يؤتوا» بالنصب .

[٥٤] - **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾** بل يحسدون الرسول وأهل بيته صلوات الله عليهم **﴿عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾** من النبوة والإمامة .

وعن الصادق عليه السلام : «نحن المحسودون الذين قال الله : «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ . . . الآية»^(٢) **﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾** الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وآله

(١) جوامع الجامع ١ : ٢٦٢ وتفسير البضاوي ٢ : ٩٢ .

(٢) تفسير البرهان ١ : ٣٧٨ الحديث ٢٢ .

وَسَمَّ ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ النُّبُوَّةَ وَالْعِلْمَ ﴿وَوَعَدْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ افتراض الطاعة، أو ملك «يوسف» و«داود» و«سليمان» فليس يبدع ان يؤتى محمد وآله عليهم السلام مثل ما اوتوا.

[٥٥] - ﴿فَمِنْهُمْ﴾ فمن اليهود ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ﴾ أعرض ﴿عَنَّهُ﴾ فلم يؤمن به، أو: فمن أمة إبراهيم من آمن به، ومنهم من كفر، فلم يؤمن ذلك أمره، فكذا كفر هؤلاء لا يؤمن أمرك ﴿وَوَكَّفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ ناراً موقدة يعذبون بها، أي: إن لم يعجل عقابهم فقد كفاهم ما أعد لهم من النار.

[٥٦] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ يخلقها^(١) مكانها.

ومدرك العذاب النفس العاصية لا الجلد، وإنما هو آلة لإدراكها، أو بإعادتها بنفسها على صورة أخرى كتبديل الخاتم خاتماً، أو بإذهاب اثر الإحراق عنها ليعود اثر الإحساس بها^(٢) ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي ليدوم احساسهم به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في تعذيب من يعذبه.

[٥٧] - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَنْوَاعٌ مَطَهَّرَةٌ﴾ من كل دنس وقذر ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ كثيفاً لا حرَّ فيه ولا برد، ودائماً لا تنسخه الشمس. وصف اشتق من الظل لتأكيده كـ «ليل أليل».

[٥٨] - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ يعم كل مكلف، وكل أمانة إثمها الله من أوامره ونواهيه.

(١) في «الف»: يخلقها.

(٢) في «الف»: ليعود احساسها، وفي «د»: ليعود احساسها.

أو العباد بعضهم بعضاً. ومن ذلك ما روى عن أهل البيت عليهم السلام: «أنه أمر لكل واحد من الأئمة أن يسلم الأمر الى من بعده»^(١).

وقيل: أمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بَرَد مفتاح الكعبة الى «عثمان بن طلحة» حين قبضه منه يوم الفتح.^(٢) والسبب الخاص لا يخصص «وَإِذَا حَكَمْتُمْ» أي ويأمركم ايها الولاة إذا قضيت «بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» بالنصفة والتسوية «إِنَّ اللَّهَ يَمَعُكُمْ يَهْ» «ما» موصوفة منصوبة، أو موصولة مرفوعة، والمخصوص محذوف، أي نعم شيئاً، أو الشيء الذي يعظكم به الأداء والعدل «إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً» لأقوالكم «بَصِيراً» بأفعالكم.

[٥٩] - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» هم الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ لا يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق، كما أوجب طاعته وطاعة رسوله إلا من أيد بالعصمة، وكان أفضل ممن أمر بطاعته على الإطلاق، ولا أحد بهذا الوصف إلا أئمة الهدى الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً صلوات الله عليهم «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ» من أمور الدين «فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» فارجعوا فيه الى الكتاب والسنّة بسؤال من جعل القيم عليهما. واستودع علمهما، وهو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حياته، وي بعده عترته الأوصياء الحافظون لشريعته، الذين أوجب التمسك بهم بعده بقوله:

«إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٣) فإن الكتاب والسنّة

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٦٣.

(٢) قاله ابن جريج - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٦٣.

(٣) هو حديث الثقلين، وقد رواه العامة والخاصة. علماً أنّ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بصدد تهئية موسوعة تجمع كلّ ما يتعلّق بهذا الحديث الشريف، نأمل من الله تعالى التوفيق لانجازها بأحسن الوجوه، إنه وليّ قدير.

لا يرفعان نزاعاً بدون قِيم، كيف وكل فرقة من الثلاثة والسبعين تحتج بهما لمذهبها ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فإن من أبى ذلك لا إيمان له ﴿ذَلِكَ﴾ أي الرد ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي والتشهي ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً.
أو احسن تأويلاً من تأويلكم بلا ردة.

[٦٠] - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ خاصم منافق يهودياً فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليحكم بينهما، ودعاه المنافق الى كعب بن الأشرف، فنزلت.
فالطاغوت «كعب» وكل من يحكم بغير الحق سمي بذلك لفرط طغيانه، أو لتشبيهه بالشيطان، أو لأن التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان لقوله: ﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[٦١] - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ في القرآن من الحكم ﴿وَالِى الرَّسُولِ﴾ ليحكم به ^(١) ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ﴾ حال. أي: يعرضون ﴿عَنْكَ﴾ الى غيرك ﴿صُدُّوا﴾.

[٦٢] - ﴿فَكَفَّكَ﴾ يصنعون ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من النفاق والصدّ عنك ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ بعد ذلك عطف على «أصابتهم» أو «يصدّون» وما بينهما اعتراض ﴿يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ﴾ حال ﴿إِنْ أَرَدْنَا﴾ ما اردنا بالتحاكم الى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾ تخفيفاً عنك او صلحاً بين الخصمين دون الحكم الموروث للضغائن ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ ناليفاً بينهما بالتوسط دون الحمل على مَرِّ الحق، ولم نرد مخالفتك.

[٦٣] - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ﴿وَعِظْهُمْ﴾ بلسانك ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في شأنها، أو خالياً بهم، إذ النصح سرّاً أنجع ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ بالغاً منهم مؤثراً فيهم، وهو
(١) في «د»: ليحكم بينهما.

التوعد بالقتل .

[٦٤] - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ في أمره وحكمه ﴿يَاذَنِ اللَّهِ﴾ بسبب اذنه بطاعته، وأمره المرسل اليهم بأن يطيعوه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بنفاقهم وتحاكمهم الى الطاغوت ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ من ذلك بإخلاص ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ واعتذروا اليك حتى صرت شفيعاً لهم .

وعدل عن الخطاب تفخيماً لشأنه صلى الله عليه وآله وسلم .

وعن أهل البيت عليهم السلام : أن الخطاب لعلي عليه السلام ^(١) ﴿لَوْ جَدُّوا اللَّهَ تَوَابًا﴾ لعلموه قابلاً لتوبتهم ﴿رَحِيمًا﴾ بهم .

[٦٥] - ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ «لا» زائدة لتأكيد القسم ، أي : فوريك ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾ اختلف واختلط ﴿بَيْنَهُمْ﴾ من الشجر؛ لتدخل أغصانه ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ ضيقاً أو شكاً من حكمك ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وينقادوا لك انقياداً في الظاهر والباطن .

[٦٦] - ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا﴾ أوجبنا ﴿عَلَيْهِمْ أَنْ﴾ مصدرية أو مفسرة ﴿اقتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أو اخرجوا من دياركم ﴿كما أو جينا على بني اسرائيل قتل انفسهم وخروجهم الى التيه . وكسر «أبو عمرو» نون «ان اقتلوا وضم واو «أو اخرجوا» وكسرها «عاصم» و«حمزة» وضمهما الباقون ^(٢) ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ أي المكتوب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ وهو المخلصون . رفع على البدل ، ونصبه «ابن عامر» على الإستثناء ، ^(٣) أو على «إلا فعلاً قليلاً» ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الرسول والانقياد له ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ أجلاً وعاجلاً ﴿وَأَشَدُّ تَنِيَّتًا﴾ لإيمانهم .

(١) تفسير نور الثقلين ١: ٥١٠ عن تفسير القمي والمناقب لابن شهر آشوب ٣: ٤٠٠ .

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٦٩ .

(٣) حجة القراءات: ٢٠٦ .

قيل: نزلت الآية والتي قبلها في شأن المنافق واليهودي.^(١)

وقيل: في حاطب ابن أبي بلتعة، خاصم الزبير في شراج من الحرة،^(٢) كان يسقيان بها النخل، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اسق يا زبير، ثم ارسل الماء الى جارك» فقال حاطب: «لأن كان ابن عمك». فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقلك، ثم ارسل الى جارك».^(٣)

[٦٧] - ﴿وَإِذَا﴾ جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: وما يكون لهم بعد الشيب؟ فقيل: وإذا لو ثبتوا ﴿لَا تَنبَأُهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لأن «اذن» جواب وجزاء.

[٦٨] - ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ولطفنا بهم ووفقناهم للثبات على طريق الحق.

[٦٩] - ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ بيان لـ «الذين» ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ الصادقين في القول والعمل، المصدقين بما جاءت به الرسل ﴿وَالشَّهَدَاءِ﴾ المقتولين في سبيل الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ الملازمين للصالح غير من ذكر ﴿وَحَسَنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ فيه معنى التعجب، و«رفيقاً» تمييز أو حال، يقال للواحد والجمع، كالصديق؛ فلذلك لم يجمع. أو أريد «وحسن كل واحد منهم رفيقاً».

قال الصادق عليه السلام لأبي بصير: «يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه ثم تلا الآية، وقال: فالنبي: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن الصديقون والشهداء، وأنتم الصالحون فاتسموا بالصالح كما سماكم الله».^(٤)

(١) تفسير البضاوي ٢: ٩٨.

(٢) الشراج: جمع شرج، وهو: مسيل الماء من الحرة الى السهل.

(٣) جوامع الجامع ١: ٣٦٧.

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٧٢.

قيل : قالت الصحابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ينبغي لنا ألا نفارقك ، فإننا لانراكَ إلا في الدنيا ، واما في الآخرة فإنك ترفع فوقنا بفضلك ، فنزلت .^(١)

وقيل : في «ثوبان» مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال له نحو قولهم .^(٢)
[٧٠] - «ذَلِكَ» أي كونهم مع المنعم عليهم مبتدأ «الْفَضْلُ» خبره «وَمِنَ اللَّهِ» حال ، أو هو الخبر و«الفضل» صفة «وَوَكَّفَى بِاللَّهِ عَظِيمًا» بجزاء المستطيعين وتوفير الحظ فيه .

[٧١] - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ» نَقِظُوا واحذروا من عدوكم .
والحذر : الحذر ، كالإثر والأثر ، أو ما يحذر به كالسلاح «فَأَنْفِرُوا» فاخرجوا الى الجهاد «ثُبَاتٍ» : جماعات متفرقة ، سرية ، سرية ، جمع «ثَبَّة» وتجمع أيضاً على ثبين «أَوْفِرُوا جَمِيعًا» مجتمعين .

[٧٢] - «وَإِنْ مِنْكُمْ» أي من عسكريكم أيها المؤمنون «لَمَنْ» اللام للإبتاء ، دخلت على اسم «ان» للتأكيد «لَيُطْطَنَ» ليشاقلن ويتأخرن عن الجهاد ، وهم المنافقون من «بطأ» بمعنى «أبطأ» لازم ، أو ليشطن غيره كما نبط ابن أبي ناسأ يوم أحد من «بطأ» المتعدي بالتضعيف ، واللام جواب قسم محذوف ، تقديره : «وان منكم لمن أقسم بالله ليطنن» «فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ» كقتل أو هزيمة «قَالَ» المبطىء «قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا» حاضراً فأصاب .

[٧٣] - «وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ» كفتح وغنيمة «لَيَقُولَنَّ» متحسراً «كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ» حال من القائل ، أو اعتراض بين القول ومقوله وهو : «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا» للإيذان بأن قوله هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه ، وإنما اراد الكون معكم للمال لا للقتال و«كَأَن» مخففة ، واسمها ضمير شأن

(١) قاله قتادة ومسروق بن الأجدع - كما في تفسير مجمع البيان ٢ : ٧٢ .

(٢) قاله الكلبي - كما في تفسير روح البيان ٥ : ٦٨ .

مقدّر. وقرأ «ابن كثير» و«حفص»: «تكن» بالياء^(١) والمنادى في «يا ليتني» محذوف، أي يا قوم ليتني.

وقيل: «يا» للتنبيه على الإتساع، ونصب «فأفوز» على جواب التمني.

[٧٤] - ﴿فَلْيَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾

أي: إن صدّ المنافقون عن القتال، فليقاتل المخلصون المختارون للآخرة على الدنيا ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾ فيشهد ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ يظفر بالعدو ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وعد المجاهد الثواب الجزيل، غلب أو غلب، حثاً على الجهاد في إعزاز الدين، ورداً لقولهم: ﴿قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً﴾^(٢)

[٧٥] - ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ مبتدأ وخبر ﴿لَا تُقَاتِلُونَ﴾ حال عاملها معنى الفعل في

الظرف ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ عطف على اسم «الله»، أي وفي سبيل المستضعفين وهو خلاصهم من أيدي المشركين، أو على «السبيل» بحذف مضاف أي وفي خلاص المستضعفين ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ بيان للمستضعفين، وهم المسلمون الذين لم يستطيعوا الهجرة وبقوا بمكة مستذللين، يلقون الأذى من أهلها.

وذكر «الولدان» مبالغة في الحث وإيذاناً بتناهي ظلم الكفرة حتى آذوا الصبيان ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعين ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ مكة ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ صفتها وذكر لتذكير فاعله ﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ يلي أمرنا ﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ يعيننا عليهم، فاستجاب الله دعاءهم، فيسّر لبعضهم الخروج،

(١) حجة القراءات: ٢٠٨، وقال الشيخ الطوسي في تفسير التبيان ٢: ٢٥٦: قرأ أبو جعفر المدني

وحفص ورويس والبرجمي: «كان لم تكن» بالياء، لأن لفظة المودة مؤنثة، ومن قرأ بالياء فلأن

التأنيث ليس بحقيقي، ومع ذلك فقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل.

(٢) مرّ آنفاً في الآية/ ٧٢.

وجعل - لمن بقي - نبيه صلى الله عليه وآله ولياً وناصراً حين فتح مكة واستعمل عليها
«عتاب ابن أسيد» فتولاهم ونصرهم ، فكانوا أعز أهلها .

[٧٦] - ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في طاعته الموصلة الى رضوانه
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ في طاعة الشيطان ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ
الشَّيْطَانِ﴾ اتباعه ، ينصركم الله عليهم ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ للمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾
في جنب كيد الله للكافرين ، وفيه تشجيع للمؤمنين .

[٧٧] - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾ قلت لهم في مكة قبل الهجرة : ﴿كُفُّوا
أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال الكفرة حين طلبوه لإيذائهم لهم ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾
واشتغلوا بما فرض عليكم ^(١) ﴿فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ في المدينة ﴿إِذَا﴾
للمفاجأة جواب «لَمَّا» ﴿فَرِيقٌ﴾ مبتدا ﴿مِنْهُمْ﴾ صفة ، والخبر ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾
الكفار أن يقتلوهم ﴿كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾ كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسه . من اضافة
المصدر الى المفعول ، حال من الواو ﴿أَوْ أَشَدَّ﴾ عطف عليه ﴿خَشْيَةٍ﴾ تمييز ، أي
يخشون الناس مشبهين لأهل خشية الله ، أو حال كونهم أشد خشية من
أهل خشية الله .

وانما لم يقدّر «يخشون خشية مثل خشية الله» ليكون صفة للمصدر ، لأن «أشد»
عطف عليه ولا يجوز فيه سوى الحال ، إذ لو كان مصدراً لجَرَّ ما بعده حتى يكون
المفضل من جنس المفضل عليه ، فنصب ما بعده أوجب ألا يكون من جنسه ، فلا
يكون مصدراً ﴿وَقَاتِلُوا﴾ خوفاً من الموت ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا﴾ هلا
﴿أَخْرَجْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ استزادة في مد الكف عن القتال ﴿قُلْ﴾ لهم : ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا
قَلِيلٌ﴾ نافذ ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ أي ثوابها الباقي ﴿خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ الله ﴿وَلَا تَنْظَلُمُونَ فَتِيلًا﴾
لاتنقصون من أجوركم أدنى شيء ، وقرأ «ابن كثير» و«حمزة» و«الكسائي» :

(١) في «د» : بما فرض الله عليكم .

يظلمون» بالياء^(١) لسبق الغيبة .

[٧٨] - ﴿أَيُّنَا تَكُونُوا بُذِرِ نَحْمُكُمْ﴾ بلحقكم ويحل بكم ﴿الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ في قصور أو حصون مرفعة أو مجصصة ، فلا ينجيكم منه ترك القتال ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ﴾ اي اليهود او المنافقين ﴿حَسَنَةٌ﴾ نعمة كالخصب ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بليّة كالجدب ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ بشؤمك يا محمد ﴿قُلْ﴾ لهم : ﴿كُلٌّ﴾ من النعمة والبليّة ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ صادر عن حكمته حسب المصالح ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ لا يقاربون أن يفهموا قولاً ، فيعلمون أنّ الباسط والقابض هو الله .

[٧٩] - ﴿مَا أَصَابَكَ﴾ يا انسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ من نعمة ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ تفضلاً منه وامتحاناً ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ من بليّة ﴿فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ لأنك السبب فيها لارتكابك الذنوب الجالبة لها ، ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حال مؤكدة ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على ارسالك .

[٨٠] - ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ لأنه إنما يأمر بما أمره الله به ، وينهى عما نهى الله عنه ﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض عن طاعته ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ تحفظ أعمالهم بل نذيراً ، وعلينا حسابهم .

[٨١] - ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا أمرتهم بشيء ﴿طَاعَةٌ﴾ أي شأننا طاعة ﴿فَإِذَا بَرَأُوا﴾ خرجوا ﴿مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ أضمرت خلاف ما قالت لك وأظهرت من الطاعة ، أو ما قلت وأمرت به .

والتبييت من البيتوتة ؛ لأنه يدبر ليلاً ، أو من بيت الشعر لأن الشاعر يدبره ، وأدغم «أبو عمرو» و«حمزة» : «بَيَّتَ طَائِفَةٌ»^(٢) ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ﴾ يشبهه في

(٢) حجة القراءات : ٢٠٨ .

(١) تفسير مجمع البيان ٢ : ٨٠ .

صحائفهم فيجازيهم عليه، أو في جملة ما يوحى اليك لتطلع على سرهم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالصَّنْع ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثِق بِهِ، ^(١) يكفك أمرهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظاً لما فوض اليه.

[٨٢] - ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَةَ﴾ يتأملون معانيه. وأصل التدبّر: النظر في أدبار الأمور ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ كما زعموا انه قول البشر ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ من تناقض معانيه وتفاوت نظمه بشهادة الإستقراء لقصور القوة البشرية.

[٨٣] - ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾ إذا بلغ المنافقين، أو: ضعاف المسلمين عن سرايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم خبر مما يوجب الأمن كالنصر، أو الخوف كالهزيمة ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أفشوه وكانت اذاعتهم مفسدة و«الباء» زائدة أو لتضمين «اذاعوا» معنى تحدثوا ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي الخير ﴿إِلَى الرَّسُولِ﴾ الى رأيه ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ الائمة المعصومين عليهم السلام.

وقيل أمراء السرايا ^(٢) أي لو سكتوا حتى يظهر لهم ﴿لَعَلِمَهُ﴾ لعلم تديبره ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ يستخرجون تديبره بأفكارهم.

وقيل: كانوا يسمعون أراجيف المنافقين فيذيعونها فتكون مفسدة، ولو ردوه الى الرسول، وإلى أولي الأمر منهم لعلمه أيذاغ أم لا، الذين يطلبون علمه وهم المذيعون منهم، أي من جهة الرسول وأولي الأمر.

والاستنباط: إخراج النبط، وهو: الماء يخرج من البشر، أول ما يحضر ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بالإسلام والقرآن، أو: النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه عليه السلام ﴿لَآتَيْنَكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بالكفر ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منكم، اهتدوا بعقل راجع الى الحق كـ«قس بن ساعدة» وامثاله، أو إلّا اتباعاً قليلاً.

(١) في «ط»: توثق به.

(٢) قاله السدي وابن زيد وابوعلى - كما في تفسير مجمع البيان ٨٢: ٢ وتفسير البيان ٢: ٢٧٣.

[٨٤] - ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ولو وحدك ﴿لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ إِلَّا فَعَلَ

نفسك ولا يهتك تقاعدهم عن الجهاد معك فإن الله ناصرك لا الجنود .

قيل : دعا من الله عليه وآله وسلم الناس في بدر الصغرى الى الخروج لوعده «أبي

سفيان» فكرهه بعضهم ، فنزلت ، فخرج في سبعين ولو لم يخرجوا لخرج وحده

^(١) ﴿وَحَرَّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حَثَّهُمْ ﴿عَلَى الْقِتَالِ﴾ ما عليك في شأنهم إِلَّا التحريض

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يمنع حربهم وقد فعل بإلقاء الرعب في

قلوبهم فلم يخرجوا ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ منهم ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تعذيباً منهم .

[٨٥] - ﴿مَنْ يَشْفَعْ لِلنَّاسِ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ توافق الشرع ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ

مِنْهَا﴾ بسببها وهو أجرها ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ تخالفه ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ﴾ نصيب

وكانه مخنص بالشر ﴿مِنْهَا﴾ بسببها ، وهو وزرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾

مقتدراً ، أو حفيظاً من القوت لحفظه النفس .

[٨٦] - ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ وهي السلام المتعارف شرعاً ، لا الجاهلي ﴿فَعَبَّوْا

بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا﴾ أوجب الرد إما بأحسن منها ، وهو أن يزيد «ورحمة الله» فإن

قالها المسلم ، زاد «وبركاته» وهي النهاية . وجوبه كفائي .

وظاهر الإطلاق وجوبه في الخطبة وقراءة القرآن ، والحمام ، والخلاء ، وعدم

مشروعية السلام في هذه ممنوع ، ولو سلم فعدم وجوب الرد ممنوع .

قيل : الرد بالأحسن للمسلمين ، وبالمثل لأهل الكتاب ^(٢) والظاهر ان كليهما

للمسلمين ، واما أهل الكتاب فيقال لهم : «وعليكم» لأنهم ربما قالوا : السَّام ، أي :

الموت ، ويحتمل عدم وجوب الرد لهم . ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من تحية

وغيرها ﴿حَسِيبًا﴾ محاسباً .

(١) قاله الكلبي كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٨٢.

(٢) قاله قتادة وابن عباس ووهب - كما في تفسير التبيان ٢: ٣٧٨.

[٨٧]- ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبره، أو اعتراض والخبر: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أي الله، والله ليجمعنكم أي يفرض بكم جميعاً ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ أو ليحشرنكم فيه والقيامة: قيامهم من قبورهم أو للحساب ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في اليوم أو الجمع ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ﴾ انكار، أي: لا أحد أصدق منه ﴿حَدِيثًا﴾ تمييز.

[٨٨]- ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ تفرقتم ﴿فِي الْمُنَافِقِينَ﴾ في شأنهم ﴿فَتَنَيْنَ﴾ فرقتين، ولم تجتمعوا على كفرهم. وهو حال، عاملها: «مالك» ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ ردهم الى حكم الكفر، أو خذلهم حتى ارتكسوا فيه ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من الكفر وهم قوم قدموا من مكة وأظهروا الإسلام ثم رجعوا وأظهروا الشرك، ثم سافروا الى اليمامة، فاختلف المسلمون في اسلامهم.

وقيل: هم المتخلفون يوم أحد^(١) ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْذُوا﴾ تعدوا من جملة المهتدين ﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ من حكم الله بضلالة، أو خذله لخبث نيته حتى ضل ﴿وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ﴾ يحكم بضلالة أو يخذله ﴿فَلَنْ نَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ حجة أو محجة تنجيه.

[٨٩]- ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا﴾ تمنوا أن تكفروا ككفرهم ﴿فَتَكُونُونَ﴾ انتم وهم، عطف على «تكفرون» «سواء» في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ فلا توالوهم وان اظهروا الإيمان ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هجرة صحيحة تحقق إيمانهم في طاعة الله ودينه لا في غرض دنيوي ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان والهجرة ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ في الحل والحرام كسائر الكفرة ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ وان بذلوا لكم الولاية والنصرة.

[٩٠]- ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ أي فخذوهم واقتلوهم إلا الذين يلجئون ﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد، والقوم هم المسلمون فإنه صلى الله عليه وآله وسلم وادع «هلال

(١) قاله زيد بن ثابت - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٨٦-.

بن غويمر الأسلمي^(١) على الأيعينه ولايعين عليه ، ومن لجأ إليه فله من الجوار مثل ماله ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ﴾ عطف على الصلة ، أي : أو الذين جاءوكم ممسكين عن قتالكم وقتال قومهم .

أو : على صفة قوم ، والتقدير : إلا الذين يصلون الى قوم معاهدين ، أو قوم كافين عن الحرب لكم وعليكم . ويعضد الاول «فإن اعتزلوكم» «حَصِرَتْ» حال بإضمار «قد» أي ضاقت «صُدُّوهُمْ» عن «أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ» أو كراهة أن يقاتلوكم مع قومهم «أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ» معكم وهم بنو مدليج ،^(٢) أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير مقاتلين . وهذا وما بعده نسخ بآية السيف^(٣) «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطْنَاهُمْ عَلَيْكُمْ» بتقوية قلوبهم «فَلَقَاتَلُوكُمْ» ولكنه لم يشأ فخذف في قلوبهم الرعب «فإن اعتزلوكم فلم يُقَاتِلُوكُمْ» فإن كفوا عنكم «وَالْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ» الإستسلام أي انقادوا لكم «فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا» بأخذ وقتل .

[٩١] - «سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يُأْمِنُوكُمْ وَيَأْمِنُوا قَوْمَهُمْ» هم ناس أتوا المدينة وأظهروا الإسلام ليأمنوا المسلمين ، فلما رجعوا كفروا «كُلَّمَا رُذِّوا إِلَى الْقِتْنَةِ» دعاوا الى الشرك «أَزِيسُوا» انتكسوا «فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَغْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ» ولم يستسلموا لكم «وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ» عن قتالكم «فَخَذُّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ» صادفتموهم «وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا» حجة بينة على قتلهم وسبيهم لوضوح عدواتهم وكفرهم ، أو تسلطاً ظاهراً بالإذن لكم في قتلهم .

[٩٢] - «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ» وما صح ، أو وما جاز له «أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا» بغير حق

(١) كذا في تفسير مجمع البيان وجوامع الجامع وتفسير الكشاف وتفسير البيضاوي ، ولكن في النسخ التي بأيدينا : هلال بن عويم الأسلمي .

(٢) في «ج» : بنو مدحج .

(٣) وهي الآية الخامسة من سورة التوبة .

في حال من الأحوال ، أو لعله من العلل ﴿إِلَّا خَطَأً﴾ إِلَّا مَخْطَأً ، أو إِلَّا لِلخَطَأِ ، أو إِلَّا قَتْلًا خَطَأً^(١) أو أريد به النهي ، والإستثناء منقطع ، أي : لا يقتله لكن قتله خطأ جزاؤه ما يذكر . والخطئان : أن لا يقصد بفعله قتله . نزلت في «عبّاش ابن ابي ربيعة» أخى «أبي جهل» لأمه ، قتل «حارث بن زيد» ولم يعلم بإسلامه ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي فعليه أو فالواجب في ماله اعتاق نسمة ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ مسلمة ولو حكماً ، فتجزي الصغيرة في الأظهر ﴿وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ مؤداة من العاقلة الى ورثته ﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ يتصدقوا عليهم بالدية بأن يعفوا عنها . استثناء من وجوب التسليم ، أي يجب تسليمها إليهم إِلَّا حال تصدقهم أو زمانه ، فهو حال أو ظرف ﴿فَإِنْ كَانَ الْقَتِيلُ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾ محاربين ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ ولم يعلم قاتله إيمانه ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ فعلى قاتله الكفارة ، ولادية لأهله ، لأنهم [أهل]^(٢) حرب ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد ﴿فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ تلزم عاقلة قاتله ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ يلزم قاتله كفارة .

قيل : المراد كون القاتل مؤمناً للسوق وللکفارة ، ولكن تعطى ديته لورثته المسلمين خاصة .^(٣)

وقيل : أريد به الكافر ، ولزوم الدية بسبب العهد^(٤) ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ رَقَبَةً لَفَقْدَهَا ، أو فقد ما يحصلها به ﴿فَصِيَامٌ﴾ فعليه صيام ﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ ويتحقق التابع بشهر ويوم من الثاني ﴿تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾ مصدر أو مفعول له ، أي قبل توبتكم بالكفارة

(١) في «ب» : أو الأ قتلاً خطأ ، وفي «د» : الأ مخطئاً أو الأ قتلاً خطأ .

(٢) الزيادة اقتضاها السياق .

(٣) قاله إبراهيم والحسن ينظر تفسير التبيان ٣ : ٥٩٢ .

(٤) قاله ابن عباس والزهرى والشعمي وإبراهيم النخعي وقتادة وابن زيد . كما في تفسير التبيان

قبولاً، أو شرع ذلك للتوبة، أي لقبولها، من «تاب الله» أي قبل التوبة.
 قيل التوبة في الخطأ لترك التحرز. وفيه أنه لم يكلف به، وقيل: أريد بالتوبة:
 التخفيف بالصيام بدل الرقبة كـ «علم ان لن تحصوه فتاب عليكم»^(١) ﴿وَكَانَ اللَّهُ
 عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره.

[٩٣] - ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ فاصداً عالماً بإيمانه ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا
 فِيهَا﴾ أن لم يتب، أو يعفو الله عنه، وأوّل بمستحلّه، كما فسر «عكرمة» وجماعة
 المتعمد بالمستحل لقتله.

وعن الصادق عليه السلام: «هو أن يقتله على دينه» ويعضده أنه نزل في «مقيس بن
 ضبابة» وجد أخاه قتيلاً في بني النجار، ولم يظهر قاتله، فأمرهم النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم بدفع دينه اليه، فأخذها ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدّاً، أو بأن
 هذا جزاؤه إن جوزي، وخلف الوعيد حسن ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.^(٢)
 أو كنى بالخلود عن طول المكث؛ إذ قام الدليل على انقطاع عذاب عصاة
 المؤمنين ﴿وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ هدد قاتل المؤمن بأبلغ
 تهديد، وتوعد بعقوبات كل واحدة منها كافية في الدلالة على عظم جرمه.

[٩٤] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم للغزو ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَيْتُوْا﴾
 وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «فَبَيْتُوا»^(٣) أي فاطلبوا بيان الأمر أو ثباته، ولا تعجلوا فيه
 ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ حياكم بتحية الإسلام، أو استسلم - كقراءة
 «نافع» و«ابن عامر» و«حمزة» بحذف الالف -^(٤) ﴿لَسْتُ مُؤْمِنًا﴾ وإنما قلت ذلك تقيّة
 فتقتلونه ﴿تَبْتُغُونَ﴾ بذلك ﴿عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ حطامها النافذ وهو ماله ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ

(١) سورة المزمّل: ٧٣/ ٢٠.

(٢) هذه السورة / ٤٨ و ١١٦.

(٣) حجة القراءات: ٢٠٩.

مَقَاتِمٍ كَثِيرَةٍ تَغْنِيكُمْ عَنْ قَتْلِ مِثْلِهِ لِمَا لَهُ ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي أول دخولكم في الإسلام نفوهم بالشهادة فعضمت بها دماءكم وأموالكم ولم تعلم بواطنكم ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بالإستقامة والإشتهار بالإيمان ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ كَرَّرَ تأكيداً، أي لا تبادروا الى قتل من دخل في الإسلام ظناً بأنه دخل فيه تقية، وافعلوا به كما فعل بكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ عالماً فاحتاطوا في القتل.

قيل: غزت سرية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل «فدك» فهربوا، وبقي «مرداس» لإسلامه وانحاز بغنمه الى جبل فتلاحقوا، فنزل وقال: السلام عليكم، لا إله إلا محمد رسول الله، فقتله «أسامة» واستاق غنمه، فنزلت. ^(١)

[٩٥] - ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ عن الجهاد ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حال ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾ من مرض أو عمى أو زمانة ونحوها بالرفع صفة لـ «القاعدون» إذ لم يعينوا، ونصبه «نافع» و«الكساني» على الحال أو الإشتاء. ^(٢)

قيل: نزلت بدون «غير أولي الضرر»، فقال «ابن أم مكتوم» فكيف وأنا اعمى. فغشي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوحي فقال: اكتب «لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر» ^(٣) ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ وفيه ترغيب للقاعد في الجهاد بالإعلام بما بين الفريقين من التفاوت ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ جملة موضحة لما نفي من استواء المجاهدين والقاعدين غير أولي الضرر ﴿دَرَجَةً﴾ نصب بنزع الخافض أي بدرجة، أو على المصدر لوقوعه موقع تفضيله ﴿وَكُلًّا﴾ من المجاهدين والقاعدين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ المثوبة الحسنی وهي الجنة؛ لحسن نيتهم وإن فضل المجاهدون بالعمل

(١) تفسير البضاوي ١٠٩/٢.

(٢) حجة القراءات: ٢١٠.

(٣) قاله زيد بن ثابت - كما في تفسير مجمع البيان ٩٦: ٢ -.

﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ نصب على المصدر لأن «فضل» بمعنى أجر.

[٩٦] - ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ إبدال من «أجرًا» ويجوز نصب «درجات» على المصدر أي فضلهم تفضيلات و«أجرًا» حال عنها، تقدمتها لتكثيرها «ومغفرة ورحمة» على المصدر بتقدير فعلهما. كرر تفضيلهم لزيادة الترغيب في الجهاد. وقيل: «الدرجة» ما خولوا في الدنيا من الغنيمة والثناء، و«الدرجات» مالهم في الآخرة^(١) وقيل: القاعدون الاول: الإضرء، والثاني: المأذون لهم بالعودة إكتفاء بغيرهم.^(٢)

وقيل: المجاهدون الأول: من جاهد الكفار، والآخر: من جاهد نفسه كما سماه صلى الله عليه وآله وسلم: الجهاد الأكبر^(٣) ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لعباده ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

[٩٧] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ﴾ ماض أو مضارع أي قبضت أو قبض أرواحهم ﴿الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في حال ظلمهم بالمقام مع الكفرة وترك الهجزة. وهم ناس من «مكة» اسلموا ولم يهاجروا ﴿قَالُوا﴾ أي الملائكة توبخاً لهم ﴿فِيمَ﴾ في أي شيء ﴿كُنْتُمْ﴾ من أمر دينكم؟ ﴿قَالُوا﴾ اعتذاراً: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ عجزاً عن الهجرة أو إقامة الدين ﴿قَالُوا﴾ أي الملائكة رداً لإعتذارهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ إلى بلد آخر، كمن هاجر إلى المدينة أو الحبشة ﴿فَأُولَئِكَ مَاوَأْتُمْ جَهَنَّمَ﴾ خبر «إن» والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط. و«قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ» حال من «الملائكة» بتقدير «قد» أو الخبر «قالوا» بتقدير عائد أي قالوا لهم ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هي، ودلت على وجوب الهجرة عن بلد لا يتمكن فيه من

(١) قاله أبو علي الجبائي - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٩٧.

(٢) جوامع الجامع ١: ٢٨١ وتفسير الكشاف ١: ٥٥٦.

(٣) تفسير البضاوي ٢: ١١١.

إقامة الدين .

[٩٨] - ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ﴾ منقطع ، إذ لم يدخلوا في «اولئك» ، «وَالْوِلْدَانَ» الضياع . ذكروا مبالغة ، أو الممالك «لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً» صفة «المستضعفين» إذ لم يعينوا ، أو حال عنهم أي لا يجدون أسباب الهجرة لمعجزهم «وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا» لا يعرفون طريقاً الى دار الهجرة .

وعن الباقر عليه السلام : «لا يهتدون حيلة الى الكفر فيكفروا ، ولا سبيلاً الى الإيمان فيؤمنوا» .^(١)

وعنه أيضاً : «لا يستطيعون حيلة الى الإيمان ولا يكفرون» .^(٢)

[٩٩] - ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ﴾ ذكر العفو وكلمة الإطماع إشعاراً بخطر ترك الجهاد ، حتى أن المضطر من حقه ان لا يقطع بالعفو فكيف غيره «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا» .

[١٠٠] - ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَحِذْ فِي الْأَرْضِ مَرَامًا كَثِيرًا﴾ متحولاً من الرغام ، أي ؛ التراب ، أو طريقاً يراغم بسلوكه قومه ، أي يهاجرهم على رغم أنوفهم من الرغام أيضاً «وَسَعَةً» في الرزق «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ» في الطريق كما وقع لـ «جندب بن ضمرة» هاجر الى المدينة محمولاً على سرير ، فأشرف على الموت^(٣) في «التنعيم» فصقّ يمينه على شماله ، وقال : «اللهم هذه لك وهذه لرسولك ، ابايعك على ما بايعك عليه رسولك» فمات «فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ» وجب ثوابه «عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» .

[١٠١] - ﴿وَإِذَا صَرَبْتُمْ﴾ سافرتم «فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ

(١) معاني الاخبار: ٢٠١ الحديث (٤) .

(٢) تفسير البرهان ٤٠٦: ١ الحديث (٥) .

(٣) في «ط» فادركه الموت .

الصَّلَاةُ ﴿الرابعة ركعتين، وهو صفة محذوف أي شيئاً من الصلاة، أو مفعول تنقصوا﴾ بزيادة «من» فالسفر شرط للقصر. وظاهر نفي الجناح أنه رخصة، وعليه الشافعي، وعند أبي حنيفة أنه عزيمة، وعليه أصحابنا لإجماعهم ونصوص اثنتهم عليهم السلام وأخبار عامة، ولا ينافيه نفي الجناح كما في ﴿فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾^(١).

وأقل سفر يقصر فيه عند أبي حنيفة ستة برد^(٢) وعند الشافعي أربع. وعندنا برديدان. وفي بعض أخبارنا يريد ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يتعرضوا لكم بمكره. شرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت، فلا مفهوم له، ولشبهت القصر في الأمن بالاجماع والأخبار. نعم الخوف موجب له أيضاً فالشرط أحد الأمرين ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ بين العداوة.

[١٠٢] - ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ في الخائفين. وتثبت بمفهومه من خص ذلك بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وردّ بثبوت العموم بإجماعنا ودليل التأسي، وإن حكم الأئمة حكمه ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ بأن تأمهم ﴿فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ يصلّون وتكون طائفة تجاه العدو ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ أي المصلّون ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ مما لا يشغل عن الصلاة كالسيف ونحوه ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ صلّوا ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ أي غير المصلّين ﴿مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ يحرسونكم حتى تؤدّوا الصلاة كلّها جماعة - كصلاة «بطن النخل»^(٣). أو تجمعوا في ركعة وينفردوا ويتمّوا الركعة الأخرى، - وأنت قائم منتظر - كصلاة ذات الرقاع^(٤).

(١) سورة البقرة: ٢/١٥٨.

(٢) البرد: جمع برید، وهو أربعة فراسخ أو اثنا عشر ميلاً أو مابين المنزلين.

(٣) اي: صلاة النبي في محل اسمه بطن النخل - انظر تفسير البضاوي ٢: ١١٤.

(٤) اي: صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حرب ذات الرقاع.

والضمير في «فليكونوا» لمصلين، أي: فليصبروا بعد فراغهم من الصلاة من ورائكم مكان غير المصلين ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾ لاستغالهم بحراسة المصلين ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ بصلاة مستأنفة، هي لك نافلة ولهم فريضة، أو بتممة صلاتك بالأولى على ما مر من الإحتمالين ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ جعل الحذر وهو التحرز آلة يعتصم بها الغازي فجمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغَفَّلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْنَتِكُمْ﴾ أي تمنوا أن يجدوا منكم غرة في الصلاة ﴿فَيَمِيلُونَ﴾ يحملون ﴿عَلَيْكُمْ مِثْلَهُ﴾ حملة ﴿وَاحِدَةً﴾ وهو علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ ولا حرج ﴿عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تأخذوها. وهذا يفيد أن الأمر بأخذها للوجوب لا للندب ﴿وَأَخْذُوا حِذْرَكُمْ﴾ واحترزوا إذ ذاك من عدوكم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ أمرهم بالحزم قد يوهمهم أنه لضعفهم وغلبة الكفار، فأزيل الوهم بوعدهم أن الله تعالى يهين عدوهم وينصرهم عليه ليقوي قلوبهم.

[١٠٣] - ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ فرغتم منها ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتسبيح ونحوه ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين أي في كل حال، أو إذا أردتم فعل الصلاة حال الخوف فصلوا كيفما أمكن قياماً مقارعين، وقعوداً مرامين، وعلى جنوبكم متخنين^(١) ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾ بالأمن ﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ﴾ فادّوها بحدودها وشرائطها، أو اتّموها ولا تقصروها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا﴾ فرضاً ﴿مَوْقُوتًا﴾ مدوداً بأوقات لا يجوز إخراجها عنها، وهذا يؤذن بأنه أريد بالذكر الصلاة.

[١٠٤] - ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ ولا تضعفوا ﴿فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ في طلب الكفار بالقتال ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَلِإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ﴾ أي ليس ما تجدون من ألم القتال مختصاً بكم، إنما هو مشترك بينكم وبينهم وهم يصبرون عليه ﴿وَتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنْ

(١) النحن: انقل بالجراح.

الله ﴿من النصر والشواب عليه﴾ ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم، فأنتم أولى بالصبر عليه والرغبة فيه. نزلت في بدر الصغرى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره.

[١٠٥] - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾.

سرق «أبو طعمة بن ابرق» درعاً وخبأها عند يهودي، فوجدت عند، فقال دفعها إليّ «أبو طعمة» فانطلق قومه «بنو ظفر» الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه أن يجادل عنه ويبريه، فهم أن يفعل فنزلت. ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ﴾ لأجلهم ﴿خَصِيمًا﴾ للبراء.

[١٠٦] - ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ مما هممت به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ للمستغفرين

﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

[١٠٧] - ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعصية، إذ

وبال خيانتهم عليها. والضمير لـ «أبي طعمة» وأمثاله، أو: له ولقومه إذ نصره وبراءه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ كثير الخيانة والإثم مصراً عليهما.

[١٠٨] - ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ يستترون ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ حياءً وخوفاً ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ﴾

ولا يستحيون ﴿مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ عالم بهم ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ﴾ يدبرون ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ من الحلف الكاذب وشهادة الزور ورمي البريء ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ عليماً.

[١٠٩] - ﴿هَا أَنْتُمْ﴾ مبتدأ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ خبره ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

جملة تبين كون «أولاء» خبراً، أو صلة إن جعل موصولاً ﴿فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ حافظاً من عذاب الله.

[١١٠] - ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ سُوءًا﴾ ذنباً يسوء به غيره، أو صغيرة، أو ما دون الشرك

﴿أَوْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ﴾ بذنب لا يتعداه الى غيره، أو كبيرة، أو الشرك ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾

يتب ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا﴾ لذنوبه ﴿رَحِيمًا﴾ به.

[١١١] - ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ ذنباً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لا يتعدى ضرره

الى غيره ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكسبه ﴿حَكِيمًا﴾ في عقابه .

[١١٢] - ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ صغيرة، أو ما لا يتعمده ﴿أَوْ إِنَّمَا﴾ كبيرة^(١)

أو ما تعمله ﴿ثُمَّ يَرَمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ كرمى أبي طعمة اليهودي ﴿فَقَدْ اخْتَمَلَ بُهْتَانًا﴾ برميه البريء ﴿وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ بيناً بكسبه .

[١١٣] - ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة أو الطافه ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بالعصمة، أو

إعلامك سرهم بالوحي ﴿لَهَمَّتْ﴾ اضمرت ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ من بني ظفر ﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ عن الحكم بالحق . ولم يُرد نفسي متهم بل نفى تأثيره فيه ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لعود وبالهم عليهم ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ﴾ لأن الله عاصمك ومسددك ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ في محل المصدر أي شيئاً من الضرر ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والأحكام ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ من الشرائع وخفيات الأمور ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ إذ ختم بك النبوة .

[١١٤] - ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ من تناجيهم ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ إلا

نجوى من أمر . أو منقطع، أي : ولكن من أمر؛ ففي نجواه الخير ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ عمل برّ أو قرض، أو إغاثة ملهوف، أو صدقة تطوع ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ تأليف بينهم بالمودة ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿إِنْتِفَاءً﴾ طلب ﴿مَرْضَاتٍ اللَّهِ﴾ لا لغرض دينوي ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ قرأ حمزة و«أبو عمرو» بالياء^(٢) ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يحتقر في جنبه ما فات من أعراض الدنيا .

[١١٥] - ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ يخالفه من الشق، إذ مخالفه في شق غير شقه

﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى﴾ ظهر له الحق بالدلائل ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذي هم عليه من الدين ﴿نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ نجعله والياً لما تولى من الضلال، ونخلي

(١) هكذا وردت الصفة «كبيرة» مؤنثة في تفسير البيضاوي ١١٥:٢ .

(٢) حجة القراءات : ٢١١ .

بينه وبينه ﴿وَتُضْلِلُهُ جَهَنَّمُ﴾ وندخله فيها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هي . واحتج به على حجة الإجماع ، وفيه بحث .

[١١٦] - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ كثر تأكيداً ، أو لقصة «ابي طعمة» ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق إذ الشرك أبعد أنواع الضلال عنه .

[١١٧] - ﴿إِنْ يَدْعُونَ﴾ ما يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ دون الله ﴿إِلَّا إِنَانَا﴾ اصناماً مؤنثة كاللات والعزى و«مناة» . كان لكل حي صنم يعبدونه ، ويسمونه انثى بني فلان ، أو : إلآ جمادات لأن الجمادات تؤنث .

أو : إلآ ملائكة ؛ لقولهم : «الملائكة بنات الله» ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ﴾ وما يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا شَيْطَانًا﴾ لطاعتهم له فيها ﴿مَرِيدًا﴾ عاتياً خارجاً عن الطاعة .

[١١٨] - ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ طرده عن رحمته ، صفة ثانية ﴿وَقَالَ﴾ عطف عليه ، أي : شيطاناً مريداً جامعاً بين لعنه وقوله ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ مقطوعاً فرضته لنفسه من قولهم : «فرض له في العطاء» فكل من أطاعه فهو من نصيبه .

[١١٩] - ﴿وَلَا ضَلَّتْهُمْ﴾ عن الحق بالوسوسة ﴿وَلَا مُنِيبُهُمْ﴾ الأمانى الكاذبة كطول العمر ، وأن لا بعث ولا حساب ﴿وَلَا مَرْنُهُمْ فَلْيَسْكُنْ﴾ فليقطعن أو يشققن ﴿ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ لتحريم ما أحل الله وقد فعلوه بالبحائر والسواحب ﴿وَلَا مَرْنُهُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ دينه ، بتحريم ما أحل وتحليل ما حرم أوفى عين الحامي وإخصاء العبيد أو الوشم . ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بإيثار طاعته على طاعة الله ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ إذ استبدل الجنة بالنار .

[١٢٠] - ﴿يَعْدُهُمُ﴾ الشيطان الأكاذيب ﴿وَيُضِلُّهُمْ﴾ الأباطيل ﴿وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ هو إيهام النفع فيما فيه ضرر .

[١٢١] - ﴿أُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ معدلاً من «حاص»

أي عدل و«عنها» حال عنه ، لا صلة له .

[١٢٢] - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الأنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لنفسه لأن مضمون الجملة قبله وعد ﴿حَقًّا﴾ أي حق ذلك حقاً ، مصدر مؤكد لغيره ﴿وَمَنْ﴾ أي : لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ قولاً تمييزاً ، والجملة مؤكدة ، والآية تضمنت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرناءه بوعد الله الصادق لأوليائه ، وبولغ في توكيده ترغيباً في نيله .

[١٢٣] - ﴿لَيْسَ﴾ ما وعد الله من الثواب ينال ﴿بِأَمَانِيكُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿وَلَا

أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ بل بالعمل الصالح ، أو : ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل .

قيل : تفاخر المسلمون وأهل الكتاب ، فقال أهل الكتاب : نبينا وكتابنا قبل نبيكم وكتابكم ، ونحن أولى بالله منكم .

وقال المسلمون : نحن أولى منكم ، نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت .^(١)

وقيل : الخطاب للمشركين أي ليس الأمر بامانيكم أن لا جنة ولا نار ، ولا أمني أهل الكتاب أنه ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾^(٢) ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ آجلاً أو عاجلاً بالآلام والمصائب ما لم يتب أو يعفو الله عنه بفضلته ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إذا جاوز موالاته ونصرته ﴿وَلِيًّا﴾ يحميه ﴿وَلَا تَفْصِيْرًا﴾ ينجيه من العذاب .

[١٢٤] - ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ﴾ شيئاً ﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ أو بعضها ، وهو ما في وسعه

وكلف به ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى﴾ حال من المستكن في «يَعْمَلْ» و«مِنْ» بيانية ، أو من «الصلاحات» ، و«مِنْ» ابتدائية ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال ، لبيان أن الطاعة لا تنفع بدونه

(١) قاله قتادة والضحاك - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١١٤.

(٢) قاله مجاهد وابن زيد - كما في تفسير البيان ٣: ٣٣٧ ، والآية من سورة البقرة: ١١١.

﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ وبناء «ابن كثير» و«أبوز عمرو» للمفعول^(١) ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَفِيرًا﴾ بنقص شيء من أجرهم ويعلم منه أنه لا يزداد في عقاب المجرم، ولذلك اكتفى بذكره عقب الثواب.

[١٢٥] - ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَخْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ اسلم نفسه أو أخلص قلبه ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ قولاً وعملاً، أو موحداً ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان. حال من المتبع، أو الملة، أو إبراهيم ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ مجاز عن اصطفاؤه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله.

والخلة من الخلال؛ وهو: الود أو من الخلل إذ كل من الخليلين يسد خلل الآخر، أو: من الخلة بمعنى الخصلة لتوافقهما في الخلال. والجملة اعتراضية تفيد الترغيب في اتباع ملته.

[١٢٦] - ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ علماً وقدرة.

[١٢٧] - ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿فِي النِّسَاءِ﴾ في ميراثهن ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ يبين لكم حكمه ﴿فِيهِنَّ وَمَا يُنَالِي عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ عطف على اسم الله، أي: الله يفتيكم وما في القرآن من آية الموارث يفتيكم كقولك: نفني زيد وعلمه، أو «ما يتلى عليكم» مبتدأ، خبره «في الكتاب» ويراد به اللوح المحفوظ.

والجملة معترضة لتعظيم المتلو عليهم ﴿فِي يَمَامَى النِّسَاءِ﴾ صلة «يتلى» ان عطف «ما يتلى» على ما قبله، وإلا فبدل من «فيهن» والإضافة بمعنى «من» ﴿الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ﴾ فرض ﴿لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ﴾ في أن، أو: عن أن ﴿تَنْكِحُوهُنَّ﴾ كان الرجل منهم يضمّ اليتيمة، فإن كانت جميلة تزوجها وأكل مالها،

وإلا عضلها ليرثها. والواو للعطف أو الحال ﴿وَالْمَسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ الصبيان عطف على «يتامى النساء» وكانوا لا يورثونهم كالنساء ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْبَيْتِ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل في حقوقهم، عطف عليه أيضاً، أو: منصوب بتقدير فعل، أي: ويأمركم أن تقوموا ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ في أمر هؤلاء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ فلا يضيق به.

[١٢٨] - ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ﴾ فاعل فعل يفسره ﴿خَافَتْ﴾ علمت أو توقعت ﴿وَمِنْ بَعْلِهَا﴾ لأمارات ظهرت لها ﴿تُشْوَرُ﴾ ترفعاً عنها بمنع حقوقها كراهة لها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ بتقليل محادثتها وموانستها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا﴾ يتصالحا ﴿بَيْنَهُمَا صَلَاحًا﴾ بأن تهب له بعض القسم، أو المهر، أو غيره فتستعطفه به، هكذا فسر. وفيه لزوم إباحة الأخذ بفعل الواجب وترك الحرام. ويمكن حمله على ترك بعض الأمور المتعارفة بين الزوجين من التلطف والمودة زيادة على الوجوب.

وقرأ الكوفيون: «أن يصلحا» من أصلح بين الخصمين، وحيث جاز كون «صلحا» مفعولاً به «بينهما» ظرف أو حال منه، وكونه مصدراً كالقراءة الأولى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقه أو من النشوز^(١) والإعراض، أو: من الخصومة، أو: خير من الخيور، كما أن الخصومة شر من الشرور؛ فلا يراد التفضيل، وهو اعتراض، وكذا ﴿وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ جبلت عليه وجعل حاضراً لها لا ينفك عنها فلا تكاد المرأة تسمح بنصيبها من زوجها ولا الرجل يسمح بإمساكها على ما ينبغي إذا كرهها ﴿وَإِنْ تُخْسِنُوا﴾ العشرة ﴿وَتَقْتُلُوا﴾ النشوز والإعراض ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيحيكم عليه.

[١٢٩] - ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ بحيث لا يقع ميل قلبي أصلاً، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقسم بين نساءه فيعدل ويقول: «هذا قسمي»^(٢)

(١) في «ط»: من الفرقه ومن النشوز.

(٢) في «ب» و«ج»: هذه قسمتي.

فيما أملك فلا تأخذني فيما تملك ولا أملك»^(١) ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك فلا تكلفون منه إلا ما تستطيعون ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ فلا تجوروا على المرغوب عنها - كل الجور بترك المستطاع ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي ليست بأيام ولا ذات بعل ﴿وَإِنْ تُضِلُّوهُمْ﴾ بترك الميل ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله فيه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فيغفر لكم ما سلف من ميلكم.

[١٣٠] - ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ أي الزوجان بالطلاق ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا﴾ منهما عن الآخر بيدل أو غيره ﴿مِنْ سَعَتِهِ﴾ غناه واقتداره ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ غنياً مقتدرًا ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره.

[١٣١] - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تقرير لكمال^(٢) سعته وقدرته ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ جنسه من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ متعلق بـ «وَصَّيْنَا» أو بـ «أُوتُوا» ﴿وَلِيَاكُمْ﴾ ووصيناكم ﴿أَنْ﴾ بأن، أو: أي ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أطيعوه ولا تعصوه ﴿وَإِنْ﴾ أي: وقفنا لهم ولكم إن ﴿تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً؛ فلا يضره كفركم كما لا تنفعه تقواكم، وإنما وصاكم رحمة بكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وطاعتهم ﴿حَمِيدًا﴾ مستحقاً للحمد.

[١٣٢] - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ذكر ثالثاً؛ تقريراً لغناه واستحقاقه الحمد لحاجة الخلق إليه وانعامه عليهم بإصناف النعم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظاً ومدبراً لخلقهم.

[١٣٣] - ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يعدمكم ﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ ويوجد قوماً آخرين بدلکم، أو خلقاً آخرين بدل الإنس ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ﴾ على الإعدام والإيجاد ﴿قَدِيرًا﴾ بليغ القدرة وهو تقرير لقدرته، وتخويف لمن خالف أمره.

(١) رواه البيضاوي ذيل تفسيره للآية.

(٢) في «ب»: تقدير لكمال.

وقيل: الخطاب لمن عادى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أي: إن يشأ يمتكم ويأت بناس آخرين يوالونه^(١) قيل: لما نزلت، ضرب [الرسول]^(٢) صلى الله عليه وآله وسلم يده على ظهر سلمان قال: «هم قوم هذا».^(٣)

[١٣٤] - «مَنْ كَانَ يُرِيدُ» بجهاده «ثَوَابَ الدُّنْيَا» الغنيمة «فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» لمن أراداه فلم يطلب أحدهما، وهلا طلبهما أو طلب الأشرف بإخلاصه له فينالهما معاً «وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» عالماً بما يقصد بالأقوال والأعمال، فيجازي به.

[١٣٥] - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ» مجتهدين في إقامة العدل، «شُهَدَاءَ لِلَّهِ» بالحق. خبر ثان، أو حال «وَلَوْ» كانت الشهادة «عَلَى أَنْفُسِكُمْ» بأن تقرؤا عليها «أَوْ أَلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ» ولو على والديكم وأقاربكم «إِنْ يَكُنْ» المشهود عليه أو كل منه ومن المشهود له «غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا» فلا تمتنعوا من الشهادة عليهما أولهما محابة أو ترحمًا «فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا» وانظر لهما؛ فلو لا أن الشهادة عليهما أو لهما مصلحة لما شرعها. والضمير لجنسي الفقير والغني المدلول عليهما بالمذكور، لا له؛ إلا لأفرد. «فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا» ارادة العدول عن الحق أو كراهة العدل بين الناس «وَأِنْ تَلَوْا» تحرفوا الشهادة وقرأ «ابن عامر» و«حمزة»: «وَأَنْ تَلَوْا»^(٤) أي: وإن وليتم إقامة الشهادة «أَوْ تُعْرِضُوا» عن اقامتها «فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» فيجازيكم به.

[١٣٦] - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا» على الحقيقة أو نفاقاً أو الخطاب لمؤمني أهل

(١) نقله جوامع الجامع ١: ٢٩٢. ولم ينسبه.

(٢) ما بين المعقوفين من «ب».

(٣) رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - كما في تفسير الثبيان - ٣: ٥٥٢.

(٤) حجة القراءات: ٢١٥.

الكتاب كـ «ابن سلام» وأصحابه ، إذ قالوا يا رسول الله نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه ، فنزلت ﴿ءَامِنُوا﴾ اثبتوا على الإيمان أو اخلصوا فيه ، أو آمنوا إيماناً عاماً ﴿بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الَّذِي نَزَّلَ﴾ منجماً ، وبناءه «الكوفيون» و«نافع» للفاعل^(١) ﴿عَلَى رُسُولِهِ وَالْكِتَابِ﴾ أي جنسه ﴿الَّذِي أَنْزَلَ﴾ جملة . وفيه القراءتان ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي ومن يكفر بشيء من ذلك ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق .

[١٣٧] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هم اليهود ، آمنوا بموسى ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبادة العجل ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا﴾ بعد ذلك ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بـ «عيسى» ﴿ثُمَّ ارْزَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أو المنافقون تكرر منهم الإرتداد سراً بعد إظهار الإيمان ، ثم اصرّوا على الكفر ﴿لَمْ يَكُنِ اللهُ يَغْفِرْ لَهُمْ﴾ إذ يستبعد منهم التوبة والثبات عليها لتمرّتهم على الزدة ، لا أنهم لو آمنوا بإخلاص لم يغفر لهم ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ إلى الجنة أو لا يلفظ بهم .

[١٣٨] - ﴿يَشِرُّ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يفيد أن الآية في المنافقين ووضع «بشر» موضع «خبر» نهكم بهم .

[١٣٩] - ﴿الَّذِينَ﴾ نصب أو رفع على الذم ﴿يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَنُّونَ﴾ يطلبون ﴿عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ﴾ القوة والمنعة بموالاتهم ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ لا يعز إلا أولياءه .

[١٤٠] - ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن ، وبناء «عاصم» للفاعل^(٢) ﴿أَنْ﴾ مخففة ، أي : إنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللهِ﴾ القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ حالان من «الآيات» ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ مع الكفار والمستهزئين ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ

غَيْرِهِ ﴿وَالْمَنْزِلَ عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ فِي الْأَنْعَامِ﴾: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا . . .﴾ الآية^(١) ﴿إِنْكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ في الإثم لقد تركتم على الإنكار عليهم، أو في الكفر لرضاكم بذلك، وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأخبار هم المنافقون ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ يعني القاعدين والمقعود معهم.

[١٤١] - ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من «الذين يتخذون»، أو صفة للمنافقين والكافرين، أو ذم منصوب أو مرفوع ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾ وقوع أمر ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ مجاهدين، فاعطونا من الغنيمة ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ﴾ نستول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على قتلهم فأبقينا عليكم ﴿وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بتخذيلهم عنكم وإفشاء أسرارهم اليكم فاعطونا مما أصبتم ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ بالحجة أو يوم القيامة.

[١٤٢] - ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ فسر في البقرة^(٢) ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ متشاكلين ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ في صلاتهم ليحسبوهم مؤمنين.

و«المراءات» مفاعلة من الرؤية إذ المرآتي يري غيره عمله وهو يريه استحسانه، أو بمعنى التعميل كنعم وناعم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ بالتسبيح ونحوه، أو لا يصلون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إذ لا يفعلونه إلا بحضرة من يراؤونه وهو قليل، أو اريد الذكر في الصلاة إذ لا يذكرون فيها غير التكبير وما يجهر به.

[١٤٣] - ﴿مُذَبِّذِينَ﴾ حال من واو «يراءون» مثل «ولا يذكرون» أي يراءونهم غير

(١) سورة الانعام: ٦٨/٦.

(٢) في تفسير الآية (٩) من سورة البقرة.

ذاكرين، مذبذبين، أو ذم منصوب من الذبذبة وهي جعل الشيء مضطرباً، وأصله الذب بمعنى الطرد أي ذبذبهم الشيطان ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي الإيمان والكفر، فهم مترددون بينهما ﴿لَا إِلَى هَوَاءٍ وَلَا إِلَى هَوَاءٍ﴾ لا منسويين إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين ﴿وَمَنْ يَضِلِ اللَّهُ﴾ يمنعه اللطف بسوء اختياره ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ إلى الحق.

[١٤٤] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كصنع المنافقين فتكونوا مثلهم ﴿أَتَرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ حجة بينة، إذ موالاتهم دليل التفاق، أو سبيلاً إلى عذابكم.

[١٤٥] - ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ﴾ الطبقي. وسكن «الكوفيون» الراء^(١) ﴿الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وهو قعرها، وسميت طبقاتها السبع دركات لأنها متدارك متتابعة، بعضها فوق بعض. وإنما استحقوا ذلك لضمهم إلى الكفر تمويهاً واستهزاء ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ينقذهم منه.

[١٤٦] - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من نفاقهم ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ نيتهم ﴿وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ وثقوا به ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ رفقوا بهم في الدارين ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيشاركونهم فيه.

[١٤٧] - ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ أيستجلب به نفعاً، أو يدفع به ضرراً؟! وهما مستحيلان عليه، وإنما يعاقب المسيء، لأن إساءته كالسبب للمرض له،^(٢) فإذا زال بالإيمان والشكر تخلص من العذاب ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ مثيباً يعطي الجزيل على القليل ﴿عَلِيمًا﴾ بما يستحقونه من الجزاء.

[١٤٨] - ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ إلا جهر من ظلم

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ١٢٩.

(٢) في «ط»: لأن إساءته كالمرض له.

بأن يشكو ظالمه ويدعو عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ للأقوال ﴿عَلِيمًا﴾ بالأعمال .

[١٤٩] - ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾ تظهروا برًا ﴿أَوْ تُخْفَوْهُ﴾ تعملوه سرًّا ﴿أَوْ تَغْفُوا عَنْ

شُوءٍ﴾ ظلم وهو المقصود . وذكر إبداء الخير وإخفاءه نسب له بدليل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا﴾ يكثر العفو عن الجناة مع قدرته على الانتقام فاقتدوا بسته .

[١٥٠] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾

بالإيمان به دونهم ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمنُ بِبَعْضٍ﴾ من الرسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ منهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي الإيمان والكفر ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً وسطاً .

ولا واسطة بينهما إذ الكفر ببعض الرسل كفر بالله وبجميع الرسل ؛ ولذلك قال :

[١٥١] - ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ الكاملون في الكفر ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكّد

لغيره . أي حقّ ذلك حقّاً ، أو صفة مصدر الكافرين ، أي هم الذين كفروا كفراً حقّاً ثابتاً ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ لهم .

[١٥٢] - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ وعموم «أحد» في

سياق النفي سوّج دخول «بين» المقتضي للمتعدّد عليه ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ﴾^(١) وقرأ «حفص» بالياء^(٢) ﴿أَجُوزُهُمْ﴾ المستحقة بإيمانهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لزلّاتهم ﴿رَجِيمًا﴾ بهم بتفضله^(٣) عليهم .

[١٥٣] - ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ اليهود ﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾

قالوا : ان كنت صادقاً فأنتا بكتاب من السماء جملة ، كما أتى به موسى .

أو كتاباً مكتوباً من السماء كما كانت التوراة على الألواح ، أو كتاباً إلينا بأعياننا

بأنك رسول الله ﴿فَقَدْ﴾ جواب شرط مقدر ، أي : فإن استكبرت ذلك ﴿سَأَلُوا مُوسَى

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «يؤتيهم» - كما يشير إليه المؤلف - .

(٢) حجة القراءات : ٢١٨ .

(٣) في «ج» و«ط» : يتفضّل .

أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ ﴿ أَسَدَ هَذَا السَّوَالِ لَهُمْ - وَهُوَ مِنْ آبَائِهِمْ - لِرِضَاهُمْ بِهِ وَمُضَاهَاتِهِمْ لَهُمْ فِي التَّعَنُّتِ ﴾ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴿ عَيْنَانَا ﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ﴿ نَارُ نَزَلَتْ فَأَهْلَكَتْهُمْ بِظُلْمِهِمْ ﴾ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ، وَهُوَ سَوَالُهُمُ الْمُسْتَحِيلَ ﴿ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ﴿ إِلَهًا ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ﴿ الْمَعْجَزَاتِ عَلَى أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ فَقَعَقُوا عَنْ ذَلِكَ ﴿ بَتَرَكَ اسْتِصْصَالَهُمْ ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ تَسْلُطًا ظَاهِرًا عَلَيْهِمْ، إِذْ أَمَرَهُمْ بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ تَوْبَةً فَأَطَاعُوهُ.

[١٥٤] - ﴿ وَرَكْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ ﴾ الْجَبَلَ ﴿ بِمِثْقَالِهِمْ ﴾ بِسَبَبِ مِثْقَالِهِمْ لِيَخَافُوا فَلَا يَنْقُضُوهُ ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ ﴾ وَهُوَ مَطْلٌ عَلَيْهِمْ: ﴿ اذْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ مُنَحْنِينَ ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ﴾ بِأَخْذِ الْحِيتَانِ. وَفَتَحَ «وَرَش» «الْعَيْن» وَشَدَّدَ «الدَّال» عَلَى أَنَّهُ «تَعْتَدُوا» فَادْغَمْتَ التَّاءَ فِي الدَّالِ ^(١) ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ وَثِيقًا عَلَى ذَلِكَ فَتَقْضُوهُ.

[١٥٥] - ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ ﴾ «مَا» زَائِدَةٌ، وَالْبَاءُ لِلْسَّبَبِيَّةِ، تَعَلَّقَتْ بِمَحْذُوفٍ، أَيْ فَعَلْنَا بِهِمْ مَا فَعَلْنَا بِنَقْضِهِمْ ﴿ بِمِثْقَالِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ دَلَالَةٌ عَلَى صَدَقَ رِسَالُهُ ﴿ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ فِي أَكْبَرَةٍ لَا تَعْنِي قَوْلُكَ ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا ﴾ خَذَلَهَا وَمَنْعَهَا الْطَافَةَ ﴿ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ مِنْهُمْ كَمَا «ابْنُ سَلَامٍ» وَأَصْحَابُهُ، أَوْ إِلَّا إِيْمَانًا قَلِيلًا نَاقِصًا.

[١٥٦] - ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ ﴾ بَعِيسَى، عَطَفَ عَلَى «فَبِمَا نَقْضِهِمْ» أَوْ عَلَى «بِكُفْرِهِمْ» ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ وَهُوَ رَمِيهَا بِالزَّنَا.

[١٥٧] - ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ بِزَعْمِهِمْ، أَوْ قَالُوهُ اسْتِهْزَاءً، أَوْ هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ اللَّهِ لِمَدْحِهِ ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ قِيلَ: لَمَّا مَسَخَ اللَّهُ الَّذِينَ سَبَّوْا «عِيسَى» وَأُمَّهُ بِدَعَائِهِ، اتَّفَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى قَتْلِهِ، فَأَخْبِرَهُ

الله بأنه يرفعه الى السماء، فقال لأصحابه: «أيكم يرضى أن يلقي عليه شبيهي فيقتل، ويصلب، وله الجنة؟» فقام أحدهم فألقى الله عليه شبيهه، فقتل، وصلب.^(١)

وقيل: دلّ عليه رجل كان ينافقه فألقى الله عليه شبيهه، فأخذ وصلب،^(٢) «وشبه» مسند الى «لهم» أو الى ضمير المقتول الذال عليه «إِنَّا قَتَلْنَا» «وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ» في «عيسى» فقال بعضهم: رفع الى السماء، وقال بعضهم: قتلناه، وقال بعضهم: صُلبَ النَّاسُوتِ وصعد اللاهوت وتردد آخرون فقال بعضهم: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا، وقال بعضهم: ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وان كان صاحبنا وأين عيسى؟ «لَقَدْ شَكَّ مِنْهُ» أريد بالشك ما يقابل العلم، ترجح أحد طرفيه أم لا «مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْتَاعُ الظَّنِّ» استثناء منقطع ولكنهم يتبعون الظن «وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا» قتلاً يقيناً كما زعموا، أو متيقنين، أو هو تأكيد للنفي.

[١٥٨] - «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا» لا يقهر «حَكِيمًا» فيما يدبر.

[١٥٩] - «وَأَنَّ» وما «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» أحد «إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ» بعيسى أنه عبد الله ورسوله «قَبْلَ مَوْتِهِ» أي الكتابي حين يعاين ولا ينفعه ايمانه. ويعضده أن قرىء: «إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ» - بضم النون - لأن أحداً بمعنى الجمع.

وهذا بعث لهم على معاجلة الإيمان به أو أن الانتفاع، أو قبل موت عيسى إذا نزل من السماء، فإنه ينزل في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به، ويصلي خلف المهدي من آل محمد عليه السلام، وتكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام، وتقع الأمانة حتى ترتع السباع مع الأنعام، ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه «وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» بكفر

(١) قاله قتادة، والسدي، ومجاهد، وابن اسحاق، وابن جريج - كما في تفسير التبيان ٢: ٢٨٢

وتفسير مجمع البيان ٢: ٢٢٦.

(٢) قاله بعض النصارى - كما في تفسير التبيان ٢: ٢٨٢.

اليهود به وغلوا النصرارى فيه .

[١٦٠] - ﴿فَظَلَمُوا﴾ فبسبب ظلم عظيم ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ هي ما في قوله : ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا . . .﴾ الآية^(١) ﴿وَبَصَدَّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أناساً ، أو صدأً ﴿كَثِيرًا﴾ .

[١٦١] - ﴿وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّوَا وَقَدْ نَهَوَا عَنْهُ﴾ في التوراة . ويفيد ان النهي للتحريم ﴿وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ بالرشا ونحوها ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .

[١٦٢] - ﴿لَكِنَّ الرَّاٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ﴾ الثابتون في علم التوراة ﴿مِنْهُمْ﴾ كـ«ابن سلام» وأصحابه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ من المهاجرين والأنصار . وخبر المبتدأ ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ نصب على المدح ، أو عطف على «ما انزل اليك» ويراد بهم الأنبياء أو الأئمة المعصومون ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ عطف على «الراسخون» أو مبتدأ ، والخبر : «اولئك» . ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الذين حازوا الإيمان بطرفيه ﴿أُولَٰئِكَ سَنُوْنِيهِمْ﴾ قرأ «حمزة» بالياء^(٢) ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ على إيمانهم وعملهم .

[١٦٣] - ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ احتجاج على المقترحين أن ينزل عليهم كتاباً ، بأن شأنه في الوحي كسائر الأنبياء ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَعِيسَىٰ وَيُحْيَىٰ وَيُوسَىٰ وَيُحْيَىٰ﴾ وسليمان ﴿خَصَّوْنَا بِالذِّكْرِ مَعَ دُخُولِهِمْ فِي النَّبِيِّينَ تَعْظِيمًا لَهُمْ﴾ و«أتينا داود زبوراً» مصدر ، أو بمعنى مزبور وضمة «حمزة»^(٣) .

[١٦٤] - ﴿وَرُسُلًا﴾ نصب بمضمر في معنى «أوحينا» كأرسلنا ، أو بما فسرهُ ﴿قَدْ

(١) سورة الأنعام : ١٤٦/١ .

(٢) حجة القراءة : ٢١٩ .

قَصَصْنَا لَهُمْ عَلَيَّكَ مِنْ قَبْلُ ﴿١٦٥﴾ قُلْ الْيَوْمَ ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ بلا واسطة .

[١٦٥] - ﴿رُسُلًا﴾ نصب على المدح ، أو بإضمار «أرسلنا» ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بالثواب للمطيع ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ بالعقاب للعاصي ﴿لَسَلَا يَكُونَنَّ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فيقولوا : «لولا أرسلت إلينا رسولاً فلتتبع آياتك ونكون من المؤمنين»^(١) و«اللام» متعلقة بـ«أرسلنا» مضمراً ، واسم كان «حجة» ، وخبرها «للناس» ، و«على الله» حال ، أو بالعكس ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ لا يقهر ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يدبر .

[١٦٦] - ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ لما اقترحوا عليه إنزال كتاب واحتج عليهم به «إنا أوحينا» فكانه قيل : انهم لا يشهدون ، ولكن الله يشهد ، أو أنهم قالوا : لا نشهد برسالتك فنزل لكن الله يشهد ، يشتها ﴿يَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن الدال باعجازه على صدقك ﴿أُنْزَلَهُ﴾ متلبساً ﴿بِعِلْمِهِ﴾ بأنه معجز ، أو بأنك أهل لإنزاله إليك . والجملة كالبيان لما قبلها ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ أيضاً برسالتك ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ بها بما نصبه من الدلائل عليها وإن لم يشهد غيره .

[١٦٧] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ بعيداً عن طريق الحق لضمهم الى الضلال والإضلال .

[١٦٨] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بتكذيبه ، أو أعم من ذلك ، أي الذين جمعوا بين الكفر والظلم ، فالكفار مخاطبون بالفروع ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَتَغَيَّرْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيَهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿طَرِيقًا﴾ .

[١٦٩] - ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ الموصل اليها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ حال مقدرة ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هيناً .

[١٧٠] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾

أَيِ وَاتُّوا أَمْراً خيراً لَكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً؛ فلا يضره كفركم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ بخلقهم ﴿حَكِيماً﴾ في تدبيره لهم .

[١٧١] - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ خطاب للفرقيين . غلت اليهود

في حطّ «عيسى» حتى قالوا: «وَلَدَ لَغَيْرِ رَشْدَةٍ» ^(١) والنصارى في رفعه حتى عبده، أو للنصارى خاصة بدليل ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا﴾ أوصلها «إِلَى مَرْيَمَ» وسمي كلمته لأنه وجد بكلمته ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ ذو روح اخترع من قدرته لا بتوسط ما هو كالمادة ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا﴾ الآلهة «ثَلَاثَةٌ» الله، وعيسى، وأمه . ويعضده: ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ^(٢) .

أو الله ثلاثة أقانيم : الأب والابن وروح القدس - ان صح عنهم ذلك - ﴿إِنْتَهُوا﴾ عمن التثليث واتُّوا «خَيْراً لَكُمْ» منه وهو التوحيد ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ بالذات، لا شريك له، ولا ولد ولا صاحبة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ اسبحه تسيحاً من ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وذلك ينافي بنوة ﴿وَكُفَى يَاللَّهُ وَكِيلاً﴾ قيماً ومديراً وحافظاً لخلقه؛ فهو الغني عن أن يكون له ولد ليخلقه .

[١٧٢] - ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾ لن يأنف، من نكفت الدمع نجته بإصبعك

﴿أَنْ﴾ من أن ﴿يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ قال وفد نجران للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: لم تعيب صاحبنا؟ قال: وأي شيء أقول؟ قالوا: نقول: انه عبد الله . فنزلت ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ﴾ ولا يستنكف الملائكة ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ عند الله أن يكونوا عبيداً لله .

واستدل به على فضل الملائكة على الأنبياء إذ سبق لردّ غلوّ النصارى في المسيح، ومقتضاه أن يكون ما عطف عليه أعلى درجة منه .

(١) الرّشدة : ضد الزّنية .

(٢) سورة المائدة: ١١٦/٥ .

ورّد بأن الآية للرّد على عبدة المسيح والملائكة فلا ينم ذلك، ولم سلم اختصاصها بالنصارى فلعل العطف للمبالغة باعتبار التكثير دون التفضيل ﴿وَمَنْ يَسْتَكْبِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ يترفع عنها.

والإستكبار طلب الكبر بلا استحقاق والتكبر قد يكون باستحقاق ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ للمجازاة.

[١٧٣] - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب إيمانهم وأعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أضعاف ما يستحقونه من الثواب ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ يحميهم من العذاب ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينجيهم منه.

[١٧٤] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ﴾ حجة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وهو محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - أو معجزاته أو: الدين، أو: القرآن ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ بيناً وهو القرآن.

وعن الصادق عليه السلام: انه ولاية علي عليه السلام. ^(١)

[١٧٥] - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ نعمة وهي الجنة ﴿وَفَضْلٍ﴾ إحسان زائد على ما يستحقون ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى اللَّهِ﴾ الى الله أو الفضل ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ هو الإسلام أي: يوفقهم له ويثبتهم عليه.

[١٧٦] - ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: في الكلالة بدليل ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ مرّ تفسيرها. ^(٢)

قيل: مرض «جابر» فعاده النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «اني كلاله فكيف

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ١٤٧.

(٢) في تفسير الآية (١٢) من هذه السورة.

أصنع في مالي؟ فنزلت^(١) ﴿إِنْ أَمْرُؤُا﴾ فاعل فعل يفسره ﴿هَلَكَ﴾ مات ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ذكر أو انثى، صفة له، أو حال عن فاعل «هلك» وهو مقيد بعدم الوالد أيضاً للإجماع والسنة، ودلالة الكلاله عليه - ان فسرت بالميت - ﴿وَلَهُ﴾ عطف أو حال ﴿أُخْتٌ﴾ لأبوين أو لأب، لسبق حكم الأخت للأم ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ بالفرض، والباقي ردّ عليها، لا للعصبة ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا﴾ أي المرء يرث أخته كل المال إن انعكس الأمر ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ ذكر أو انثى، ولا والد لما مرّ ﴿فَإِنْ كَانَتْ﴾ أي من يرث بالاخوة.

والتأنيث باعتبار المعنى ﴿أُنْتَيْنِ﴾ فصاعداً خير «كان» وفائدته بيان ان الحكم باعتبار العدد دون غيره من الصفات ﴿فَلَهُمَا الثَّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الميت بالفرض والباقي بالردّ ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ الكلام فيه كما في «كانتا» ﴿إِخْوَةً﴾ تغليب للمذكر ﴿رِجَالاً وَنِسَاءً﴾ بدل أو صفة أو حال ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الأحكام كراهة ﴿أَنْ تَضَلُّوا﴾ أو لأن لا تضلوا ﴿وَاللَّهُ يَكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيعلم الأصلح لعباده فيفعله لهم.

سورة المائدة

[٥]

مائة وعشرون آية مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ الرِّفَاء والإيفاء بالعقد: القيام

بمقتضاه. والعقود أوكد العهد، والمراد بها ما عقده الله على عباده وكلفهم به، أو ما يتعاقدونه بينهم في معاملاتهم ونحوها، أو ما يعتمها ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ لعله تفصيل للعقود.

والبهيمة: كل حي لا يميّز، أو كل ذي أربع، وضافتها الى الأنعام بيانية، أي البهيمة من الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه كآية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾^(١) ﴿هَبْرَ مُحَلِّي الصَّيْدِ﴾ حال من ضمير «لكم» أو «أوفوا» ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ حال من ضمير «محلي» و«حرم» جمع حرام للمحرم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَخْصِمُ مَا يُرِيدُ﴾ من تحليل وغيره.

[٢] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا مَسَاكِيرَ اللَّهِ﴾ حدوده أو فرائضه أو مناسكه،

(١) وهي الآية الثالثة من هذه السورة.

أو دينه، جمع شعيرة أي علامة ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ ما أهدى إلى الكعبة جمع هدية كـ «جدي» جمع جدية: السرج ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ جمع قلادة، وهي ما قلده به الهدي من نعل وغيره، علامة له فلا يتعرض له.

والنهي عن أخذها مبالغة في النهي عن الهدي، أو: أريد ذات القلائد من الهدي. وعطفها عليه لشرفها ﴿وَلَا أَمِينَ﴾ قاصدين ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ بأن تقاتلوههم ﴿يَتَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ ثوابه ورضاه عنهم في الآخرة، والجملة حال من مستكن «أمين» يعطى علة المنع.

وقيل: يتتبعون رزقاً منه بالتجارة، و«رضواناً» بزعمهم،^(١) إذ قيل: نزلت الآية في المشركين حتاج اليمامة حين هم المسلمون أن يتعرضوا لهم.^(٢) فقيل: انها منسوخة بآيات منع المشركين عن المسجد،^(٣) وقيل: محكمة إذ لا يجوز أن يبدنوا بالقتال في الأشهر الحرم^(٤) ويؤيده ما اشتهر أن «المائدة» آخر ما نزل.

وأما آيات منعهم فمخصصة لهذه فيما إذا وصلوا وأرادوا دخول الموضع المحترم ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ إباحة للإصطياد بعد زوال ما حرّمه ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا يكسبكم «شَتَانُ قَوْمٍ» بغضهم مصدر مضاف إلى الفاعل أو المفعول. وسكن نونه «ابن عامر» و«أبو بكر» و«نافع»^(٥) ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾ لأن صدوكم. وكسر الهمزة «ابن كثير» و«أبو عمرو» على الشرط^(٦) ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ عام الحديبية ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ بقتالهم. مفعول ثانٍ لـ «يجرمكم» إذ هو كـ «كسب» يتعدى إلى واحد واثنين

(١) قاله قتادة وابن عباس - كما في تفسير التبيان ٤: ٢٢٢.

(٢) قاله السدي - كما في تفسير روح المعاني ٦: ٤٨.

(٣) قاله قتادة وابن عباس - كما في تفسير التبيان ٢: ٢٢٢، وانظر سورة التوبة: ٢٨/٩.

(٤) قاله ابن جريج - كما في تفسير التبيان ٢: ٢٢٢.

(٥) حجة القراءات: ٢١٩.

(٦) حجة القراءات: ٢٢٠.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ فعل الطاعة وترك المعصية ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المعاصي وتعدي حدود الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أوامره ومناهيه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه .

[٣] - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ ما مات بلا تذكية، أكلًا أو انتفاعًا ﴿وَالْدَّمُ﴾ مطلقاً إلا ما خرج بدليل كالمختلّف في الذبيحة . ولا يقيدّه «أو دمًا مسفوحاً» لعدم حجية مفهومه ، ولا منافاة ﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ رفع الصوت به للضنم ، أو ما لم يُسمَّ الله عليه ، سمي غيره أم لا ﴿وَالْمُنْحَنِتَّةُ﴾ الميتة خنقاً ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ المقتولة بالضرب .

والوقذ : الضرب ﴿وَالْمُتَرَدِّتَةُ﴾ الساقطة من علوّ، أو في بئر فتموت ﴿وَالطَّيْحَةُ﴾ التي نطحتها أخرى فماتت . وتاوها للنقل ﴿وَمَا أَكَلَ السَّعْيُ﴾ منه فمات ﴿إِلَّا مَا دَكَّيْتُمْ﴾ أدركتم ذكاته مما يقبلها من ذلك . وفيه حياة مستقرة .

والذكاة : الذبح والنحر على وجه مخصوص ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ جمع نصاب ، أو : واحد الأنصاب ، وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت ، يذبحون عليها تقرباً إليها .

وقيل : هي الأصنام^(١) و«على» بمعنى اللام ، أو على أصلها ، أي : على اسم الأصنام ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا﴾ تطلبوا معرفة ما قسم لكم مما لم يقسم ﴿بِالْأَزْلَامِ﴾ جمع زُلْم كـ «جمل» و«صرد» قدح لا ريش فيه ولا نصل .

كانوا إذا قصدوا أمراً ضربوا ثلاثة قداح كتب على أحدها : «أمرني ربي» . وعلى الآخر : «نهاني ربي» والثالث غفل ، فان خرج الأمر فعلوا ، وإن خرج النهي تركوا ، وإن خرج الغفل أجالوها ثانياً .

وقيل : تطلبوا قسمة الجزور بالأزلام ، وهي عشرة — كما روي عن

(١) نقل هذا القول الألوסי في تفسير روح المعاني ٥٢: ٦ .

الصادقين - عليهما السلام^(١) - ﴿ذَالِكُمْ فُسْقٌ﴾ أي تناول هذه المحرمات خروج عن الطاعة، أو الإشارة إلى الإستقسام ﴿الْيَوْمَ﴾ لم يُرد يوم بعينه، بل أريد الحاضر وما بعده من الزمان. وقيل: يوم نزولها وهو يوم الجمعة، عرفة حجة الوداع^(٢) ﴿يَتَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ من ارتدادكم عنه بتحليل ما حرم أو غيره أو من أن يغلبوه ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أن يقهروكم ﴿وَإَخْشَوْنَ﴾ بالإخلاص ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بنصركم على عدوكم، أو ببيان الأحكام والفرائض، وأصول الشرائع.

وعن الصادقين - عليهما السلام: «أنها نزلت بعد أن نصب النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً معلماً للأنام يوم غدیر خم، منصرفاً من حجة الوداع، وهو آخر فريضة أنزلها»^(٣) ﴿وَأَنْتُمْ عَلَىكُمْ نِعْمَتِي﴾ بولاية علي بن أبي التلام، أو اكمال الدين، أو فتح مكة ﴿وَرَضِيتُ﴾ اخترت ﴿لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ من بين الأديان ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ إلى أكل شيء، من هذه المحرمات. فهذا متصل بها وما بينهما اعتراض يؤكد التحريم ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ مجاعة ﴿غَيْرِ مُتَجَانِفٍ﴾ مائل ﴿لِإِثْمٍ﴾ بأن يأكل تلذذاً.

أو يتعدى حد الضرورة، أو يبغي على الإمام، أو يقطع الطريق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَقُورٌ﴾ للذنوب فلا يعاقب المضطر فيما رخص له ﴿رَجِيمٌ﴾ بعباده برخصه لهم.

[٤]- ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ من المطاعم، كأنهم لما تلا عليهم المحرمات سألوهم عما أُحلَّ لهم، وأوقع السؤال على الجملة لتضمنه معنى القول. و«ماذا» مر بيانه. ولم يقل «لنا» على الحكاية، لأن «يسألونك» للغة، والوجهان صواب ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ ما لم تستخبه الطباع السليمة، أو ما لم يدل دليل على حرمة ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ﴾ عطف على «الطيبات» أي: وصيد ما علمتم، أو شرط جوابه «فكلوا»

(١) تفسير البرهان ١: ٤٣٤.

(٢) قاله مجاهد وابن جريج وابن زيد - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٥٨٠.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ١٥٩. وينظر تعليقنا على الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

﴿مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ كواسب الصيد على أهلها من الكلاب بفرينة ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ لاستفاقة من الكلب أي حال كونكم صاحبي كلاب. وقيل: أريد مطلق الجوارح من سباع البهائم والطيور. ^(١) واطلاق «مكلبين» لأغلبية تعليم الكلب.

ومنا من قال به ^(٢) وهو خلاف الظاهر والمروى عن أهل الذكر عليهم السلام. واما ما روي عنهم عليهم السلام من مساواة الفهد والصقور والبازي للكلب ^(٣) فللتقية ﴿تَعْلَمُونَهُنَّ﴾ حال أخرى، أو استئناف ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ من علم التأديب إلهاماً، أو اكتساباً بالعقل الذي منحكموه، أو مما عرفكم ان تعلموه من الإسترسال بإغراء صاحبه والإنزجار بزجره ﴿فَكُلُّوْا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وإن قتلته.

واختلف في اشتراط عدم الأكل لاختلاف الأخبار ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي سموه على ما علمتم عند إرساله، أو على ما أمسكن إذا أدركتم ذكاته ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في حدوده ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيؤاخذكم بتعديها.

[٥]- ﴿النَّيْمَ أَجَلٌ لَّكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ ظاهره يعم ذبائحهم وغيرها. وعليه فقهاء الجمهور ^(٤) وجماعة منا، ويعضده أخبار. ^(٥) ثم منهم من عمم في اليهود والنصارى. ومنهم من استثنى نصارى تغلب؛ للحديث. ^(٦)

(١) قاله الحسن ومجاهد وحيشمة بن عبدالرحمان - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٤٤٠.

(٢) وهو ابن ابي عقيل رحمه الله، على ما نقله الشهيد - قدس سره - في المسالك ٢: ٢١٧.

(٣) كما ورد في الوسائل ١٦/ ٢٦٦ الباب التاسع من ابواب الصيد، الأحاديث ١٦ و ١٧ و ١٨. وانظر تفسير البرهان ١: ٤٤٨ الحديثان ٩ و ١٦.

(٤) ينظر تفسير روح المعاني ٦: ٥٨.

(٥) كما في الوسائل ١٦: ٢٤٧ الباب ٢٧ من ابواب الذبائح، الأحاديث ١١ و ١٤ و ١٥ و ١٧.

(٦) ذهب اليه الشافعي - كما في الجامع لأحكام القرآن ٦: ٧٨-، وفي تفسير روح المعاني ٦: ٥٨: ان علياً عليه السلام كان ينهي عن ذبائح بني تغلب ويقول: ليسوا على النصرانية، انهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية الا شرب الخمر.

وأما المجوس فاختلف في إلحاقهم بالكتابيين لإختلاف الأخبار.^(١)

وعن الصادقين عليهما السلام: تخصيص الطعام بالحبوب وشبهها^(٢) وعليه أكثر الأصحاب^(٣) ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ فيحل لكم أن تطعموهم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ العفاف والحرائر وتخصيصهن للاولوية ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ظاهره حل نكاح كل كتابية ذمية أو حربية دائماً أو متعة أو ملكاً، فيخصص آية: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرَكَاتِ﴾^(٤) ان شملت الكتابية.

وعن الباقر عليه السلام: منسوخ بتلك،^(٥) ويعارضه شهرة تأخر «المائدة» نزولاً، وأصحابنا بين مبيح مطلقاً، أو: في المتعة والملك خاصة، ومحرم مطلقاً. والأخبار مختلفة وكذا في المجوسية ﴿إِذَا عَاتَبْتُمُوهُمْ أُجُورُهُمْ﴾ مهورهن «مُحْصِنِينَ» أعفاء «غَيْرِ مُسَافِحِينَ» غير زانين جهراً ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ صدائق يزنون بهن سراً. والخدن يقال للذكر والأنثى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ ينكر شرائع الإسلام ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الهالكين.

[٦]- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أي: إذا أردتم القيام اليها مثل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾^(٦) عبر بمسبب الإرادة عنها، أو قصدتموها، إذ القيام الى الشيء قصده. وظاهرها يوجب الوضوء على كل قائم لكن خصه الإجماع والأخبار بالمحدثين بالأصغر.

(١) ينظر الوسائل ١٦: ٣٤٩ الباب ٧ من ابواب الصيد والذبائح، الحديث ٣١ و٣٢ و٣٤.

(٢) ينظر تفسير البرهان ١: ٤٤٨ الحديث الثاني وما بعده.

(٣) في «ط»: أصحابنا.

(٤) سورة البقرة: ٢/٢٢١.

(٥) تفسير مجمع البيان ٢: ١٦٢.

(٦) سورة النحل: ١٦/٩٨.

وعن الصادق عليه السلام: المراد إذا قمتم من النوم^(١).

وقيل: كان ذلك في الإبتداء فنسخ^(٢) وردّ بشهرة عدم المنسوخ في «المائدة» واعتبار الحدث في بدله؛ أي التيمم في الآية. وقيل: الأمر فيه للندب لاستحباب التجديد^(٣).

وردّ بأن قرينة «فاطهروا» و«فتمموا» للوجوب وبثبوت الوجوب في المحدث. وحمله على الرجحان المطلق ليعم الندب والوجوب بعيد.

ويحتج بالآية لوجوب الوضوء لغيره لإفهامها أنه للصلاة، ولأن مفهومها عدم وجوبه إذا لم ترد الصلاة. وفيه جواز كونه لها مع كونه واجباً لنفسه. والمفهوم أنما يعتبر فيما لا فائدة للشرط سواء. والفائدة هنا بيان أن الصلاة غرض للوضوء في الجملة، ويحتج بها لوجوبه لنفسه لتحقق الإرادة قبل الوقت فيجب، وإذا وجب قبله في الجملة وجب قبله دائماً للإجماع المركب.

وفيه منع عموم «إذا»، ومنع ارادة «إذا أردتم» لجواز إذا نهيتكم لها نهياً متصلاً بها، وهو أنما يتحقق في الوقت «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ» أمروا الماء عليها ولا يجب ذلك ولا تخليل الشعر؛ إذ الوجه ما يواجه به «وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ» غاية للمغسول فلا تفيد الإبتداء بالأصابع سيما إذا جعلت بمعنى «مع» فهي مجملة.

وأوجب جلنا الإبتداء بالمرفاق مدعين فهمه من أخبارهم فهي بيان للإجمال. ومتناً من جواز النكس لظاهر الآية، ولا تفيد دخول المرفق لخروج الغاية تارة ودخولها أخرى. ودعوى دخولها إذا لم تتميز عن المغيّا لم تثبت وكون «إلى» بمعنى «مع» مجاز لا بدّ له من قرينة، ولكن أطبقت الأمة إلّا من شدّد من العامة على دخوله

(١) كما في تفسير العياشي ١: ٢٩٧.

(٢) قاله ابن عمر - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٦٤.

(٣) كما ورد في تفسير القرطبي ٦: ٨١ عن طائفة.

وان اختلفوا في مأخذة أهو الآية أم الاحتياط ، أم كونه مقدمة الواجب وهو الأظهر
 ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ أي بعضها لإجماعنا ، وللباء بنص^(١) الباقر عليه السلام .^(٢)
 ولا يعارضه انكار سيويه مجيئها للتبعض الموجب لضعف الظن بصدوره عنه عليه
 السلام لأنه معارض بإصرار لإصمعي وجمع من النحاة على خلافه .

وقيل : معناه الصقوا المسح برؤوسكم ،^(٣) فيتحقق بمسح البعض والكل . ومن
 ثم اختلفوا فأوجب «مالك» مسح كل الرأس^(٤) و«أبو حنيفة» ربه ،^(٥) و«الشافعي»
 مسمى المسح ،^(٦) ويختص بالمقدم بإجماعنا ونص أئمتنا عليهم السلام .^(٧) وخير العامة
 في موضعه .^(٨) وأقل ما يحصل به إصبع في الأظهر ﴿وَأَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَفَّيْنِ﴾ جره
 «حمزة» وابن كثير و«أبو عمرو» و«أبو بكر» ، ونصبه الباقر .^(٩)

واختلف في مسح الأرجل وغسلها ، فأصحابنا كافة أوجبوا المسح ، وهو مذهب
 أئمتنا عليهم السلام وابن عباس وجمع من التابعين .^(١٠)
 وأوجب الفقهاء الأربعة الغسل ،^(١١) وجماعة الجمع ،^(١٢) وخير

(١) في «ط» : عن الباقر عليه السلام .

(٢) تفسير البرهان ١ : ٤٥٢ - الحديث (١٦) .

(٣) قاله الطبرسي في جوامع الجامع ١ / ٣١٥ والزمخشري في تفسير الكشاف ١ : ٥٩٧ .

(٤) تفسير مجمع البيان ٢ : ١٦٤ وتفسير الكشاف ١ : ٥٩٧ .

(٥) قاله الشيخ الطوسي في تفسير التبيان ٣ : ٤٥١ : وعندنا لا يجوز المسح الا على مقدم الرأس وورد
 النص بذلك في تفسير البرهان ١ : ٤٥٢ ، الحديث ٨ .

(٦) نقل ذلك القرطبي عن ابراهيم والشعبي في الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٨٩ .

(٧) حجة القراءات : ٢٢٣ .

(٨) تفسير مجمع البيان ٢ : ١٦٤ وانظر الخلاف ١ : ١٤ باب الطهارة ، المسألة ٣٩ .

(٩) ذكره القرطبي عن ابن العربي في الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٩١ وينظر كتاب الخلاف ١ / ١٤ باب
 الطهارة المسألة ٣٩ .

(١٠) تفسير التبيان ٣ : ٤٥٢ و تفسير روح المعاني ٦ : ٦٦ .

آخرون،^(١) والقراءتان معنا، اما الجر فلعطفها على الرأس، ومقتضاه وجوب المسح، وجعلها معطوفة عليها لا لتمسح، بل ليقصد في صب الماء عليها، ولا يسرف فيه فتغسل غسلًا شبيهًا بالمسح تعسفًا وإلغاز وتعمية^(٢) لا يجوز وقوعه في القرآن.

وجعلها معطوفة على الوجوه والجر للمجاورة ضعيف؛ للفصل بجملة المسح، وشذوذ جر الجوار وقصره على السماع وكونه فيما لا لبس فيه، ولا حرف عطف معه كـ «جحر ضبّ خرب» وما هنا لبس وعطف.

واما النصب فلعطفها على محل «رءوسكم»، ومثله في القرآن العزيز وغيره غير عزيز، فتطابق القراءتان في وجوب المسح، وعطفها على الوجوه من أقيح الوجوه لإخراجه الكلام عن حلية الانتظام، وتقدير فعل أي: واغسلوا كـ «علفتها تبنًا وماء» أي: وسقيتها ماء خلاف الأصل، وانما ارتكب في المثال لتعذر الحمل على المذكور، ولم يتعذر ما هنا لصحة العطف على المحل.

والكعب عندهم: مانتا^(٣) عن يمين القدم وشماله.

وعندنا: العظم الناتئ وسط القدم، لأخبار أئمتنا.^(٤)

ومنّا من جعله مفصل الساق والقدم،^(٥) ويختص المسح بظهر القدم، ولا

(١) وهم الحسن بن ابي الحسن البصري ومحمد بن جرير وابو علي الجبائي - كما في الخلاف ٤٥٢:١.

(٢) الإلغاز والتعمية: عدم بيان المراد.

(٣) نأ الشيء: ارتفع وانتفخ.

(٤) انظر الرسائل ١: ٢٧٥ الباب (١٥) من ابواب الوضوء - الحديث (٩) والباب (٢٤) من ابواب الوضوء، الحديث (٤).

(٥) وهو العلامة، وقد اختاره في المختلف حيث قال: ويراد بالكعبين - هنا -: المفصل بين الساق والقدم.

يجب الاستيعاب عرضاً للإجماع والأخبار.^(١)

ويكفي الإصبع - ولو منكوساً - في الأظهر. واختلف في دخول الكعب. والكلام في «إلى» كما مر.^(٢) وظاهر الآية عدم الترتيب بين الرجلين، وهو المشهور. ومنا من أوجهه ولم يتم دليله، وهو الأحوال «وَأِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا» فاغسلوا عطف على «فاغسلوا» ويحتج به لوجوب الغسل لغيره أو لنفسه كما مر، أو على «إذا قمتم» ويحتج به لوجوبه لنفسه وهو قوي «وَأِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ» فسر في «النساء»^(٣) «مِنْهُ» من الصعيد، أو التيمم. و«من» للتبعض. ويحتج بها لاشتراط علق التراب، ويلزمه المنع من الحجر، وفيه بحث. وقيل: للإبتداء^(٤) «مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ» مفعول «يريد» محذوف، واللام للعلة، أي ما يريد الأمر بالوضوء والغسل والتيمم تضييقاً عليكم، أو زائدة والمفعول «أن يجعل».

وتضعيف البيضاوي تقدير «أن» بعد الزائدة هنا ينافي قوله به في «يريد الله ليبين لكم»^(٥) و«يريدون ليظفروا»^(٦) وكذا القول في «وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُظْهِرَكُمْ» من الذنوب بالوضوء وأخويه. ويؤيده حديث: «إِنَّ الْوُضُوءَ يَكْفِّرُ مَا قَبْلَهُ»^(٧) أو من الأحداث بالماء أو التراب، أو ينظفكم بالماء «وَلَكُمْ نِعْمَةٌ عَلَيْهِمْ» شرعه ما به تطهيركم «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» نعمته.

(١) انظر الوسائل ١: ٢٩٣ الباب (٢٤) من ابواب الوضوء.

(٢) مر آنفاً في «إلى المرافق».

(٣) في تفسير الآية ٤٤.

(٤) ذكره البيضاوي في تفسيره ٢: ٩٠ ولم يرضه.

(٥) سورة النساء: ٤/٣٦.

(٦) سورة الصف: ٦١/٨.

(٧) مستدرک الوسائل ١: ٥٢ الباب ٤٧ من ابواب الوضوء - الحديث (١٤).

[٧] - ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ﴾ عاهدكم **﴿بِهِ﴾** من مبايعتكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر، أو ما تبين لكم في حجة الوداع من الأحكام وفرض الولاية، أو بيعة العقبة وبيعة الرضوان ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ فيما تأمر وتنهى. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في كفران نعمه ونقض ميثاقه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بسرائرها فبغيرها أولى.

[٨] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ بحقوقه ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاؤُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ عدي بـ «على» لتضمنته معنى الحمل، أي لا يحملنكم بغض الكفار على ترك العدل معهم فتتألوا منهم ما لا يحل ﴿اغْدِلُوا هُوَ﴾ أي العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ صرح بأمرهم بالعدل وبين أنه بمكان من التقوى بعد نهيمهم عن تركه وبيان أنه مقتضى الهوى، هذا مع الكفار فكيف المؤمنون ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿فيجازيكم به.

[٩] - ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ حذف ثاني مفعولي «وعد» لبيانه بجملة: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ استئناف، أو: هي المفعول، لأن الوعد ضرب من القول.

[١٠] - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ اتبع حال أحد الفريقين حال الآخر ليقرن الترغيب بالترهيب كما هو عادته تعالى.

[١١] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَا يَسْطُونَا إِلَيْكُمْ﴾ للفتك بكم، يقال: بسط إليه يده، إذا بطش به ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ منعها أن تمتد إليكم.

قيل: أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جماعة من أصحابه «النظير» يستقرضهم دية مسلمين، قتلها بعض أصحابه، يحسبهما مشركين. فقالوا: «اجلس حتى

نطعمك ونفرضك، وهموا بقتله، فأخبره الله تعالى فخرج.^(١)

وقيل: نزل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منزلاً وتفرق الناس فعلق سيفه بشجرة، فجاء أعرابي فسله، فقال: من يمنعك مني؟ فقال: الله، فأسقطه جبرائيل منه، فأخذه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «من يمنعك مني؟» فقال: «لا أحد» وأسلم فنزلت^(٢) ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فإنه حسب من توكل عليه.

[١٢] - ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا ثَلَاثَ مِائَةٍ مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَفِيسًا. أَمَرَهُمْ اللَّهُ بِعَدْوَىٰ هَارُونَ وَهَمُّهُمُ أَنْ يُجِيبُوا آلَ هَارُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَكَانَ يُسْكِنُهُمُ الْجَبَابِرَةُ، فَقَالَ: أَنَا كَاتِبُهَا لَكُمْ فَجَاهِدُوا فِيهَا فَإِنِّي نَاصِرُكُمْ، وَأَمَرَ مُوسَىٰ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ كُلِّ سَبْطٍ كَفِيلًا عَلَيْهِم بِالْوَفَاءِ بِمَا أَمَرُوا بِهِ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ، وَاخْتَارَ النَّبِيُّ، فَسَارَ بِهِمْ، وَلَمَّا قَارَبَهَا بَعَثَ النَّبِيُّ بِتَجَسُّوسٍ فَرَأَوْا أَجْرَامًا عَظِيمَةً وَشَوْكَةً فَرَجَعُوا، وَنَهَايَهُمْ أَنْ يَخْبُرُوا قَوْمَهُمْ، فَأَخْبَرَهُمْ إِلَّا كَالْبُكْلِ مِنْ سَبْطِ يَهُوذَا، وَبُوشَعٌ مِنْ سَبْطِ يَوْسُفَ، وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقْسَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ، نَضَعُوا يَدَهُمْ.

وأصله: المنع، ومنه: التعزير ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ مصدر أو مفعول ﴿لَا تُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ جواب للقسمة ناب جواب الشرط ﴿وَلَا دَخَلْنَكُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الحق.

[١٣] - ﴿فِيمَا نَقُضِيهِمْ﴾ «مَا» زائدة ﴿مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ أبعدناهم من رحمتنا أو مسخناهم، أو عذبناهم بالجزية ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ منعناهم اللطاف حتى

(١) قاله مجاهد وقتادة - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٦٩.

(٢) قاله الحسن - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٦٩.

قست . وقرأ « حمزة » و« الكسائي » « قَسِيَّةً » مبالغة^(١) قاسية أو بمعنى رديّة من قولهم :
 « درهم قسي » للمغشوش من القسوة أيضاً « يُحَرِّثُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ » بيان قسوة
 قلوبهم ، إذ لا قسوة أشدّ من تغيير وحي الله « وَتَسُوا حَظًّا » تركوا نصيباً جزيلاً « مِمَّا
 ذُكِّرُوا بِهِ » في التوراة من إتياع محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ حرفوها ، أو : زلت أشياء
 منها بشؤم تحريفهم عن حفظهم « وَلَا تَزَالُ تَطَّلَعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ » خيانة ، أو فرقة
 خائنة ، أي الخيانة عادتهم كأسلافهم « إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ » لم يخونوا وهم الذين آمنوا
 « فَاغْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ » ان تابوا ، وبذلوا الجزية . وقيل : مطلق ، نسخ بأية السيف^(٢)
 « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُخْسِنِينَ » إلى الناس .

[١٤] - « وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى » سموا أنفسهم بذلك ادعاءً لنصرة الله
 متعلق بقوله : « أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ » كما أخذنا من اليهود « فَتَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ » في
 الإنجيل « فَاغْرَيْنَا » ألزما من غيري به : لصق به « بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ
 الْقِيَامَةِ » بين فرق النصارى الثلاث أو بينهم وبين اليهود « وَتَسَوْفُ يَنْبُئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا
 يَصْنَعُونَ » بالحساب والعقاب .

[١٥] - « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ » جنسه ، خطاب لليهود والنصارى « قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا
 يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ » كالزجم ونعته صلى الله عليه وآله وسلم وبشارة
 عيسى به « وَيَغْفُوا عَنْ كَثِيرٍ » مما تخفونه لايبيته لعدم باعث ديني عليه ، أو عن كثير
 منكم « قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ » محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو : القرآن « وَكِتَابٌ » القرآن
 « مُبِينٌ » للحق ، أو بين الأعجاز .

[١٦] - « يَهْدِي بِهِ » بالكتاب « اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ » من آمن « سُبُلَ السَّلَامِ »
 سبل الله أو السلامة من عذابه « وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ » الكفر « إِلَى النُّورِ »

(١) حجة القراءات : ٢٢٢ .

(٢) وهي الآية الخامسة من سورة التوبة .

الإيمان ﴿بِآذَنِهِ﴾ بلطفه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق،
أو: طريق الجنة .

[١٧] - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هم «اليعقوبية»

القائلون بالاتحاد: وقيل: لم يصرحوا به ولكن لزمهم لذلك لزعمتهم أنه لا هوتي
وقولهم بوحدة الإله^(١) ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ﴾ فمن يمنع من أمره ﴿شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ
يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فالمسيح مقهور لا يملك دفع
الهلاك عن نفسه كسائر الممكنات فكيف يكون إلهًا؟ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ومنه المسيح ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيخلق من ذكر
وأنثى ومن أنثى بلا ذكر كعيسى، ومن ذكر بلا أنثى كحواء، ومن غير ذكر وأنثى كآدم .

[١٨] - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ أشباع إبنه «عزير»

و«المسيح» كما يقول حشم الملوك: نحن الملوك، أو مقربون عنده قرب الأبناء من
آبائهم ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ إن صَحَّ ما زعمتهم، والأب لا يعذب ابنه
ولا الحبيب حبيبه، وقد عَذَّبَكُمْ بِالْقَتْلِ وَالْمَسْخِ وَسَيَعَذِّبُكُمْ أَيَّامًا بِأَقْرَارِكُمْ^(٢) ﴿يَلْ أَنْتُمْ
بَشَرٌ مِمَّنْ﴾ من جملة ﴿خَلَقَ﴾ من البشر يعاملكم معاملتهم ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وهم
من آمن به ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ وهم من كفر ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فيجازي كلًّا بعمله .

[١٩] - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ أي الدين، حذف

لظهوره، أو يبذل لكم البيان، وهو حال ﴿عَلَى فِتْرَةٍ﴾ أي جاءكم على حين انقطاع
﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ إذ ليس بينه وبين عيسى رسول، بل أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد

(١) نقله الفيضاي في تفسيره ١٤٢: ٢.

(٢) المراد أقرارهم بقولهم: «وقالوا لن نؤمن إلا أياماً معدودة». (البقرة: ٨٠/ ٢) و(آل

من العرب «خالد بن سنان العبسي» ومدة ذلك ستمائة أو خمسمائة وتسع وستون سنة. وفيه امتنان عليهم ببعثه اليهم حين درس أثر الوحي أخرج ما يكونون اليه ﴿أَنْ﴾ كراهة أن، أو لأن لا ﴿تَقُولُوا﴾ اعتذاراً ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ فلا عذر لكم إذن ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الإرسال وغيره ﴿قَدِيرٌ﴾.

[٢٠] - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ هداكم وأعزكم بهم ولم يجعل في أمة ما جعل فيكم من الأنبياء.

وقيل: هم الأنبياء ما بين موسى وعيسى مدة ألف وسبعمائة سنة، وهم ألف نبي^(١) ﴿وَجَعَلَكُمْ مِلُوكًا﴾ لملك فرعون، أو ذوي دور وخدم، أو مالكين لأموالكم بعد أن كنتم ممالك للقبط ﴿وَوَدَّاعْتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ من فلق البحر وتظليل الغمام، والمن والسلوى، وغيرها، أو أريد عالمي زمانهم.

[٢١] - ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ أرض بيت المقدس المطهرة بالأنبياء، إذ كانت قرارهم: وقيل: الطور وما حوله،^(٢) وقيل: الشام^(٣) ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ﴾ قسمها أو وهبها ﴿لَكُمْ﴾ أو كتب في اللوح أنها لكم. ولعله بشرط الطاعة إذ حرّمها عليهم حين عصوا ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا﴾ ولا ترجعوا ﴿عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ منهزمين خوفاً. قيل: لما عرفهم النقباء حال الجبايرة همّوا بالرجوع إلى مصر.^(٤)

أو لا ترجعوا عن طاعة الله بعصيانكم ﴿فَتَقَلَّبُوا﴾ نصب جواباً، أو جزم بالعطف ﴿خَاسِرِينَ﴾ الدارين.

[٢٢] - ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ من العمالقة أولي قوة وجسامه.

(١) قاله الكلبي - كما في تفسير الكشاف ٦٠٢: ١.

(٢) قاله مجاهد - كما في تفسير التبيان ٤٨٤: ٣ وتفسير مجمع البيان ١٧٨: ٢.

(٣) قاله قتادة - كما في تفسير مجمع البيان ١٧٨: ٢.

(٤) نقل هذا القول الزمخشري في تفسير الكشاف ٦٠٢: ١.

والجبار الذي يجبر الناس على ما يريد من «جبره على كذا» بمعنى أجبره ﴿وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ إذ لا نطبقهم. [٢٣] - ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ «كالب» و«يوشع» ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الله. وقيل: كانا من الجبابرة، أسلما وأتيا موسى. ^(١) فـ«الواو» لبني اسرائيل، وعائد «الذين» محذوف؛ أي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالتوفيق للإيمان. صفة أخرى لهما أو اعتراض ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ باب قريتهم ولا تخشوهم فإنهم اجساد بلا قلوب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ علماً ذلك من إخبار موسى به، وقوله «كتب الله لكم» ^(٢) أو مما عهدا من قهر الله اعداء موسى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ به وبوعده.

[٢٤] - ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنَدْخُلُهَا أَبَدًا﴾ نفي لدخولهم مؤبد مؤكد ﴿مَا دَامُوا فِيهَا﴾ بدل بعض من «أبداء» ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله.

[٢٥] - ﴿قَالَ﴾ شاكياً بته إلى ربه حين عصوه ولم يبق معه من يثق به سوى هارون ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ يجوز نصبه عطفاً على «نفسى» أو على اسم «إن»، ورفع عطفاً على فاعل «املك» أو على محل اسم ان ﴿فَاذْهَبْ﴾ فافصل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ بحكمك.

[٢٦] - ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ لا يدخلونها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ عامله إما «محرمه» فيكون التحريم موقفاً، فلا ينافي قوله: «التي كتب الله لكم» فقد حكى أن موسى فتح «أريحا» بمن بقي من بني اسرائيل، وأقام فيها إلى أن قبض. وقيل: قبض في التبه، وفتحها بعده «يوشع» قاتلهم حتى غربت الشمس فردها

(١) قاله ابن عباس - كما في تفسير التبيان ٤: ٨٥ وتفسير مجمع البيان ٢: ١٨٠.

(٢) تقدم آنفاً في الآية ٢١ من هذه السورة.

الله عليه حتى فتح^(١) أو ﴿يَسْهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يسرون متحيرين، لا يهتدون طريقاً. فالتحريم مطلق، وقد قيل: «لم يدخل الأرض المقدسة كل من قال لن ندخلها» وماتوا في التيه وانما فتحها ذراريهم^(٢).

قيل: لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ، يسرون كل يوم، فإذا أمسوا كانوا بحيث ارتحلوا عنه، والغمام يظلمهم عن الشمس ويضيء لهم بالليل عمود نور، وطعامهم المن والسلوى، ومازهم من الحجر^(٣) والاشهر أن موسى وهارون كانا معهم، وكان ذلك لهما رَوْحاً ولهم عقوبة ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ فلا تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ بالندم على الدعاء عليهم، فإنهم أحقاء به لفسقهم.

[٢٧] - ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾ هابيل وقابيل، وقد أمر الله آدم أن ينكح كلا منهما توأم الآخر فأبى قابيل، لأن توأمه كانت أجمل، فقال لهما آدم: قربا قرباناً فمن أيكما قَبِلْ نكحها، فقبِلَ قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسداً وفعل ما قَصَّ ﴿يَالْحَقُّ﴾ تلاوة متلبسة بالحق، أو اتله متلبساً بالصدق ﴿إِذْ قَرَّبَا﴾ ظرف لـ ﴿نَبَأَ﴾ أو حال منه ﴿قُرْبَانًا﴾ هو ما يتقرب به الى الله، وأصله مصدر، فلذا لم يشن، أو أريد قرب كل قرباناً. وكان هابيل ذا ضرع فقرب من خير غنمه، وقابيل ذا زرع فقرب أرداه ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ إذ سخط حكم الله وقرب شر ما له ﴿قَالَ لَا تَحْتَكُنْ﴾ توعد بالقتل حسداً له على تقبل قربانه لأنه ﴿قَالَ﴾ جواباً له ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي إنما أصبت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي، فلم تقتلني؟ وظاهره اشتراط قبول العمل بالتقوى ويشكل بطاعة الفاسق إذا وقعت على الوجه الشرعي ويمكن كون الشرط التقوى في ذلك العمل بأن يوقعه على وجهه.

(١) قاله الزجاج - كما في تفسير مجمع البيان ١٨٢: ٢.

(٢) نقله الطبرسي في جوامع الجامع ٢٢٣: ١.

(٣) قاله الربيع - كما في تفسير الطبري ٨١: ٦.

[٢٨ - ٢٩] - ﴿لَئِنْ﴾ للقسمة ﴿بَسَطْتُ إِلَيْكَ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ قيل: كان هابيل أقوى منه ولكن تخرج عن قتله، واستسلم له خوفاً من الله، إذ الدفع لم يبح بعد،^(١) وفيه منع الإستسلام، إذ وجوب حفظ النفس عقلي.

والآية لا تدل عليه بل مفادها نفي بسط اليد بقصد قتله، ولا ريب في قبح قصد القتل وحسن الدفع وإن أدى إلى القتل، لأنه لم يقصد، فكأنه قال: لأن ظلمتني لم أظلمك. ولتأكيد نفي هذا الفعل الشنيع عنه، أجاب: «لئن بسطت... ما أنا بباسط» وفتح ياء «يدي» «نافع» و«أبو عمرو» و«حفص» و«بيا» «اني» «الحرميا» و«أبو عمرو» و«يا» «إني» «نافع»^(٢) «أُرِيدُ أَنْ تَبْشُرَ» ترجع متلبساً «بإثم قتل» «وَأَنتُمْ كَذِبَةٌ» الذي كان منك من قبل، أو إن تحمل اثمي لو بسطت إليك يدي، واثمك يبسطك يدك إلي. ولم يرد بالذات معصية أخيه وشقاوته، ولكن بفرض كونهما لأحدهما البتة، أو أرادهما لأخيه لاله.

أو أريد بالإثم عقوبته، ولا قبح لإرادة عقاب العاصي ﴿فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ بظلمك لي ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ من قوله أو قول الله.

[٣٠] - ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ فبسترته له ووسعته، من «طاع له المرتع» أي اتسع، أو زينته له. و«له» لزيادة الربط «فَقَتَلَهُ» وهو ابن عشرين سنة، بالهند أو «عقبة حرا» أو موضع مسجد البصرة «فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ» للدارين، إذ بقي عمره طريداً فزعاً.

[٣١] - ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل: قتله فلم يدر ما يصنع به، إذ كان أول ميت من الناس، فبعث الله غرابين، فقتل أحدهما صاحبه فحفر له بمنقاره

(١) قاله الحسن ومجاهد والجبائي - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٨٤.

(٢) انظر كتاب السبعة في القراءات: ٢٥٠.

ورجله فواراه في الحفيرة،^(١) وهذا يفسد ما قيل: ان ابني آدم كانا من بني اسرائيل^(٢) ﴿لِيرِيَهُ﴾ الله أو الغراب ﴿كَيْفَ﴾ حال من فاعل ﴿يُؤَارِي﴾ أي «يستر» والجملة مفعول ثاني لـ ﴿يُرِي﴾ ﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ جيفته؛ إذ هي مما يكره ﴿قَالَ﴾ تحسراً ﴿يَا وَيْلَتَا﴾ يا هلكتا احضري فهذا وقتك. وألفها بدل ياء المتكلم ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾ في العلم ﴿فَأُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِي﴾ عطف على «أكون» ﴿فَأَضْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على قتله لإسوداد جسده، وتبرء أبيه منه، وحمله له سنة، إذ تحير فيه. ولم يندم توبة.

[٣٢] - ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بسبب فعل «قاييل» حكمتنا عليهم، وأصله مصدر «أَجَلَ شَاء» أي جناه، استعمل في تعليل الجناية ثم في كل تعليل توسعاً. و«من» ابتدائية أي ابتداء من أجل ذلك ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ بغير قتل نفس يوجب القود ﴿أَوْ﴾ بغير ﴿فَسَادٍ﴾ فعله ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ من كفر أو قطع طريق ونحوه ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ لأنه هتك حرمة الدماء، وسن القتل، وجزأ الناس عليه، أو لاستواء قتل الواحد والجميع في استجلاب العذاب ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ انقذها من سبب هلكة ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ والمقصود تعظيم قتل النفس واحيائها، ليرهب ذاك ويرغب في هذا ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَثَ ذَلِكَ﴾ بعد ما كتبنا عليهم وجاءتهم رسلنا بالآيات الواضحة ﴿فِي الْأَرْضِ مُسْرِفُونَ﴾ مجاوزون الحد بالقتل والشرك.

[٣٣] - ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بمحاربة أوليائهما وهم المسلمون. جعل محاربتهم محاربتهم تعظيماً.

والمحارب: من شهر السلاح لإخفاقة المسلم ولو في مصر ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي

(١) قاله ابن عباس وابن مسعود - كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٢٨٥.

(٢) قاله الحسن والجبائي وابومسلم - كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٢٨٥.

الْأَرْضِ فَسَادًا﴿ مفسدين، أو للفساد، أو يفسدون فساداً؛ إذ سعيهم فساد ﴿أَنْ يُقْتُلُوا﴾ قصاصاً، أو حداً على تقدير العفو بلا صلب، إن أفردوا القتل ﴿أَوْ يُصَلُّبُوا﴾ مع القتل إن قتلوا وأخذوا المال ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى إن أخذوا المال ولم يقتلوا ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ من بلد الى بلد بحيث لا يمكنون من القرار في بلد، إن اخافوا فقط .

والآية لم تفد التفصيل بل ظاهرها التخيير. والمخير الإمام بين هذه العقوبات في كل محارب كما نطقت به الأخبار.

وورد بالتفصيل أخبار ضعيفة مضطربة متخالفة^(١) ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ﴾ فضيحة ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ مع ذلك .

[٣٤] - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ استثناء بالنسبة إلى حق الله فقط، ويؤيده ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾ فيسقط القتل الواجب حداً ويبقى الجائر قوداً .

وتقييد التوبة بقبل القدرة يفيد أنها بعدها لا تسقط الحد، وإن أسقطت العذاب .
[٣٥] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما تتوسلون به إلى ثوابه من الطاعة من «وسل إليه» أي تقرب، أو درجة في الجنة ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ أعداءه لإعزاز دينه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تظفرون بنعيم الأبد .

[٣٦] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ ثبت ﴿أَنْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من المال ﴿جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ﴾ اللام متعلق بـ«ثبت» المقدر بعد «لو» ﴿مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

[٣٧] - ﴿يُرِيدُونَ﴾ يتمنون ﴿أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ

(١) تراجع للتفصيل وسائل الشريعة ١٨: ٥٣٣ الباب الاول من ابواب حد المحارب، الاحاديث ٣ و٤ وغيرهما .

عَذَابٌ مُّقِيمٌ» وللمبالغة قيل: «وما هم بخارجين» بدل «وما يخرجون» .

[٣٨] - «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ» مبتدأ حذف خبره، أي فيما يتلى عليكم السارق والسارقة أي حكمهما، أو الخبر «فَأَقْطَعُوا» دخلته الفاء لشبهه بالجزاء؛ إذ المعنى: الذي سرق والتي سرفت فاقطعوا «أَيْدِيَهُمَا» يديهما اليمينين كفى بشئبة المضاف إليه . ولا يقطع إلا إذا سرق من حرز ربع دينار، أو ما يساويه عندنا، والمخالفون بين موافق ومخالف .

والمقطع عندهم: الرسغ^(١) وعند الخوارج: المنكب .

وعندنا: أصول الأصابع ويترك الإبهام . فإن عاد قطعت رجله اليسرى من أصل الساق ويترك العقب فإن عاد خلد السجن «جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا» مفعول له أو مصدر، وكذا «نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» يتنقم بحكمة .

[٣٩] - «فَمَنْ تَابَ» عن السرقة «مَنْ بَعْدَ ظُلْمِهِ» سرقة «وَأَصْلَحَ» أمره بالبقاء على التوبة أو عمله بعدها «فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ» يقبل توبته تفضلاً منه لقوله: «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» ولا ينافي وجوبه للوعد فلا يعذب في الآخرة . وأما الحد فعند أكثرهم لا يسقط ، وعندنا يسقط قبل ثبوته . أما بعده بيّنه فلا وباقرار قيل: يتحتم^(٢) ، وقيل: يتخير الإمام^(٣) .

وأما حقوق الناس فلا تسقط بالتوبة .

[٤٠] - «أَلَمْ تَعْلَمْ» خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل أحد «أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» من العصاة «وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ» منهم بدون توبة إذ معها بلغوا التعليق بالمشيئة «وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ومنه التعذيب

(١) الرسغ: المفصل ما بين الساعد والكف .

(٢) قاله ابن إدريس - على ما نقله عنه العلامة في المختلف: ٥١٩ .

(٣) قاله الشيخ في - النهاية - على ما ذكره العلامة في المختلف: ٥١٩ .

والمغفرة، وقدم عليها لمقابلة تقدم السرقة على التوبة، أو لتقدم استحقاقه.

[٤١] - ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أي مسارعة المنافقين في إظهاره عند الفرصة ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ للبيان ﴿قَالُوا ءَمَّا بِأَفْوَهِهِمْ﴾ متعلق به ﴿قَالُوا﴾ ﴿وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ حال أو عطف على ﴿قَالُوا﴾ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ عطف على «من الذين» ﴿سَمَاعُونَ﴾ خبر محذوف أي: هم - أي الفريقان - أو: اليهود.

أو مبتدأ، خبره: «ومن الذين»، أي ومن اليهود قوم سماعون ﴿لِلْكَذِبِ﴾ اللام مزيدة لتضمين السماع معنى القبول، أي قابلون لما تفتريه أجهارهم، أو للعلة والمفعول محذوف أي سماعون قولك ليكذبوا عليك ﴿سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أي قابلون لقول قوم آخرين من اليهود لم يحضروا عندك تكبراً وبغضاً لك.

أو سماعون منك لأجلهم ﴿يُحَرِّقُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ يميلونه عن مواضعه بعد أن وضعه الله فيها، والجملة صفة أخرى «لقوم»، أو خبر محذوف، أو استئناف لا محل له وكذا ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ أي إن افتاكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الحكم المنحرف فاقبلوه ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل افتاكم بخلافه ﴿فَاخْذَرُوا﴾ ان قبلوه.

قيل: زنى محصنان من «خيبر» فكرهوا رجمهما فبعثوا بهما إلى «قريظة» لیسألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنهما، وقالوا: إن أمركم بالجلد فاقبلوا، وإن أمركم بالرجم فلا، فأمرهم بالرجم فأبوا، فحكّم «ابن صوريا» بينه وبينهم، وأنشده الله: هل في كتابكم رجم من أحصن؟، قال: نعم، فوثبوا عليه، فقال: خفت أن كذبتني أن ينزل علينا العذاب، فأسلم فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالزانيين فرجما^(١) ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ خذلانه بتركه مفتوناً، أو عذابه ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ فلن تستطيع له من

(١) قاله جماعة من المفسرين لرواية وردت عن أبي جعفر عليه السلام فيه - كما في تفسير الثبيان

لطف الله أو من دفع أمره ﴿شَيْئًا أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَمْ يُبْرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهَّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ حيث اختاروا تدينسها بالكفر، لعلمه بأن لطفه لا ينجع فيهم^(١) ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ ذلّ بالجزية والفضيحة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ تخليدهم في النار. والضمير للفرقيين أو لليهود.

[٤٢] - ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ كرر تأكيداً ﴿أَكَاَلُونَ لِلْسُّخْتِ﴾ للحرام كالرشا من «سحته» أي استأصله، لأنه مسحوت البركة. وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«الكاساني» بضمّتين وهما لغتان ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ متحاكمين اليك ﴿فَاخْكُم بِتَنَّهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ خير صلى الله عليه وآله وسلم بين الحكم والإعراض، وكذا الأئمة والحكام، وقيل: نسخ بآية ﴿وَأِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ﴾^(٢) ﴿وَأَنْ تُعْرِضَ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ لن يقدرُوا لك على ضرر: ﴿وَأَنْ حَكَمْتَ فَاخْكُم بِتَنَّهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ فيشيهم.

[٤٣] - ﴿وَكَيْفَ يُحْكَمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به، مع أن الحكم منصوص في كتابهم، أي لم يقصدوا بتحكيمك معرفة الحق إذ لم يتقوا بك، وإنما طلبوا بتحكيمك الأهلون عليهم و«فيها حكم الله» حال من «التوراة»، وهي مبتدأ، خبره: «عندهم» أو مرفوعة به، وتأنيتها لكونها نظيرة «مومة»^(٣) ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ عطف على «يحكمونك» أي يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ التحكيم ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بكتابهم، أو بك وبه.

[٤٤] - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى﴾ إلى الحق ﴿وَتُورٌ﴾ بيان للأحكام ﴿يُحْكَمُ

(١) النجى: التأثير، يقال: نجى فيه الدواء. أو الكلام، أي: أقر فيه.

(٢) قاله الحسن ومجاهد وعكرمة - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٩٦، والآية من هذه السورة/ ٤٩.

(٣) المومة والمومة: المفازة الواسعة الملساء، وقيل الفلاة التي لاماء بها ولا تيس بها - أقرب

بِهَا النَّبِيُّونَ» من بني اسرائيل أو موسى ومن بعده فيما يتوافق فيه الشريعتان ﴿الَّذِينَ
أَسْلَمُوا﴾ صفة مادحة للنبين، منوّهة بشأن المسلمين، معرضة بأن اليهود بُعداء من
دين الأنبياء ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ متعلق بـ «يحكم» أي يحملونهم على أحكامها أو
بـ «أنزل» ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾ الكاملون علماً وعملاً، عطف على «النبين» ﴿وَالْأَخْبَانُ﴾
العلماء ﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا﴾ بسبب الذي كلفهم الله حفظه عن التبديل ﴿وَمِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾
بيان لـ «ما» ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِ شُهَدَاءُ﴾ أنه حق، أو رقباء لئلا يبدل ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾
أيها الحكام في حكوماتكم أو أيها اليهود في إظهار الحق ﴿وَإَخْشَوْنَ﴾ في الحكومة
أو كتمان الحق ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا بَيِّنَاتِي﴾ ولا تستعصوا بأحكامي ﴿نَمَّا قَلِيلًا﴾ رشوة أو
جاهاً ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ استهانة به ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ لا ستهانتهم
به، ووصفوا أيضاً بالظلم لحكمهم بخلافه، والفسق لخروجهم عنه.

والصفات الثلاثة قيل : عامة، ^(١) وقيل : في اليهود خاصة، ^(٢) وقيل : هذه في
المسلمين، والظالمون في اليهود، والفاسقون في النصارى. ^(٣)

[٤٥] - ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ فرضنا على اليهود في التوراة ﴿أَنْ النَّفْسَ﴾ تقتل
﴿بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ رفع «الكسائي»
كلها ^(٤) عطفاً على محل اسم «إِنَّ» إذ المعنى : كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين
بالعين، إذ الكتب يقع على الجمل كالقول، أو استثناءً، أي وكذا العين نقفاً
بالعين، والأنف يجدها بالأنف، والأذن تقطع بالأذن، والسِّنَّ تقلع بالسِّنَّ
﴿وَالْجُرُوحَ﴾ غير ما ذكر، أو الأعم. ورفع «الكسائي» أيضاً «ابن كثير» و«أبو عمرو»

(١) قاله ابن عباس والحسن وإبراهيم - كما في تفسير مجمع البيان ٢ : ١٩٨.

(٢) قاله الجبائي - كما في تفسير مجمع البيان ٢ : ١٩٨.

(٣) قاله الشعبي - كما في تفسير التبيان ٣ : ٢٢٩.

(٤) حجة القراءات : ٢٢٦.

و«ابن عامر»^(١) لما مرَّ ﴿قِصَاصٌ﴾ ذات قصاص إن امكن، وإلا فالأرش والحكم مقرر في شرعنا أيضاً ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ بالقصاص، أي عفى عنه ﴿فَهُوَ﴾ فالتصدق ﴿كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ للمتصدق، يكفر الله به ذنوبه، وقيل: للجاني يسقط مالزمه^(٢) ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من الأحكام ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٤٦] - ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ﴾ اتبعناهم. حذف المفعول لسد الظرف مسده. وهم النبيون ﴿يَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ مفعول ثاني بتعدي الباء ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله ﴿مِنَ التَّوْرَةِ﴾ وآتيناه الإنجيل فيه هُدى ونور ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ عطف عليه، وكذا ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أو مفعول لهما لـ «آتيناه» مقدراً.

[٤٧] - ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ وقلنا ليحكم، ونصبه «حمزة»^(٣) وكسر لامه عطفاً على «هُدًى» إن جعل مفعولاً له، وإلا علق بمحذوف، أي وليحكم ﴿أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ آتيناه آياه ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ والآية تفيد إشتمال الإنجيل على الأحكام، واستقلال شرع عيسى عليه السلام ونسخه اليهودية.

[٤٨] - ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ من جنس الكتب السماوية ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ ورقياً على سائر الكتب يشهد بصحتها ويحفظها عن التبديل ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ اليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ عادلاً ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أو ضمن «لا تتبع» معنى «لا ترغ» فعدي بـ «عن» ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أيها الأمم ﴿شُرْعَةً﴾ شريعة وهي طريق الماء.

قيل للدين لأنه طريق الى ما به حياة الأبد ﴿وَمِنْهَا جَا﴾ طريقاً واضحاً من نهج أي

(١) حجة القراءات: ٢٢٥.

(٢) نقله البيضاوي في تفسيره ١٥٢: ٢.

(٣) حجة القراءات: ٢٢٧.

وضح . ويفيد أننا غير متعبدین بشرائع من قبلنا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على دين واحد لم ينسخ أبداً ﴿وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة هل تقبلونها معتقدين ان اختلافها لمصالح بحسب الأحوال أو لا ؟ ﴿فَاسْتَقِظُوا السَّاعَاتِ﴾ فابتدروها ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ استئناف يعلل «فاستقوا» ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بالفصل بين محققكم ومبطلكم وبجزاء كل بعمله .

[٤٩] - ﴿وَأَيُّكُمْ يَتَّبِعُ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ عطف على «الكتاب» أو «الحق» أي انزلنا الكتاب وان احكم أو انزلناه بالحق وبأن احكم ﴿وَلَا تَبِيعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاتَّخِذْهُمْ أَنْ يَقْتُنُوكَ﴾ أن يضلوك، بدل اشتغال من «هم» أي احذر فتنهم أو مفعول له أي احذرهم خشية أن يفتنوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ .

قيل : أرادت الأخبار خدعه صر الله عليه وآله وسلم ، فقالوا : إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فاحكم لنا عليهم لنؤمن بك ، فأبى ، فنزلت ^(١) ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الحكم المنزل وطلبوا غيره ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ دُورِهِمْ﴾ أي بالتولي عن حكم الله .

عبر عنه بذلك لتعظيمه بالإيهام ، وايداناً بأن لهم ذنباً جمة ، هذا العظيم من جملتها . ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ لمتردون في الكفر .

[٥٠] - ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الملة التي هي هوى وجهل ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أي اليهود للمداهنة والميل وهم أهل كتاب وعلم ، أو كل من يطلب غير حكم الله ، وقرأ «ابن عامر» بالتاء . ^(٢) أي قل لهم : افحكم الجاهلية تبغون ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي عندهم . واللام لبيان ، أي هذا الإستفهام

(١) رواه ابن اسحاق عن ابن عباس - كما في الجامع لأحكام القرآن ٦ : ٢١٢ .

(٢) حجة القراءات : ٢٢٨ .

لقوم يوقنون فإنهم الذين يتيقنون^(١) أن لا أحسن حكماً من الله .

[٥١] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ توادونهم وتعتمدون عليهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ علة للنهي أي انما يوالي بعضهم بعضاً لاتحادهم في الكفر واجتماعهم على مضادتكم ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ من جعلتهم ، تغليب في وجوب مجابنتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم بموالة الكفار .

[٥٢] - ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ، كلبن أبيي ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي في موالاتهم ﴿يَقُولُونَ﴾ - معتردين عنها - : ﴿نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ دولة تدور للكفار فنحتاج اليهم .

قيل : قال عبادة بن الصامت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان لي موالى من اليهود كثيراً عددهم ، واني أبرأ الى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله . فقال ابن أبيي : لا أبرأ من ولايتهم لأنى أخاف الدوائر ، فنزلت^(٢) ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِالْفَتْحِ﴾ بالنصر لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم على أعدائه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ بقتل اليهود وأجلائهم أو بإظهار نفاق المنافقين وقتلهم ﴿فَيُضَيِّحُوا﴾ أي المنافقون ﴿عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من الشك في أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وموالاتهم اليهود ﴿نَادِمِينَ﴾ .

[٥٣] - ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نصبه «ابن عامر»^(٣) عطفاً على «أن يأتي» بجعله بدلاً عن اسم «عسى» مغنياً عن الخبر ، فكأنه قيل : عسى أن يأتي الله بالفتح ويقول ، ورفع الباقون استئنافاً بواو ودونه مختلفين^(٤) ﴿أَهْوَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ

(١) في «الف» : يتيقنون .

(٢) قاله عطية بن سعد العوفي والزهرى - كما في تفسير مجمع البيان ٤ : ٢٠٦ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٤ : ٢٠٥ .

(٤) حجة القراءات : ٢٢٩ .

إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴿١﴾ يقوله بعضهم لبعض تعجباً من حال المنافقين واغتراباً بما وفقوا له من الإخلاص .

أو يقولونه لليهود إذ حلف لهم المنافقون بالنصرة، ونصبت «جهد» مصدراً أو حالاً، أي حلفوا يجتهدون جهد أيمانهم، أي أغلظها، فحذف الفعل ونابه المصدر فجاز تعريفها ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ من المقول أو قول الله تعالى، أي بطلت أعمالهم التي تكلفوها رياءً ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ للدارين .

[٥٤] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ أدغمه من عدا «نافع» وابن عامر^(١) ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ بدلهم ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ يوفقهم لرضاه ويحسن ثوابهم ﴿وَيُجِبُّونَهُ﴾ يطيعونه ولا يعصونه ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ عاطفين عليهم بتذل جمع ذليل، ودخول «على» لتضمين معنى العطف، أو للتنبيه على أنهم مع فضلهم وعلوهم على المؤمنين، متواضعون لهم ﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أشداء عليهم من «عزّه» أي: غلبه ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صفة لقوم أيضاً أو حال عن فاعل «أعزّه» ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ عطف على «يجاهدون» أي جامعون بين المجاهدة في سبيله والتصلب في دینه أو حال وفي «لومة» وهي المرة من اللوم مبالغة كتشكير «لائم» ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿فَضَّلَ اللَّهُ يُونُسَ﴾ يوفق له ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن يعلمه أهلاً له ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحقه والموصوف بهذه الصفات قيل: هم أهل اليمن^(٢) وقيل: هم الفرس^(٣) وقيل: الأنصار^(٤)

والأصح ما روى عن أهل البيت عليهم السلام وعمار وحذيفة وابن عباس: أنها في

(١) حجة القراءات: ٢٣٠.

(٢) قاله مجاهد - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٠٨.

(٣) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٠٨.

(٤) قاله السدي - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٠٨.

علي عليه السلام وأصحابه^(١) وقتالهم للمرتدين بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الناكثين والقاسطين والمارقين إذ اتصافه عليه السلام بكل من هذه الصفات معلوم للمخالف والمؤلف، فالمحبة يشهد له بها ماتواتر من خبر الراية والطائر وغيرهما، ولينه للمؤمنين وشدته على الكافرين وجهاده للمتمردين وتصلبه في الدين لا ينكره أحد من أعدائه فضلاً عن مواليه.

وعنه عليه السلام انه قال يوم البصرة: «والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم... وتلا هذه الآية»^(٢).

وروى علي بن ابراهيم: أنها في المهدي عليه السلام واصحابه^(٣) ويعضده لفظة «سوف».

[٥٥] - «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ»^(٤) الاولى بكم والمتولي اموركم «اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» وافرد الولي إيداناً بأن الولاية لله أصالة ورسوله ومن ينوبه تبعاً «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» صفة لـ «الذين» أو يدل عنه أو منصوب على المدح «وَهُمْ رَاكِعُونَ» حال من فاعل «يؤتون»، أي يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة. وجعلها للفاعلين على إرادة وهم متخشعون في صلاتهم وزكاتهم يأباه إطباق المفسرين على نزول الآية في علي عليه السلام حين سأل سائل وهو راكع في صلاته فأوماً إليه بخصره، فأخذ خاتمه منها وهو المروي عن أهل البيت عليهم السلام فهي نص في امامته عليه السلام ونفي إمامة من تقدمه؛ لحصر الولاية في الله ورسوله والمؤمنين الموصوفين بالأوصاف ولم يتصف بها أحد منهم سواه بالإجماع؛

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٠٨.

(٢) تفسير القمي ١: ١٧٠.

(٣) ورد في هامش الأصل - هنا - مايلي: نص على امامة علي عليه السلام.

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٢١٠ وتفسير البرهان ١: ٤٧٩.

فانحصرت الإمامة فيه .

وعبر عنه بالجمع تعظيماً، والحصار اضافي بالنسبة الى من عدا الأئمة من ولده عليه السلام أو لوقوع مثل هذا الفعل من كل منهم عليهم السلام فالحصار حقيقي .

وظاهر الآية ثبوت السيادة لله ورسوله وله بالفعل في الحال لكن امتناع اجتماع تصرف النائب والمنوب عادة وعرفاً صرف عنه في حقه عليه السلام فحملت على ولايته في المال أو على كمال استعدادها لها في الحال وترتب آثارها عليها في المال وحصرها بمن له الصفات يأبى حملها على النصرة لعمومها لكل المؤمنين ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾^(١) فلا عبرة بمناسبتها لما قبل وبعد .

[٥٦] - ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ومن يتخذهم أولياء ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ وضع موضع فإنهم ايذاناً بأنهم حزبه أي ابتاعه تفخيماً لشأنهم وتعريضاً باضدادهم بأنهم حزب الشيطان .

[٥٧] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنْ﴾ بيانية ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ﴾ جره «أبو عمرو» و«الكسائي» عطفاً على «الذين أوتوا» ونصبه الباقي عطفاً على «الذين اتَّخَذُوا»^(٢) ﴿أَوَّلِيَاءَ﴾ ثاني مفعولي، «تتخذوا» ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مناهيه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إذ مقتضى الإيمان حقاً معاداة من يطمعن فيه لاموالاته .

[٥٨] - ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ﴾ بالأذان ﴿إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا﴾ أي الصلاة أو المناداة ﴿هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾ سخيرية وضحكة ويفيد مشروعية الاذان .

قيل : كان نصراني إذا سمع قول المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله ، قال : أحرق الله الكاذب ، فدخل خادمه بنار ليلة وهو نائم فتطايير شرر في البيت فاحرقه

(١) سورة التوبة : ٧١/٩ .

(٢) حجة القراءة : ٢٣٠ .

وأهل^(١) ﴿ذَلِكَ﴾ الإِتِّخَاذَ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب انهم ﴿قَوْمٌ لَا يَتَّقُونَ﴾ إذ خالفوا قضية العقل المانعة من الهزء بالحق .

[٥٩] - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْفُمُونَ﴾ تنكرون ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ الى الأنبياء ﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾ عطف على «أن آمنّا» أي ما تنكرون منّا إلا مخالفتكم إذ دخلنا الإيمان وانتم خارجون منه ، فالمسئى لازم الأمرين وهو المخالفة . أو : بحذف مضاف ، أي : واعتقاد ان أكثركم . أو : على المجرور أي ما تنقمون منّا إلا ايماننا بالله وبما انزل وبـ «أن أكثركم فاسقون» خطاب لليهود ، قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بمن تؤمن ؟ قال : «بالله وما أنزل اليّنا» الآية ، فقالوا - حين ذكر عيسى - لانعلم ديناً شراً من دينكم .

[٦٠] - ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾ المنقول ﴿مُتَوَبِّعَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ ووضعها موضع العقوبة كأنه للتهكم ونصبت تمييزاً ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعد من رحمته و«مَنْ» بدل من «شَرٍّ» بحذف مضاف أي بشرٍ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ مَنْ لَعَنَهُ أو : بشرٍ من ذلك دينٍ من لعنه الله ، أو خبر محذوف أي هو من لعنه الله ﴿وَعُظِيبٌ عَلَيْهِ﴾ لكفره ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ مسخ أصحاب السبت قردة وكفار مائدة عيسى خنازير.^(٢)

وقيل : المسخان في أهل السبت ، مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وروعي في «منهم» معنى «مَنْ» وفي ما قبلها لفظها ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ الشيطان بطاعته أو العجل ، وضم «حمزة» «الباء» وجر «التاء» ، على انه وصف كحذر بالضم عطفاً على «القردة» ، والمعنى : انه خذلهم حتى عبدوها ، وفتح الباقون «الباء» ونصبوا «التاء» عطفاً على صلة «مَنْ»^(٣) ﴿أُولَئِكَ﴾ الملعونون ﴿مَرَرًا مَكَانًا﴾ تمييز . كنى عن شرارتهم

(١) قاله السدي - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢١٣ .

(٢) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢١٦ .

(٣) حجة القراءات : ٢٣١ .

بشارة مكانهم وهو «سقر» لأنه ابلغ ﴿وَأَصْلُ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ الطريق المستقيم والمراد بشر وأصل وصفهم بالشرارة والضلال لا معنى التفضيل .

[٦١] - ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ أي منافقو اليهود ﴿قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا﴾ اليك متلبسين ﴿بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا﴾ من عندك متلبسين ﴿بِهِ﴾ ولم يؤثر فيهم وعظك . والجملة ثان حالان من فاعل «قالوا» ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ من الكفر .

[٦٢] - ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾ الكذب أو الكفر ﴿وَالْعُدْوَانَ﴾ تعدي حدود الله ﴿وَأَكْثِلُهُمُ الشُّحْتُ﴾ الحرام ، كالرشا ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لئس شيء أو: الذي عملوه .

[٦٣] - ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ﴾ تحضيض لعلمائهم على النهي ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾ الكذب ﴿وَأَكْثِلُهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ذم علماءهم على ترك نهيبهم بأبلغ من ذمهم من حيث ان العمل إنما يستمر صنعا بعد التدريب فيه فيفيد ان ترك انكار المعصية أقبح من ارتكابها .

[٦٤] - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مقبوضة عن الرزق حين قتره عليهم بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد بسطه لهم والقائل «فيحاص» وأشرك الآخرون لرضاهم بقوله .

وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ﴿عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ دعاء عليهم بالبخل أو بغل الأيدي حقيقة بإغلال الأسر في الدنيا وأغلال النار في الآخرة . والطباق باللفظ ورعاية الأصل ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ في تشية اليد أبلغ رد لإفادتها اثبات غاية الجود إذ غاية ما يبذله الجواد من ماله أن يعطيه يديه وإشارة الى منح الدارين ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من توسيع وتضييق على مقتضى حكمته وهو تأكيد لوصفه بالجود ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدكم ﴿طُغْيَانًا﴾ تماديا في الجحود ﴿وَكُفْرًا وَلَقِينَا بَيْنَهُمُ الْعِدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾

إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿فَكَلَهُمْ مَخْتَلَفٌ وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ كَلَّمَا أَرَادُوا حَرْبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَدَّهُمْ اللَّهُ ﴿وَالْحَرْبُ﴾ صِلَةٌ «أَوْقَدُوا» أَوْ صِفَةُ «نَارًا» ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أَيِ لِلْفَسَادِ بِاجْتِهَادِهِمْ فِي الْمَعَاصِي ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ أَيِ يَعَاقِبُهُمْ .

[٦٥] - ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الْكُفْرَ ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِبْطَاتِهِمْ﴾ غَفَرْنَا هَاهُنَا لَهُمْ ﴿وَلَا دَخَلْنَا لَهُمْ جَنَاتِ النَّعِيمِ﴾ مَعَ مَنْ آمَنَ .
[٦٦] - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ عَمِلُوا بِمَا فِيهِمَا ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ مِنْ سَائِرِ كِتَابِهِ أَوْ الْقُرْآنِ ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ لَوَسَّعَ عَلَيْهِمُ الرِّزْقَ بِإِفَاضَتِهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ أَوْ بِإِنزَالِ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَلَيْهِمْ ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ مُعْتَدِلَةٌ، لَمْ يَغَالُوا وَلَمْ يَقْصُرُوا، وَهُمْ مِنْ آمَنَ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بِشَسْ عَمَلِهِمْ أَوْ شَيْءٍ أَوْ الَّذِي عَمِلُونَهُ .

[٦٧] - ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ جَمِيعَهُ، لَا تَكْتُمُ شَيْئًا مِنْهُ خَوْفَ أَحَدٍ ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾ فَإِنْ لَمْ تَبْلُغْ جَمِيعَهُ ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ وَجَمْعُهَا «نَافِعٌ» وَ«ابْنُ عَامِرٍ» وَ«أَبُو بَكْرٍ»^(١) أَيِ فَكَانَكَ لَمْ تَزِدْ شَيْئًا مِنْهَا إِذْ كَتَمْتَ بَعْضَهَا كَكْتَمَانِ كُلِّهَا فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِقَابِ ﴿وَاللَّهُ يَفْصِلُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ يَضْمَنُ لَكَ الْعَصْمَةَ مِنْهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكَ فَمَا عَذْرُكَ؟ .

وَعَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَ«ابْنِ عَبَّاسٍ» وَ«جَابِرٍ»: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْتَخْلَفَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَ يَخَافُ أَنْ يَشُقَّ ذَلِكَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَنْزَلَ الْآيَةَ تَشْجِيْعًا لَهُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ: السِّتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ: قَالُوا: بَلَى قَالَ: مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

(١) أَيِ قَرَأُوهَا: «رِسَالَتَهُ» يَنْظُرُ حُجَّةَ الْقُرَآءَاتِ: ٢٢٢.

(٢) تَفْسِيرُ مَجْمَعِ الْبَيَانِ ٢: ٢٢٢ وَجَوَامِعُ الْجَامِعِ ١: ٣٤٢.

لا يمكنهم منك .

[٦٨] - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ يعتد به من الدين ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ من الكتب بالعمل بما فيها ، ومنه الإيمان بي واتباع ديني ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ فلا تحزن عليهم لازديادهم طغياناً وكفراً ، لعود ضرره عليهم .

[٦٩] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِثُونَ وَالنَّصَارَى﴾ فسر في البقرة^(١) و«الصابثون» مبتدأ نوي تأخيرها وحذف خبره لدلالة خبر «أن» عليه أي والصابثون كذلك فهو كاعتراض ، يفيد أن الصابثين مع وضوح ضلالهم يتاب عليهم ان صح ايمانهم وصلح عملهم فغيرهم أوليد ، ولم يعطف على محل اسم «ان» لعدم مضي خبرها ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مبتدأ خبره ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ والجملة خبر «أن» والرابط محذوف أي من آمن منهم أو خبرها «فلا خوف» و«من آمن» بدل من اسمها وما عطف عليه .

[٧٠] - ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ بالتوحيد واتباع الرسل ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا﴾ لإرشادهم ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ منهم ﴿بِمَا لَا تَهْوَى﴾ لا تحبه ﴿أَنْفُسُهُمْ﴾ من التكاليف ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ جزاء الشرط أو استيناف ، دل عليه ، والشرطية صفة «رسلاً» وجسيء بالمضارع حكاية للحال الماضية لتستحضر فضاعتها وللفاصلة .^(٢)

[٧١] - ﴿وَحَسِبُوا الْأَتْكَوْنَ﴾ بالنصب ورفع «أبو عمرو» و«حمزة» و«الكسائي»^(٣) على «أن» مخففة [من] الثقلية ، أي وظنوا أن لا تقع ﴿فِتْنَةٌ﴾ عقاب لهم بتكذيب

(١) سورة البقرة ٢/٦٢ .

(٢) في «ط» : وللمصلحة .

(٣) حجة القراءات : ٢٣٣ .

الرسول وقتلهم، ونابت «ان» وما في حيزها مفعول «حسب» ﴿فَعَمَّوْا﴾ عن محجة الحق ﴿وَصَمَّوْا﴾ عن استماع حججه إذ عبدوا العجل ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما تابوا ﴿ثُمَّ عَمَّوْا وَصَمَّوْا﴾ أيضاً بطلبهم المحال أي الرؤية أو عن الإسلام، والضمير لخلفهم ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ بدل من الواو أو خبر محذوف أي أولئك كثير منهم ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيؤاخذهم به.

[٧٢] - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هم «اليعقوبية» القائلون بالإنحاد ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ فاني لست بآله بل عبد مربوب مثلكم ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ في عبادته غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ منعه منها منع المحرم عليه من المحرم ﴿وَمَا أَوَاهُ النَّارُ﴾ لا معدل له عنها ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أي مالهم من نصار مما هم فيه.

وعبر بالظاهر ايذاناً بأنهم ظلموا بإشراكهم وهو من قول عيسى أو كلام الله .
[٧٣] - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ آلِهَةٍ ثَلَاثَةٍ﴾ أي أحدها والآخران عيسى وأمه، وهم «الملكانية» أو «الإسرائيلية» ويشمل قول «النسطورية» بالأفانيم الثلاثة أيضاً ان صح عنهم ﴿وَمَا﴾ في الوجود ﴿مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا ثاني له، ومن زدت للإستغراق ﴿وَأِنْ لَمْ يَنْتَهُوْا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويوحدوا ﴿لَيَمَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ «من» للبيان، وعدل عن «ليمسنهم» تكريراً للشهادة بكفرهم، أو للتبعيض أي ليمس الذين بقوا منهم على الكفر - لأن منهم من تاب - ﴿عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٧٤] - ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ مما هم عليه ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ ويوحدونه بعد هذا التهديد. وفيه تعجيب من إصرارهم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر لهم، وينعم عليهم إن تابوا.

[٧٥] - ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾

فهو مثلهم، أتى بآيات من الله كما أتوا بها، وليس بإله ﴿وَأُمُّهُ صِدْقَةٌ﴾ كبعض النساء المصدقات للأنبياء، أو الملازمات للصدق، بين غاية كمالهما، وأنه لا يوجب إلهيتهما، لمشاركة كثير لهما فيه، ثم بين نقصهما المنافي للالوهية بقوله ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ ويحتاجان إليه كالحيوانات المركبة المصنوعة ﴿انظُرْ كَيْفَ بُيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ الدالة على بطلان قولهم ﴿ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن تدبرها. و﴿ثُمَّ﴾ لتفاوت ما بين العجيبين، أي ان بياننا للآيات عجيب وإعراضهم عنها أعجب. [٧٦] - ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ هو «عيسى» أي لا يملك مثل ما يضر الله به من المحن، وما ينفع به من المنع، وتقديم الضّر يعطى أن الخوف أدعى إلى الطاعة من الرجاء، إذ دفع الضّر أهم من جلب النفع ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للأقوال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالأحوال.

[٧٧] - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا﴾ لا تجاوزوا الحدّ ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ غلّوا ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ فترفعوا «عيسى» وتجعلوه إلهاً، أو تضعوه وتجعلوه لغير رشدة أو خطاب للنصارى فقط ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا﴾ عن الحق وهم أسلافهم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ تبعهم في ضلالهم ﴿وَضَلُّوا﴾ حين بعث صلى الله عليه وآله وسلم فكذبوه ﴿عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ الطريق المستقيم، أي الإسلام.

[٧٨] - ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ لعن داود أهل «أيلة» حين اعتدوا في السبت، فمسخوا قردة، ولعن عيسى أصحاب المائدة حين كفروا، فمسخوا خنازير ﴿ذَلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ بسبب عصيانهم واعتدائهم.

[٧٩] - ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ لا ينهى بعضهم بعضاً، أو لا ينتهون ﴿عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ عن معاودته، أو عن مثله ﴿لَيْشَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ قسم مؤكد لذنم فعلهم.

[٨٠] - ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يوالون المشركين بغضاً لك ﴿لَبِئْسَ مَا﴾ أي شيئاً ﴿قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ من الزاد لمعادهم ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ﴾ هو المخصوص بالذم أي : موجب سخط الله وعذابه .

[٨١] - ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو موسى عليه السلام ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾ القرآن أو التوراة ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ لمنع الإيمان ذلك ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن الإيمان .

[٨٢] - ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ لتضاعف كفرهم وفرط بغضهم للحق وحسدكم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ لسهولة ارعوانهم ،^(١) وميلهم الى الإسلام ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ﴾ بسبب ﴿مِنْهُمْ قَسِيْرِينَ وَرَفِيَانًا﴾ علماء وعباداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن اتباع الحق أو يتواضعون .

قيل : هم النجاشي وأصحابه ، هاجر اليهم جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، ووصف لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم دينه وتلا عليهم سورة «مريم» فآمنوا .^(٢)

[٨٣] - ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ من القرآن ﴿تَرَى أَغْبِيَهُمْ تَقْيِضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ لرقه قلوبهم ﴿مِمَّا﴾ «من» للإبتداء ﴿عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ «من» للبيان أو للتبعيض ، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَمَّا﴾ بنبينا وكتابك ﴿فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ممن شهدوا نبوته ، أو من أمته الشاهدين على الأمم يوم القيامة .

[٨٤] - ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ انكار لانتفاء الإيمان مع وجود موجه وهو الطمع في دخولهم مدخل الصالحين ، أو جواب قائل : «لِمَ آمَنْتُمْ؟» و«لا نؤمن» حال من الضمير ، والعامل

(١) ارعوى الرجل عن الفحيح أو الجهل ارعواء : كفي عنه ورجع .

(٢) قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي - كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٥٩٩ .

معنى الفعل في اللام، أي أي شيء حصل لنا غير مؤمنين. «ونطمع» عطف على «نؤمن» أو حال عن فاعله.

[٨٥] - ﴿فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ بما وحدوا بإخلاص ﴿جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الموحدين.

[٨٦] - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ في ذكر حال المصدقين بالآيات، وتعقيبه بحال المكذبين بها ترغيب وترهيب.

[٨٧] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ مستلذاته.

قيل: وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم القيامة فبالغ، فهم قوم من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام، ويجانبوا الفرش والنساء واللحم، ويسبحوا في الأرض فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم:

«اني لم أؤمر بذلك. إن لأنفسكم عليكم حقاً، فإني أقوم وأنام واصوم وأفطر، وأكل اللحم، وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» فنزلت^(١) ﴿وَلَا تُحَرِّمُوا حُدُودَ اللَّهِ بِتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ، أَوْ حُدُودَ مَا أَحَلَّ إِلَى مَا حَرَّمَ، ففيتها نهى عن تحليل ما حرم وتحريم ما أحل﴾ «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْتَدِينَ» يريد عقابهم.

[٨٨] - ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا﴾ صفة مصدر محذوف، أو حال من «ما»

مبينة لا مقيدة، إذ الرزق كله حلال وفائدتها أن الحلال لا معنى لا جتنابه، وكذا ﴿طَيِّبَاتٍ﴾ أي طاهراً من كل شبهة، أو مستلذاً. وقيد به لميل النفس إليه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

[٨٩] - ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن أو كائنات ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ هو الحلف

بلا قصد: كلا والله، وبلى والله، أو على ماظن أنه كذلك ولم يكن، أي لا يؤخذكم به بعقاب ولا كفارة ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمُ بِمَا عَقَّدْتُمْ﴾ ونقمت ﴿الْإِيمَانَ﴾ عليه بالقصد

إِذَا حَشْتُمْ ، أَوْ بَنَكْتُمْ مَا عَقَدْتُمْ ، وَخَفَفَهُ «حِمْرَةً» وَ«الْكَسَائِي» . وَقَرَأَ «ابْنُ عَامِرٍ» عَاقَدْتُمْ بِمَعْنَى عَقَدْتُمْ ^(١) «فَكَفَّارَتُهُ» فَكَفَّارَةٌ نَكْتُهُ الَّتِي تَذْهَبُ إِثْمُهُ وَلَا تَجْزِي قَبْلَهُ - وَظُهُورُهُ مِنَ الْآيَةِ مَمْنُوعٌ - «إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ» مُؤْمِنِينَ . لِكُلِّ مُسْكِينٍ مَدٌّ ، وَقِيلَ : مَذَانٌ ^(٢) وَلَا يَجْزِي دَفْعُ طَعَامِهِمْ إِلَى وَاحِدٍ «مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ» مِنْهُ «أَهْلِيكُمْ» مِنْ أَقْصَدِهِ فِي النَّوْعِ لَا أَدْنَاهُ ، وَيَجْزِي الْأَعْلَى . وَهُوَ صِفَةُ مَفْعُولٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ أَنْ تَطْعَمُوا عَشْرَةَ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ .

قِيلَ قَرَأَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «أَهَالِيكُمْ» بِتَسْكِينِ الْيَاءِ ، ^(٣) جَمْعُ أَهْلِ كَذَا «أَرَاظِي» جَمْعُ أَرْضٍ «أَوْ كَسَوْتُهُمْ» عَطَفَ عَلَى «إِطْعَامٍ» ، وَهُوَ مَسْمَاها كَتُوبُ يَوَارِي الْعُودَةِ وَقِيلَ : ثُوبَانٌ ^(٤) «أَوْ تَخْرِيرُ رَقَبَةٍ» إِعْتَاقُهَا . وَظَاهِرُهُ إِجْزَاءُ كُلِّ رَقَبَةٍ .

وَمِمَّا مِنْ اشْتَرَطَ إِيمَانَهُمْ . ^(٥) وَ«أَوْ» لِلتَّخْيِيرِ فَالْوَاجِبُ إِحْدَى الْخِصَالِ الثَّلَاثِ مُطْلَقًا ، وَالتَّعْيِينَ لِلْمَكْفَرِ «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ» شَيْئًا مِنْهَا «فَصِيَامٌ» فَكَفَّارَتُهُ صِيَامٌ «ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ» مُتَابَعَةً عِنْدَنَا ، وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ مُتَابَعَاتٍ ، وَاخْتَلَفَ الْعَامَّةُ [فِيهِ] ^(٦) «ذَلِكَ» الْمَذْكُورُ «كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ» وَحَشْتُمْ «وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ» أَنْ تَنْكُتُوهَا مَا لَمْ تَرَوْا خَيْرًا مِنَ الْمَحْلُوفِ عَلَيْهِ «كَذَلِكَ» الْبَيَانُ «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ» دَلَالَتُهُ وَأَحْكَامَهُ «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» نَعْمَةُ الَّتِي مِنْهَا تَعْلِيمُكُمْ .

[٩٠] - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ» الشَّرَابُ الْمُسْكِرُ «وَالْمَيْسِرُ» الْقِمَارُ «وَالْأَنْصَابُ» الْأَصْنَامُ الْمَنْصُوبَةُ لِلْعِبَادَةِ «وَالْأَزْلَامُ» قِدَاحُ الْإِسْتِقْسَامِ «رِجْسٌ» قَذَرٌ

(١) حجة القراءات: ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢) نقله الطوسي عن علي عليه السَّلام وإبراهيم وسعيد بن جبير وغيرهم ينظر تفسير التبيان ٤: ١٢ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٢٧ وجوامع الجامع ١: ٢٥٠ .

(٤) نقله الشيخ الطوسي عن أصحابنا انظر تفسير التبيان ٢: ١٢ .

(٥) وهما السيد المرتضى والعلامة الحلي - كما ورد في كتاب الكفارات من المختلف .

(٦) زيادة اقتضاها السياق .

حيث، خبر لـ «الخمير» دال على خبر المعطوفات، أو لمضاف محذوف أي تعاطي
الخمير والميسر ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ لأنه بتزيينه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي: الرجس.
أو: التعاطي ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ باجتنابه.

أكد تحريم الخمير والميسر بحصرهما في الرجس، وقرنهما بالأصنام والأزلام،
وجعلهما من عمل الشيطان والأمر باجتنابهما وجعله من الفلاح وبيان مفاسدهما في
الدنيا والدين بقوله:

[٩١] - ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ﴾ بتزيينه لكم، تعاطيهما المثير للشر والفتن، وأفراد بال تكرير لانهما المقصود
بالذكر، وذكر الانصاب والأزلام، للاعلام باستواء الكل في الإثم ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾ بأن
يشغلکم بهما ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ خصت بالذكر لفضلها ﴿فَقُلْ أَنتُمْ
مُتَّهِونٌ﴾ عنهما بعد بيان ما فيهما من الصوارف، وهو أبلغ من «فانتهاوا».

[٩٢] - ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ عصيانهما ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن
الطاعة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رُسُلِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ولا يضره توليكم وإنما يضركم.

[٩٣] - ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ من
الحلال ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ المحرم ﴿وَوَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وثبتوا على الإيمان
والعمل الصالح ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا﴾ ثبوا على التقوى والإيمان ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ ثبوا على
اتقاء المعاصي ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ عملهم.

قيل: لما نزل تحريم الخمير قالت الصحابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: كيف
ياخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر؟ فنزلت.^(١)

وقيل: في الذين تعاهدوا على ترك الطيبات^(٢) ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(١) قاله ابن عباس وابن مالك وغيرهما - كما في تفسير البيان ٤: ٢٠.

(٢) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٤٠.

يشيهم ويكرمهم .

[٩٤] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَلْوَنَكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَبْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ ابتلاهم به «عام الحديدية» فكان يغشاهم في رجالهم بحيث يتمكنون من صيد صغاره بأيديهم، وكباره برماحهم وهم محرمون ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ ليميز من يخاف عقابه غائباً في الآخرة فيجتنب الصيد ممن لا يخافه، فيقدم عليه ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ﴾ فصاد ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الابتلاء ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وفي إيهامه تشديد لحال الصيد.

[٩٥] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ﴾ المحلل، وبعض المحرم كالثعلب والأرنب والضب واليربوع والقنفذ والقمل ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ جمع حرام بمعنى محرم ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً﴾ ذاكراً للإحرام والحرمة، ومثله الناسي والمخطيء وذكر المتعمد لنزولها فيه، وهو «أبو اليسر» قتل حمار وحش برمحه مُحَرِّماً ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾ رفعهما الكوفيون،^(١) أي فعلية جزاء يماثل ما قتله ﴿مِنَ النَّعَمِ﴾ صفة جزاء، ولا يتعلق به، وإضافه الباقيون الى «مثل» ويتعلق به «من النعم» أي فعلية أن يجزى منها مثل ما قتله.

والمماثلة عند «أبي حنيفة» باعتبار القيمة، وعندنا باعتبار الخلقة كالشافعي، والأظهر رجوعها الى النص، وفيما لا نص فيه قيمته ^(٢) «يَحْكُمُ بِهِ» بالمثل، صفة له، أو لجزاء «ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ» مسلمَانِ عادلان فقيهان يعرفان المماثل في الخلقة. وقرأ الصادقان عليهما السلام: «ذو عدل» وفسراه بالإمام ^(٣) «هَذَا» حال من الهاء في «به» أو من «جزاء» «بِالْبَيْتِ الْكُفِيِّ» صفة «هَذَا» إذ إضافته لفظية.

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٤٢.

(٢) في «ط»: يرجع الى قيمته .

(٢) جوامع الجامع ١: ٢٥٢.

قيل : بلوغه الكعبة ذبحه في الحرم،^(١) والتصدق به .

وعندنا ذبحه بفناء الكعبة في الحزورة،^(٢) والتصدق به فيها للمعتمر، وبـ«منى» كذلك للحاج ﴿أَوْ كَفَّارَةً﴾ عطف على جزاء ﴿طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ عطف بيان، أو خبر محذوف . وأضاف «نافع» و«ابن عامر» «كفارة» إضافة بيان^(٣) كـ«باب ساج» والمعنى أو ان يكفر بإطعام مساكين طعاماً^(٤) يساوي قيمة الهدى، لكل مسكين مد أو مدان، على الخلاف .^(٥) وله ما زاد على الستين ولا يكمل الناقص ﴿أَوْ عَذْلٌ﴾ أو مساوي ﴿ذَلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامًا﴾ تمييز «عدل» فيصوم عن طعام كل مسكين يوماً .
واكثرنا رتب الأقسام للأخبار.^(٦)

ومنا من خيّر^(٧) لظاهر «أو» وللنص الصحيح أن «أو» في كل القرآن للتخيير ﴿لَيَذُوقَ وَتَالَ أَمْرُهُ﴾ يتعلق بمحذوف أي فعليه كذا ليدوق ثقل جزاء فعله ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ من قتل الصيد محرماً أول مرة مع الجزاء، أو قبل التحريم، أو في الجاهلية ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى ذلك ﴿فَيَسْتَقِمْ﴾ أي فهو ممن ينتقم ﴿اللَّهُ مِنْهُ﴾ قيل : هذا يقابل الكفارة فلا تلزم العائد،^(٨) وقيل : لاتنافيه،^(٩) واختلف الفتوى^(١٠)

(١) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٤٥ .

(٢) الحزورة بالفتح ثم السكون وفتح الواو وراء وهاء وهو في اللغة الراية الصغيرة . . . وكانت الحزورة، سوق مكة دخلت في المسجد لما زيد فيه يجمع البلدان .

(٣) حجة القراءات: ٢٣٧ .

(٤) في «الف» : طعاماً ماً .

(٥) الذي ذكر في تفسير الآية ٨٩ من هذه السورة .

(٦) انظر وسائل الشريعة ٩: ١٨٢ الباب الثاني من ابواب كفارات الصيد .

(٧) وهو الشيخ حيث ذهب اليه في كتاب الحج من كتاب الخلاف المسألة: ٢٦٨ .

(٨) قاله ابن عباس والحسن - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٤٥ .

(٩) قاله عطاء وسعيد بن جبير وإبراهيم - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٤٥ .

(١٠) انظر باب كفارات الاحرام من كتاب الحج في مختلف الشريعة .

كالأخبار^(١) ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ غَالِبٌ﴾ **﴿ذُو انتِقَامٍ﴾** ممن عصاه .

[٩٦] - **﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾** ما صيد منه مما يفرخ فيه ، ولا يحل منه عندنا إلا ما له فلس من السمك لا كل صيد كالشافعي ولا كل سمك كأبي حنيفة **﴿وَطَعَامُهُ﴾** طاعم البحر أي القديد وصيده الطري ، أو طعام الصيد أي أكله **﴿مَتَاعًا﴾** مفعول له ، أي تمتعاً **﴿لَكُمْ وَلِلنَّبَاةِ﴾** مسافريكم تنزودونه **﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ﴾** ما صيد فيه مما يفرخ فيه **﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾** محرمين وإن صاده محل عندنا ، واختلف فيها العامة **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾** للجزاء .

[٩٧] - **﴿جَمَلَ اللَّهُ الْكَمْبَةَ﴾** سميت كعبة لنبوها^(٢) **﴿الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾** عطف بيان للمدح **﴿فَبِمَا لِلنَّاسِ﴾** مفعول ثانٍ ، أي ما يقوم به أمر دينهم بحجه ، ودنياهم بأمن داخله ، وريح التجار عنده . وقرأ ابن عامر^(٣) : «قيماً» مصدر «قام» **﴿وَالشَّهَرِ الْحَرَامِ﴾** لأمه للجنس ، أي الأشهر الحرام الأربعة **﴿وَالْهَذْيِ وَالْقَلْبِدِ﴾** فسرا في أولها^(٤) **﴿ذَلِكَ﴾** الجمل **﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ﴾** إذ جعله ذلك لدفع المضار ، وجلب المنافع قبل كونها دليل كمال علمه .

[٩٨] - **﴿إِعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** لمن عصاه **﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾** لمن تاب **﴿رَحِيمٌ﴾** به .

[٩٩] - **﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾** وقد فعل ، وقامت عليكم الحجة فلا عذر لكم في التفريط **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾** من الأعمال فاحذروه .

(١) وسائل الشيعة ٩: ٢٤٤ الباب ٤٧ ص ٤٨ من أبواب كفارات الصيد .

(٢) في بعض كتب اللغة : الكعبة البيت الحرام بمكة قيل سميت به لتوثقها وقيل لتربيعها .

(٣) حجة القراءات : ٢٣٧ .

(٤) عند تفسير الآية (٢) من هذه السورة .

[١٠٠] - ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي﴾ عند الله ﴿الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ حرام المال وحلاله، وطالح العمل وصالحه ﴿وَلَوْ أَغْبَجَكَ﴾ أيها السامع ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ فَإِنَّ قَلِيلَ الطَّيِّبِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْخَبِيثِ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وآثروا ما هو خير ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لتفوزوا بالثواب.

[١٠١] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ اسم جمع، أصله شيئاً، فعلاء قَدِمَتْ لامة فصار لفعاء، أي لا تسألوا الرسول عن أشياء مسكوت عنها ﴿إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ إِنْ بَيْنَهَا لَكُمْ نَعْمَكُمْ، والشرطية صفة أشياء وكذا ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ﴾ أي في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿تُبَدَّ لَكُمْ﴾ يظهرها لكم وإذا ظهرت غمتكم فلا تسألوا عنها ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ عن مسألتكم التي سلفت فلا تعودوا. وهو استئناف، أو صفة أشياء، أي عن أشياء لم يكلف الله بها ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل العقوبة.

[١٠٢] - ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ أي الأشياء، بحذف «عن» أو المسألة بقرينة «تسألوا» ﴿قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ فأجيبوا ببيانها ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ أي بسببها إذ لم يقبلوها.

[١٠٣] - ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ رد لبديع الجاهلية، أي ما شرع ﴿مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ «من» مزيدة ﴿وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ كانوا إذا انتجت الناقة خمسة أبطن، آخرها ذكر، بحروا أذننها، أي شقوها، وحرّموا ركوبها وحلبها. وكان الرجل يقول: إِنْ قَدِمَتْ فَنَاقَتِي سَائِيَةً وَيَحْرَمُ مَنَافِعَهَا كَالْبَحِيرَةِ وَإِذَا وَلَدَتْ الشَاةُ أَثْنَى كَانَتْ لَهُمْ، وَإِنْ وَلَدَتْ ذَكَرًا كَانَ لِأَهْلَتِهِمْ، وَإِنْ وَلَدَتْهُمَا لَمْ يَذْبَحُوا الذَّكَرَ لَهَا، إِذْ وَصَلَتْهُ اخْتَه، وَإِذَا انْتَجَ مِنَ الْفَحْلِ عَشْرَةَ أَبْطَنَ حَرَمُوا ظَهْرَهُ، وَقَالُوا: «حُمِي ظَهْرَهُ» وَلَمْ يَمْنَعْ مَاءً وَلَا مَرْعَى ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أَنْ ذَلِكَ افْتِرَاءٌ لَأَنَّهُمْ قَلَدُوا فِيهِ كِبَارَهُمْ.

[١٠٤] - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا

عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا» من الدين، وتمسكهم بالتقليد دليل نقص عقولهم ﴿أ﴾ همزة إنكار دخلت على واو الحال، أي أحسبهم ذلك ﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَاءُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ من الحق ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ اليه.

[١٠٥] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ إلزموا صلاحها ونصب أنفسكم بدعليكم» لأنه اسم إلزموا ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ﴾ أي الضلال ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ ولم يرد ترك الحسبة، ^(١) إذ تاركها مع المكنة ليس بمهتد ولا يضركم رفع إستئنافاً، أو جزم جواباً أو نهياً واتبع الرأى للضاد ضمّاً ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَبِئْسَ لَكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازي كلّاً بعمله.

[١٠٦] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ أي الاشهاد الذي شرع بينكم، وأضيفت الى الظرف اتساعاً ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي أسبابه ظرف للشهادة ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ بدل منه ﴿إِثْنَانِ﴾ خبر «شهادة» بحذف مضاف، أو فاعلها أي عليكم أن يشهد اثنان ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ من المسلمين وهما صفتان لـ «إثنان» ﴿أَوْ ءَاخِرَانِ﴾ عطف على «إثنان» وظاهره اعتبار عدالتهما في دينهما ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ من أهل الذمة ولا تسمع شهادتهم إلّا في هذه القضية عندنا ونسخه ممنوع؛

وارادة الأقارب والأجانب بد«منكم» و«غيركم» لا تطابق سبب النزول ﴿إِنْ أَنتُمْ صَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ أي قاربتمك والجزاء محذوف دل عليه «أو آخران» ﴿تَخْسِفُونَهُمَا﴾ تقفونهما صفة «آخران» والشرط اعتراض يفيد أنه لا يعدل عن المسلمين إلّا إذا تعذرا مطلقاً، أو في السفر فقط ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ صلاة العصر لاجتماع الناس حيثئذ، أو أي صلاة ﴿فَبَيْضَمَانٍ بِاللَّهِ إِنْ أَرَيْتُمْ﴾ إن ارتاب الوارث. وهو اعتراض يخصص القسم بحال الرية ﴿لَا تَشْتَرِي بِهِ﴾ لا نستبدل بالقسم أو بالله ﴿ثَمَنًا﴾ عوضاً من الدنيا، بأن نحلف به كذباً لأجله ﴿وَلَوْ

(١) الحسبة : نظارة ضبط الموازين والاسعار ونحو ذلك من طرف الوالي .

كَانَ» المقسم له ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ قريباً منا ﴿وَلَا تَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ التي أمرنا بأدائها ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْإِيمِينَ﴾ أي إن كنمناها .

[١٠٧] - ﴿فَإِنْ عَثِرَ﴾ اطلع ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ بخيانة وتحريف ﴿فَآخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ في الحلف ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ جني عليهم، وهم الورثة ﴿الْأُولَيَانِ﴾ الأحقان بالشهادة خبر محذوف، أي «هما الأوليان»^(١) أو بدل من فاعل «يقومان» أو من «آخران» وعلى قراءة «حفص» «استحقَّ»^(٢) مبنياً للفاعل وهو فاعله . وقرأ «حمزة» و«أبو بكر» «الاولين»^(٣) جمع «أول» صفة «الذين» أو بدل منه ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ﴾ أصدق ﴿مِنَ شَهِادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ وما تجاوزنا الحق فيها ﴿إِنَّا إِذَا﴾ إن اعتدينا ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أنفسهم، أو بجعل الباطل حقاً .

والمعنى ليشهد المحتضر عدلين من أهل دينه فإن فُقد السفر ونحوه فآخران من غيرهم ، فإن ارتاب الورثة فيهما حلفا على صدقهما بتغليظ في الوقت . وجاز تحليف الشاهد هنا للنص ، فإن اطلع على ما يكذبهما حلف آخران من الورثة على خيانتهم المعثور عليها :

قيل : خرج مسلم مع نصرانيين تجاراً فمرض وكتب وصية ودسها في متاعه وقال : «بلغاه أهلي» ومات ، ففتشاه وأخذاه منه إناء فضة نقش بذهب ، فوجد أهله الوصية وطالبوهما به ، فجحدا فترافعا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت الأولى ، فأحلفهما بعد العصر ، ثم وجد الإناء عندهما ، فقالا : ابتعناه منه ولا بينة لنا فلم نقره ، فرفعوهما الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت الثانية فحلف رجلان من أوليائه .^(٤)

[١٠٨] - ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور ﴿أَذْنَىٰ﴾ أقرب الى ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾ أي الشهود

(١) في الاصل : هما الوليان ، وفي «ب» و«ج» : هما اوليان .

(٢) حجة القراءات : ٢٣٨ .

(٤) قاله اسامة بن زيد عن ابيه كما في تفسير التبيان ٤ : ٤٢ و ٤٧ .

عموماً ﴿بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾ الذي تحملوها عليه بلا تحريف لخوف الحلف ﴿أَنْ﴾ أدنى إلى أَنْ ﴿يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ على الورثة المدعين فيحلفوا على كذبهم فيفتضحوا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أَنْ تَكْذِبُوا وَتُخَوِّنُوا ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ وصيته سماع قبول ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته الى حجة أو الجنة .

[١٠٩] - ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ ظرف «لا يهدي» أو نصب بـ «اذكر» مضمرأ ﴿يَقُولُ﴾ - لهم توبيخاً لقومهم - : ﴿مَاذَا﴾ ﴿مَاذَا﴾ في موضع المصدر، أي أي إجابة ﴿أُجِبْتُمْ قَالُوا﴾ ﴿أُجِبْتُمْ قَالُوا﴾ تشكيماً ورداً للأمر الى علمه بما كابدوا منهم ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بما أنت تعلمه أي لا حاجة الى شهادتنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ فعلعلم ما أجابونا وما أسروا في أنفسهم، أو معناه لا علم لنا مع علمك لأنك علام الغيوب فكيف الظواهر . وكسر «حمزة» و«أبو بكر» «غين» الغيوب حيث وقع .^(١)

[١١٠] - ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِكَ﴾ أي اذكر «إذ يقول» أو بدل من «يوم يجمع» أي يوبخ الكفرة^(٢) يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم، وذكر ما منحهم من آياته فكذبهم قوم ودعوههم سحرة، وغلا قوم ودعوههم آلهة ﴿إِذْ أَيْدَتُكَ﴾ قويتك ظرف «نعمتي» ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبرئيل عليه السلام، أو روحك المطهرة من الأدناس ﴿تَكَلَّمُ النَّاسُ﴾ حال من كاف «أيدتك» ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ طفلاً ﴿وَكَهْلًا﴾ بلا تفاوت في كمال العقل . ويفيد نزوله قبل الساعة لأنه رفع ولما يكتهل ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَظْفَارِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَظْفَارِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِأَظْفَارِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَظْفَارِي﴾ فسر في «آل عمران»^(٣) وقرأ «نافع» «طائرا»^(٤) ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي

(١) تفسير البضاوي ٢: ١٧٤ .

(٢) كذا ظاهر الأصل، وفي «ب» : نوبخ الكفرة وفي «ج» : توبيخاً لكفرة وفي «ط» : توبيخ الكفرة .

(٣) عند تفسير الآية : ٤٩ من سورة آل عمران .

(٤) حجة القراءات : ١٦٤ .

إِسْرَائِيلَ، الْيَهُودَ ﴿عَنْكَ﴾ عَنْ قَتْلِكَ ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الْمَعْجَزَاتِ ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ﴾ مَا ﴿هَذَا﴾ الَّذِي جِئْتَ بِهِ ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ وَقَرَأْ «حَمْزَةُ» وَ«الْكَسَائِي» : «سَاحِرٌ»^(١) أَيِ عَيْسَى .

[١١١] - ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ﴾ أَمَرْتَهُمْ عَلَى السَّنةِ رَسُلِي ﴿أَنْ أَمِنُوا بِي وَبِرَّسُولِي﴾ «أَنْ» مَصْدَرِيَّةٌ أَوْ مَفْسَرَةٌ ﴿قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ مُخْلِصُونَ .

[١١٢] - ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ مَعْمُولٌ «اذْكُرْ» أَوْ ظَرْفٌ لَهُ «قَالُوا» فَيُؤْذَنُ بِشَكْهِمْ حِينَ ادَّعَوْا الْإِخْلَاصَ إِذِ الْعَارِفُ لَا يَقُولُ ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ﴾ وَقِيلَ : هَلْ يَطِيعُ أَيُّ جَبِيصِكَ «وَأَسْتَطَاعَ» بِمَعْنَى «أَطَاعَ» وَقَرَأَ «الْكَسَائِي» : «تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ»^(٢) أَيِ سَوَالِ رَبِّكَ .

وَالْمَائِدَةُ : خَوَانٌ عَلَيْهِ طَعَامٌ مِنْ «مَادٍ» أَيِ : تَحْرُكٌ أَوْ «مَادَةٍ» أَيِ أَعْطَاهُ ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أَنْ تَقْتَرَحُوا عَلَيْهِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ كَمَا ادَّعَيْتُمْ .

[١١٣] - ﴿قَالُوا نُرِيدُ﴾ سَوَالَهَا مِنْ أَجْلِ ﴿أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئَنَ قُلُوبُنَا﴾ تَسْكُنُ بَزِيَادَةِ الْيَقِينِ ﴿وَنَعْلَمَ أَنَّ﴾ مَخْفَفَةً [مِنْ] الثَّقِيلَةِ^(٣) ﴿قَدْ صَدَّقْتَنَا﴾ فِي ادِّعَاءِ الرِّسَالَةِ ﴿وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ اللَّهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَلَكِ بِالرِّسَالَةِ عَاكِفِينَ عَلَيْهَا .

[١١٤] - ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾ نِدَاءُ شَانٍ ﴿أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ﴾ أَيِ يَكُونُ يَوْمَ نَزْوِلِهَا . قِيلَ : هُوَ يَوْمُ الْاَحَدِ^(٤) وَلِهَذَا اتَّخَذَهُ النَّصَارَى عِيداً ﴿لَنَا عِيدًا لِأَوْلَانَا﴾ أَهْلُ زَمَانِنَا بَدَلَ مَنْ «لَنَا» بِإِعَادَةِ الْجَارِ ﴿وَعَاخِرِنَا﴾ مَنْ بَاتِيَ بَعْدَنَا ﴿وَعَايَةَ﴾ كَائِنَةٍ «مِنْكَ» عَلَى قُدْرَتِكَ وَبِنَوْتِي ﴿وَأَرْزُقْنَا﴾ إِيَّاهَا أَوْ شَكَرَهَا ﴿وَأَنْتَ

(١) حجة القراءات: ٢٣٩.

(٢) حجة القراءات: ٢٤٠.

(٣) في «ط» : مخففة من الثقيلة .

(٤) قاله كعب - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٦٦.

خَيْرُ الرَّاغِبِينَ ﴿١١٥﴾ .

[١١٥] - «قَالَ اللَّهُ» - مجيباً له - : «إِنِّي مُنْزِلُهَا» وشدده «نافع» و«ابن عامر» و«عاصم»^(١) «عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي» وفتح «نافع» الياء^(٢) «أُعَذِّبُهُ عَذَابًا» تعذيباً «لَا أُعَذِّبُهُ» الهاء للمصدر «أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ» فنزلت الملائكة بها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات، فأكلوا منها .

وروى أنها كانت تنزل فيأكلون منها، ثم ترفع، فمنع متروهم سفلتهم منها، فرفعت بيغيهم ومسحوا قردة وخنازير.^(٣)

وقيل: نزلت خبزاً ولحمًا، وامروا أن لا يخونسوا ولا يخبشوا، فخانوا وخبأوا فمسحوا.^(٤) وفيها انقال أخر.^(٥)

[١١٦] - «وَإِذْ قَالَ اللَّهُ» يقول لعيسى توبيخاً لقومه «يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي» وفتح ياءها «نافع» و«ابن عامر» و«أبو عمرو» و«حفص»^(٦) «إِلَهِينِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» الظرف صلة «اتخذوني» أو صفة «إلهين» «قَالَ سُبْحَانَكَ» تنزيهاً لك من أن يكون لك شريك «مَا يَكُونُ» ما ينبغي «لي» وفتح «الياء» «الحرميان» و«أبو عمرو»^(٧) «أَنْ أَقُولَ مَا» أي قولاً «لَيْسَ لِي بِحَقِّ» لا يحق لي

(١) حجة القراءات: ٢٤٢ وفي المصحف الشريف بقراءة حفص عن عاصم «منزلها» بالتشديد. كما ذكره المؤلف - قدس سره - .

(٢) انظر كتاب السبعة في القراءات: ٢٥٠ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٦٧ .

(٤) رواه عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٦٦ .

(٥) المتداول اليوم أن يقال في جمع «نقل» نقول غير أن أنقال أيضاً جمع له آخر صحيح وإن لم يكن متداولاً .

(٦) كتاب السبعة في القراءات: ٢٥٠ .

(٧) انظر كتاب السبعة في القراءات: ٢٥٠ .

أَن أَقُولُ ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا أَسْرَهُ﴾ فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴿أَي مَعْلُومَاتِكَ. وَذَكَرَ فِي نَفْسِكَ لِلْمَشَاكِلَةِ﴾ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿يَقَرُّ الْجُمْلَتَيْنِ مَنْطِقًا وَمَفْهُومًا.

[١١٧] - ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ فِيهِ إِقْرَارُ بَأْنِهِ عَبْدٌ مَأْمُورٌ ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ خَيْرٌ مَضْمَرٌ، أَوْ مَفْعُولُهُ، أَي هُوَ، أَوْ أَغْنِي أَوْ عَظِفَ بَيَانٌ لِلْهَاءِ فِي «بِهِ» ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ رَقِيبًا، أَمْنَعُهُمْ أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بِالرَّفْعِ الْيَك.

والتوفي أخذ الشيء، وافيًا فيعم الموت وغيره ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ تَمْنَعُهُمْ مِنَ الْقَوْلِ بِهِ بِمَا أَقَمْتُ لَهُمْ مِنَ الْحُجَجِ أَوْ تَحْفَظُ أَعْمَالَهُمْ ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مَطْلَعٌ، عَالِمٌ بِهِ.

[١١٨] - ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَا تَنْهَهُمْ عِبَادُكَ﴾ الْأَحْقَاءُ بِالْعَذَابِ، إِذْ عَبْدُوا غَيْرَكَ ﴿وَلَنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَاِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الْمَنِيْعُ الْقَادِرُ عَلَى الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ الَّذِي انَّمَا يَشِيبُ وَيَعَاقِبُ لِلْحِكْمَةِ. وَامْتِنَاعُ غَفْرَانِ الشَّرِكِ لِلْعَبِيدِ لَا لَذَاتِهِ، فَلَا يَمْنَعُ تَعْلِيْقُهُ بِأَن.

[١١٩] - ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُكُمْ﴾ وَنَصَبَهُ «نَافِعٌ» ^(١) ظَرْفًا لـ «قَالَ» أَوْ مُسْتَقَرًّا خَبْرًا لـ «هَذَا» أَي هَذَا الْكَلَامُ خَبَرٌ مِنْ عِيسَى وَاقِعٌ يَوْمَ «يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ» حَالُ التَّكْلِيفِ لِأَنَّهُ النَّافِعُ فِي الْقِيَامَةِ ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بِعَمَلِهِمْ ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بِثَوَابِهِ ﴿ذَلِكَ﴾ أَي مَا عَدَدٌ مِنَ النِّفْعِ هُوَ «الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» إِذْ فِيهِ سَعَادَةُ الْأَبَدِ.

[١٢٠] - ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ مِنَ الْأَجْنَاسِ وَمِنْهَا عِيسَى وَآمَةُ، فَكَذَبَ مِنْ زَعْمِهِمَا إِلَهَيْنِ. وَغَلَبَ غَيْرَ الْعُقَلَاءِ لَفَرْطَ بَعْدِهِمْ ^(٢) عَنْ رَتْبَةِ الْأُلُوهِيَةِ ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنَ الْمَقْدُورَاتِ ﴿قَدِيرٌ﴾.

(١) حجة القراءات: ٢٤٤.

(٢) في «٥٥»: لفرط جهلهم وبعدهم.

سورة الأنعام

[٦]

مائة وخمس وستون آية مكية

وقيل : إلّا «وما قدرُوا» الآيات الثلاث و«قل تعالوا» الثلاث .^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ اخترعهما بما اشتملا عليه من عجائب الصنع ، وبدائع الحكم وأنواع النعم ، فهو المستحق للحمد . وقدم السماوات لشرفها ﴿وَجَعَلَ﴾ أحدث . والجعل المتعدي الى واحد فيه معنى التضمين كإحداث شيء من شيء أو تصديره شيئاً ، والخلق فيه معنى التقدير فافترقا ﴿الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ﴾ جمعت دونه لكثرة أسبابها إذ لكل جرم ظلّ ، وقَدِّمَتْ لتقدم العدم على الملكة ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ عطف على «الحمد لله» أي هو حقيق بالحمد على ما خلق للعباد ، ثم الذين كفروا به يعدلون عنه . فالباء يتعلق بـ«كفروا» أو على «خلق» أي أنه خلق ما يعجز عنه غيره ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه . فتعلق بـ«يعدلون» ومعناه يسوون به الأصنام . و«ثم» لاستبعاد عدولهم مع قيام هذه الحجة .

(١) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٧١ .

[٢] - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ ابتداء خلقكم ﴿مِنْ طِينٍ﴾ إذ خلق منه أصلكم آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ أجل الموت، أو ما بين الخلق والموت ﴿وَأَجَلَ مُّسَمًّى﴾ عندده ﴿أجل القيامة أو ما بين الموت والبعث. و«أجل» مبتدأ خصص بمسمى أي معين وخبره «عنده» أي لا يعلمه ولا يقدر عليه غيره تعالى ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُمْتَرُونَ﴾ تشكون. استبعاد لشكهم في البعث بعد ثبوت أنه ابتداء خلقهم، فإن من قدر على الإبتداء فهو على الإعادة أقدر.

[٣] - ﴿وَهُوَ﴾ أي: الله، وخبره ﴿الله﴾ ويتعلق بمعناه ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ أي: المعبود فيهما، أو: به يعلم، والجملة خبر ثان، أو: ظرف «مستقر» خبر ثان، بمعنى: أنه لعلمه بما فيهما كأنه فيهما ﴿يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرُكُمْ﴾ تقرير له ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُكْسِبُونَ﴾ من خير وشر، فيجازيكم به.

[٤] - ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ ما تظهر لهم حجة من حججه المعجزات كآيات القرآن وغيرها. و«من» الأولى مزيدة والثانية للتبعض ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا﴾ أي عن النظر فيها ﴿مُغْرِضِينَ﴾ لم يلتفتوا إليه.

[٥] - ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ كأنه قيل: إن أعرضوا عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظمها ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا﴾ أخبار الشيء الذي ﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي سيعلمون بأي شيء استهزءوا عند حلول العذاب بهم في الدنيا والآخرة.

[٦] - ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ﴾ خبرية ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ من أهل عصر. والقرن كل طبقة مقترنين في وقت ﴿مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أعطيناهم مكاناً فيها بالسعة والقوة وطول المقام ﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ﴾ نعط ﴿لَكُمْ﴾ يا أهل مكة. النفات عن الغيبة ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾ المظلة، إذ الماء منها، أو السحاب، أو المطر ﴿عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ مزاراً ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ تحت مساكنهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾

يَذُنُّوهُمْ ﴿ وَلَمْ يَغْنِ ذَلِكَ عَنْهُمْ شَيْئاً ﴾ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿ مكانهم فالقادر على فعل ذلك بهم قادر أن يفعله بكم .

[٧] - ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ ﴾ مكتوباً في ورق كما اقترحوه ﴿ فَلَمَّسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ أبلغ في نفي الريب من « عاينوه » . وذكر الأيدي للتأكيد ﴿ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ تعتاً وعناداً ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ .

[٨] - ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا ﴾ هَلَا ﴿ أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ نعاينه فيصدقه ﴿ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا ﴾ كما اقترحوا فلم يؤمنوا ﴿ لَقَضِيَ الْأَمْرُ ﴾ لحق إهلاكهم بمقتضى الحكمة ﴿ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴾ لا يمهلون لحظة .

[٩] - ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ ﴾ أي الذي طلبوه جواب ثان أو الرسول فهو جواب اقتراح آخر كقولهم : لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴿ مَلَكًا ﴾ يعاينوه ﴿ لَجَعَلْنَاهُ ﴾ لمثلنا الملك ﴿ رَجُلًا ﴾ كما مثل جبرائيل في صورة « دحية » غالباً إذ لم يقووا أن يروا الملك بصورته . وقد يراه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها لقوة نفسه ﴿ وَلَلْبَشَاشِ ﴾ أي ولو جعلناه رجلاً لخلطنا ﴿ عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾ ما يخلطون على ضعفهم فيقولون « ما هذا إلا بشر مثلكم » .^(١)

[١٠] - ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ تسلية له صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ فأحاط بهم الذي استهزءوا به من الحق فأهلكوا ، أو فحل بهم وبال استهزائهم .

[١١] - ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ كيف أهلكوا لتعتبروا بالنظر في آثارهم .

[١٢] - ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ملكاً وخلقاً - تبكيتاً - ﴿ قُلْ لِلَّهِ ﴾ إذ لا جواب غيره بالإتفاق ﴿ كَتَبَ ﴾ أوجب ﴿ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ التي منها اللطف بكم بنصب الأدلة على التوحيد في الدنيا ، وإثابة مطيعكم في الآخرة ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ قسم

للعبيد على اشراكهم وترك النظر ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ أي فيه، أو مبعوثين اليه فيجازيكم بعملكم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في اليوم ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أهلكوها بتعريضها للعقاب لاختيارهم الكفر. نصب ذمّاً أو رفع خيراً، أي أنتم الذين، أو مبتدأ خبره ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ رتب على خسارتهم، لأن اختيارهم الكفر أذاهم إلى الإصرار على ترك الإيمان.

[١٣] - ﴿وَلَهُ﴾ عطف على الله ﴿مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ من السكنى أي ما حلّ فيهما، أو من السكون أي ما سكن وتحرك فيهما، واكتفى بأحدهما عن الآخر ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لكل صوت ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

[١٤] - ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا﴾ معبوداً. قدم «غير» وأولي «الهمزة» لأن الإنكار لاتخاذ غير الله ولياً، لا لاتخاذ الولي ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما صفة الله ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ يرزق ولا يُرزق. وخص الطعام لشدة الحاجة اليه ﴿قُلْ إِنِّي أَمِرتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ الله من أهل عصري. وفتح «نافع» الياء^(١) ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ وقيل لي لاتكونن ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٥] - ﴿قُلْ إِنِّي﴾ وفتح «الياء» «الحرميان» و«أبو عمرو»^(٢) ﴿أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ كما عصيتهم بعبادة غيره ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ مفعول «أخاف» والشرط اعتراض، والجملة تنوب جزاءه.

[١٦] - ﴿مَنْ يُضَرْفُ غَنَةً﴾ العذاب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وبناء «حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر» للفاعل^(٣) والضمير لله، والمفعول محذوف، أو يومئذ، أي هو له ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ نجاه وأثابه ﴿وَذَلِكَ﴾ الرحم ﴿الْقَوُّزُ الْمُئِينُ﴾.

(١) كتاب السبعة في القراءات: ٢٥٠.

(٢) حجة القراءات: ٢٤٣.

(٣) في المصحف الشريف «تكن».

[١٧] - ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بلاء كقصر ومرض ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾ فلا مالك لكشفه ﴿إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ كغنى وصحة ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه ادامته ، فلا يقدر أحد على رفعه .

[١٨] - ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ القادر الغالب مستعلياً ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تدبيرهم ﴿الْخَبِيرُ﴾ بهم .

[١٩] - ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ تمييز ، نزلت حين قالوا له صلى الله عليه وآله وسلم : إن أهل الكتاب انكروك فارنا من يشهد برسالتك ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أي الله اكبر شهادة ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ خير محذوف ، أو الله ، ويلزمه انه اكبر شهادة ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لَا نَذْرُكُمْ بِهِ﴾ يا أهل مكة ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ أي وأنذر به من بلغه من الثقلين الى يوم القيامة . وبفيد تكليف من سيوجد بأحكامه ﴿أَنْتُمْ لَشَهِيدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَىٰ﴾ إنكار ﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾ بذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا إله معه ﴿وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به من الأصنام .

[٢٠] - ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بنعته في كتابهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ بلا شك ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ منهم ومن المشركين ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أذا هم كفرهم إلى الإصرار على ترك الإيمان .

[٢١] - ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الباطل اليه ، كالشريك وغيره ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ بالقرآن ومعجزات محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ﴾ بالكذب والتكذيب .

[٢٢] - ﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر يوم ﴿نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ وقرأه 'يعقوب' بالياء ، وكذا 'نقول' ^(١) في قوله : ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ توبيخاً ﴿أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ﴾ ألهمتكم التي جعلتموها شركاء لله ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ تزعمونهم شركاء .

[٢٣] - ﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ^(١) فِتْنَتُهُمْ﴾ معذرتهم أو شركهم أي عاقبته . وقرأ «ابن كثير» و«ابن عامر» و«حفص» و«تكن» بالتاء ورفع «فتنتهم» ، و«نافع» و«أبو عمر» و«أبو بكر» بالتاء ونصبها خبراً^(٢) والتأنيث له ، والإسم المصدر في ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ والباقون بالياء ونصبها ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُفْرِكِينَ﴾ يحلفون على كذب لا ينفع دهشاً وحيرة ، ونصب «حمزة» و«الكسائي» : «رَبُّنَا» نداءً^(٣) .

[٢٤] - ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بنفي اشراكهم ﴿وَصَلَّى﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ﴾ مَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ من الشركاء .

[٢٥] - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ حين تقرأ القرآن . استمع له صلى الله عليه وآله وسلم نفر من قريش منهم «النضر» فقالوا له : ما يقول محمد؟ فقال : أساطير الأولين ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ، جمع «كنان» وهو الغطاء ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ كراهة أن يفهموه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً ، فلا يسمعون . مثل في نبو^(٤) قلوبهم ومسامعهم عن قبوله ، وأسد إليه تعالى دلالة على تمكنه منهم كالجيلة ﴿وَأِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لعنادهم ﴿حَتَّى﴾ هي الداخلة على الجمل بلا عمل ، والجملة ﴿إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ حال ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جواب «إذا» أو «حتى» الجارة أي : حتى وقت مجيئهم . و«يجادلونك» حال ، و«يقول» بيان له ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم ، جمع اسطورة أو أسطار جمع سطر . والمعنى أن تكذيبهم الآيات بلغ إلى أنهم يجادلونك ، فيجعلون أصدق الحديث خرافات الأولين .

[٢٦] - ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ عن القرآن أو الرسول وإتباعه ﴿وَيَتَّبِعُونَ﴾ يتباعدون

(١) في المصحف الشريف «تَكُنْ» .

(٢) حجة الفراءات : ٢٤٣ .

(٣) حجة الفراءات : ٢٤٤ .

(٤) النبو : العلو والترفع .

﴿عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ﴾ بالنهي والنأي ﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لا يتعداهم ضرره الى غيرهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك .

وجعلها في «أبي طالب» أي ينهى عن أذاه ولا يؤمن به ، يبطله أن الضمير للكفرة المجادلين المكذبين ، أبوطالب ما كذبه قط بالاتفاق ؛ بل كان مصداقاً له مؤمناً به ، بشهادة أشعاره ، وخطبه ، ووصاياه لأهله .

وقد أجمع أهل البيت عليهم السلام على إيمانه ، فنسبة الكفر اليه محض عناد ، يدعو اليه فرط النصب لابنه أمير المؤمنين عليه السلام .

[٢٧] - ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ اروها ، او أطلعوا عليها ، او أدخلوها فعرفوا عذابها . وجوابه محذوف أي لرأيت أمراً هائلاً ﴿فَقَالُوا﴾ تمنياً ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ الى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ استئناف كـ «دعني ولا أعود» أي وأنا لا أعود ، تركنتي أو لا ، أو عطف على «نرد» أو حال من فاعله فيدخل في المتمنى والتكذيب الآتي لما تضمن من الوعد . ونصبهما «حمزة» و«حففص» جواباً للتمنى ، ورفع «ابن عامر» «نكذب» ، ونصب «نكون» .^(١)

[٢٨] - ﴿بَلْ﴾ للإضراب عن ارادة الإيمان المتمنى ﴿بَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ مَا كَانُوا يَخْشَوْنَ مِنْ قَبْلُ﴾ من الكفر أو القبائح بشهادة جوارحهم ، فتمنوا ذلك ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ الى الدنيا بعد ذلك ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الكفر ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في وعدهم بالإيمان .

[٢٩] - ﴿وَقَالُوا﴾ استئناف أو عطف على «لعادوا» ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي الحية ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ .

[٣٠] - ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ على جزائه أو عذفه حق التعريف ، أو مجاز عن حبسهم للسؤال . وجوابه كما مر ﴿قَالَ﴾ توبيخاً لهم ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ البعث

والجزاء ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ أكدوا اقرارهم بالقسم لوضوح الأمر ﴿قَالَ فَذَوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

[٣١] - ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث وما يتبعه ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لـ «كذبوا» ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة، حال، أو مصدر ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا﴾ احضري فهذا وقتك ﴿عَلَىٰ مَا قَرَرْنَا فِيهَا﴾ قصرنا في الدنيا. أضمرت للعلم بها، أو في الساعة أي في شأنها ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ إذ اعتيد حمل الإقبال على الظهور ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ بش شيئاً يحملونه حملهم.

[٣٢] - ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي أعمالها ﴿إِلَّا لَئِمٌ وَلَهُمْ﴾ اشتغال بما لا يعقب نفعاً، كما تعقبه أعمال الآخرة ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ المعاصي لدوامها. وقرأ «ابن عامر»: «ولدار الآخرة»^(١) ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢) ذلك، فيؤمنون. وقرأ «نافع» و«ابن عامر» و«حفص» بالثاء^(٣) تغليياً للحاضرين.

[٣٣] - ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿تَعْلَمُ إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لَيَحْزَنَنَّ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ كقولهم: «ساحر كذاب» ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بقلوبهم، أو في الحقيقة. وقرأ «نافع» و«الكسائي»: «لا يُكذِّبُونَكَ»^(٤) من أكذبه أي وجده كاذباً، أو نسبة إلى الكذب. وقرأه عليّ والصادق عليهما السلام^(٥) ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ وضع موضع «ولكنهم» إيذاناً بأنهم ظلموا بجحدهم القرآن. والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب.

(١) حجة القراءات: ٢٤٦.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص. تعقلون - كما يشير إليه المؤلف.

(٣) حجة القراءات: ٢٤٦.

(٤) حجة القراءات: ٢٤٧.

(٥) تفسير النبيان ٤: ١٩: وتفسير مجمع البيان ٢: ٢٩٢.

قيل : قال أبو جهل : ما نكذبك ، وإنما نكذب ما جئت به ، فنزلت .^(١)

[٣٤] - ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ تسلياً له صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَصَبِّرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا﴾ «ما» مصدرية ﴿حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ فتأس واصبر حتى يأتك نصرنا ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لمواعيده بنصر رسله ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّي الْمُرْسَلِينَ﴾ من بعض قصصهم .

[٣٥] - ﴿وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَظُمَ﴾ عَلَيْكَ إِغْرَاضُهُمْ ﴿عَنْ دِينِكَ﴾ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِي نَفَقًا سِرْبًا ﴿فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا﴾ مصعداً ﴿فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ فافعل ، أي انك لا تستطيع ذلك ولو استطعت لفعلت حرصاً على إسلامهم ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ جبرهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ بالإلجاء ، ولكن لم يفعل لمنافاته الحكمة ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بذلك .

[٣٦] - ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ يجب الى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ وهؤلاء كالموتى ، لا يسمعون ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ من قبورهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يَرْجَعُونَ﴾ للجزاء وحيتذ يسمعون ولا ينفعهم ذلك .

[٣٧] - ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ غير ما انزل من الآيات عناداً ﴿قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ﴾ وخفقه «ابن كثير»^(٢) ﴿آيَةً﴾ تلجئهم الى الإيمان أو يهلكون بجحودها ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ان انزالها بلاء عليهم وان فيما انزل غنى .

[٣٨] - ﴿وَمَا مِنْ﴾ «من» مزيدة ﴿ذَاتَةٍ﴾ تدب ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ﴾

(١) رواه سفيان الثوري عن علي عليه السلام كما في تفسير المراغي .

(٢) تفسير البيان ٤ : ١٣٦ .

يَجْتَاخِيهِ ﴿ في الجوّ، صفة لدفع مجاز السرعة ^(١) ﴾ ﴿إِلَّا أَمَمَ﴾ جمعت حملاً على المعنى ﴿أَمَثَلُكُمْ﴾ في كتب ارزاقها وآجالها وأحوالها . والقادر المدبر لذلك قادر على انزال الآية ﴿مَا قَرَطْنَا﴾ تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي اللوح ، فيه ما يجري في العالم من جليل ودقيق .

أو القرآن ، فيه ما يحتاج اليه من أمر الدين مجملاً أو مفصلاً . و«من» مزيدة ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُخْشَرُونَ﴾ فيقتصر لبعض من بعض فيأخذ للجماء من القرآن .
[٣٩] - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿صُمُّ﴾ عن سماعها بتدبير شهادتها بربوبيته ﴿وَبُكْمٌ﴾ عن النطق بالحق ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي الكفر أو الجهل ﴿مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلِّلْهُ﴾ يخذله بسوء اختياره ﴿وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يُلطف به لانه أهل اللطف .

[٤٠] - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ «الكاف» حرف خطاب لحقه ما يبين الضمير لا مفعول ، وإلا لقل : أرايتموكم ومتعلق الاستخبار محذوف أي أخبروني ﴿إِنْ أَنَا كُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ أَتَنُكُمُ السَّاعَةُ﴾ وهولها من تدعون ﴿أَغْيِرِ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ تَبَكَّيت ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ان الأصنام آلهة فادعوها .

[٤١] - ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ لا غير ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ الذي تدعونه الى كشفه ﴿إِنْ شَاءَ﴾ كشفه ﴿وَتَسْتَوُونَ﴾ وتتركون ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ به من آلهتكم فلا تدعونها إذ لا نفع لغيره .

[٤٢] - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ رسلاً ﴿إِلَى أُمَمٍ مِنْ﴾ «من» مزيدة ﴿قَبْلِكَ﴾ فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ الْبِائِسَاءَ وَالضَّرَّاءَ﴾ بالفقر والمرض ﴿لَمَّا لَهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ يتذللون لنا ، فيؤمنون .

(١) حيث يستعمل الطيران مجازاً للسرعة في المشي والحركة فلدفع هذا قال تعالى : «يطير بجناحيه» ، وانظر تفسير التبيان ٤ : ١٢٨ .

[٤٣] - ﴿قُلُوا لَا﴾ فهلا ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا﴾ أي لم يتضرعوا مع وجود الداعي ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فذلك الذي منعهم عن التضرع .

[٤٤] - ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهِ﴾ من البأساء والضراء فلم يتعظوا ﴿فَتَخَنَا﴾ وشدده «ابن عامر» حيث وقع ^(١) ﴿عَلَيْهِمْ أَبْوَابُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من صنوف النعم، امتحاناً لهم بالشدة والرخاء لتلزمهم الحجة أو استدراجاً لهم ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا﴾ أعجبوا ﴿بِمَا أُوتُوا﴾ من النعم ويطروا ولم يشكروا ﴿أَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون متحسرون .

[٤٥] - ﴿فَقَطَّعَ دَائِرُهُ﴾ آخر ﴿الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي استوصلوا ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على إهلاكهم ويفيد أن إهلاك الظلمة نعمة يجب الحمد عليها .

[٤٦] - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ اخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾ أصمكم وأعماكم ﴿وَحَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ اذهب عقلها بالتغطية عليها ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ أي بما أخذ وختم عليه ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نبيتها أو نوجهها حججاً عقلية وترغيباً وترهيباً وتذكيراً بمن مضى ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْذُقُونَ﴾ يعرضون عنها بعد ظهورها .

[٤٧] - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾ بلا أماره قبله ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ تسبقه أمارته، أو ليلاً ونهاراً ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ أي ما يهلك به هلاك سخط ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون .

[٤٨] - ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من النار ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بفوت الجنة .

[٤٩] - ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُكُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾

بخروجهم عن الطاعة .

[٥٠] - ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ مقدورانه أو ارزاقه ﴿وَلَا أَنِّي﴾
﴿أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾ ما لم يوح إلي ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ من الملائكة، أقدر على
مقدورهم ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي لم أدع ما يستبعد من الهية أو ملكية، بل
أدعي النبوة وهي من كمالات البشر ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ الجاهل
والعالم، أو: الكافر والمؤمن ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعلموا الحق، أو فتؤمنوا .

[٥١] - ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ لـ «ما يوحى» ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ هم
عصاة المؤمنين، أو كل مقر بالبعث من مسلم وكتابي، أو مجوز له ولو متردداً ﴿لَيْسَ
لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ حال من «يخشروا» ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ كي يخافوا فيتوبوا .

[٥٢] - ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ يعبدونه ﴿بِالْقُدُورَةِ وَالْقِشْيِ﴾ بالعدوم أو
في صلاة الصبح والعصر. وقرأ «ابن عامر»: بالغدوة^(١) ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ حال أي
يدعونه مخلصين فيه . وهم فقراء المسلمين، وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن
يطردهم ليجلسوا إليه فأبى . قالوا: فتحهم عنا إذا جئنا قال: نعم، فنزلت ﴿مَا عَلَيْكَ
مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي ليس لك إلا اعتبار ظاهريهم وإن كان باطنهم غير مرضي
كما زعمه المشركون فحسابهم لا يتعداهم اليك ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾
وقيل: الضمير للمشركين أي لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك^(٢) ﴿فَتَطْرُدُهُمْ﴾
جواب النفي ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ جواب النهي .

[٥٣] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الفتن ﴿فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بِنَفْسِهِمْ يَفْضُ﴾ الغني والشریف
بالفقر والوضيع بأن وفقناه للسبق بالإيمان ﴿لِيَقُولُوا﴾ أي الأغنياء إنكاراً . والسلام

(١) أي بالولو وضم الغين - كما في حجة القراءات: ٢٥١.

(٢) رواه ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٣: ٣٠٦.

للعاقبة، أو للعلة بتضمين «فتنا» معنى «خذلنا» ﴿أَهْوَلَاءُ﴾ الفقراء ﴿مَنْ اللَّه﴾ انعم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بالتوفيق للخير ﴿مِنْ بَيْنَنَا﴾ دوننا، ونحن الرؤساء وهم الضعفاء ومثله: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾^(١) ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ فيوفقهم.

[٥٤] - ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ هم الذين يدعون ربهم. وصفوا بعبادته، ثم بالإيمان بحججه إيداناً بأنهم أهل للتقريب والإكرام، ولا الطرد والإهانة. وقيل: قال قوم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: اصبنا ذنوباً، فسكت عنهم فنزلت^(٢) ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ابدأهم بالتسليم وأبلغهم سلام الله ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ﴾ أوجب ﴿عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ تفضلاً ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا﴾ استئناف لبيان الرحمة وفتحها «نافع» و«عاصم» و«ابن عامر» بدلاً منها^(٣) ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ متلبساً بفعل الجهالة، إذ ارتكاب ما يعقب الضرر جهل وسفه ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد عمله ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل ﴿فَأَنَّهُ﴾ أي الله ﴿غَفُورٌ﴾ له ﴿رَحِيمٌ﴾ به، وفتحها من فتح الاولى سوى «نافع»^(٤). مبتدأ أو خبر، أي فله أو فأمره غفرانه.

[٥٥] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ التفصيل ﴿تَفْصِيلُ الْآيَاتِ﴾ نبين آيات القرآن ليظهر الحق ﴿وَلَتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ قرأ «نافع» بالتاء، ونصب «سبيل» مفعولاً خطاباً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

و«ابن كثير» و«ابن عامر» و«أبو عمرو»^(٥) و«حفص» برفعه فاعلاً، والباقون بالياء ورفعهم على تذكيره^(٦).

(١) سورة الاحقاف: ٤٦/١١.

(٢) قاله انس بن مالك - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٠٧.

(٣) حجة القراءات: ٢٥٢.

(٤) في «ط»: أبو بكر.

(٦) السبعة في القراءات: ٢٥٨.

[٥٦] - ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتٌ﴾ عن ﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدونهم أو تسمونهم آلهة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ استجهال لهم وبيان لعللة الإمتناع من متابعتهم، ولسبب ضلالهم من اتباع الهوى لا الحجة ﴿قَدْ ظَلَمْتُ إِذَا﴾ ان اتبعت أهواءكم ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ تعريض بهم .

[٥٧] - ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿مِنْ رَبِّي﴾ من معرفته، أو كائنه منه ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ بربي حيث أشركتم به، أو بالبينه على المعنى أي القرآن ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في العذاب وغيره ﴿يَقْضَىٰ﴾^(١) القضاء ﴿الْحَقُّ﴾ أو يصنع الحق، وقرأ «ابن كثير» و«نافع» و«عاصم» يقض أي يقول^(٢) ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ القاضين .

[٥٨] - ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي﴾ في قدرتي ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بأن أهلككم فاستريح، ولكنه عند الله ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ وبما توجبه الحكمة من أخذهم وامهالهم .

[٥٩] - ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ ما يتوصل به اليه، مستعار من المفاتيح جمع مفتاح بكسر الميم، وهو المفتاح أي هو المتوصل اليه وحده، أو خزانته جمع مفتاح بالفتح وهو المخزن ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ فيعلم ما توجبه الحكمة من تعجيلها وتأخيرها فيفعله ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ من حيوان وغيره ﴿وَمَا تَنْسُقُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ حال سقوطها وقبله وبعده ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَآسٍ﴾ عطف على «ورقة» ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو علمه تعالى، أو اللوح . والإستثناء بدل كل من الإستثناء قبله، أو بدل استعمال منه .

[٦٠] - ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ يقبضكم بالنوم فيه ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾

(١) في المصحف الشريف «يقض» .

(٢) حجة القراءات: ٢٥٤ .

كسبتم ﴿يَالنَّهَارُ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ يوقظكم في النهار ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ ليستوفي المتيقظ ^(١) أجله المضروب له في الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالموت أو البعث ﴿ثُمَّ يُبْعَثُكُمْ فِيهَا لَكُمْ كُتُبٌ تَعْمَلُونَ﴾ بمجازاتكم به .

[٦١] — ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ملائكة تحصي أعمالكم ، وفيه لطف للعباد لأنهم إذا علموا أن أعمالهم تكتب وتعرض في القيامة ، كان أزجر عن الذنب ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ ملك الموت وأعوانه . وقرأ «حمزة» : «توفاه» ^(٢) بألف مماله ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ لا يقصرون بالتواني عما حذ لهم .

[٦٢] — ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ الى حكمه ﴿مَوَلاَهُمْ﴾ المتولي أمرهم ﴿الْحَقِّ﴾ الثابت العدل في حكمه ﴿الْآلَةُ الْعُكْمُ﴾ يومئذ لا لغيره ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ يحاسبهم في قدر حلب شاة ، لا يشغله حساب عن حساب .

[٦٣] — ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾ وخففه «يعقوب» ^(٣) ﴿مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ شدائد هما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ، وذو كواكب ﴿تَدْعُونَهُ﴾ حال ﴿تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً﴾ علانية وسراً ، حالان أو مصدران وكسر الخاء «أبو بكر» ^(٤) قائلين ﴿لَئِنْ قَسَمَ أَنَجِّيتَنَا﴾ ^(٥) وقرأ «الكوفيون» : «انجانا» ^(٦) ﴿مِنْ هَٰذِهِ الظُّلُمَاتِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ .

(١) في «ط» المستقضي .

(٢) حجة القراءات : ٢٥٤ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٢ : ٣١٢ .

(٤) حجة القراءات : ٢٥٥ .

(٥) وفي المصحف الشريف بقراءة حفص ، «انجينا» .

(٦) حجة القراءات : ٢٥٥ .

[٦٤] - ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ﴾ وشدده الكوفيون^(١) ﴿مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ سواها ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ به ولم تفوا بوعد الشكر.

[٦٥] - ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ كالطوفان والريح والحجارة والصيحة ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾ كالغرق والخسف ﴿أَوْ يَلْسَنَكُمْ شِعَاءً﴾ يخلطكم فرقاً مختلفي الأهواء ﴿وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ يقتل بعضهم بعضاً ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نبين الدلائل ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ فيميزون الحق من الباطل.

[٦٦] - ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ القرآن أو العذاب ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الصدق أو الثابت الوقوع ﴿قُلْ لَنْتُ عَلَيْكُمْ يَوْكِلِ﴾ فاحفظكم من التكذيب أو اجازيكم ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَذِرٌ﴾^(٢).

[٦٧] - ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ خبر ومنه عذابكم ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ وقت استقرار وحصول ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما يحل بكم، تهديد لهم.

[٦٨] - ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بالطعن والإستهزاء بها ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فلا تجالسهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ غير الخوض فيها ﴿وَأَمَّا﴾ هي «ان» الشرطية أدغمت في «ما» الزائدة ﴿بُنْيَسَكَ﴾ وشدده «ابن عامر»^(٣) ﴿الشَّيْطَانُ﴾ بوسوسته فجالسهم.

وفرض الإنساء لا يستلزم وقوعه، أو خطوب من الله عليه وآله وسلم والمراد غيره ﴿فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِ﴾ ذكرك النهي ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وضع موضع معهم إيداناً بظلمهم بوضع الإستهزاء موضع التعظيم.

(١) حجة القراءات: ٢٥٥.

(٢) سورة ص: ٦٥/٢٨.

(٣) حجة القراءات: ٢٥٦.

[٦٩] - ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ما يلزمهم بمجالسة الخائضين ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ شَيْءٍ مِنْ ذُنُوبِهِمْ ﴿وَلَكِنْ ذِكْرٌ﴾ يذكرونهم تذكيراً بالاعراض والوعظ، أو عليهم ذكرى ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض، فيتركونه أو لعل المتقين يشتون على التقوى، ويزدادونها بالذكرى.

وقيل: قال المسلمون: «ان قمنا كلما استهزءوا لم نستطع جلوساً ولا طَوْفاً فترلت»^(١).

[٧٠] - ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ تشبيهاً بما لا يعقب نفعاً كعبادة الأصنام، أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه ضحكة وسخرية، أي أعرض عنهم ولا تبال بهم. وقيل: كَفَّ عنهم. ونسخ بآية السيف^(٢) ﴿وَعَزَّزْتُهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ وزهرتها ﴿وَذَكَّرَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ مخافة أن تسلم للهلكة ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ بسوء عملها ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ﴾ ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ ينجيها من العذاب ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ﴾ نفذ كل فداء ونصب «كل» مصدراً ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ المسند اليه «منها» لا ضمير المصدر بخلاف ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾^(٣) أي فدية ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ أسلموا للهلكة بسوء عملهم ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء مغلي حارٌّ ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هو النار ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

[٧١] - ﴿قُلْ أَدْعُوا﴾ أعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾ ان عبدناه. ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ ان لم نعبده ﴿وَنُرْثَهُ عَلَى أَغْصَانٍ﴾ ونرجع إلى الشرك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ بتوفيقه للإسلام ﴿كَالَّذِي﴾ مشبهين الذي، أو ردأ كَرَدَ الذي ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ ذهبت به

(١) نقل الطوسي معناه عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير البيان ٤: ١٦٧.

(٢) قاله قتادة - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣١٨.

(٣) سورة البقرة: ٤٨.

المردة. من «هوى» أي ذهب. وقرأ «حمزة» بآلف مماله^(١) ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ المهمة^(٢) ﴿حَيْرَانَ﴾ متحيراً لا يدري ما يصنع ﴿لَهُ أَصْحَابٌ﴾ رفقة ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ الى ان يهدوه طريق الحق، أو الى طريق الحق يقولون له ﴿اِئْتِنَا﴾ فيعرض عنهم فيهلك ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾ وهو الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ وما وراءه ضلال ﴿وَأَمْرُنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقل: امرنا بذلك لنسلم، أو امرنا بأن نسلم.

فاللام لتعليل الأمر، أو بمعنى الباء.

[٧٢] - ﴿وَأَنْ أَيْمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا﴾ عطف على «النسلم» أي وإقامتها أو بإقامتها ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ بعد الموت للجزاء.

[٧٣] - ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قائماً ﴿بِالْحَقِّ﴾ والحكمة ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ خبر لقوله ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ أي تكوينه الحق والحكمة حين يكون الأشياء. وقيل: نصب «يوم» عطفاً على «السماوات»، أو الهاء في «اتقوه»^(٣) وقوله الحق مبتدأ وخبر، أو فاعل «يكون» أي وحين يقول لقوله الحق أي لقضائه «كن فيكون».

والمراد بالتكوين إحداث الأشياء، أو حشر الأموات في القيامة ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ يختص به ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ ينفخ اسرافيل في القرن النفخة الثانية ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله ﴿الْحَيُّ﴾ بكل شيء.

[٧٤] - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَعِزَّنِي﴾ عطف بيان «لأبيه».

قيل: هو لقب ذم له،^(٤) لأن اسمه «تارخ» بالإتفاق وقيل: هما علمان له،^(٥)

(١) حجة القراءات: ٢٥٦.

(٢) المهمة والمهمة: المغارة البعيدة.

(٣) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٢٠.

(٤) نقله الطوسي في تفسير التبيان ٤: ١٧٥.

(٥) قاله سعيد بن عبدالعزيز كما في تفسير الطبري ٥: ٢٤٣.

وقيل : اسم صنم ، لقب به للزومه عبادته .^(١)

وعندنا أنه عمه والعم يدعى أباً ، أو جده لأمه ، لإجماعنا على تنزيه آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الكفر الى آدم ، وتعضده الأخبار .^(٢) ومنع صرفه للعلمية والمعجمة وضمه «يعقوب»^(٣) منادى «أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا إِلَهَةً» توبيخ له «إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ» عن الحق «مُبِينٍ» ظاهر .

[٧٥] — «وَكَذَلِكَ» التبصير «نُرِي إِبْرَاهِيمَ» نبصره «مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» ملكهما . والتناء للمبالغ ليستدل به على وحدانية مبدعه «وَلْيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أو التقدير واريثاه ليكون .

[٧٦] — «فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ» ستره بظلامه . تفصيل للإراءة أو عطف على «قال» وكذلك ، اعتراض «رَبِّهَا كَوَكَبًا» الزهرة أو المشتري «قَالَ» منها لقومه على خطأهم في عبادة الأصنام والكواكب ، ومرشداً لهم الى طريق النظر المؤدي الى الحق «هَذَا رَبِّي» في زعمكم ، أو قاله في نفسه مستدلاً حين خرج من السرب^(٤) الذي ولدته فيه أمه خوفاً أن يقتله «نمرود» أو حين راجع النظر «فَلَمَّا أَقْلَ» غاب «قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ» ان اتخذهم آلهة ، لاقتضاء الانتقال الحدوث المنافي للالهية .

[٧٧] — «فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا» طالعا «قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَقْلَ قَالَ لَيْتَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي» بلطفه وتوفيقه «لَا كُوتُنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ» تعريض بضلال قومه بعبادة المصنوع .

[٧٨] — «فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي» ذكر المبتدأ لتذكير الخبر «هَذَا

(١) قاله سعيد بن المسيب ومجاهد كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٢١ .

(٢) انظر الكافي ١: ٤٤١ الحديث رقم (٩) وتفسير التبيان ٤: ١٧٥ وتفسير مجمع البيان ٢: ٢٢٢ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٢١ .

(٤) السرب : الحفير تحت الارض .

أَكْبَرُ» من الأولين ﴿فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالخالق من الأجرام المخلوقة المحتاجة الى محدث يحدثها .

[٧٩] - ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ نفسي وعباداتي . وفتح «نافع» و«ابن عامر» و«حفص» «باء» و«جهي»^(١) ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ خلقهما وهو الله ﴿خَفِيفًا﴾ مائلاً الى توحيده ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به .

[٨٠] - ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ جادلوه في التوحيد ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ﴾ في وحدانيته . وخفف النون «نافع» و«ابن عامر»^(٢) ﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾ الى توحيده ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ من آلهتكم ان تضروني إذ لا تضر ولا تنفع ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ من سوء يصيبني به من جهتها كأن يرجمني بركوب إن استوجبه بذنب ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز، أي : وسع علمه كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتميزون الحق من الباطل .

[٨١] - ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ ولا يضر ولا ينفع ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ﴾ أي : اشراككم ﴿بِاللَّهِ﴾ الخالق القادر أن يضر وينفع ﴿مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ﴾ بإشراكه ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حجة ، وهو آلهتكم المخلوقة العاجزة ﴿فَأَيُّ الْقَرِينِينَ﴾ من الموحدين والمشركين ﴿أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الأحق به منهما ، ثم استؤنف الجواب عن السؤال بقوله :

[٨٢] - ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ بشرك . روى : أنها لما نزلت شق على الناس ، وقالوا : أئنا لم نظلم أنفسه ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «ليس ما تمنون» إنما هو ما قال «لقمان» : ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٣) وليس الإيمان

(١) النشر في القراءات العشر: ٢٦٧.

(٢) حجة القراءات: ٢٥٧.

(٣) رواء عبدالله بن مسعود - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٢٧ والآية من سورة لقمان: ٢١/١٣.

به أن يصدق بالله ويشرك به غيره ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ من العقاب ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ لطريق النجاة .

[٨٣] - ﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى ما احتج به ابراهيم من أقول الكوكب وما بعده ﴿حُجَّتْنَا﴾ خبر «تلك» أو بدله والخبر ﴿ءَاتَيْنَاهَا﴾ الهمناها ﴿إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ متعلق بـ «حجتنا» على الأول، وبمحذوف على الثاني، أي: آتيناه ابراهيم حجة على قومه ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾ في العلم والفهم . ونوته الكوفيون^(١) ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في فعله ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوال خلقه .

[٨٤] - ﴿وَوَعَدْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا﴾ منهما أو منهم ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل ابراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ الهاء لـ «نوح» لقربه ولأن «يونس» و«لوطاً» ليسا من ذرية ابراهيم . وقيل : لابراهيم^(٢) ومن ذكر في الآية الثالثة عطف على «نوحاً» «دَاوُدَ وَشُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ» بن «أموص» من أسباط «عيص بن اسحاق» ﴿وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾ أي كما جزيناهم ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ .

[٨٥] - ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾ ويفيد شمول الذرية لأولاد البنت كالحسين عليهما السلام ﴿وَالْيَاسَ﴾ قيل : هو «ادريس» جد نوح،^(٣) فيختص البيان بمن في الآية الاولى . وقيل : من أسباط هارون أخي موسى^(٤) ﴿كُلُّ﴾ منهم ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ عملاً .

[٨٦] - ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ بن ابراهيم ﴿وَالْبَسَعَ﴾ بن اخطوب، وشدد «حمزة» و«الكسائي» «السلام» وسكنوا «الياء»،^(٥) وعلى القرأتين علم اعجمي دخلته اللام

(١) حجة القراءات: ٢٥٨ .

(٢) قاله الزجاج - كما في تفسير التبيان ٤: ١٩٤ وتفسير مجمع البيان ٢: ٢٢٠ .

(٣) قاله ابن مسعود - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٢٠ .

(٤) قاله ابن اسحاق - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٢٠ .

(٥) حجة القراءات: ٢٥٩ .

﴿يُونُسَ﴾ بن متى ﴿وَلُوطًا﴾ بن هاران^(١) أخى إبراهيم، وقيل: ابن خالته وأخو سارة ﴿وَكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم بالنبوة.

[٨٧] — ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ عطف على «كلًا» و«من»

للتبعض، لأن بعضهم ليس نبيًا، أو على «نوحًا» ولا يلزم أن يكون في والديهم من ليس بمهدي لجواز أن يراد ببعض آبائهم من عدى العمومة لأن العم أب ﴿وَاجْتَنَيْنَاهُمْ﴾ اصطفيانهم ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ كرر لبيان ما هداوا اليه من الدين الحق.

[٨٨] — ﴿ذَلِكَ﴾ الهدى الذي منحوه ﴿هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾

ممن يعلمه أهلاً له ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ أي هؤلاء الأنبياء مع فضلهم ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كما يحبط عمل غيرهم لو أشرك.

[٨٩] — ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ جنس الكتب ﴿وَالْحُكْمَ﴾ الحكمة أو

الفصل الحق ﴿وَالنَّبُوَّةَ فَإِنَّ يَكْفُرُ بِهَا﴾ بهذه الثلاثة ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ بمراعاتها ﴿قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ وهم الأنبياء المذكورون، أو الملائكة، أو من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

[٩٠] — ﴿أُولَئِكَ﴾ الأنبياء ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيَهْدَاهُمْ﴾ فبطريقتهم مما توافقوا فيه

من التوحيد والصبر والتبليغ ﴿أَقْنَدَهُ﴾ الهاء للوقف. وحذفها «حمزة» و«الكسائي» وصلاً، وأثبتهما الباقر مطلقاً، واشبعها «ابن عامر» كسراً.^(٢) ولا يفيد تعبه صلى الله عليه وآله بشرع من قبله ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ أو القرآن ﴿أَجْرًا﴾ كما لم يسأل الأنبياء قبلي، وهذا مما يقتدى بهم فيه ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما التبليغ والقرآن ﴿إِلَّا ذِكْرِي﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الثقلين.

(١) في «ط»: هارون وفي بعض كتب التفسير: جازان.

(٢) حجة القراءات: ٢٦٠.

[٩١] - ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عرفه اليهود حق معرفته في الرحمة لعباده أو السخط على الكفرة ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشِيرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ حين أنكروا الرسل والوحي وذلك من رحمته، أو حين جسروا على هذا الإنكار الموجب لسخطه. قالوه إنكاراً للقرآن.

وقيل: قاله بعضهم حين غضب من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، هل تجد فيها أن الله ييغض الحبر السمين^(١) - وكان سميناً - ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِينَ بُدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ وقرأ «أبو عمرو» و«ابن كثير» الثلاثة بالياء،^(٢) وهو إلزام لهم وذم على تفريقهم التوراة في ورقات، وإبداء ما يشتبهون منها، وإخفاء كثير كعت محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَعَلِمْتُمْ﴾ أيها اليهود بالقرآن ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ من بيان ما ألبس عليكم، واختلفتم فيه ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أي أنزله الله إذ لأجواب غيره ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾ باطلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾ حال من «هم» الأول أو الثاني.

[٩٢] - ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ كثير النفع ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ عطف على معنى ما قبله أي أنزلناه للبركة والتصديق ولتنذر، وقرأ «أبو بكر» بالياء^(٣) ﴿أُمِّ الْقُرَى﴾ أهل مكة. وسميت أمًّا لأنها قبله أهل القرى ومحجهم.

أو لأن فيها أول بيت وضع، أو لدحو الأرض من تحتها ﴿وَمَنْ حَوَّلَهَا﴾ سائر الناس ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فإن خوف العاقبة يبعث على الإيمان بالرسول والقرآن.

(١) قاله سعيد بن جبير - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٢٢.

(٢) حجة القراءات: ٣٦٠.

(٣) حجة القراءات: ٣٦١.

والهاء لأحدهما أو على المحافظة على عماد الدين .

[٩٣] - ﴿وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بإعاده النبوة، أو الأعم منه ﴿أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ . نزلت في «مسيلم» وقيل: في «ابن أبي سرح» كان يكتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما نزل، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ إلى قوله ﴿خَلَقْنَا آخِرَ﴾^(١) قال متعجباً «تبارك الله أحسن الخالقين» .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اكتبها، فكذلك نزلت فشك وقال: إن صدق محمد فقد أوحى إليّ كما أوحى إليه، وإن كذب فقد قلت كما قال^(٢) ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وهم الذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا وقيل: «ابن أبي سرح»^(٣) ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ شدائده من غمره الماء: غطاه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ لقبض ارواحهم أو بالعذاب يقولون تغليظاً عليهم ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ لنقبضها، أو خلصوها من العذاب ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ وضافته إليه لتمكنه منه ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ كالإشراك، ودعوي الإيحاء كذباً ﴿وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ﴾ عن الإيمان بها ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ وجواب «لو» لرأيت أمراً عظيماً.

[٩٤] - ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ للجزاء ﴿فَرَادَى﴾ منفردين عن الأهل والمال، جمع فرد ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بدل منه، أو حال مرادفة، أو مداخله أي مُشْبِهَن ابتداء خلقكم حفاة عراة عزلاً^(٤) ﴿وَوَرَكُنْكُمْ مَا حَوَّلْنَاكُمْ﴾ ما أعطيناكم من الأموال والولد ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ لم تحتملوا منه شيئاً ولا قدمتموه ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ الأصنام

(١) سورة المؤمنون: ٢٣/١٢-١٤.

(٢) قاله ابن عباس وشرحيل - كما في تفسير القرطبي ٧: ٤٠.

(٣) رواه القرطبي في تفسيره ٧: ٤٠، عن ابن عباس وشرحيل.

(٤) والعزل: هم القلف، الذين لم يختنوا بعد.

﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ في استعبادكم ﴿شُرَكُوتَا﴾ لله ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ وصلكم؛ وهو للوصل وضده، أو الإسناد إلى الظرف اتساعاً، ونصبه «نافع» والكسائي «وحفص»^(١) والفاعل المصدر، أو مضمراً أي وقع التقطع، أو تقطع الوصل بينكم ﴿وَصَلَّ﴾ ضاع ﴿عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ من شفاعتها .
أو أن لا بعث .

[٩٥] - ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ﴾ شاق ﴿الْحَبِّ﴾ بالنبات ﴿وَالنَّوَى﴾ بالنخل والشجر ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ الحيوان والنامي من النطف، والبيض، والحب والنوى ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ﴾ هذه الأشياء ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ الحيوان والنامي، محمول على «فالق»، ويخرج الحي كالبيان له ﴿ذَلِكُمْ﴾ الفالق والمخرج ﴿اللَّهُ﴾ المستحق للعبادة ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عنه مع وضوح الدليل .

[٩٦] - ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ مصدر سمي به الصبح أي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل، أو شاق ظلمة الإصباح وهي الغبش^(٢) قبله ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا﴾ يسكن إليه التعب للإستراحة من «سكن إليه» أي اطمأن، أو يسكن الخلق فيه . ونصب بفعل دل عليه «جاعل» ان كان للماضي، أو به ان كان للإستمرار وقرأ الكوفيون «وجعل»^(٣) عطفاً على معنى «فالق»، أي فلق وجعل ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ نصبا بإضمار «جعل» أو بالمعطف على محل الليل ﴿حُسْبَانًا﴾ حساباً للآوقات أو بحذف الباء، حال عن مقدر أي يجريان بحساب معلوم ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في سلطانه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بتدبير خلقه .

[٩٧] - ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾ خلق لنعمكم ﴿النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ

(١) حجة القراءات: ٣٦١ .

(٢) الغبش - محرقة - : بقية الليل او ظلمة آخره .

(٣) حجة القراءات: ٣٦٢ .

الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴿ في ظلمات الليل فيهما وأضيئت اليهما للملابسة وهو تخصيص لبعض منافعها بعد الإجمال .

وعن علي بن ابراهيم : النجوم آل محمد عليهم السلام ^(١) ﴿قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِ﴾ بينا الحجج ﴿لَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لأنهم المستفعدون به .

[٩٨] - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم﴾ خلقكم ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هو آدم عليه السلام ﴿فَمُسْتَقَرٍّ وَمُسْتَوْدَعٍ﴾ فلكم استقرار في الأرحام أو فوق الأرض واستيداع في الأصلاب أو القبور، أو مكان استقرار واستيداع . وكسر «القاف» «أبو عمرو» وابن كثير ^(٢) اسم فاعل .

والمستودع اسم مفعول أي فمنكم قار ومنكم مستودع ﴿قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ مواقعها . وذكر في السابقة «يعلمون» وهنا «يفقهون» لأن انشاء الأنس من آدم وتصريف أحوالهم أدق، فيحتاج إلى دقة نظر .

[٩٩] - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من جهتها أو السحاب ﴿مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾ التفات عن الغيبة ﴿يِهِ﴾ بالماء ﴿نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ﴾ رزقه، أو نبات كل صنف ينبت ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ من النبات أو الماء ﴿خَضِرًا﴾ شيئاً أخضر ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُرَكَّبًا﴾ يركب بعضه بعضاً كالسنبل ونحوه ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ خبر ﴿مِنْ طَلْمِهَا﴾ بدل منه ﴿فَتَوَّانٍ﴾ مبتدأ أي وحاصلة من طلع النخل فتوان، جمع فتو وهو العذق ﴿وَدَانِيَةً﴾ قريبة من التناول، أو قريب بعضها من بعض، واقتصر عليها عن البعيدة لفهمها منها وفضلها ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَثْنَابٍ﴾ عطف على «نبات» .

قيل : رفعها علي عليه السلام مبتدأ أي ولكم ^(٣) ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ عطف على

(١) تفسير القمي ١: ٢١١.

(٢) حجة القراءات: ٣٦٢.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٤٠.

«نبات» أو نصباً على الاختصاص لفضلهما «مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ» حال من الجميع، أي بعضه متشابه طعماً ولوناً وحجماً، وبعضه غير متشابه «انْظُرُوا» معتبرين «إِلَى ثَمَرِهِ» وضم «حمزة» والكسائي أوليه، ^(١) وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر، وخشبة وخشب «إِذَا أُنْمِرَ» أول اخراجه كيف هو «وَيَنْبَعُ» وإلى نضجه إذا أدرك كيف يعود كبيراً ذا نفع ولذة «إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ» دلالات على وجوده تعالى وتوحيده وحكمته وقدرته على البعث وغيره «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» فإنهم المستفعدون بها.

[١٠٠] - «وَيَجْعَلُوا اللَّهَ» مفعول ثاني «شُرَكَاءَ» مفعول أول «الْجِنِّ» بدل منه،

أو المفعولان «شركاء الجن» و«الله» متعلق بشركاء. والجن: الملائكة إذ عبدوهم وقالوا: هم بنات الله وسموا جنّاً لاجتنانهم، أو الشياطين إذ أطاعوهم في عبادة الأوثان «وَخَلَقَهُمْ» حال أي وقد خلق الله الجاعلين دون الجن أو خلق الجن «وَوَخَّرَهُمْ» وشدده «نافع» ^(٢) اختلفوا «لَهُ يَتَيْنَ وَبَنَاتٍ» كقول أهل الكتابين في عزيز والمسيح، والعرب في الملائكة «بِغَيْرِ عِلْمٍ» بحقيقة ما قالوا. حال من الواو «سُبْحَانَهُ» تنزيهاً له «وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ» من أن له شريكاً، أو ولداً.

[١٠١] - «بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» صفة مضافة إلى فاعلها، أو إلى الظرف

بمعنى أنه لا نظير له فيهما، أو مبدهما لا عن شيء وهو خبر محذوف، أو مبتداً خبره «أَنِّي» من أين «يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً» زوجة «وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» والخالق لكل مخلوق، العالم بكل معلوم غني عن الولد وغيره.

[١٠٢] - «ذَلِكُمْ» الموصوف بما سبق. مبتداً اخباره «اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» أو بعضها خبر، وبعضها صفة أو بدل «فَاعْبُدُوهُ» فإنه المستحق للعبادة وحده «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» حفيظ يديره.

[١٠٣] - «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» حواس النظر. ويفيد امتناع رؤيته إذ أجمع

المحلي باللام يعم الافراد، أي لا يراه بصر من الأبصار في وقت من الاوقات لأصالة عدم التقييد. وجعله سلباً جزئياً خلاف المدلول وهو عموم السلب لا سلب العموم. والنفي المتمدح به كمال، وضده نقص ممتنع عليه تعالى وجعله رؤية إحاطة ينفيه صحة «ادركت الشمس ولم أخط بها» واثبات رؤية بلا آلة ولا جهة غير معقول ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْبُصَارَ﴾ فيراها ولا تراه ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ يلطف أن تدركه الأبصار ﴿الْخَبِيرُ﴾ فيدرك الأبصار وغيرها وفيه لف.

[١٠٤] - ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ حَجَجَ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تبصركم الحق ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ الحق وآمن ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ ابصر، وإياها نفع ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنه ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وبال عماه ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ﴾ احفظ أعمالكم ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾^(١). والكلام على لسانه مثل الله عليه وآله وسلم.

[١٠٥] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ التصريف ﴿نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نبينها ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ تصرفها. واللام للعاقبة أو بمعنى لثلا، يقولوا درست: أي قرأت وتعلمت. وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» «دارست»^(٢) أي ذاكرت أهل الكتاب، و«ابن عامر» «دَرَسْتُ»^(٣) أي قدمت هذه الآيات وعفت ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ لأمه على أصله، والهاء للآيات لأن معناها القرآن، أو له لمعلوميته ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

[١٠٦] - ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ من الدين ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ اعتراض يؤكد إيجاب الاتباع ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ لا تخالطهم وإن فسر بـ «كف عنهم» كان منسوخاً بآية السيف.^(٤)

(١) سورة ص: ٣٨ / ٦٥.

(٢) حجة القراءات: ٢٦٤.

(٣) أي بفتح السين وتسكين التاء - كما في حجة القراءات: ٣٦٤.

(٤) في «ب»: بالكف عنهم.

[١٠٧] - ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ جبرهم على ترك الإشراك ﴿مَا أَشْرَكُوا﴾ لكنه لم يشأ لمغفاته الحكمة ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ رقيباً ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فتجبرهم على التوحيد.

[١٠٨] - ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدونهم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾ تعدياً للحق، وشدده «يعقوب» وضمّ أوليه^(١) ﴿يَغْيِرْ عِلْمٌ﴾ جاهلين بالله. قيل: كان صلى الله عليه وآله وسلم يطعمن في آلهتهم فقالوا: «لنتهين أو لنهجون ربك» فزلت.^(٢)

وقيل: كان المسلمون يسبونوا فنهوا لثلاث يسبوا الله^(٣) ويفيد صيرورة الطاعة معصية، إذا أدت إليها ﴿كَذَلِكَ﴾ التزيين ﴿زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الكفرة ﴿عَمَلُهُمْ﴾ أي لم تكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم، أو أمهلنا الشيطان حتى زينه لهم. وإن عم كل أمة فالتزيين توفيق وخذلان ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بالمجازاة عليه.

[١٠٩] - ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ مجتهدين فيها ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ مما اقترحوا ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلُوبُنَا إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو القادر عليها ينزلها كما يشاء لا عندي ﴿وَمَا يُفْعِلُكُمْ﴾ يدريكهم ﴿أَنَّهَا﴾ أي الآية المقترحة ﴿إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا تدرون ذلك. خطاب للمؤمنين إذ طمعوا في إيمانهم فتمنوا مجيء الآية وقيل: «لا» زائدة^(٤) وقيل: «أن» بمعنى «لعل»^(٥) وكسرهما «ابن كثير»، و«أبو عمرو» و«أبو بكر»^(٦)

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٤٧.

(٢) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٤٧.

(٣) قاله قتادة - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٤٧.

(٤) قاله الكسائي - كما في تفسير القرطبي ٧: ٦٥.

(٥) قاله الخليل - كما في تفسير التبيان ٤/ ٣٢٤.

(٦) حجة القراءات: ٣٦٧.

على معنى وما يشعركم ما يكون منهم . ثم أخبرهم بعلمه فيهم وقرأ «ابن عامر» و«حمزة»: لا تؤمنون بالباء^(١) خطاباً للكفرة .

[١١٠] - ﴿وَتَقَلَّبَ أَفْتِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ نطبع عليهما^(٢) فلا يفقهون الحق ولا يبصرونه فلا يؤمنون بها ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ بما انزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي لا نكفهم عن ضلالهم حتى يترددوا متحيرين .

[١١١] - ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ كما اقترحوا: ﴿لَوْ لَا نَزَّلْنَا عَلَيْنا الْمَلَائِكَةَ﴾^(٣) و﴿فَاتُوا بآبائَنَا﴾،^(٤) و﴿وَحَشَرْنَا﴾ جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبْلًا﴾ بضم أوليه جمع قبيل (الذي هو) جمع قبيلة أي جماعات، أو بمعنى كفيل أي كفلاء، أو مصدر بمعنى مقابلة كقراءة «نافع» و«ابن عامر» بكسر القاف وفتح الباء^(٥) ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند هذه الآيات ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ جبرهم على الإيمان ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ انهم لا يؤمنون عند الآيات، فيقسمون على ما لا يشعرون، أو أكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون الآية طمعاً في إيمانهم .

[١١٢] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدواً ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ واستناد الجعل اليه تعالى لأنه بمعنى التخلية، أي لم نمنعهم من العداوة ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ﴾ مردتهم، بدل من «عدواً» أو مفعول أول، وعدواً ثانٍ ﴿يُؤْخِذُ﴾ يوسوس ﴿بَغْضِهِمْ إِلَى بَغْضِ زُخْرَفِ الْقَوْلِ﴾ باطله المموءة ﴿عُزُوراً﴾ مفعول له ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي الإيحاء والزخرف ﴿فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ من الكفر، تهديد لهم أو

(١) حجة القراءات: ٣٦٧ .

(٢) في النسخ: عليهم .

(٣) سورة الفرقان: ٢٥/٢١ .

(٤) سورة الدخان: ٤٤/٣٢ . ووردت الكلمة في النسخ: فأت .

(٥) حجة القراءات: ٣٦٧ وما بين القوسين اخذناه من تفسير البيضاوي .

منسوخ بآية السيف. ^(١)

[١١٣] - ﴿وَلِتَضَعِ عُنُقَهُمْ عَلَى غُرُورًا أَوْ تَمِيلَ إِلَيْهِ أَوْ الْإِحْيَاءُ أَوْ الزَّخْرَفُ أَتُنَدِّدُ﴾ قلوب ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْنَهُ وَيَقْتَرِفُوا﴾ يكتسبوا ﴿مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ من الآثام.

[١١٤] - ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتِغَىٰ حَكَمًا﴾ أي قل لهم أغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿مُقَصَّلًا﴾ مبیناً، فيه الحق من الباطل وهو بإعجازه مغني عن كل آية ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أهل الكتابين أو مؤمنوهم كـ «ابن سلام» وأضرابه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ﴾ وشده «ابن عامر» وحفص ^(٢) ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ وعلمهم بذلك يعضد ^(٣) دلالة إعجازه أنه حق ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ﴾ في انسه منزل منه، من باب التهيج، أو في علمهم بذلك أو الخطاب لكل أحد.

[١١٥] - ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ اخباره واحكامه ووحدها «الكوفيون» ^(٤) أي ما تكلم به أو القرآن ﴿صِدْقًا﴾ في الأخبار، حال أو تمييز وكذا ﴿وَعَدْلًا﴾ في الأحكام ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ بخلف أو نقض، أو لا أحد يبدلها بما هو أصدق وأعدل ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأعمالهم.

[١١٦] - ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه. ويفيد انه لا عبرة بالكثرة في الحق بل بالحجة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ وهو

(١) وهي الآية ٥ من سورة التوبة.

(٢) حجة القراءات: ٣٦٨.

(٣) في «الف»: يؤكد.

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «كلمة».

(٥) حجة القراءات: ٣٦٨.

ظنهم أن آباءهم على حق أو آراءهم الفاسدة ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في أن الله أحل كذا وحرم كذا.

[١١٧] - ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ «من» موصولة منصوبة بفعل دلّ عليه «اعلم» لا به، لأنه لا ينصب أي هو أعلم، يعلم من يضل، أو استفهامية مرفوعة بالإبتداء والخبر «يضلّ» والجملة معلق عنها الفعل المقدر، والتفضيل بالعلم بإحاطته بالوجوه التي يتعلق العلم بها ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَدِينَ﴾ والمعنى أنه أعلم بالفريقين.

[١١٨] - ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره، أو الميتة، مسبب عن انكار اتباع الكفرة المحلين للحرام والمحرمين للحلال ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ إذ مقتضى ذلك استباحة ما أحل دون ما حرم.

[١١٩] - ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ وأي غرض لكم في التخرج عن أكله ﴿وَقَدْ فُصِّلَ﴾ بين، وبناء «الكوفيون» و«نافع» للفاعل ^(١) ﴿لَكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في آية «حرمت عليكم الميتة» ^(٢) وبناء «نافع» و«حفص» للفاعل ^(٣) ﴿إِلَّا مَا اضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ مما حرم عليكم: فهو حلال لكم للضرورة ﴿وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ﴾ وضم «الكوفيون»: الياء ^(٤) ﴿بِأَهْوَانِهِمْ﴾ بما يشتهونه من تحليل الحرام وتحريم الحلال ﴿بَتَغْيِيرِ عِلْمٍ﴾ حجة تفيد علماً ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَدِينَ﴾ المتجاوزين الحلال إلى الحرام.

[١٢٠] - ﴿وَدَرَوْا ظَاهِرَ الْإِنِّمِ وَيَاطِئَتْهُ﴾ ما أعلن وما أسر أو ما بالجوارح

وما بالقلب.

(١) حجة القراءات: ٢٦٨-٢٦٩.

(٢) سورة المائدة: ٥/٣.

(٣) حجة القراءات: ٢٦٩.

والإثم قيل: الزنا^(١) وقيل: كل معصية^(٢) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ يكتسبون.

[١٢١] - ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ فيحرم متروك التسمية إلا نسياناً عندنا لأخبارنا^(٣) وهم بين موافق ومحرم مطلقاً، ومبيح مطلقاً^(٤) ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي الأكل منه ﴿لَفَسْقٌ﴾ خروج عن طاعة الله ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾ يوسوسون ﴿إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ الكفار ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ في تحليل الميتة بقولهم: «ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم» ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في ذلك ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ بترك دين الله إلى دينهم.

[١٢٢] - ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيثًا﴾ كافراً وشدده «نافع»^(٥) ﴿فَأَخْيَيْنَاهُ﴾ بالهدي إلى الإيمان ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَغْشَىٰ فِيهِ النَّاسُ﴾ علماً بالحجج، الفاصلة بين الحق والباطل ﴿كَمَن مِّثْلُهُ﴾ صفته ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمات الكفر ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ حال من فاعل الظرف ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زين للمؤمن إيمانه ﴿زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ زينه الشيطان أو الله بتخليتهم وشأنهم.

والآية نزلت في حمزة أو عمار وأبي جهل.

[١٢٣] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا فساق مكة أكابرها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرًا﴾ مفعول ثانٍ ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ أول أي خليئناهم ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ ونخص الأكابر لأن الناس أطوع لهم ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لعود وباله عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[١٢٤] - ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿ءَايَةٌ﴾ على صدق النبي صلى الله عليه وآله

(١) قاله السدي والضحاك - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٠٨.

(٢) قاله قتادة ومجاهد والربيع - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٠٨.

(٣) وسائل الشريعة ١٦: ٢٢٥ الباب ١٥ من أبواب الذبائح.

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٠٨، وتفسير القرطبي ٧: ٧٥.

(٥) حجة القراءات: ٢٧٠.

رَسَلَمْ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتِيَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ قيل: قال أبو جهل: «زاحمنا بنو عبد مناف حتى إذا صرنا كفرسي رهان» قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى به إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه، فزلت، ^(١) ورد عليهم بقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾ ^(٢) وأفردوا «ابن كثير» و«حفص». ^(٣)

و«حيث» مفعول به لفعل دلّ عليه «أعلم» أي يعلم المكان الصالح لها فيضعها فيه وليست بالنسب والموال «سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَاةٌ» ذلّ بعد كبرهم «عِنْدَ اللَّهِ» في القيامة «وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ» بمكرهم.

[١٢٥] - «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ» أن يطف به «يُشْرَحْ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ» يطف به حتى يرغب فيه ويطمئن إليه «وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ» أن لا يطف به فيخلبه، وشأنه «يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا» يمنعه الطافه حتى ينبو عن قول الحق فلا يدخله الإيمان، وخفقه «ابن كثير» ^(٤) «خَرَجًا» كسره «نافع» وأبو بكر «أي شديد الضيق، وفتح» الباقون ^(٥) وصفاً بالمصدر «كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ» يتصعد وخفقه «ابن كثير».

وقرأ «أبو بكر»: يصاعد ^(٦) أي يتصاعد «فِي السَّمَاءِ» إذا كلف الإيمان لشدة عليه، أو كأنما يتصاعد إليها نبواً عن الحق «كَذَلِكَ» الجعل «يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ» الخذلان ومنع اللطف أو العذاب «عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» وضع موضع عليهم تعليلاً.

[١٢٦] - «وَقَدْ» البيان أو الإسلام أو التوفيق والخذلان «صِرَاطُ رَبِّكَ» طريقه الذي ارتضاه، أو الذي اقتضته حكمته «مُسْتَقِيمًا» لا عوج له، أو عادلاً، حال مؤكدة

(١) قاله مقاتل - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٦١، وفيه: لا نؤمن -.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «رسالته» كما سيشرح إليه المؤلف.

(٣) حجة القراءات: ٢٧٠.

(٤) حجة القراءات: ٢٧١.

عاملها معنى الإشارة ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بَيَّنَّا ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُذَكِّرُونَ﴾ يتذكرون أي يتعظون فإنهم المتفعلون بها .

[١٢٧] - ﴿لَهُمْ﴾ للمتذكرين ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ دار السلامة أو دار الله وهي الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في ضمائه ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ متولي أمرهم أو ناصرهم ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزائنها .

[١٢٨] - ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُهُمْ جَمِيعًا﴾ قرأ «حفص» بالياء^(١) أي يجمع الله الخلق ونصبه بإضمار «اذكر» أو نقول ﴿يَا مَعْشَرَ﴾ والضمير لمن يحشر ﴿الْجِنَّ﴾ أي الشياطين ﴿قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ من اغواهم أو منهم بالاغواء ﴿وَقَالَ أُولِيَاؤُهُمُ مِنَ الْإِنْسِ﴾ الذين اطاعوهم ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أي أتنفع الإنس بالجن بأن زينوا لهم الشهوات والجن بالإنس بطاعتهم لهم .

وقيل : استمتع الإنس أن يعوذوا بهم إذا خافوا في واد واستمتعاهم بالإنس إقرارهم بقدرتهم على نفعهم^(٢) ﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ أي البعث وهو تحسر منهم ﴿قَالَ النَّارُ مُثَاوُكُمْ﴾ مقامكم أو ذات اقامتكم^(٣) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال عاملها «مثواكم» ان كان مصدراً أو معنى الإضافة ان كان مكاناً ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من الأوقات التي يعذبون فيها بغير النار كالزهرير .

أو إلّا ما شاء قبل دخولها ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في أفعاله ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلفه .
[١٢٩] - ﴿وَكَذَلِكَ نُؤْتِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ نخليهم حتى ينزلى بعضهم بعضاً أو نكل بعضهم الى بعض في القيامة أو نقرنه به في النار ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٦٥ .

(٢) قاله الحسن وابن جريج والزجاج وغيرهم - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٦٥ .

(٣) في «الف» : داراقتكم . وفي روح المعاني ٨: ٢٤ : النار مثواكم اي منزلكم ومحل اقامتكم او ذات ثوانكم على أن المثوى اسم لمكان او مصدر .

من الشر.

[١٣٠] - ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ من مجموعكم وهم من الإنس خاصة كـ ﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُوَ وَالْمَرْجَانُ﴾^(١) وقيل من كل من الثقلين^(٢) وقيل: رسل الجن رسل للرسول اليهم^(٣) ﴿يَقْضُونَ﴾ يتلون ﴿عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾ حججني ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا﴾ - مجيبين - : ﴿شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ بالكفر واعترفنا باستحقاق العذاب ﴿وَعَرَّضْنَاهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فكفروا ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ تخطئة لرأيهم إذ اغتسروا بالحياة الفانية حتى كان عاقبة أمرهم ان اعترفوا بالكفر واستسلموا للعذاب .

[١٣١] - ﴿ذَلِكَ﴾ أي ارسال الرسل، خبر محذوف أي الأمر ذلك ﴿أَنْ﴾ مخففة أو مصدرية بتقدير لام أي لأنه ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ﴾ أو لانقضاء كونه ﴿مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ أو بدل من «ذلك» ﴿يُظْلِمُ﴾ بسبب ظلم منها أو ظالماً ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ لم ينبهوا برسول .

[١٣٢] - ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من المكلفين ﴿دَرَجَاتٌ﴾ مراتب ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ من جزاء أعمالهم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ﴾ بساه ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ فيخفى عليه قدر جزائه وقرأ «ابن عامر» بالتاء .^(٤)

[١٣٣] - ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه وطاعتهم ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للنفع العام الدائم ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يهلككم أيها العصاة ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ من الخلق ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾

(١) سورة الرحمن: ٢٢/٥٥.

(٢) قاله الضحاك والطبري والبلخي - كما في تفسير البيان ٤/ ٢٧٧.

(٣) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٦٧.

(٤) حجة القراءات: ٣٧٢.

اذهبهم لكنه ابقاكم رحمة لكم .

[١٣٤] - «إِنْ مَا تُوعَدُونَ» من البعث والجزاء «لَا تِلْكَ» لا محالة «وَمَا أَنْتُمْ

بِمُعْجِزِينَ» مر يدكم به .

[١٣٥] - «قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ» تمكنكم أو طريقتكم أو حالتكم

وجمعه «أبو بكر» حيث وقع^(١) وهو تهديد أي أثبتوا على كفركم وتسجيل بأن المهدد لا يتأني منه إلا الشرك المأمور به الذي ليس له التفصي عنه «إِنِّي غَامِلٌ» على ما أنا عليه من الإسلام ومصابرتكم «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ» موصولة مفعول العلم أو استفهامية معلق عنها، أي أينا «تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» أي العاقبة الحسنى في الدار الآخرة وهو انذار مع انصاف في القول وتضمن وثوق المنذر بأنه محق، وقراً «حمزة» و«الكسائي» «يكون»^(٢) بالياء «إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ» وضع موضع الكافرين لعمومه .

[١٣٦] - «وَجَعَلُوا» أي المشركون «لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ» خلق «مِنَ الْحَرْثِ» الزرع «وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا» حظاً يطعمونه الضيفان والمساكين ولآلهتهم منه نصيباً بصرفونه الى سدنة^(٣) «فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغَمِهِمْ» وضمه والآتي «الكسائي»^(٤) «وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ» الى جهته «وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ» كانوا إذا راوا نصيب الله أركى يدلوه بنصيب آلهتهم، وإن راوا نصيب آلهتهم تركوه لها . وقيل : إن سقط في نصيبه شيء من نصيبها التقطوه ، وإن انعكس تركوه لها^(٥) «سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» حكمهم هذا .

(٢٥) حجة القراءات : ٢٧٢ .

(٣) السدنة : جمع سادن ، بمعنى الحاجب والخادم .

(٤) حجة القراءات : ٢٧٣ .

(٥) قاله ابن عباس وقتادة - كما في تفسير مجمع البيان ٢ : ٢٧٠ .

[١٣٧] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما زين لهم فعلهم ﴿زَيْنَ لِكَيْبَرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ بالوَاد، ونحرمهم للأصنام ﴿شُرَكَاءُؤُهُمْ﴾ من الشياطين أو السدنة. وهو فاعل «زَيْن» وبناء «ابن عامر» للمفعول وهو «قتل» ونصب «أولادهم»، وجرَّ «شركائهم» بإضافة «قتل» اليه، مفصلاً بينهما بمفعوله.^(١) وهو قبيح في ضرورة الشعر فكيف في القرآن المعجز ﴿لِيُرِيدُوهُمْ﴾ ليهلكوهم ﴿وَلِيُكْسُوا﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ أي ما كانوا عليه من دين اسماعيل. واللام للعلّة ان كان المزين الشيطان، وللعاقبة ان كان السدنة^(٢) ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قسرهم ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ ما فعل المشركون والشركاء ذلك ﴿فَدَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ وافتراءهم، أو ما يفترونه.

[١٣٨] - ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِّثُ حِجْرٍ﴾ حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح، يستوي فيه الواحد والكثير والذكر وغيره ﴿لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ﴾ من خدام الأصنام والرجال دون النساء ﴿بِرَعِيهِمْ﴾ بلا حجة ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ كالبحائر والسواب والحوامي ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ في ذبحها بل يهلون عليها بأصنامهم ﴿افْتَرَاءً عَلَيْهِ﴾ حال، أو مفعول له، أو مصدر، لأن «قالوا» بمعنى افتروا على الله بنسبة ذلك اليه ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ بسببه أو مقابله.

[١٣٩] - ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ أجنة البحائر والسواب ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ حلال لهم خاصة، وتأنيتها بمعنى «ما» أي الأجنة، أو نأوها للمبالغة كرواية الشعر ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ ذكر للفظ «ما» ﴿عَلَى أَرْوَاجِنَا﴾ أي الاناث إن ولد حياً ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً فَهُمْ﴾ فالذكور والاناث ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ سواء، وقرأ «ابن عامر» «تكن» بالياء ورفع «ميتة» و«أبو بكر» بالياء والنصب، و«ابن كثير» بالياء والرفع، و«الباقون» بالياء

(١) حجة القراءات: ٢٧٣ وفي تفسير البضاوي ٢: ٢٠٩: الذي هو القتل وفي «ب» و«ج»: ورفع

«قتل».

(٢) في «الف»: ان كان التزين من الشيطان وللعاقبة ان كان من السدنة.

والنصب^(١) ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ جزاء وصفهم أي تحليلهم وتحريمهم ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في فعله ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه .

[١٤٠] - ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ وشده «ابن كثير» و«ابن عامر»^(٢) ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ بناتهم ، خشية الفقر أو العار ﴿سَفَّهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لخفة عقلهم وجهلهم ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ مما ذكر ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾ سبق مثله ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ الى الحق .

[١٤١] - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ مرفوعات بالدعائم ، أو ما غرسه الناس فعرشوه ﴿وَعَرَّيْرٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾ ملقيات على الأرض ، أو ما نبت في البراري ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ﴾ ثمره هيئةً وكيفاً . والهاء لكل من النخل والزَّرع ، و«مختلفاً» حال مقدرة ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا﴾ أي بعض افرادهما طعماً ولوناً ﴿وَعَرَّيْرٍ مُتَشَابِهٍ﴾ أي بعضها ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ ثمر كل من ذلك ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ وإن لم يدرك ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ وكسر الحاء اكثرهم^(٣) والمراد به التصديق بشيء منه غير الزكاة لفرضها بالمدينة والآية مكية .

وقيل : الزكاة ، والآية مدنية^(٤) ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ في الصدقة فلا يبقى لعيالكم شيء ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ لا يرضى فعلهم .

[١٤٢] - ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾ وأنشأ منها ﴿حَمُولَةً﴾ ما يحمل الأثقال أو الكبار الصالحة للحمل ﴿وَقَرَشًا﴾ ما يفرش للذبح ، أو يفرش ما نسج من صوفه ونحوه ، أو الصغار الدانية من الأرض كالفرش لها ﴿كُلُوا مِنْهَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ فإنه مباح لكم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ طرقة في التحليل والتحريم ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

(١) حجة القراءات: ٢٧٤-٢٧٥ .

(٢) حجة القراءات: ٢٧٥ .

(٣) نقله الفيض في تفسير الصافي ٢: ١٦٢ .

يَبَيِّنُ الْعَادَاةَ .

[١٤٣] - «ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ» بدل من «حَمُولَةً وَفَرْشَاءَ» . والزواج ما معه آخر من جنسه . وهو المراد ويقال لمجموعهما «مِنَ الضَّأْنِ» اسم جنس كالإبل ، أو جمع ضائين ، زوجين «اثْنَيْنِ» الكباش والنعجة وهو بدل من «ثمانية أزواج» «وَمِنَ الْمَغَزِ اثْنَيْنِ» جمع «ماعز» وفتح «ابن كثير» و«أبو عمر» و«ابن عامر»^(١) «قُلْ» انكاراً على من حَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ «الذَّكَرَيْنِ» من الضأن والمعز «حَرَّمَ» الله «أُمِ الْاِثْنَيْنِ» منهما «أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْاِثْنَيْنِ» أم ما حملت الانات منهما ذكراً كان أو انثى «نَبِيُّنِي يَعْلَمُ» بحجة ، تدل على أن حَرَّمَ شيئاً من ذلك «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فيه . الرمو بأن التحريم إن كان للذكورة فكل ذكر حرام ، أو للانوثة ، فكل انثى حرام أو لاشتمال الرحم فالصنفان ، فمن أين التخصيص ببعض دون بعض .

[١٤٤] - «وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمِ الْاِثْنَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْاِثْنَيْنِ» كما مر «أُم» بل «كُنْتُمْ شُهَدَاءَ» حضوراً «إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا» التحريم إذ لم تؤمنوا بنبي فلا طريق لكم الى معرفته إلا المشاهدة «فَمَنْ» أي أحد «أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» بنسبة تحريم ذلك اليه «لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» إلى ثوابه ، أو لا يلطف به .

[١٤٥] - «قُلْ لَا أَجِدُ فِيْمَا أُوحِيَ إِلَيَّ» مطلقاً أو في القرآن طعماً «مُحَرَّمًا عَلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ» ويفيد أن لا تحريم إلا بالوحي «إِلَّا أَنْ يَكُونَ» الطعام «مَيْتَةً» وقرأ «حمزة» و«ابن كثير» «تكون» بالتاء لتأنيث الخبر ، و«ابن عامر» «بالتاء» ، ورفع «ميتة» على تمامية «كان»^(٢) «أَوْدَمًا» عطف على «ميتة» ، وإن رفعتها فعلى المستثنى «مَسْفُوحًا» مصبوحاً . ولا عبرة بمفهومه ، فلا ينافي ما دل على تحريمه مطلقاً إلا ما

(١) حجة القراءات: ٣٧٥ .

(٢) حجة القراءات: ٣٧٦ .

استثنى بدليل ﴿أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ فَإِنَّ الْخَنْزِيرَ أَوْ لَحْمَهُ خَبِيثٌ قَذَرٌ ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ عطف على «لحم خنزير» ﴿أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ ذبح على اسم الصنم، وسمي فسقاً لتوغله فيه ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ إلى تناول شيء من ذلك ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ اللذّة ﴿وَلَا حَادٍ﴾ حد الضرورة ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ﴿رَحِيمٌ﴾ به، والآية محكمة، إذ مفادها عدم وجدان محرّم الى تلك الغاية غير هذه، فلا ينافية تحريم شيء آخر بعدها، ولا في ذلك الوقت، لجواز كون الحصر إضافياً، أو تخصيص عموم الإباحة بدليل.

[١٤٦] - ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ كل ما له إصبع كالإبل والطيور والسباع أو كل ذي مخلب وحافر ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ الشروب وشحم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ اشتمل عليها ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ أو ما اشتمل على الامعاء جمع «حَاوِيَة» أو حَاوِيَاءَ ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ هو شحم الالية لاختلاطه بالعصص^(١) ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿حَزَنًا لَهُمْ يَنْفِيهِمْ﴾ بسبب ظلمهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فيما نقول.

[١٤٧] - ﴿فَإِنَّ كَذِبُكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ حيث أمهلكم، أولأهل طاعته ﴿وَلَا يَرُدُّ بَأْسَهُ﴾ عذابه ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ إذا نزل.

[١٤٨] - ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ أي لو شاء خلاف ذلك ما فعلناه نحن ولا آبائنا ولكن فعلناه بمشيئته لا باختيارنا. تعللوا بقول المجبرة ﴿كَذَلِكَ﴾ كما كذبوا شهادة الحجج العقلية والسمعية بغناه تعالى وبراءته من مشيئة القبائح بالذات ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الحجج ﴿حَتَّى دَاقُوا بِأَسْنَانِهِمْ﴾ عذابنا ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ حجة توجب علماً فيما زعمتم ﴿فَتَخْرِجُوهُ﴾ فتبدره ﴿لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تكذبون فيه.

[١٤٩] - ﴿قُلْ فِئْتِهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ البيّنة التي بلغت قطع غدر المحجوج من «حج» أي قصد ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بالجائكم أي الأيمان لكنه لم يشأ لمنافاته المحكمة.

[١٥٠] - ﴿قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُكُمْ﴾ احضروهم . اسم فعل لا ينصرف عند الأكثر، وقد يجعل فعلاً فيؤنث ويثنى ويجمع، وهو متعد ولازم ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ وهم قدوتهم فيه . استحضروا لتلزمهم الحجة بانقطاعهم كمقلديهم، ولذلك أضيف الشهداء إليه وجعلوا معهودين بالوصف ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ فلا تصدقهم إذ تصديقهم كالشهادة معهم بالباطل، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وضع موضع ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾^(١) ليدل على أن مكذب الآيات متبع هواه لاغير ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ كعبدة الأصنام ﴿وَهُمْ يَرْبِيعُهُمْ بِغَدُلُون﴾ يجعلون له عديلاً . ونفي الآية منع التقليد، وجوب اتباع الحجة دون الهوى .

[١٥١] - ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ أصله أمر من «علا مكانه» لمن سفل ثم عمم اتساعاً ﴿أَتْلُ﴾ أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ منصوب بـ «أتل» و«ما» موصولة أو مصدرية أو استفهامية منصوبة بـ «حرّم» والجملة مفعول «أتل» لأنه بمعنى «أقول» أي شيء حرّم ربكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ متعلق بـ «أتل» أو «حرّم» ﴿أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ﴾ «أن» مفسرة وتعليق المفسر وهو «أتل» بـ «ما حرّم» لا يمنع عطف الأوامر عليه، لرجوع التحريم فيها إلى اضدادها، وإن جعل «أن» ناصبة فهي منصوبة بـ «عليكم» على الإغراء، أو بالبدل من «ما» على زيادة «لا» أو مجرور بلام مقدرة ﴿شَيْئًا﴾ مفعول أو مصدر ﴿وَيَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وأحسنوا بهما ﴿إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ من خشية فقر ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فانتهى ما زعمتموه علّة لقتلهم ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْقَوَاعِصَ﴾ الكبائر أو الزنا «ما ظهر منها وما بطن» كقوله: «ظاهر الإنم وباطنه»^(٢) ﴿وَلَا تَقْتُلُوا

النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿١٥٢﴾ كَالْقُودِ، وَحَذَّ الْمُحْصَنَ وَالْمُرْتَدَّ ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿وَصَبَّحَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَفْقَهُونَ﴾ ما وصاكم به ولا تضيّعونه .

[١٥٢] - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي﴾ بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ ما يفعل بماله كحفظه وتثميته ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ يصير بالغاً رشيداً، وهو جمع شدٍّ أو «شدة» أو مفرد ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلا ما يسعها وتطبيقه في ذلك إذ يعسر مراعاة حدِّ العدل في إيفاء الحق فلا يجب إلا ما في الوسع ويعنى عما وراءه ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكم ونحوه ﴿فَاعْدِلُوا﴾ فيه ﴿وَلَوْ كَانُ﴾ المقول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ قرابة ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ﴾ ما عهد إليكم مما أوجب عليكم ﴿أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَبَّحَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون وتخففه «حمزة»، و«الكسائي» و«حفص» حيث وقع .^(١)

[١٥٣] - ﴿وَأَن هَذَا﴾ المذكور في السورة من بيان الدين، وكسرهما «حمزة» و«الكسائي» استثنافاً،^(٢) وفتحه خفيفة «ابن عامر»^(٤) والباقون مشددة بتقدير اللام علة لـ «اتبعوه» أي ولأن هذا «صِرَاطِي» وفتح «ابن عامر» الباء^(٥) «مُسْتَقِيمًا» حال ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرق المختلفة المخالفة له ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ فتفرق أي تميل ﴿يَكُنْ مِنْ سَبِيلِهِ﴾ ديسه ﴿ذَلِكُمْ﴾ الانبعاث ﴿وَصَبَّحَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الضلال عن الحق .

[١٥٤] - ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ عطف على «وصيكم» و«ثم» لترتيب الاخبار ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة، مفعول له ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ بالقيام به أو بتبليغه وهو موسى

(١) سورة الأنعام: ١/ ١٢٠.

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٨٢.

(٣) حجة القراءات: ٢٧٧.

(٥) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٦٧.

﴿وَتَفْصِيلًا﴾ بياناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ﴾ أي أمة موسى ﴿يَلْقَاءَ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي بالبعث .

[١٥٥] - ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ كثير الخير ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ اعملوا بما فيه ﴿وَاتَّقُوا﴾ مخالفته ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ باتباعه .

[١٥٦] - ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي أنزلناه كراهة أن تقولوا ﴿إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ اليهود والنصارى ﴿وَأَنْ﴾ مخففة ﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ تلاوتهم ﴿لَغَافِلِينَ﴾ أي لا نعرف مثلها، واللام فارقة .

[١٥٧] - ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ لذكائنا أو حدة أذهاننا ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ حجة واضحة بلسانكم ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ لمن اتبعها ﴿فَمَنْ﴾ أي : لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ آيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ صد، وأعرض عنها ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ شدته ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ بصدفهم .

[١٥٨] - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظر كفره مكة ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لتوفيقهم، أو بالعذاب . وقراً «حمزة» والكسائي «بالياء»^(١) ﴿أَوْ يَأْتِي رَبَّكَ﴾ أي أمره بالعذاب أو إهلاكه إياهم عاجلاً أو آجلاً ﴿أَوْ يَأْتِي بَغْضَ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أي أشرار الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغيره ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَغْضَ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ الملجنة إلى المعرفة ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ حينئذ لزوال التكليف ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ صفة «نفساً» ﴿أَوْ﴾ لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ طاعة والمعنى لا ينفع نفساً خلت من الأمرين إيمانها وينفعها إن حصل أحدهما ﴿قُلِ انتَظِرُوا﴾ إتيان أحد الثلاثة ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ذلك .

[١٥٩] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ اختلفوا فيه فآمنوا ببعض، وكفروا ببعض .

قال صلى الله عليه وآله وسلم: افترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، والنصارى اثنين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وتفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة،^(١) وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «فارقوا»^(٢) أي تركوا ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ فرقاً، كل فرقة تشيع إماماً ﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي من السؤال عن نفرقتهم أو من عقابهم أو نهى عن قتالهم ونسخ بآية السيف ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ في مجازاتهم ﴿ثُمَّ يُبَيِّنُهُمْ يَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ بالمجازاة.

[١٦٠] - ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي جزاء عشر حسنات أمثالها فضلاً منه تعالى، ونون «يعقوب» «عشر» ورفع «أمثالها» صفة لـ «عشر»^(٣) ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾ أي جزاؤه عدلاً منه تعالى ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب وزيادة عقاب.

[١٦١] - ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي﴾ وفتح «نافع» و«أبر عمرو» ياء «ربي»^(٤) ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا﴾ بدل من محل «صراط» إذ معناه هداني صراطاً ﴿قِيَمًا﴾ فيعللاً من قام كـ «سيد» من «ساد» وهو يبلغ من قائم. وقرأ «الكوفيون» و«ابن عامر» «قيما» بكسر القاف وفتح الياء مخففة^(٥) مصدراً كالقيام وصف به ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ عطف ببيان لـ «ديننا» ﴿حَنِيفًا﴾ حال من «إبراهيم» ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عطف عليه.

[١٦٢] - ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ عبادتي أو قرباني ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ حياتي وموتي، أو ما آتبه في حياتي وأموت عليه من الإيمان، وسكن «نافع» ياء «محياي»

(١) جوامع الجامع ١: ٤٢٢، وسنن الترمذي ٣٦: ٥ الحديث رقم ٢٦٤١.

(٢) حجة القراءات: ٢٧٨.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٨٩.

(٤) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٦٧.

(٥) حجة القراءات: ٢٧٨.

وهو شاذ وفتح ياء «ممانتي»^(١) ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

[١٦٣] - ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ خالصة له وحده ﴿وَيَذَلِكِ﴾ الإخلاص ﴿أَمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة .

[١٦٤] - ﴿قُلْ﴾ إنكاراً لما دعوك اليه من عبادة آلهتهم : ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْنِي رَبًّا﴾ أي اطلب غيره إلهاً ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فكل ما سواه مربوب لا يصلح للربوبية ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ فلا ينفعني إن أشركت به إشراككم ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ﴾ ولا تحمل نفس أثمة ﴿وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بتمييزه الحق من الباطل .

[١٦٥] - ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ يخلف بعضكم بعضاً أو خلفاء الأمم السابقة ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالشرف والمال ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ لِيختبركم ﴿فِيمَا آتَاكُمْ﴾ من ذلك، كيف يشكر الرفيع ويصبر الوضيع ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ إذا أراد فاحذروه، أو لأن ما هو آت قريب ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم .

سورة الأعراف

[٧]

مائتان وست آيات مكية إلا ثمان من : «وَسُئِلُهُمْ»^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - «الْمَص» فسر مثله .^(٢)

[٢] - «كِتَابٌ» خبر محذوف أو «المص» «أَنْزَلَ إِلَيْكَ» صفته «فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ» ضيق من تبليغه خوفاً أن تكذب، أو شك . والفاء للعطف، أو جواب مقدر أي إذا أنزل إليك «لَتُنذِرَ بِهِ» فلا يخرج صدرك، ونهي الحرج مبالغة . «لتنذر به» متعلق بـ «أنزل» «وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ» عطف على «كتاب» أو محل «لتنذر» أو مصدر أي ولتنذر ذكرى أي تذكيراً .

[٣] - «اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ» من القرآن والسنة «وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ» ولا تتخذوا غير الله «أُولَئِكَ» تطيعونهم في معصيته تعالى «فَلْيَلَّا مَا تَذَكَّرُونَ» أي

(١) وهي الآية ١٦٣ من هذه السورة .

(٢) وذلك عند تفسير قوله تعالى : «الم» في أول سورة البقرة .

تذكراً قليلاً تذكرون . و«ما» زيدت لتوكيد القلة ، وخففه الكوفيون غير «أبي بكر»^(١) وزاد «ابن عامر» ياء^(٢) والخطاب له صلى الله عليه وآله وسلم .

[٤] - ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي أهلها . و«كم» خبرية ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أردنا إهلاكها ، أو خذلناها ، خبر «كم» أو ناصبها ﴿فَجَاءَهَا بِأُسْنَا﴾ عذابنا ﴿بَيِّنَاتًا﴾ مصدر وقع حالاً أي باتنين ﴿أَوْهُمْ قَاتِلُونَ﴾ عطف عليه . وحذفت واو الحال استنقلاً .

والقيلولة استراحة نصف النهار ، وخص الوقتان مبالغة في غفلتهم ولان مجيء العذاب فيهما أقطع .

[٥] - ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ أي دعاؤهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ إلا أقرارهم بظلمهم .

[٦] - ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ﴾ اللام للقسام ﴿الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ عن إجابتهم الرسل ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عما أجيبوا .^(٣)

والسؤالان توبيخ للكفرة . والمنفي في : ﴿وَلَا يَسْتَلْ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمَجْرُمُونَ﴾^(٤) سؤال الإستعلام ، أو هذا في موقف وذاك في آخر ، إذ القيامة مواقف .

[٧] - ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ﴾ على الرسل والمرسل اليهم أحوالهم ﴿يَعْلَمُ﴾ عالمين بها أو بمعلومنا منها ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عنها فتخفى علينا .

[٨] - ﴿وَالْوِزْنَ﴾ القضاء ، أو وزن الأعمال بعد تجسيمها أو صحائفها بميزان له لسان وكفتان يراه الخلق إظهاراً للعدل وقطعاً للعدز .

وقيل توزن الأشخاص^(٥) ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ خبر «الوزن» أي يوم السؤال ﴿الْحَقُّ﴾ العدل

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٩٤ .

(٢) حجة القراءات : ٢٨٠ .

(٣) في «ط» : أجيبوا به .

(٤) سورة القصص : ٢٨ / ٧٨ .

(٥) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢١٩ .

صفة «الوزن» ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ حسناته أو ميزانها جمع موزون، أو ميزان، وجمع باعتبار تعدد الحسنات ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالثواب.

[٩] - ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتعريضها للعذاب ﴿يَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَت ظَلِمُونَ﴾ يكذبون.

[١٠] - ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ في التصرف فيها ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ أسباباً تعيشون بها جمع «معيشة» وعن «نافع» همزة، ^(١) ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك.

[١١] - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي خلقنا أباكم «آدم» عن مصوّر ثم صورناه ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ السجود لله تكرمة لآدم ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾.

[١٢] - ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ﴾ «لا» زائدة أو أريد ما حملك على أن لا تسجد إذ الممنوع عن شيء، محمول على خلافه ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ يفيد أن الأمر للوجوب ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ ويقبح أمر الأفضل بالتخضع للمفضول فهو جواب من حيث المعنى كأنه قال المانع ذلك. وهو أول من تكبر، وعَلَّل فضله عليه بقوله ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ظاناً أن النار خير من الطين، وأن الفضل باعتبار العنصر، وقد غلط في كليهما لأن الفضل لمن فضله الله وقد فضل الطين على النار من جهات متعددة، وفضل آدم على المخلوق من النور كالملائكة، حيث أمرهم بالسجود له فضلاً عن المخلوق من النار.

قال ابن عباس: «أول من قاس إبليس فأخطأ، فمن قاس السدين برأيه قرنه الله

(١) في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٩٩: روى بعضهم عن نافع: «معاش» ممدوداً مهموزاً.

١

معه^(١) ونحوه عن ائمتنا عليهم السلام.^(٢)

[١٣] - «قَالَ فَأَهْرِطْ مِنْهَا» من الجنة أو السماء «فَمَا يَكُونُ» يصح «لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا». فإنها لا يسكنها متكبر «فَأَخْرِجْ» منها «إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ» الأذلاء، فإن من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه.

[١٤] - «قَالَ أَنْظِرْنِي» أمهلي فلا تمتني، أو آخر جزائي «إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ» أي الخلق.

[١٥] - «قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ» محمول على ما قيد بقوله «إِلَى يَوْمِ السَّوْتِ المعلوم»^(٣) وهو النفخة الأولى.

[١٦] - «قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي» خيبتني أو كلفتنني بما غويت لأجله، أو أهلكتنني أي بسبب اغوائك لي أقسم «لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ» لبني آدم «صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ» طريق الحق. نصب ظرفاً أو بتقدير «على».

[١٧] - «ثُمَّ لَا يَنبَغِي لَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ» أي من جهاتهم الأربع فأضلهم عن سلوكه ولم يقل «من فوقهم» لنزول الرحمة منه. ولا «من تحتهم» لإيحاش الإتيان منه.

وقيل^(٤) «من بين أيديهم» من قبل الآخرة و«من خلفهم» من قبل الدنيا، والآخرة من جهة حسناتهم وسيئاتهم ومجيء «من» في الأولين لتوجهه منهما إليهم، و«عن» في الآخرين لانحراف الآتي منهما إليهم «وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ» مؤمنين. قاله ظناً «وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ»،^(٥) أو من جهة الملائكة.

(١) يقرب منه ما في تفسير مجمع البيان ٤٠٢: ٢.

(٢) تفسير البرهان ٤: ٢ - ٥ وتفسير نور الثقلين ٧: ٢.

(٣) سورة الحجر: ٢٨/١٥.

(٤) قاله ابن عباس - كما في تفسير البيضاوي ٢٢١: ٢.

(٥) كما ورد في الآية ٢٠ من سورة سبأ: ٣٤.

[١٨] - ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ معيباً أو مذموماً ﴿مَذْهُورًا﴾ مطروداً ﴿لَعَنَ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ لام الابتداء موطئة للام القسم في ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ منك ومن ذريتك ومنهم، غلب الحاضر والجملة نابت جزء الشرط.

[١٩] - ﴿وَبَاءَ آدَمَ﴾ وقال: يا آدم ﴿اسْكُنْ أَنْتَ﴾ تأكيد لفاعل «اسكن» ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء بالمد ﴿الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالاكل ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الباخسين أنفسهم الثواب. «تكونا» نصب جواباً، أو جزم بالعطف.

[٢٠] - ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا﴾ لأجلهما أو اليهما. وأصل الوسوسة الصوت الخفي ﴿الشَّيْطَانُ﴾ ابليس ﴿لِيُذَيِّ لَهُمَا﴾ ليظهر لهما. واللام للعاقبة أو للفرض بأن أراد بوسوسته إساءتهما يبدو^(١) عوراتهما ﴿مَأْوَرِي﴾ ستر ﴿عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا﴾ عوراتهما، وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا احدهما من الآخر.

وفيد قبح كشفها في الخلوة، وعند الزوج لا لحاجة طبعاً. ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا﴾ كراهة ﴿أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ في الجنة أو الذين لا يموتون. ولا يفيد فضل الملائكة على الأنبياء لأنهما إنما رغبا في حصول خواص الملائكة لهما كالكمال الفطري والإستغناء عن الغذاء، وهذا لا يوجب فضلهم مطلقاً، أو المعنى أن النهي عنها للملائكة والخالدين دونكما.

[٢١] - ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ أي أقسم لهما بالله على ذلك من «فاعل»^(٢) مبالغة وقيل أقسم له بالقبول.

[٢٢] - ﴿فَدَلَّاهُمَا﴾ أي حطهما عن درجتهما العالية الى رتبة سافلة ﴿بِقُرْورٍ﴾ بأن غرهما بقسمه لظنهما بأن أحداً لا يقسم بالله كذباً ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ أي ابتدا

(١) في «الف» وهـ: يدي.

(٢) تفسير البيضاوي ٢: ٢٢٢.

بالأكل منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَ أَنَّهُمَا﴾ أي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره .
وسميت العورة سوءاً لأن انكشافها يسوء صاحبها ﴿وَوَفَّقَا يَخْصِفَانِ﴾ أي أخذَا
يرقعان ورقة على ورقة ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ وهو ورق التين ليسترا به ﴿وَنَادَاهُمَا
رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفَّاءٌ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ عتاب
على مخالفة النهي وإن كان نهى تنزيهه ، وقبول قول العدو والإستفهام للتقدير .

[٢٣] - ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ بخسناها الثواب بفعل ما تركه أولى ﴿وَأِنْ لَّمْ
تَغْفِرْ لَنَا﴾ تسر علينا ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾ وتفضل بنعمك (التي يتم بها) ^(١) ما فوّته نفوسنا ^(٢)
من الثواب ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بتضييع حظنا .

[٢٤] - ﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾ خطاب لهما ولذريتهما ، أو لهما ولإبليس ﴿بَعْضُكُمْ
لِيَبْغِضَ عَدُوًّا﴾ أي متعادين ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ مصدر ، أو اسم مكان ﴿وَمَتَاعٌ
إِلَىٰ حِينٍ﴾ وتمتع الى تقضي آجالكم .

[٢٥] - ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ بالبعث وبناء «حمزة»
و«الكسائي» و«ابن ذكوان» للفاعل ^(٣) .

[٢٦] - ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ خلقناه لكم بأسباب سماوية ، ومثله
﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ ^(٤) ﴿يُؤَارِي﴾ يستر ﴿سَوْءَ تَكُنُمْ وَرِيثًا﴾ جمالاً أي ما تتجملون به أو
مالاً ، يقال : تريتش ، أي : تمول ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ خشية الله والإيمان ، أو العمل
الصالح ، أو لباس الحرب ، نصبه «نافع» و«ابن عامر» و«الكسائي» ^(٥) عطفاً على

(١) الزيادة من تفسير مجمع البيان ٢: ٤٠٧ .

(٢) في النسخ «ما فوّته نفوسنا» وقريب منه ما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٠٧ ، والظاهر أن
الصحيح «ما فوّته نفوسنا» ، أو : «ما فوّته بنفوسنا» .

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٠٦ .

(٤) سورة الحديد : ٢٥ / ٥٧ .

(٥) حجة القراءات : ٢٨٠ .

«لباساً» ورفع الباقون^(١) مبتدأ وخبره «ذَلِكَ خَيْرٌ» أو خبراً و«ذلك» صفته «ذَلِكَ» الإنزال «مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» دلائل قدرته ورحمته «لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ» فيؤمنون ويشكرون .

[٢٧] - «يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ» لا يمتحنكنم فيضلكنم، أي لا تتبعوه هفتنوا «كَمَا أَخْرَجَ أَبُوكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ» بفتنته «يَتَزَعُّ» حال من الفاعل أو المفعول «عَنْهُمَا لِبَاسُهُمَا لِيَرِيَهُمَا سَوْءَ نِيَّتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ» جنوده «مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ» للطاقة أجسامهم أو شفافيتها . وهذا لا يمنع تمثلهم لنا أحياناً «إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» أي مكناهم من خذلانهم باختيارهم ترك الإيمان أو حكمنا بذلك لتناصرهم على الباطل .

[٢٨] - «وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً» ما تنهى فحياً كالشرك وطوافهم عراة، فنهوا عنها «قَالُوا» معذرين «وَجَدْنَا عَلَيْهَا آثَاءَنَا» فقلدناهم «وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا» أيضاً قيل قالوا: لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه^(٢) كالمجبرة «قُلْ إِنْ كَانَ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ» يفسد ثبوت القبح العقلي، فافهم . «أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» إنكار لاقرائهم على الله .

[٢٩] - «قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ» بالعدل في كل الأمور فيعم كل خير «وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ» نحو القبلة أو استقيموا متوجهين الى عبادته «عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ» وقت سجود أو مكانه أي في كل صلاة، أو في أي مسجد أدركتم صلاته ولا تأخروها لمسجدكم «وَادْعُوهُ» اعبدوه «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» العبادة فإنكم ملاقوه «كَمَا بَدَأَكُمْ» خلقكم ابتداء «تَعُودُونَ» أي يعيدكم أحياء للجزاء أو كما بدأكم من التراب تعودون إليه .

[٣٠] - «فَرِيقًا هَدَى» لطف بهم ، فآمنوا «وَفَرِيقًا» نصب بـ«خذل» الدال عليه

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٠٨ .

(٢) قاله الحسن - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤١٠ .

الكلام ﴿حَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ﴾ الخذلان بمنع اللطف بسوء اختيارهم كما قال ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ بطيعونهم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَخْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾.

[٢١]- ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ لباسكم لستر عورتكم أو للتجمل ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ لصلاة أو طواف . ويفيد وجوب ستر العورة فيها ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ما طاب وأحل لكم ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ تتعدوا بتحريم حلال ، أو بالعكس في المأكل والمشرب والملبس أو بالشره^(١) في الطعام .

قيل جمع الله الطب في نصف آية «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا»^(٢) ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ يبغضهم .

[٢٢]- ﴿قُلْ﴾ انكاراً عليهم ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ من لباس التجمل ﴿الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالصوف ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ المتلذذات من المأكل والمشرب . ويفيد أن الأصل في الأشياء الإباحة فيطابق دليل العقل ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالاستحقاق وإن شاركهم الكفرة فيها ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ مختصة بهم . حال ، ورفعها «نافع» خبراً^(٣) ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ نبين الأحكام كذلك البيان .

[٢٣]- ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ الكبائر، أو الزنا وسكن «حمزة» الياء^(٤) ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ جهرها وسرها ﴿وَالْأَنفُسَ﴾ الذنب أو الخمر ﴿وَالْبَغْيَ﴾ الظلم

(١) يقال شره على الطعام واليه يشتره شرهاً: اشتد حرصه عليه فهو شره ، والشره عند المولدين الأكل فوق الحاجة .

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٤١٣ .

(٣) حجة القراءات: ٢٨١ .

(٤) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٥ .

والكبر ﴿يَنْبَغِي الْحَقُّ﴾ تأكيداً للنبغي ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ﴾ بإشراكه ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة . ويفيد تحريم ما لا حجة عليه ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ بالإفتراء عليه ومنه الفتوى بغير علم .

[٢٤] - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة أو وقت لاستئصالهم ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ تنقضت مدتهم أو حان وقتهم ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ لا يتأخرون ولا يتقدمون ، أو لا يطلبون التأخر والتقدم لدهشتهم .

[٢٥] - ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا﴾ «إن» الشرطية أدغمت في «ما» الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنْ اتَّقَى﴾ التكذيب ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة .

[٢٦] - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ تكبروا عن قبولها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

[٢٧] - ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنسبة ما لم يقله إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ بالقرآن ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ مما كتب لهم من الرزق والأجل ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا﴾ الملائكة ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يقبضون أرواحهم حال من «رسلنا» ﴿قَالُوا﴾ تقريباً لهم ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ من الآلهة ﴿قَالُوا ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ اعترفوا عند الموت بكفرهم .

[٢٨] - ﴿قَالَ﴾ - الله لهم يوم القيامة - : ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾ في جملتهم ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت على الكفر ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ متعلق «بادخلوا» ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ في النار ﴿لَمَعَتْ أَخْتَهَا﴾ التي ضلت بإتباعها ﴿حَتَّى إِذَا دَارَكُوا﴾ تداركوا وتلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِيَهُمْ﴾ دخولاً ، وهم الاتباع ﴿لِأُولَئِهِمْ﴾

لأجلهم^(١) وهم القادة ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ دعونا إلى الضلال فأجبناهم ﴿فَاتَنَّهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضاعفاً ﴿مِنَ النَّارِ﴾ إذ ضلوا وأضلوا ﴿قَالَ لِكُلِّ﴾ من الفريقين ﴿ضِعْفٌ﴾ عذاب مضاعف لاجتماع الكل على الكفر ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ما لكل فريق، وقرأ «عاصم» بالياء^(٢).

[٣٩] - ﴿وَقَالَتْ أُولَئِكَ لَأُخْرِیَهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ مرتب على جوابه تعالى لأحراهم، أي فقد ثبت مساواتكم لنا في الكفر والعذاب ﴿فَقَذَوْا الْعَذَابَ﴾ بما كُتِبَ تَكْسِبُونَ ﴿من قولهم أو قول الله.

[٤٠] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تَنْتَفِعْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ لأرواحهم أو لأعمالهم كما تفتح لأرواح المؤمنين وأعمالهم، وخففه «أبو عمرو» وكذا «حمزة» و«الكسائي» ولكن بالياء^(٣) ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ يدخل البعير في ثقب الإبرة وهو مما لا يكون، فكذا دخولهم ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿تَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٤١] - ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِنْ قُورَيْهِمْ عَوَاشٍ﴾ أعطية منها. وتنوينه عوض عن الياء المحذوفة وقيل للصرف^(٤) ﴿وَكَذَلِكَ تَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٢] - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وعد بعد الوعيد ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ما دون طاقتها من العمل، اعتراض بين المبتدأ وخبره وهو ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٤٣] - ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ﴾ وأخرجنا من قلوبهم الحقد والغش حتى لا يكون بينهم إلا التواد. وعبر بالماضي لتحقيقه ﴿تَجْزِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ تحت

(١) تفسير البضاوي ٢: ٢٢٥.

(٢) حجة القراءات: ٢٨٢.

(٣) في تفسير البضاوي ٢: ٢٢٦ والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيويه وللصرف عند غيره.

أَبْنَيْتَهُمْ ﴿الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَيْنَا لِهَذَا﴾ ﴿الْمَنْزِلُ أَوْ لِمَا هَذَا ثَوَابُهُ﴾ ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَيْنَا اللَّهُ﴾ حذف جواب «لو لا» لدلالة ما قبله عليه، وحذف «ابن عامر» الواو^(١) ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ﴾ فاهتدينا بهم ﴿وَتَوَدُّوْا أَنْ تَلَکُمُ الْجَنَّةُ﴾ إذا رأوها أو دخلوها. و«أن» مفسرة أو مخففة وكذا الأربع الآتية^(٢) ﴿أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أعطيتموها بعملكم. حال من «الجنة».

أو خبر «تلكم» و«الجنة» صفته.

[٤٤] - ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ تفرعاً وتقريراً لهم ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ أريد بـ«ما وعد» كلما ساءهم من الموعود لهم ولغيرهم كعذابهم، ونعيم اضدادهم، وكذلك لم يقل «ما وعدكم» كمقابلة ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ وكسر «الكسائي» عينه حيث وقع^(٣) ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ﴾ فنادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وقرأ «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» بالتشديد والنصب^(٤).

[٤٥] - ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَتَّبِعُونَهَا عِوَجًا﴾ يطلبون السبيل معوجة أو ييغنون لها العوج وهو بالكسر - في المعاني وما لم يتصب،^(٥) وبالفتح فيما انتصب كالحائط ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

[٤٦] - ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ بين الفريقين أو أهل الجنة والنار، سور حاجز

(١) تفسير البضاوي ٢: ٢٢٦.

(٢) وهي الآيات: «أَنْ قَدْ وَجَدْنَا»، ٤٤، «أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»: ٥٥، و«إِنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ»: ٤٦، و«إِنْ أَمْسَرَ» ٥٠.

(٣) حجة القراءات: ٢٨٢.

(٤) تفسير البضاوي ٢: ٢٢٦.

(٥) في تفسير البضاوي ٢: ٢٢٦ ما يلي: والعوج - بالكسر - في المعاني والأعيان: ما لم تكن متصبة.

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ هو الحجاب أو اعرافه، أي شرفه جمع «عرف» وهو ما ارتفع من الشيء ﴿رِجَالٌ﴾ قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فيحسبون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء، أو الأنبياء والشهداء، أو العلماء الأتقياء.

وعن الباقر عليه السلام: هم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه. ^(١)

وسأل ابن الكوا علياً عليه السلام عن هذه الآية فقال: نحن نقف يوم القيامة بين الجنة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماء فأدخلناه الجنة ومن أبغضنا عرفناه بسيماء فأدخلناه النار. ^(٢)

ويؤيده استفاضة حديث أنه عليه السلام قسيم الجنة والنار ^(٣) ﴿يَغْرِفُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلاماتهم كنظرة الوجوه وغيرها. «فعلى» من «سام» ابله أرسلها للرعي معلّمة، أو من «وسم» على القلب ﴿وَتَنَادَوُا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي إذا رأيتموهم سلموا عليهم ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَئِنُونَ﴾ حال من «الواو» على أول الوجوه، ^(٤) ومن «أصحاب» على سايرها. ^(٥)

[٤٧] - ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ في النار.

[٤٨] - ﴿وَتَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من أصحاب النار ﴿يَغْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ المال أو كثرتكم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن

(٢٥١) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٢٢.

(٣) ذكر بعض طرقه عن عمر بن شبة وغيره الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٢٢.

(٤) الوجه الأول هو أول الوجوه التي ذكرت في تفسير رجال يعني إذا كان المراد بالرجال قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

(٥) وهم الأنبياء والشهداء والعلماء الأتقياء، أو: آل محمد عليهم السلام. المذكورة قبل سطور.

الحق أو على الناس .

[٤٩] - ﴿أَهْوَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ ولا يدخلهم الجنة احتقاراً لهم لضعفهم فيقولون لهؤلاء أو يقال لأصحاب الأعراف ﴿اذْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ .

[٥٠] - ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا﴾ صبوا ﴿عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الطعام كملفتها تبناً وماءاً (بارداً)^(١) ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ منعهما عنهم .

[٥١] - ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ فحرموا وأحلوا ما شاؤا بشهواتهم ﴿وَعَزَّزْنَاهُمْ بِحَيَوةِ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾ نتركهم في النار فعل الناسي ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ فلم يعملوا ولم يتأهبوا له ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ وكما جحدوها .

[٥٢] - ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ﴾ هو القرآن ﴿فَصَلَّاهُ﴾ بيناه عقائد و أحكاماً ومواعظ ﴿هَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال من الفاعل أي عالمين بتفصيله ، ولا يدل على أنه تعالى عالم بعلم مغاير لذاته ، أو من المفعول أي مشتملاً على علم ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ حال من الهاء .

[٥٣] - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ ما يؤل إليه أمره من ظهور صدق وعده ووعيده ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ وهو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ تركوه كالمنسي ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ اعترفوا بحقية ما جاؤا به ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ﴾ أو هل نرد إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلْ فَعِيزٌ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ جواب «أو نرد» ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أهلكوها بالعذاب ﴿وَصَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُمْ﴾ ما كانوا يفترون ﴿كدعوى الشركاء وشفاعتهم﴾ .

[٥٤] - ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ في قدرها ، إذ

(١) مابين القوسين اخذناه من تفسير البيضاوي .

لا شمس حينئذ .

والخلق التدريجي مع القدرة على الدفعي دليل الإختيار وتعليم للتثبت ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ من كل شيء فليس شيء أقرب إليه ، أو استقام أمره أو استولى ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو الجسم الحاوي لسانر الأجسام . سمي به تشبيهاً بسرير الملك .
وقيل : الملك ^(١) ﴿يَغْشَى اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يغطيه بظلامه وحذف عكسه للعلم به وشدده «حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر» ^(٢) ﴿يَطْلُبُ﴾ يعقبه كالطالب له ﴿حَيْثُ﴾ سريعاً ، صفة مصدر مقدر ، أو حال من الفاعل أو المفعول ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ مذللات بتصرفه . ونصبت عطفاً على «السموات» و«مسخرات» حال ورفع «ابن عامر» كلها على الإبتداء ^(٣) والخبر ﴿أَلَا لَهُ﴾ وحده ﴿الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ الإيجاد والتصرف ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ تعالى وتعظم بتفرده في الألوهية والربوبية .

[٥٥] - ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ تذلاً وسراً ، حال ، وكسر «أبو بكر» الخاء ^(٤) ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ﴾ للحد في الدعاء ، كطلب منزلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الصياح أو في كل أمر .

[٥٦] - ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بالرسل والكتب ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ خائفين من رده أو عقابه أو عدله ﴿وَوَطْئًا﴾ في إجابته أو عفوه أو فضله ، ﴿إِنْ رَحْمَةُ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ تقوية للطمع وتذكير قريب لإضافة الرحمة الى الله أو لأنها بمعنى الرحم .

(١) قاله الحسن - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٢٨ .

(٢) حجة القراءات: ٢٨٤ .

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٢٨ .

[٥٧] - ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ﴾ وأفرده «ابن كثير» و«حمزة» و«الكسائي»^(١) ﴿نُشْرًا﴾ منتشرة جمع «نُشور» كـ «رسول» و«سكنه» «ابن عامر» حيث وقع^(٢) و«حمزة» و«الكسائي» مع فتح النون حيث وقع^(٣) على انه مصدر وقع حالاً أو مفعولاً مطلقاً لقرب «يرسل» من «ينشر» وقرأ «عاصم» بالباء^(٤) جمع بشير ﴿بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِهِ﴾ قدام المطر ﴿حَتَّى إِذَا أَقْلَتْ﴾ حملت من القلة،^(٥) كَأَنَّ الحامل للشيء يستقله ﴿سَحَابًا يُقَالُ﴾ بالماء جمع للمعنى أي سحاب ﴿سُقْنَاهُ﴾ افرد ضميره للفظ وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِيَلِدَ مَيْتٌ﴾ لا نبات فيه، أي لإحيائه ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾ بالبلد أو بالسحاب والباء للظرفية أو السببية وكذا ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ ويجوز عوده فيه إلى الماء ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ﴾ الإخراج ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنون بالصانع والبعث.

[٥٨] - ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ العذب التراب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ﴾ زاكياً ﴿يُؤْذِنُ رَبُّهُ﴾ بأمره وتيسيره ﴿وَالَّذِي حَبَّتْ﴾ ترابه كالسبخة ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نِكْدًا﴾ قليلاً بلا نفع ﴿كَذَلِكَ﴾ البيان المذكور ﴿نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نبينها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعم الله فيؤمنون به.

والآية مثل لمن اتعظ بالآيات ومن أعرض عنها.

[٥٩] - ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ ابن ملك بن متوشلح^(٦) بن

(١) تفسير البياضاي ٢: ٢٢٩.

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٣٠.

(٣) تفسير البياضاي ٢: ٢٢٩.

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٣٠.

(٥) يقال: قل الشيء قلاً، أي: حمله ورفع.

(٦) كذا في النسخ ولكنه في تفسير البياضاي ٢: ٢٣٠ متوشلح، وفي تفسير مجمع البيان ٢: ٤٣٣:

وهو نوح بن ملك بن متوشلح بن اخنوخ النبي وهو ادريس.

إدريس ﴿إِلَى قَوْمِهِ﴾ وهو ابن أربعين وقيل أكثر^(١) ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي وحده
﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ رفع بدلاً من محل «إله»، وجزء «الكسائي» صفة له حيث
وقع^(٢) ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ ان عبدتم غيره وفتح «الحرمان» و«أبو عمرو» الياء^(٣)
﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة.

[٦٠] - ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ الاشراف الذين يملأون الصدر هيبة ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ذهاب عن الحق بين.

[٦١] - ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ مبالغة في النفي وتعريض بهم ﴿وَلَكِنِّي
رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٦٢] - ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ استئناف لبيان كونه رسولاً وخففه «أبو عمرو»^(٤) ﴿رِسَالَاتِ
رَبِّي﴾ وجمعت لتعدد مضمونها كالعقائد والأحكام والمواعظ ﴿وَأَنْصَحُ﴾ أخلص
بإرادة الخير ﴿لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ من قدرته وبطشه، أو من جهته بالوحي ﴿مَا لَا
تَعْلَمُونَ﴾ أشياء تجهلونها.

[٦٣] - ﴿أَوْعَيْبُكُمْ﴾ إنكار، عطف على محذوف أي أكذبتم وعجبتم من ﴿أَنْ
جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ رسالة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ على لسان رجل ﴿مِنْكُمْ﴾ من جنسكم
﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ وبإل الكفر ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ الله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بالتقوى.

[٦٤] - ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ ممن آمن به وهم أربعون رجلاً وأربعون
امراً. وقيل عشرة، منهم بنوه «سام» و«حام» و«يافت»^(٥) ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ السفينة،

(١) في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٣٣ وهو ابن خمسين سنة.

(٢) حجة القراءات: ٢٨٦.

(٣) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٥.

(٤) حجة القراءات: ٢٨٦-٢٨٧.

(٥) في تفسير البضاوي ٢: ٢٣٠-مايلي: وقيل تسعة: بنوه سام و«حام» و«يافت» وستة ممن آمن به..

متعلق بـ «معهم» أو «أنجيناه» ﴿وَأَعْرِضْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عمي القلوب عن الحق .

[٦٥] - ﴿وَالِى عَادٍ﴾ وأرسلنا الى عاد الأولى ، قبيلة أبوهم عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ﴿أَخَاهُمْ﴾ أي من هو منهم ﴿هُودًا﴾ عطف بيان وجعل منهم لأنهم اليه أسكن ، ^(١) وعنه أنهم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ استئناف جواب قائل : فما قال لهم ؟ ، وكذا جوابهم ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ نقمته .

[٦٦] - ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ منغمساً في خفة عقل ﴿وَأِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ .

[٦٧] - ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

[٦٨] - ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ كما عرفتموني بذلك .

[٦٩] - ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي في الأرض ما بين «عمان» الى «حضر موت» ذكرهم نعمة الله بعد تخويفهم نقمه ﴿وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ ^(٢) قوة وطولاً من ستين الى مائة ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ نعمه مما ذكر وغيره ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ إذا ذكرتموها وشكرتم .

[٧٠] - ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا مِنَ السماء تَهْكِمُ أَوْ قَصَدْتَنَا﴾ لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَمَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴿مِنَ الْأَصْنَامِ﴾ قَاتِنَا بِمَا تَعْبُدْنَا ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ﴾ فيه .

[٧١] - ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وجب أو حق فهو كالواقع ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب ﴿وَعَصَبٌ﴾ ارادة انتقام ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ﴾ أي أصنام ﴿سَمَّيْتُهَا أَنْتُمْ

(١) هذا (أفعل) من السكن وهو. من يسكنون اليه ويستأنسون به .

(٢) يرسم المصحف بقراءة حفص : «بسطة» .

وَأَبَاؤُكُمْ آلَهِةٌ وَمَا فِيهَا إِلَهِيَّةٌ ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أَيِ بِإِلَهِيَّتِهَا ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ حلول العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ لحلوله بكم .

[٧٢] - ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ فِي الدِّينِ ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ عَلَيْهِمْ ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أَيِ اسْتَأْصَلْنَاهُمْ ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ عطف على «كذبوا» .

قيل لَمَّا كَذَبُوهُ ابْتَلُوا بِالْقَحْطِ وَكَانَ النَّاسُ حِينَئِذٍ إِذَا ابْتَلُوا تَوَجَّهُوا إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَطَلَبُوا مِنَ اللَّهِ الْفَرْجَ فَجَهَزُوا إِلَيْهِ وَفَدَّأَ وَكَانَ بِمَكَّةَ إِذْ ذَاكَ الْعَمَالِقَةُ أَوْلَادُ عَمَلِيقَ بْنِ لَؤُذَ بْنِ سَامَ ، وَسَيِّدُهُمْ مَعَاوِيَةُ بْنُ بَكْرَ ، فَقَدَّمُوا عَلَيْهِ وَكَانُوا أَخْوَالَهُ ، فَأَكْرَمَهُمْ وَبَقُوا عِنْدَهُ شَهْرًا لَا يَمِينُ بِالشَّرْبِ وَالْغَنَاءِ فَاهْتَمَّ ذَلِكَ وَاسْتَحْيَا أَنْ يَكَلِّمَهُمْ فِيهِ ، لِأَنَّهُمْ ضَيْفُهُ فَعَلِمَ قِيَّتِيهِ شَعْرًا يَتَضَمَّنُ ذَلِكَ ، فَغَتَّاهُمْ بِهِ فَأَزْعَجَهُمْ فَذَهَبُوا يَسْتَسْقُونَ فَقَالَ رَأْسُهُم : اللَّهُمَّ اسْقِ عَادًا فَأَنْشَأَ اللَّهُ سَحَابَاتٍ ثَلَاثَ بَيضَاءَ وَحُمْرَاءَ وَسُودَاءَ ، فَنَوْدِي مِنَ السَّمَاءِ : اخْتَرِ لِقَوْمِكَ ، فَاخْتَارَ السُّودَاءَ ، فَخَرَجَتْ عَلَى عَادَ فَاسْتَبَشَرُوا وَقَالُوا هَذَا عَارِضٌ مَمْطُرُنَا فَجَاءَ تَهُمُ مِنْهَا رِيحٌ عَقِيمٌ فَاهْلَكْتَهُمْ وَنَجَّى «هُودَ» وَمَنْ آمَنَ بِهِ وَأَتُوا مَكَّةَ وَسَكَنُوهَا .^(١)

[٧٣] - ﴿وَالِىَ ثَمُودَ﴾ قَبِيلَةً مِنَ الْعَرَبِ ، أَبُوهُمْ «ثَمُودُ بْنُ عَامِرِ بْنِ إِدْرِىسَ بْنِ سَامَ» تَرَكَ صَرْفَهُ بِتَأْوِيلِ الْقَبِيلَةِ وَيَصْرِفُ بِتَأْوِيلِ الْحَيِّ . وَمَنَّا لَهُمُ الْحَجَرُ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ مَنْ وَلَدَ ثَمُودَ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بُيُوتٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ مَعْجَزَةٌ عَلَى صَدَقِي «هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ» اسْتِنَافَ لِبَيَانِهَا . وَ«آيَةٌ» حَالٌ عَامِلُهَا الْإِشَارَةُ ، وَلَكُمْ» بَيَانٌ لِمَنِ الْآيَةُ لَهُ ، أَوْ «نَاقَةُ اللَّهِ» بَدَلُ . وَلَكُمْ» خَبَرٌ عَامِلٌ فِي «آيَةٍ» ، وَاضَافَتِهَا إِلَى «اللَّهِ» لِتَعْظِيمِهَا ﴿قَدْ زُورُوا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ الْكَلَا ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ بِعَقْرِ أَوْ أَذَى ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

[٧٤] - ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ أَسْكَنْكُمْ ﴿فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا﴾ تَبْنُونَ فِي سُهُولِهَا ﴿قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ حَالٌ مُقَدَّرَةٌ ،

(١) انظر تفصيل قصة هود في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٣٨-٤٣٩ .

أو مفعول بتقدير «من الجبال» ﴿فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَمْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ .

[٧٥] - ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ عن الإيمان به وقرأ «ابن عامر» «وَقَالَ»^(١) ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ أي استذلّوهم ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ من قومه ، بدل كل من «الذين استضعفوا» أو بعض إن كان الضمير لهم ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ هو أبلغ من الجواب بـ «نعم» لإفادته أن إرساله مما لا يشك فيه عاقل ، وإنما الشأن فيمن آمن به ومن كفر .

[٧٦] - ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَاَمْتُمْ بِهِ كَاْفِرُونَ﴾ لعلمهم لم يقولوا : «بما أرسل به» حذراً أن يفوهوا برسالته .

[٧٧] - ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ أي نحروها . اسند فعل البعض الى الكل لرضاهم به ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ استكبروا عن امتثاله ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ إِنَّا بِمَا تَعِدُّنَا مِنْ الْعَذَابِ﴾ «إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» .

[٧٨] - ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ صيحة من السماء وزلزلة ، فهلكوا ﴿فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾ صرعى على وجوههم .

قيل :^(٢) أنهم خلفوا عاداً وكثروا ونحتوا الجبال لطول اعمارهم فعتوا وعبدوا الأصنام فبعث الله لهم صالحاً فأنذرهم فسألوه آية ، وأشار سيدهم الى صخرة منفردة وقال له : «اخرج منها ناقة جوفاء وبراء عشراء فإن فعلت آمنا بك» فدعا ربه ، فتمخضت الصخرة وانصدعت عن ناقة كما وصف ثم نتجت ولدها ، فأمن به رهط ولم يؤمن أكابرهم .

وكان الماء يوماً لهم ويوماً للناقة تشربه كله وتسقيهم ما شاؤا من اللبن وكانت مواشيهم تهرب منها فشق ذلك عليهم فعقروها واقتسموا لحمها ، فرقى

(١) حجة القراءات : ٢٨٧ .

(٢) ذكر الطبرسي قصة صالح في تفسير مجمع البيان ٢ : ٤٤١-٤٤٢ والبيضاوي في تفسيره ٢ : ٢٢٢ .

سبقها^(١) جبلاً، فقال لهم صالح: ادركوه عسى أن يرفع عنكم العذاب فطلبوه فلم يدركوه، فقال لهم تصفر وجوهكم غداً وتحمر بعده وتسود في الثالث ثم يصبحكم العذاب فرأوا العلامات وطلبوا قتله فأنجاه الله وتحنطوا وتكفنوا في الرابع ثم أخذتهم^(٢) الرجفة فهلكوا.

[٧٩] - ﴿فَتَوَلَّى﴾ اعرض صالح ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ خاطبهم كما خاطب رسول الله أهل قلب بدر.

[٨٠] - ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ نصب بتقدير «أرسلنا» و«إذ» ظرف له أو به «أذكر» و«إذ» بدل منه. وهو ابن هاران أخى إبراهيم وقيل ابن خالته وأخو سارا ﴿أَنَاتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ الشيعة العظيمة القبح أي اتيان الذكران ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ما فعلها قبلكم أحد قط، استئناف مقرر للإنكار والباء للتعدي.

[٨١] - ﴿أَنْكُمْ﴾^(٣) وقرأ «نافع» و«حفص» «إنكم»^(٤) اخباراً مستأنفاً ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ في أدبارهم، بيان لتلك الفاحشة ﴿شَهْوَةً﴾ مفعول له أو حال ﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ المخلوقة لكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أضرب عن الإنكار إلى الاخبار بأنهم مجاوزون الحلال إلى الحرام والذم على جميع معائبهم.

[٨٢] - ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي لم يجيبوا نصحه إلا بالمقابلة بالسفه بقولهم: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ أي لوطاً ومن اتبعه ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظُرُونَ﴾ يتنزهون عن أدبار الرجال.

(١) السقب: ولد الناقة.

(٢) في «ط»: ثم أخذتهم.

(٣) وفي المصحف الشريف بقراءة حفص: «إنكم» - كما يشير إليه المؤلف.

(٤) حجة القراءات: ٢٨٧.

[٨٣] - ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي من اتباعه ﴿إِلَّا أَمْرَأَتَهُ﴾ فإنها منافقة ﴿كَانَتْ مِنَ

الغَابِرِينَ﴾ الباقيين في العذاب .

[٨٤] - ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ نوعاً من المطر فظيماً . وَيَبِّئَ فِي ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ

حجارة من سجيل﴾^(١) ثم قلب جبرئيل قريتهم عليهم .

وقبل القلب على حاضريهم والحجارة على مسافريهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ

عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ .

[٨٥] - ﴿وَالِى مَدْيَنَ﴾ أي وأرسلنا اليهم وهم أولاد مدين بن ابراهيم ﴿أَخَاهُمْ

شُعَيْبًا﴾ ابن توبة بن مدين . وأمه بنت لوط وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن

مراجعته^(٢) قوله ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ

رَبِّكُمْ﴾ معجزة على صدقي ولم تبين في القرآن ما هي ، ﴿فَاقْوُوا الْكَيْلَ﴾ أي المكيال

لقلوه : ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ كما في «هود»^(٤) أو الميزان مصدر كالميعاد ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ

أَشْيَاءَهُمْ﴾ ولا تنقصوهم حقوقهم وكانوا أهل كفر وبخس ﴿وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾

بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بالرسل والشرائع ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مريدين الإيمان ، فاعملوا به .

[٨٦] - ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ طريق من طرق الدين أي شعبة من أصوله

وفروعه ، أو من طرق القاصدين شعبياً ﴿تَوَعَّدُونَ﴾ تخوفونهم بالقتل وتمنعونهم عن

الإيمان به وهو حال ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ بالله بتوعدكم إياه

و «من» مفعول «تصدون» إعمالاً للأقرب ، ولو أعمل «توعدون» لقل «تصدونهم»

(١) سورة الحجر : ٧٤/١٥ .

(٢) معناه في تفسير مجمع البيان ٤٤٦: ٢ وتفسير البضاوي ٢٣٤: ٢ .

(٣) يقال : راجعه الكلام وغيره مراجعة ، أي : عاوده .

(٤) سورة هود : ٨٥/١١ .

﴿وَيَبْقَوْنَهَا عِوَجًا﴾ وتطلبون السبيل معوجة بإلقاء الشبه كقولكم: هذا كذاب ونحوه
﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾ عدداً أو عدة ﴿فَكَثَرْتُمْ﴾ بالنسل أو المال ﴿وَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ قبلكم واعتبروا بهم.

[٨٧] - ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا
فَاصْبِرُوا﴾ فانتظروا ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ أي بين الفريقين بإنجاء المحق واهلاك
المبطل ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ إذ لا جور في حكمه.

[٨٨] - ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَمُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ غلبوا الجمع على الواحد في الخطاب إذ لم يكن
شعيب في ملتهم قط، وعلى ذلك أجاب ﴿قَالَ﴾ انكاراً ﴿أَوَّلَى﴾ أي أنعود ولو ﴿كُنَّا
كَارِهِينَ﴾ لها.

[٨٩] - ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا﴾ اختلقنا ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾ بأن نشرك
بالله. وناب «قد افترينا» جواب «ان» ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ بتوقيفه والحجج
الموضحة للحق ﴿وَمَا يَكُونُ﴾ يصح ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ حسم
لطمعهم في العود بتعليقه على الممتنع وهو مشيئته تعالى للكفر ﴿وَمِيعَ رَبِّنَا كُلَّ
شَيْءٍ عَلِمْنَا﴾ أي أحاط علمه بكل شيء، فيعلم حالنا وحالكم ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في
كل أمورنا ﴿رَبَّنَا افْتَحْ﴾ احكم أو اكشف الأمر ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ لتمييز
المحق والمبطل ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ بالوجهين.

[٩٠] - ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي قال بعضهم لبعض: ﴿لَئِنْ
قَسَمَ﴾ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴿بترك دينكم الى دينه وهو مغني عن جواب
القسم والشرط.

[٩١] - ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة وفي «هود» ﴿الصَّيْحَةُ﴾^(١) ولا منافاة

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ قريتهم ﴿جَائِمِينَ﴾ صرعى على وجوههم .

[٩٢] - ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَأَن﴾ مخففة حذف اسمها أي كأنهم ﴿لَمْ يَفْتَنُوا فِيهَا﴾ لم يقيموا في دارهم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ للدارين . رد عليهم في قولهم السابق مؤكد بإعادة الموصول والفصل ، واسمية الجملتين .

[٩٣] - ﴿قَوْلَىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تصدقوني ﴿فَكَيِّفَ ءَأْسَىٰ﴾ أحرز ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ وضع موضع «عليكم» للتعليل والاستفهام بمعنى النفي .

[٩٤] - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فلم يؤمنوا به ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ بالفقر والمرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ كي يتذللوا .

[٩٥] - ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ البلاء ﴿الْحَسَنَةَ﴾ النعمة ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾ كثروا عدداً وعدةً وأصله الترك أي تركوا حتى كثروا ، ومنه إعفاء اللحى ﴿وَقَالُوا﴾ كفراً للنعم ﴿قَدْ مَسَّ ءِآبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ كما مسنا ، وهذه عادة الدهر بنا وبهم ، فلم يدعوا دينهم فنحن مثلهم ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بنزوله .

[٩٦] - ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ التي أهلكتها أو مكة وما حولها ﴿ءَامَنُوا﴾ بالله ورسله ﴿وَاتَّقُوا﴾ المعاصي ﴿لَفَتَحْنَا﴾ وسعنا . وشدده «ابن عامر»^(١) ﴿عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ خيرات من كل جانب ، أو المطر والنبات ﴿وَلَكِن كَذَّبُوا﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بالحقط والشدّة ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر والمعاصي .

[٩٧] - ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ المكذبون . والهمزة للتوبيخ ، والفاء للعطف وكذا في الثلاثة الآتية بالواو والفاء ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿يَتَانَا﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ في فرشهم .

[٩٨] - ﴿أَوِ امْنِ أَهْلَ الْقُرَى﴾ وقرأ «ابن كثير» و«نافع» و«ابن عامر» بـ «أو» العاطفة^(١) ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا ضَاحِي﴾ نهاراً عند ارتفاع الشمس ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يلهون فيما لا ينفعهم.

[٩٩] - ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ استدراجهم إياهم بالنعم وأخذهم بغتة ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ بالكفر وترك النظر.

[١٠٠] - ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ يبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ أي يخلفونهم في ديارهم بعد هلاكهم ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ﴾ فاعل «يهدي» وإن قريء بالنون كـ «يعقوب»^(٢) فمفعوله «وأن» مخففة ﴿يَذُنُّوهُمْ﴾ أي بجزائها كما أصبنا من قبلهم ﴿وَنَطْبَعُ﴾ ونحن نختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ واسناده إليه تعالى كناية عن تمكن الكفر في قلوبهم، أو اسناد إلى السبب، أو مجاز عن ترك قسره على الإيمان ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الوعظ سماع قبول.

[١٠١] - ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ المذكورة. مبتدأ وخبر ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ أخبار أهلها. حال أو خبر و«القرى» صفة أو هما خبران ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ بما كفروا به قبل مجيئهم، بل استمروا على كفرهم ﴿كَذَلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ يخليهم شأنهم من رسوخ الكفر^(٣) في قلوبهم.

[١٠٢] - ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ لأكثر الناس. والآية اعتراض، أو لأكثر المهلكين ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ من وفاء بما عهده الله إليهم في الإيمان بنصب الحجج، أو عهده إليه حين يقعون في بلية أن يؤمنوا ﴿وَلِنْ﴾ مخففة ﴿وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾

(١) حجة القراءات: ٢٨٨.

(٢) في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٥٤: وقرأ يعقوب برواية زيد: «اولم نهدي» بالنون.

(٣) في «الف»: يخليهم وما فيهم من رسوخ الشر.

اللام فارقة وقيل بمعنى «إلا» و«إن» نافية. ^(١)

[١٠٣] - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد الرسل أو الأمم ﴿مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ المعجزات ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أشراف قومه ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ بوضعها غير موضعها، فابدلوا الإيمان بها بالكفر ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالكفر من اهلاكمهم. [١٠٤] - ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ اليك.

[١٠٥] - ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ أصله «حقيق عليّ» كقراءة نافع، ^(٢) فقلب، معناه: واجب على القول الحق أن أكون أنا قائله ولا يرضى إلا بمثلي ناطقاً به، أو أريد بـ «على» معنى الباء وهو جواب لتكذيبه إياه المستفاد من «ظلموا بها» و«حقيق» خبر محذوف أو مبتدأ خبره «أن» ومدخولها ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فخلّهم حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة وكان استعبدهم، وفتح الباء «حفص» ^(٣).

[١٠٦] - ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ﴾ تصدّق دعواك ﴿فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتُ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ فيها.

[١٠٧] - ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ حية عظيمة بينة لا يشك فيها. قيل: لما ألقاها صارت ثعباناً، فاغراً فاه بين فكليه، ثمانون ذراعاً، ووضع فكه الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر وقصد فرعون فهرب وأحدث، وهرب الناس ومات منهم بالزحام خمسة وعشرون ألفاً وصاح فرعون يا موسى خذه فانا أومن بك، فأخذه وعاد عصاً. ^(٤)

(١) قاله الكوفيون - كما في تفسير البيضاوي ٢: ٢٢٧..

(٢) حجة القراءات: ٢٨٩.

(٣) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٥.

(٤) رواه البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٢٧.

[١٠٨] - ﴿وَنَزَعْنَاهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَلَمَّا هَمَّ يَتَسَاءَلُ﴾ ذات شعاع يغلب نور الشمس ﴿لِلنَّاطِقِينَ﴾ خلاف لونها من الادمة .

[١٠٩] - ﴿قَالَ الْمَلَأِينَ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ حاذق بالسحر . وفي «الشعراء» حكايته عن فرعون^(١) فلعلهم قالوه معه على جهة التشاور .

[١١٠] - ﴿يُرِيدُ أَنْ يَخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ تشيرون في أمره .

[١١١] - ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ آخر أمرهما ، وقرأ «ابن كثير» و«هشام» : «أرجئه» بالهمزة واشباع ضمة الهاء ،^(٢) وكذا «أبو عمرو» بلا اشباع ،^(٣) و«ابن ذكوان» بالهمز وكسر الهاء^(٤) وخُذِش بأن الهاء لا تكسر إلا إذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة ، والباقون بلا همزة ، ف«قالون» يختلس الكسر ،^(٥) و«ورش» و«الكسائي» يشبعانه ،^(٦) و«عاصم» و«حمزة» يسكنان الهاء^(٧) ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ جامعين .

[١١٢] - ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ يفوق موسى بالسحر وقرأ «حمزة» و«الكسائي» «سحار»^(٨) فحشروا .

[١١٣] - ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ وهم سبعون . وقيل : أكثر^(٩) ﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ استئناف كجواب ما لو قيل : ما قالوا؟^(١٠) وقرأ «ابن كثير»

(١) سورة الشعراء : ٣٦/٣٤ .

(٢) حجة القراءة : ٢٨٩ .

(٣) حجة القراءة : ٢٩٠ .

(٤) تفسير البضاوي ٢ : ٢٣٨ .

(٥) اتحاف فضلاء البشر ٢ : ٥٦ .

(٦) نفس المصدر / ٥٦ و ٥٧ .

(٨) نفس المصدر / ٥٧ .

(٩) في تفسير مجمع البيان ٢ : ٤٦١ : وقيل ثمانين ألفاً .

(١٠) كذا ظاهر النسخ ويؤيده ما في تفسير البضاوي ٢ : ٢٣٨ استأنف به كأنه جواب سائل قال : ما قالوا اذ جاؤا . . ؟

و«نافع» و«حفص» «إِنَّ» على الاخبار.^(١)

[١١٤] - «قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لِمِنَ الْمُتَقَرِّبِينَ» أنعم لهم بالأجر وزاد عليه لتحريضهم

وكسر «الكسائي» العين.^(٢)

[١١٥] - «قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ» ما معك «وَأِمَّا أَنْ نَكُونَ نَاحِئِي الْمُلْقِينَ» ما

معنا، خيروه تجلداً وتادباً ولكن لحرصهم على الإلقاء قبله غيرتوا الأسلوب الى الأبلغ بتعريف الخبر وتوسيط الفصل.

[١١٦] - «قَالَ أَلْقُوا» كرمأ ووثوقاً بأمره «فَلَمَّا أَلْقَوْا» حبالاً طوالاً وخشباً غلاظاً

«سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ» صرفوها بالتمويه عن إدراك الحقيقة «وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ» أربهوهم بالتحليل اليهم أنها حيات ملأت الوادي «وَجَاءُوا»^(٣) بِسَحَرٍ عَظِيمٍ عند الناس.

[١١٧] - «وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ» فآلقها فصارت حية «فَإِذَا هِيَ

تَلْقَفُ» تَلْقَفُ: تتلع وخففه «حفص»^(٤) «مَا يَأْتِيكُونَ» ما يقلبونه عن وجهه بالتمويه.

قيل ابتلعها كلها وأقبلت على الناس فهربوا وهلك كثير بالزحام ثم أخذها موسى فعادت عصا، فقالت السحرة: لو كان هذا سحراً لتقيات ما ابتلعت.^(٥)

[١١٨] - «فَوَقَّعَ الْحَقُّ» ظهر وثبت «وَبَطَّلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» من السحر.

[١١٩] - «فَقُلُّوا» أي فرعون وقومه «هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ» صاروا

أذلاء مبهوتين.

(١) حجة القراءات: ٢٩٢.

(٢) حجة القراءات: ٢٨٢ وكتاب السبعة في القراءات: ٢٨١.

(٣) ينظر تعليقنا على الآية ٦١ من سورة البقرة.

(٤) حجة القراءات: ٢٩٢.

(٥) تفسير البضاوي ٢: ٢٣٨.

[١٢٠] - ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ ألقاهم ما بهرهم من الحق حتى لم يتمالكوا أنفسهم، أو الله بإلهامهم ذلك لينكسر فرعون بمن أراد بهم كسر موسى .
 [١٢١] - ﴿قَالُوا ءَأَمَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ولثلاثا يتوهم ارادة فرعون به ^(١) أبدل منه .
 [١٢٢] - ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ .

[١٢٣] - ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ انكاراً عليهم ﴿ءَأَمَّتُمْ بِهِ﴾ بموسى أو بربه وحقق الهمزتين «حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر» ^(٢) وقرأ «حفص»: «آمتم» إخباراً ^(٣) ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّ هَذَا﴾ الصنيع ﴿لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُ﴾ شيء صنعتموه أنتم وموسى ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ في مصر قبل خروجكم ﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمركم، وعيد، بيانه:

[١٢٤] - ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ من كل شق طرفاً ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لتفتضحوا ويعتبر بكم غيركم .

[١٢٥] - ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ الى ثوابه، راجعون بعد الموت بأي وجه كان، أو مصيرنا ومصيرك إليه، فيحكم بيننا . قابلوا وعيده بأشد منه .

[١٢٦] - ﴿وَمَا تَنْقِمُ﴾ تنكر ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَأَمَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا﴾ وهي الحق الذي يجب الإيمان به ﴿وَرَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ صب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ عند فعل ما توعدنا به لثلاثا نرتد كفاراً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ثابتين على الإسلام . قيل فصلبهم من يومه . ^(٤)
 وقيل عصمهم الله منه . ^(٥)

[١٢٧] - ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي

(١) في «ط»: منه .

(٢) حجة القراءات: ٢٩٣ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٦٣ .

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٦٤ .

«الْأَرْضِ» بدعاء الناس الى مخالفتك ﴿وَيَذَرُكَ﴾ عطف على «يفسدوا» أو جواب «أتذرع» بالواو ﴿وَالْهَتَّكَ﴾ قيل اتخذ لقومه أصناماً وأمرهم بعبادتها تقريباً اليه ولذلك قال ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^(١) وقيل كان يعبد البقر ويأمرهم بعبادتها.^(٢)
وعن علي عليه السلام «والهتك» أي عبادتك^(٣) ﴿قَالَ سَنُقْتِلُ﴾ وخففه «ابن كثير» و«نافع»^(٤) ﴿أَبْنَاءَهُمْ وَتَسْخِي نِسَاءَهُمْ﴾ كفعلنا قبل، لثلاث يظن بنا وهن، وأنه المولود المحكوم بزوال ملكنا على يده ﴿وَأَنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ متسلطون ففعل بهم ذلك فشكوه.

[١٢٨] - ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ على آذاه ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ينقلها إليه نقل الميراث. تقرير لما قبله ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحموده ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ وعد لهم بالنصر.

[١٢٩] - ﴿قَالُوا﴾ أي بنو إسرائيل ﴿أَوُذِينَا﴾ بقتل الأبناء ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ بالرسالة ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا﴾ قالوه استبطاءاً لوعده إياهم بالنصر، فجده لهم ﴿قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أخيراً أم شراً، ليجازيكم به.

[١٣٠] - ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ بالحقوط. غلبت السنة في عام القحط لكثرة ذكره^(٥) ﴿وَنَقَصَ مِنَ الشَّعَرِ﴾ بالآفات ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ لكي يتفكروا في أن ذلك بكفرهم فيتعظوا.

(١) تفسير البيضاوي ٢: ٢٣٩ والآية في سورة النازعات: ٢٤/٧٩.

(٢) قاله السدي - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٦٤.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٦٤.

(٤) حجة القراءات: ٢٩٤.

(٥) في تفسير البيضاوي ٢: ٢٤٠: والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل: استت القوم: اذا قحطوا.

[١٣١] - ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ الخصب والرخاء ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ استحقاقاً ﴿وَإِنْ نُصِيبْهُمْ سَيْئَةً﴾ جذب وبلاء ﴿يَطْفَرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ يتشاءموا بهم ويقولون: ما أصابنا إلا بشؤمهم.

وفيه تنبيه على فرط قساوتهم وغباوتهم إذ لم يثأروا بالآيات والشدائد المارقة للقلوب.

وذكرت الحسنة معرفة مع «إذا» لكثرة وقوعها، والسيئة منكراً مع «إن» لندروها ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ﴾ أي سبب شؤمهم أو سبب نفعهم وضرهم وهو أعمالهم مكتوب ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[١٣٢] - ﴿وَقَالُوا مَهْمَا﴾ «ما» الشرطية لحقتها «ما» الزائدة، وقلبت ألفها هاء استثقالاً وقيل «مه» بمعنى «كف» مع «ما» الشرطية، أي: أي شيء ﴿ثَانِيًا بِهِ مِنْ عَائِيَةٍ﴾ بزعمك، بيان لـ «مهما» ﴿لِنَسْحَرَنَّ﴾ لتموّه علينا ﴿بِهَا﴾ الهاء لمعنى «ما» أو آية ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ خبر «مهما» بحذف العائد أي فما نصدقك بها.

[١٣٣] - ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ المطر الذي طاف بهم، أو الطاعون أو الجدري ﴿وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ﴾ السوس أو الدبا أو نوع من القراد ﴿وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَ﴾ قيل: ^(١) امطروا حتى دخل الماء بيوتهم ولم يدخل بيوت بني إسرائيل قطرة، ووقف بأرضهم فمنعهم من الحرث، ودام عليهم أسبوعاً، فقالوا لموسى: ادع ربك يكشف عنا ونؤمن بك.

فدعا فكشف عنهم ولم يؤمنوا، فسلب عليهم الجراد فأكلت زرعهم وثمارهم وأمتعهم وأبوابهم، ففزعوا إليه.

فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت من حيث جاءت، فلم يؤمنوا، فسلب عليهم القمل فأكل ما بقى وغشي أطمعتهم، ودخل تحت ثيابهم يعضهم،

(١) ذكر قصة بني إسرائيل الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٤: ٦٨ والبيضاوي في تفسيره ٢: ٢٤١.

ففرزوا إليه فرفع، فلم يؤمنوا، فسَلَطَ عليهم الضفادع فملأت مضاجعهم وأطعمتهم وكانت تثب في قلوبهم وهي تغلي، وأفواههم إذا تكلموا، ففرزوا إليه وعاهدوه فرفع، فنكثوا، فابتلوا بالدم فصارت مياههم دماً حتى كان القبطي يمص الماء من فم الإسرائيلي فيصير في فيه دماً.

وقيل: ابتلوا بالأعراف^(١) ﴿ءَايَاتٍ﴾ حال ﴿مُفَصَّلَاتٍ﴾ مبيّنات أو فصل بعضها عن بعض ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

[١٣٤] - ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرُّجْزُ﴾ العذاب المفصل أو الطاعون بعده ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ بما عهده اليك أن تدعوه به فيجيبك، أو بعهده عندك وهو النبوة وهو صلة «ادع» أو حال من فاعله، أي متوسلاً بما عهده، أو متعلق بما دلّ عليه طلبهم كـ «أسعفنا» بحق ما عهده ﴿لَئِنْ﴾ قسم ﴿كَشَفْتُ عَنَّا الرُّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ﴾.

[١٣٥] - ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرُّجْزَ إِلَى أَجَلٍ﴾ حدّ من الزمان ﴿هُمْ بِالْفُؤُوءِ﴾ فمهلكون فيه وهو وقت الفرق ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ جواب «لما» أي فاجتوا الى نقض العهد من دون توقّف.

[١٣٦] - ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ البحر ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ معرضين حتى صاروا كالعافلين عنها، أو عن النعمة بقرينة «فانتقمنا».

[١٣٧] - ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ﴾ بالاستعباد وهم بنو إسرائيل ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ أرض مصر والشام، تمكنوا في نواحيها بعد إهلاك العتاة ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالخصب والسعة ﴿وَوَعَدْتُ كَلِمَةً رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ صحت بإنجاز عدته إيّاهم بالنصر والتمكين وهي قوله ﴿ونريد أن

(١) قاله زيد بن أسلم - كما في تفسير مجمع البيان ٤٩٦: ٢.

نَمْنٌ^(١) إِلَى آخِرِهِ ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ عَلَى الْأَذَى ﴿وَدَمَرْنَا﴾ أَهْلَكْنَا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ مِنَ الْعِمَارَاتِ ﴿وَمَا كَانُوا يَفْرُسُونَ﴾ مِنَ الشَّجَرِ أَوْ يَرْفَعُونَ مِنَ الْبَنَانِ. وَضَمَّهُ «أَبُو بَكْرٍ» وَ«ابْنُ عَامِرٍ»^(٢).

ثم قصّ تعالى أحوال بني إسرائيل وما أحدثوه بعد ترادف نعمه عليهم فقال:

[١٣٨] - ﴿وَجَاوَزْنَا﴾ عَبْرًا ﴿بِئْسَى إِسْرَائِيلَ الْبَخْرَ فَأَتَوْا﴾ فَمَرَوْا ﴿عَلَى قَوْمٍ﴾ مِنَ الْعِمَالِقَةِ أَوْ لَحْمٍ ﴿يَغْكُفُونَ﴾ وَكُسِرَ «حَمْزَةٌ» وَ«الْكَسَانِي»^(٣) ﴿عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ يَقِيمُونَ عَلَى عِبَادَتِهَا وَكَانَتْ تَمَاثِيلُ بَقَرٍ وَهِيَ مَبْدَأُ أَمْرِ الْعَجَلِ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ صَنَمًا نَعْبُدُهُ ﴿كَمَا لَهُمْ إِلَهَةٌ﴾ مَا كَافَةٌ لِلْكَافِ ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لِبَعْدِ مَا طَلَبْتُمْ - وَقَدْ شَاهَدْتُمْ الْآيَاتِ - عَنِ الْعَقْلِ.

[١٣٩] - ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ الْقَوْمِ ﴿مُتَّبِعِينَ﴾ مَهْلِكٍ ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ مِنَ الدِّينِ ﴿وَبَاطِلٌ﴾ مَضْمَحِلٌ ﴿مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ.

[١٤٠] - ﴿قَالَ أَغْيِرَ اللَّهُ أَيْفِيكُمْ إِلَهًا﴾ أَطْلَبَ لَكُمْ مَعْبُودًا ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فِي زَمَانِكُمْ بِنِعْمَةِ الْجِسَامِ، فَقَابَلْتُمُوهَا بِأَنْ قَصَدْتُمْ أَنْ تَشْرُكُوا بِهِ مَخْلُوقَهُ.

[١٤١] - ﴿وَإِذْ﴾ وَادْكُرُوا إِذْ ﴿أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ وَقَرَأَ «ابْنُ عَامِرٍ» «انْجَاكُمْ»^(٤) ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يُولُونَكُمْ وَيَذِيقُونَكُمْ، حَالٍ مِنَ الْمَفْعُولِ أَوْ آلٍ أَوْ إِسْتِنْفَافٍ لِبَيَانِ الْمَنْجَى مِنْهُ «سُوءَ الْعَذَابِ» أَشَدُّ وَهُوَ أَنَّهُمْ ﴿يُقْتَلُونَ﴾ وَخَفَفَهُ «نَافِعٌ»^(٥) ﴿أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَعْبِقُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يَسْتَبِقُونَهُنَّ لِلْخِدْمَةِ ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ الْإِنْجَاءُ وَالْعَذَابُ «بَلَاءٌ»

(١) الآية (٥) من سورة القصص (٢٨) قوله تعالى:

«وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ».

(٢) أي الرأى - كما في حجة القراءات: ٣٩٤.

(٣) أي الكاف - كما في حجة القراءات: ٣٩٤.

(٤) حجة القراءات: ٣٩٤.

(٥) حجة القراءات: ٣٩٥.

نعمة ومحنة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ .

[١٤٢] - ﴿وَوَاعِدْنَا﴾ وقرأ «أبو عمرو»: «ووعدنا»^(١) ﴿مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ ذا القعدة ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ وقت وعده ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ حال .

قيل^(٢) وعد قومه أن يأتيهم بكتاب من الله فأمّر بصوم ثلاثين فصامها، فاستاك لخلوق فيه، فأمّر بعشر أخرى لإفساد السواك ريحه .

وقيل امر بصوم الثلاثين ثم كلمه، وأنزل عليه التوراة في العشر^(٣) ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ عند خروجه الى الجبل للمناجاة ﴿اخْلُقْنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ﴾ أمورهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ولا تسلك طريقهم في المعاصي .
[١٤٣] - ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ للوقت الذي وقتناه لتكليمنا له ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بلا وسيط .

قيل: سمع كلامه من كل جهة^(٤) وقيل من الغمام^(٥) كما سمعه من الشجرة في موضع آخر^(٦) ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي﴾ نفسك ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ .
واحتج به على جواز رؤيته تعالى لاستحالة طلب المحال من الأنبياء سيما ما يوجب جهلاً بالله .

ورد بأن السؤال لتبكيته قومه إذ قالوا ﴿أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(٧) فسأل ليمنع فيعلموا

(١) اتحاف فضلاء البشر ٢: ٦١ .

(٢) نقله البياضوي في تفسيره ٢: ٢٤٢ .

(٣) تفسير البياضوي ٢: ٢٤٢ .

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٧٤ .

(٥) ورد ذلك في سورة القصص: ٢٨ / ٣٠ .

(٦) سورة النساء: ٤ / ١٥٣ .

(٧) سورة البقرة: ٤ / ٥٥ .

امتناعها إذ لم يرتدعوا بما عرفهم من امتناعها حتى ألحوا عليه وقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنزِي اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فاحتاج إلى ما هو أبلغ في ردعهم.

وهو طريق السؤال والجواب من الله، ولذلك سأله لنفسه دونهم ليعلموا أنه إذا مُنِعها مع علوّ قدره، فهم أولى بالمنع، ولئلا يقولوا لو سأله لنفسه لراءه ورأينا. كما سمعنا كلامه حين كلمه ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ لن لتأييد النفي وتأكيده وإذا لم يره أبداً، لم يره غيره إجماعاً ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ استدراك من النظر إليه إلى النظر إلى الجبل وما يغشاه بسبب سؤالهم العظيم الممتنع، ليعلموا امتناع رؤيته بذلك وتعليقها على المحال، وهو: استقراره عقيب النظر حالة تحركه، وامكان الإستقرار حينئذ ممنوع ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ ظهر له أمره واقتداره أو نوره أو عظمته ﴿جَعَلَهُ دُكَّانًا﴾ مدكوكاً أي مدقوقاً ومده «حمزة» و«الكسائي» بلا تنوين،^(١) أي مستوياً بالأرض ﴿وَوَخَّرَ مُوسَى صَعِقًا﴾ مغشياً عليه، لهول ما رأى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ تزيهاً لك عما لا يليق بك من الرؤية وغيرها ﴿ثُبُثْ إِلَيْكَ﴾ من طلب الرؤية أو السؤال بلا إذن ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنك لا ترى أبداً.

[١٤٤] — ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي﴾ وفتح «ابن كثير» و«أبو عمرو» «الياء»^(٢) ﴿اضْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَالَانِي﴾ ووحدتها «ابن كثير» و«نافع»^(٣) ﴿وَبِكَلَامِي﴾ وبتكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْنَكَ﴾ من النبوة والدين ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لنعمي.

[١٤٥] — ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ ألواح التوراة وكانت سبعة أو عشرة من خشب أو ياقوت أو زمرد ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ تبييناً بدل

(١) حجة القراءات: ٢٩٥.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٥.

(٣) حجة القراءات: ٢٩٥.

من الجار والمجرور قبله ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا﴾ أي فقلنا خذ الألواح أو الأشياء الدال عليها «لكل شيء» ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجذ وعزيمة ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي بأحسن ما فيها من الفرائض والنوافل، إذ هي أحسن من المباحات أو بحسنها وكلها حسن ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَافِقِينَ﴾ فرعون وقومه وهي مصر أو منازل عاد وثمود وأمثالهم لتعتبروا بهم، أو دارهم في الآخرة وهي جهنم.

[١٤٦] - ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ عن إبطال دلائلي، وسكن «ابن عامر» و«حمزة» الباء^(١) ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بإعلانها أو إهلاكهم أو منعهم اللطف، لأنهم ليسوا أهل فلا يتفكرون فيها ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ متلبسين بالباطل وهو دينهم ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ﴾ دلالة ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لعنادهم. ويؤذن بعلّة صرفهم فيؤيد الوجه الثالث ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ الهدى، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بفتحتين^(٢) ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ وإن يَرَوْا سَبِيلَ الْفُتَى الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ﴾ الصرف ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ بسبب تكذيبهم بها واعراضهم عنها.

[١٤٧] - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث وما يتبعه ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت، إذ لم تقع على الوجه المأمور به ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلا جزاء عملهم.

[١٤٨] - ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد ذأبه للمناجاة ﴿مِنْ خُلَيفَتِهِمُ﴾ الذي استعاروه من القبط بعلّة عيد لهم، فبقى عندهم، جمع خَلِي كـ تَذِي وتَذِي، وكسر الحاء «حمزة» و«الكسائي»^(٣) وأفرده «يعقوب»^(٤) ﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾ بدل لحمًا ودمًا،

(١) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٥.

(٢) حجة القراءات: ٢٩٥.

(٣) حجة القراءات: ٢٩٦.

(٤) تفسير البضاوي ٢: ٢٤٤.

أو من ذهب لا روح فيه ﴿لَهُ خُوفٌ﴾ صوت.

قيل لما صاعه السامري ألقى في فيه من تراب أثر فرس جبرائيل فصار حياً^(١). وقيل احتال لدخول الريح جوفه فصوت^(٢). وثاني مفعولي «اتخذ» مقدر أي إلهاً ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فكيف يتخذونه إلهاً مع عجزه عن مقدورهم من كلام، ودلالة طريق ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ إلهاً ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ باتخاذهم واضعين للعبادة في غير موضعها.

[١٤٩] - ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي ندموا، إذ الندام يعرض يده فتصير مسقوطاً فيها ﴿وَرَأَوْا﴾ علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ بعبادة العجل ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ بقبول التوبة ﴿وَيَغْفِرَ لَنَا﴾ ذنبنا، وقراءهما «حمزة» و«الكسائي» بالتاء، و«ربنا» منادى^(٣) ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[١٥٠] - ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ حزناً أو شديد الغضب ﴿قَالَ بِشْمًا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ بشس خلافة خلفتمونيها بعد خروجي خلافتكم، حيث أشركتم، وفتح «الحرميان»، و«أبو عمرو»: ياء «بعدي»^(٤) ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ وعده الذي وعدنيه من الأربعين فلم تصبروا وقدرتم موتي وأشركتم ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ﴾ الواح التوراة غضباً لله فتكسرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ بذؤابته ولحيته ﴿يَجْرُهُ إِلَيْهِ﴾ غضباً على قومه كما يفعل الغضبان بنفسه وكان هارون أكبر منه بثلاث سنين وأحب إلى بني إسرائيل لئنه ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ﴾ كسره «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر» اكتفاءً بالكسر عن الياء تخفيفاً^(٥) وفتحها الباقون زيادة في التخفيف، أو تشبيهاً

(١) قاله الحسن - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٨٠.

(٢) قاله الزجاج والجبائي والبخي - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٨٠.

(٣) حجة القراءات: ٢٩٦.

(٤) اتحاف فضلاء البشر ٢: ٦٣.

بـ«خمسـة عشر» وذكر الأثم للترقيق وكانا لأب وأم ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَفُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ أي قهروني وقاربوا قتلي لشدة انكاري عليهم ﴿فَلَا تُسَمِّتْ بِبِي الْأَعْدَاءُ﴾ لا تسهرهم بأن تفعل بي ما ظاهره الإهانة ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بعبادة العجل أي من جعلتهم في إظهار الغضب علي .

[١٥١] - ﴿قَالَ رَبُّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ قاله انقطاعاً إليه تعالى لا لذنب فعلاه لامتناعه منهما، ودفعاً للشماتة بأخيه ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ بالإنعام علينا ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أرحم منا بنا بأنفسنا .

[١٥٢] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ عذاب الآخرة، أو أمرهم بقتل أنفسهم ﴿وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قتل أنفسهم، أو الجلاء، أو الجزية ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿تَجْزَى الْمُفْتَرِينَ﴾ على الله بالإشراك وغيره .

[١٥٣] - ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ من اشراك وغيره ﴿ثُمَّ تَابُوا﴾ عنها ﴿مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ واستقاموا على الإيمان ﴿إِنْ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ بعد التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم .

[١٥٤] - ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ فيه مبالغة بجعل الغضب الحامل له على ما فعل كالأمر، فعبر عن سكونه بالسكوت ﴿أَخَذَ الْأَلْوَابَ﴾ التي القاها ﴿وَفِي نُحُوتِهَا﴾ وفيما نسخ أي كتب ﴿هُدًى﴾ بيان للحق ﴿وَرَحْمَةً﴾ دعاء الى الخير ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِإِذْنِهِمْ يَرْجُونَ﴾ يخشون . دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بتأخيره .

[١٥٥] - ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أي من قومه، حذف «من» فنصبه الفعل ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ قيل ^(١) أمرهم تعالى أن يختارهم ليكلّمه

(١) قاله ابو علي الجبائي وأبو مسلم وجماعة من المفسرين ورواه علي بن ابراهيم في تفسيره - كما في

بحضرتهم ويشهدوا له عند بني إسرائيل، فلما سمعوا كلامه قالوا ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(١) ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ﴾ أي الصاعقة أو الزلزلة، فصعقوا ﴿قَالَ رَبُّ لَوْ شِئْتُ أَهْلَكْتُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل خروجي ﴿وَأَيَّايَ﴾ لئلا يتهمني بنو إسرائيل ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ استفهام استعطاف، أي لا تأخذنا بذنب غيرنا من طلب الممتنع وهو الرؤية فيكون الطالب بعضهم وقيل: عبادة العجل^(٢) ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ما الرجفة إلا ابتلاؤك لينمي الصابر من غيره، أو عذابك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ تتركه وشأنه فلا يوفق للصبر عليها ﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ بلطفك فيصبر ويثبت على الإيمان ﴿أَنْتَ وَلِيِّنَا﴾ متولي أمرنا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ تغفر الذنب وتولي النعم.

[١٥٦] - ﴿وَاحْكُتَبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ نعمة وتوفيق طاعة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الجنة ﴿إِنَّا هَذَا﴾ بنا ﴿إِلَيْكَ﴾ من هاده: أماله ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ من العصاة وفتح «الياء» «نافع»^(٣) ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا البر والفاجر وغير المكلف ﴿فَسَأَلْتُهَا﴾ أثبتها في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك والمعاصي ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ خصت بالذكر لفضلها أو لأنها أشق ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٥٧] - ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ خبره «بأمرهم» أو خبر محذوف أي هم الذين ﴿يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿الْأُمِّيَّ﴾ الذي لا يكتب ولا يقرأ ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ باسمه ونعته «بأمرهم» بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ﴿مِمَّا حَرَّمَ فِي شُرْعِهِمْ﴾ ويحرم عنهم ﴿عَلَيْهِمُ الْعَبَائِتُ﴾ كالميتة ونحوها ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ يخفف عنهم التكليف الشاق

(١) سورة البقرة: ٢/٥٥.

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٨٥ وتفسير البيضاوي ٢: ٢٤٥.

(٣) اتحاف فضلاء البشر ٢: ٦٤.

كقتل أنفسهم بالتوبة وقرض موضع النجاسة وتعين القصاص في العمد والخطاء .
وأصل الإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه مكانه وقرأ «ابن عامر»:
«إصارهم»^(١) «وَالْأَغْلَالُ» العهد «الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» بالعمل بما في التوراة
«قَالِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ» وقروه «وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ» أي مع
رسالته وهو أمير المؤمنين عليه السلام، أو هو القرآن «أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»
الظافرون بالمراد .

[١٥٨] - «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا» حال من «إليكم» بعث
صلّى الله عليه وآله وسلم إلى الثقلين وسائر الرسل إلى قومهم «الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ» صفة الله أو مبتدأ خبره «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» وهو على الاول بيان لما قبله، إذ من
ملك العالم اختص بالألوهية «يُخَيِّ وَيُخَيِّ» تقرير لاختصاصه بها «فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ» القرآن والوحي والكتب المتقدمة
«وَاتَّبِعُوا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» إلى الثواب والجنة .

[١٥٩] - «وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ» جماعة «يَهْدُونَ» الناس «بِالْحَقِّ» بكلمة
الحق «وَبِهِ يَعْدِلُونَ» في الحكم وهم الثابتون على الإيمان من أهل زمانه .
أو قوم وراء الصين رآهم النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ليلة معراجهم فآمنوا به ، أو
مؤمنو أهل الكتاب .

[١٦٠] - «وَقَطَعْنَا لَهُمْ» فزقنا بني إسرائيل «اثْنَتَيْ عَشْرَةَ» حال وتأييده للحمل
على الفرقة أو الأمة «أَسْبَاطًا» بدل منه أي قبائل «أُمَّةً» صفة «أسباطًا» «وَأَوْحَيْنَا
إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ» في التيه «أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ» فضربه
«فَانفَجَسَتْ» انفجرت «مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ» كل سبط «مَشْرَبُهُمْ
وظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ» يقيهم الشمس «وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى» وقلنا لهم :

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فسر في البقرة. ^(١)

[١٦١] - ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾ وقرأ «نافع» وابن عامر «تغفر» بالياء بصيغة المجهول، ^(٢) و«نافع» خطيئاتكم بالهمز والرفع جمعاً، ^(٣) وابن عامر «خطيئتكُم» كذلك مفرداً، ^(٤) و«أبو عمرو» خطاياكم كقضايكم ^(٥) ﴿سَرَّيْنِدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثواباً بالإمثال كما جعلناه توبة للمسيء.

[١٦٢] - ﴿قَبَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ فسر ثمة. ^(٦)

[١٦٣] - ﴿وَسَأَلْنَهُمْ﴾ توبيخاً ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ عن أهلها وما وقع بهم ﴿التي كانت حاضرة البحر﴾ بقره وهي «إيلة» بين مدين والطور، وقيل: مدين ^(٧) ﴿إِذْ يَغْدُونَ﴾ يتجاوزون الحد بصيد السمك ﴿فِي السَّبْتِ﴾ و«إذ» ظرف لـ «كانت» أو «حاضرة» ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ﴾ ظرف لـ «يغدون» ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ مصدر سبت اليهود، أي عظمت سبتها، أو اسم اليوم وضافته لا اختصاصهم فيه بأحكام ﴿شُرْعًا﴾ ظاهرة على الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْكُونُونَ﴾ لا يعظمون للسبت، أي سائر الأيام ﴿لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ﴾ البلاء ﴿يَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بنسقتهم.

(١) في سورة البقرة: ٥٧/٢.

(٢،٣) اتحاف فضلاء البشر ٢: ٦٥.

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩٠ واتحاف فضلاء البشر ٢: ٦٥.

(٥) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩٠ واتحاف فضلاء البشر ٢: ٦٦.

(٦) في سورة البقرة: ٥٩/٢.

(٧) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩١.

[١٦٤] - ﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ عطف على «إِذ» قبله ^(١) ﴿أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ جماعة من أهل القرية وكانوا ثلاث فرق، فرقة صادوا وفرقة نهوهم، وفرقة أمسكوا عن الصيد والنهي، فقالت الماسكة للناحية: ﴿لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الآخرة ﴿قَالُوا﴾ جواباً لسؤالهم ﴿مُعَذِّرَةٌ﴾ ^(٢) أي موعظتنا معذرة. ونصبها «حفص» مصدراً ^(٣) أي نعتذر معذرة ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾ لئلا ننسب إلى ترك النهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الله فلا يعصونه.

[١٦٥] - ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ من الوعظ فلم ينتهوا ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بتعدي الحد ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد، فعيل من بؤس يؤس بؤساً: ^(٤) اشتد. وكسر «ابن عامر» الباء وسكن الهمزة على أنه كـ «جِذْر» ^(٥) فخفف عينه بنقل حركتها إلى الفاء، وقلب «نافع» الهمزة ياء كـ «ذِيب» في ذئب ^(٦) و«أبو بكر» على فيعل كـ «ضيغم» ^(٧) ﴿يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بفسقهم.

[١٦٦] - ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ﴾ تكبروا عن تركه ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ مطرودين. وأريد بـ «كونوا» سرعة التكوين لا الأمر وظاهره تأخر المسخ عن العذاب وقيل: هذا تفصيل لما قبله. ^(٨)

قيل لما عتوا اعتزلهم الناهون فأصبحوا يوماً فلم يخرج من العاصين أحد،

(١) أي «اذ يعدون».

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «معذرة» - كما يشير إليه المؤلف.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩١ وحجة القراءات: ٣٠٠.

(٤) كذا في النسخ والصحيح بؤساً - كما في تفسير البياضوي ٢: ٢٤٨.

(٥) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩٢ وحجة القراءات: ٣٠٠.

(٦) حجة القراءات: ٣٠٠.

(٧) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩٢ وحجة القراءات: ٣٠٠.

(٨) قاله البياضوي في تفسيره ٢: ٢٤٨.

فدخلوا عليهم فإذا هم قردة تعرفهم وهم لا يعرفونها فجعلت تأتيهم تبكي وتشم ثيابهم فماتوا بعد ثلاث. ^(١)

[١٦٧] - ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ بمعنى آذن، أي: أعلم، أجري مجرى القسم كـ «علم الله» فأجيب بجوابه وهو ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ لیسَلْطَنَ على اليهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يوليهم شدته بالذل وأخذ الجزية فبعث عليهم سليمان، ثم بخت نصر، فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأذلهم وضرب عليهم الجزية، فهم كذلك الى يوم القيامة ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُ لَفَعُّونَ﴾ لمن آمن ﴿رَحِيمٌ﴾ به.

[١٦٨] - ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ فزقناهم ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقاً، مفعول ثاني أو حال، فلا شوكة لهم ولا يتناصرون ﴿مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ صفة «أمة» وهم من آمنوا ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ أي ناس منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم ﴿وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ بالمنح والمحن ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هم عليه.

[١٦٩] - ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ مصدر نُعِتَ به، فيأتي للواحد والجمع، وقيل: جمع، ^(٢) وشاع في الشر، وبالفتح في الخير، وأريد به معاصرو النبي مثل الله عليه وآله وسلم ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ التوراة عن أسلافهم يتلونونها ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَى﴾ حطام هذا الشيء الدني أي الدنيا من الحرام كالرشى وغيرها. والجملة حال من الواو ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ لا يواخذنا الله بذلك. والفعل مسند الى «لنا» أو مصدر «ياخذون» ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِنْهُ يَأْخُذُوهُ﴾ حال من المستكن في «لنا» أي يرجون المغفرة، مصرين على ذنبهم، عاندين إليه ﴿أَلَمْ يُوْخَذْ﴾ تقرير ﴿عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ أي في الكتاب ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ متعلق بالميثاق أي بـ «أن

لا يقولوا» أو عطف بيان له ﴿وَدَرَسُوا﴾ عطف على «يؤخذ» أو على «ورثوا» وهو اعتراض، قرأوا ﴿مَا فِيهِ﴾ أو تركوه حتى صار دارساً وليس فيه وعد بالمغفرة مع الإصرار فَلَمْ خَالَفُوا الميثاق بالكذب على الله بنسبة المغفرة إليه تعالى مع الإصرار ﴿وَالَّذَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ من عرض الدنيا ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾^(١) ذلك، فيؤثرون النعيم الباقي على السني الفاني المؤدي الى العقاب. وقرأ «نافع» و«ابن عامر» بالتاء.^(٢)

[١٧٠] - ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ عطف على «الذين يتقون» و«أفلا يعقلون» اعتراض، أو مبتدأ خبره ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُضِلِّينَ﴾ بتقدير منهم. وضع الظاهر موضع المضمهر وخفف «أبو بكر» «يمسكون».^(٣)

[١٧١] - ﴿وَإِذْ تَنْقَضُ الْجَبَلُ﴾ رفعناه ﴿فَوَقَّعَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ هي ما أظلك من غمامة أو سقيفة^(٤) ﴿وَقَلَّبُوا﴾ أيقنوا، أو قوي في نفوسهم ﴿أَنَّهُ وَقَعَ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم إذ وعدهم الله بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة، وكانوا أبوها لثقلها فقبلوها ﴿خَذُوا﴾ أي وقلنا لهم: خذوا ﴿مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ من التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجَدِّ وعزم، حال من السواو ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي.

[١٧٢] - ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدل اشتغال مما قبله بتكرار من ﴿دُرِّيَّتُهُمْ﴾ وجمعه «نافع» و«أبو عمرو» و«ابن عامر»،^(٥) أي أخرج من أصلابهم على نحو توأدهم نسلاً بعد نسل ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي وركب

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «تعقلون».

(٢) حجة القراءات: ٣٠١.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩٥ - وحجة القراءات: ٣٠١.

(٤) في «ط»: من الغمام أو السقيفة.

(٥) حجة القراءات: ٣٠١.

فيهم عقلاً ونصب^(١) لهم دلائل تدعوهم الى الإقرار بربوبيته حتى صاروا بمنزلة من استشهدوا وأقروا فكأنه قيل لهم: ﴿الَكُنْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ أنت ربنا ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ كراهة أن تقولوا ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ لم ننبه له بحجة .

[١٧٣] - ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ وقرأ «أبو عمرو» بالياء - فيهما -^(٢) ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاقطينا بهم إذ لا يسع التقليد مع التمكن من العلم بالحجة ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ من آبائنا بتأسيس الشرك .

وقيل : أخرج الله ذرية آدم من ظهره وجعلهم أحياء عقلاء ناطقين ، والهمهم ذلك .^(٣)

ورد بأنه ياباه الظاهر، لكن في أخبار أئمتنا عليهم السلام ما يعضده .^(٤)

[١٧٤] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ التفصيل والبيان للميثاق العام والخاص باليهود ﴿تَفَصَّلُ﴾ الآيات ﴿نَبِيَّهَا﴾ ليستدلوا بها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن الباطل الى الحق .

[١٧٥] - ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي اليهود ﴿نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾ «بلعم بن باعورا» من الكنعانيين ، كان عنده اسم الله الأعظم ، فمثل أن يدعو على موسى فدعا فانقلب عليه .

وقيل : أمية بن أبي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل رسولاً في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم حسده وكفر به^(٥) ﴿فَانْسَلَخْ﴾ خرج ﴿مِنْهَا﴾ بكفره بها كالشيء ينسلخ من جلده ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾

(١) في «ط» : وجعل .

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ٤٩٦ وحجة القراءات : ٣٠٢ .

(٣) رواه البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٥٠ .

(٤) تفسير مجمع البيان ٤: ٤٩٧ وتفسير البرهان ٢: ٤٦-٥١ وتفسير نور الثقلين ٢: ٩٢-١٠١ .

(٥) قاله أبو حمزة - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٦٩ - ونقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٥١ .

فلحقه ﴿تَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ فصار من الهالكين .

[١٧٦] - ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ الى منازل العلماء ﴿بِهَا﴾ بسبب الآيات قبل كفره لكن بقيناه^(١) اختباراً له^(٢) فكفر ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ ركن الى الدنيا ﴿وَاتَّبَعَ مَوَاهُ﴾ في ايثارها فوضعناه ﴿فَمَثَلُهُ﴾ فصفته ﴿كَمَثَلِ الْكُلْبِ﴾ كصفته ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطرد والزجر ﴿يَلْهَثْ﴾ يدلغ لسانه ﴿أَوْ تَرْتِكْهُ﴾ شأنه ﴿يَلْهَثْ﴾ والشرطية حال أي لاهثاً في الحالين بخلاف سائر الحيوانات والمراد التشبيه في الوضع والخسة .

وقيل لما دعا على موسى اندلع لسانه على صدره^(٣) ﴿ذَلِكَ﴾ المثل ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتدبرونها فيعتبرون .

[١٧٧] - ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ أي مثل القوم ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بعد علمهم بها ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ لا غيرها ﴿كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ بالكذب إذ وباله لا يتعداهم .

[١٧٨] - ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ الى الإيمان بلطفه ، لعلمه أنه أهل للطف ، أو الى الجنة بسبب إيمانه ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ الفائز بالنعيم الباقي ﴿وَمَنْ يَضِلْ﴾ بالتخلى بينه وبين ما اختاره من الضلال ، أو عن الجنة بسبب كفره ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .

ورعاية اللفظ بالأفراد في الأول ، والمعنى بالجمع بالثاني تشعر بأن المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين .

[١٧٩] - ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ ممن علم الله أن عاقبتهم النار لاختيارهم الكفر فكانه خلقهم لها ، فاللام للعاقبة لا للعلة بدليل ﴿وما

(١) في «ط» لكن ابقيناه .

(٢) في «الف» و«ب» : اختباراً له .

(٣) تفسير البضاوي ٢: ٢٥١ .

خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»^(١) «لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا» الحق لتركهم تدبر دلائله «وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا» آيات قدرة الله تعالى بصر اعتبار «وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا» مواعظ القرآن سماع اتعاظ «أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ» في عدم الفقه والإبصار والاستماع «بَلْ هُمْ أَصْلٌ» لأنها لا تدع ما فيه صلاحها من جلب منفعة ودفع مضرة، وهؤلاء يقدمون على النار عناداً «أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» إذ لم ينتبهوا^(٢) بالحجج.

[١٨٠] - «وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» مؤنثة أحسن، لدلائلها على أحسن المعاني «فَادْعُوهُ» ستمه «بِهَا وَذَرُّوْا» واركبوا «الَّذِينَ يُلْحِدُونَ» يميلون. وفتح «حمزة». ^(٣) يقال: لحد لحداً أي مال عن القصد «فِي أَسْمَائِهِ» فيطلقونها على الأصنام ويشتقون اسماءها منها كالكلمات من الله والعزى من العزيز، ومناة من المنان.

أو يسمونه بما لا يليق به، أي ذروهم والحادهم فيها، أو ذروا تسميتهم. ويفيد أن أسماءه تعالى توقيفية «سَبَّحْرُونَ» في الآخرة «مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». [١٨١] - «وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» في الحكم.

قال البيضاوي: استدلل به على حجية الإجماع، لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام: «لا تزال من أمتي طائفة على الحق حتى يأتي أمر الله». ^(٤)

ولا يخفى أن مفاد ذلك أن حجيته إنما هي باعتبار دخول قول تلك الطائفة وهو إنما يناسب طريقنا في حجيته من اشتراط دخول المعصوم. وعن الصادقين عليهم السلام: «نحن هم». ^(٥)

(١) سورة الذاريات: ٥١/ ٥٦.

(٢) في «ج» و«ط»: ينتهوا.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٥٠١ - وحجة القراءات: ٣٠٣.

(٤) تفسير البيضاوي ٢: ٢٥٢.

(٥) تفسير مجمع البيان ٢: ٥٠٣.

[١٨٢] - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ سنقرّبهم الى الهلاك درجة درجة
 ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك بأن نواتر عليهم النعم وهم يزدادون غياً حتى يحل
 بهم العذاب .

[١٨٣] - ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾ وأمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَبِينٌ﴾ بطشي شديد ، سماه كيداً
 لمجيئه من حيث لا يشعرون .

[١٨٤] - ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿مِنْ
 جَنَّةٍ﴾ قيل : صعد صلى الله عليه وآله وسلم الصفا فحذرهم بأس الله ، فقال بعضهم «ان
 صاحبكم جنّ حتى بات يصوت الى الصباح» فنزلت ^(١) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾
 موضح للإنذار .

[١٨٥] - ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ نظر ^(٢) اعتبار ﴿فِي مَلَكُوتٍ﴾ ملك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لـ «ما» فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته ﴿وَأَنْ
 عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَفْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾ عطف على «ملكوت» و«أن» مصدرية أو مخففة
 واسمها ضمير الشأن كـ «يكون» أي أو لم ينظروا في اقتراب موتهم فيبادروا [الى] ^(٣)
 الإيمان لئلا يموتوا كفاراً فيصيروا الى النار ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ أي القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾
 مع وضوح دلالة .

[١٨٦] - ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ بتركه وسوء اختياره ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ يقسه على الإيمان
 ﴿وَنَذَرُهُمْ ^(٤) فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ بالرفع على الاستئناف وقرأ «أبو عمرو» و«عاصم» «بالياء» ^(٥)

(١) ذكره البيضاوي في تفسيره ٢ : ٢٥٢ - وفيه : يهوت ، وذكر معناه الطبرسي في تفسير مجمع البيان
 ٥٠٥ : ٢ .

(٢) في «ط» : نظرة .

(٣) الزيادة اقتضاها السياق .

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «يذرهم» .

(٥) حجة القراءات : ٣٠٣ .

و«حمزة» و«الكسائي» بها وبالجزم عطفاً على محل الجزء^(١) «يَعْمَهُونَ» متحيرين .
[١٨٧] - «يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ» يوم القيامة أو وقت موت الخلق «أَيَّانَ
مُرْسَاهَا» متى إرساؤها، اثباتها .

ورسا الشيء : ثبت واستقر . وأصل «أَيَّانَ» أي ، إذ معناها أي وقت «قُلْ إِنَّمَا
عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي» لم يُطلع عليه أحداً «لَا يُجَلِّئُهَا لِوَفِّيْهَا» لا يظهرها في وقتها «إِلَّا
هُوَ» فلا يعلمها غيره حتى يجليها «نُقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» عظمت على أهلها
لهولها «لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَغْثَةً» فجأة ، فتكون أعظم وأهول «يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ
مُسْتَقْصٍ فِي السُّؤَالِ» عنها حتى علمتها «قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ» كرر تأكيداً
«وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» ان علمها عند الله استأثر به .

[١٨٨] - «قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا» بجلب «وَلَا ضَرًّا» بدفع «إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ»
أن يملكه من ذلك بإلهامه «وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سَتَكُنَّ مِنَ الْخَيْرِ» من
المنافع «وَمَا مَسْنِي السُّوءِ» من فقر وغيره لاحترازي من أسبابه «إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ
وَبَشِيرٌ» لا أعدو، ذلك الى علم الغيب «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» فإنهم المتفعون بالإنذار
والبشارة أو يتعلق بـ«بشير» ومتعلق «نذير» مقدر .

[١٨٩] - «هُوَ» أي الله «الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» آدم «وَجَعَلَ مِنْهَا» من
ضلعها أو فضل طينتها أو جنسها «زَوْجَهَا» حواء «لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا» ليأنس بها . دُكر
نظراً الى المعنى «فَلَمَّا تَغَشَّاهَا» جامعها «حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا» هو النطفة «فَمَرَّتْ
بِهِ» فاستمرت به تحي . وتذهب لخفته «فَلَمَّا أَثْقَلَتْ» صارت ذات ثقل بكبر الحمل
في بطنها «دَعَا اللَّهَ رَبُّهَا لِنِئَانِهَا صَالِحًا» ولدأ سرياً «لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ»
لك على ذلك .

[١٩٠] - «فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحًا جَمَلًا لَهُ شُرَكَاءُ فِيمَا ءَاتَاهُمَا» أي جعل أولادهما

له شركاء فيما أتى أولادهما فسمّوه «عبد اللات» و«عبد العزى» على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه بقرينة «فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

وقيل: ضمير «جعلاً» للنسل الصالح السوي. ^(١) وثني لأن حواء كانت تلد توأماً. وقيل المعنى: خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل زوجها من جنسها. وضمير «جعلاً» للنفس، وزوجها من ولد آدم، ^(٢) وضمير «يشركون» للجميع. وقرأ «نافع» و«أبو بكر» شركاً ^(٣) أي ذوي شرك أي شركاء.

[١٩١] - «أَيُّشْرِكُونَ» توبيخ «مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ» أي الأصنام التي سموها آلهة. وأفرد للفظ «ما» وجمع لمعناها. [١٩٢] - «وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ» أي لعبدتهم «نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ» بدفع ما يعترها.

[١٩٣] - «وَأَن تَدْعُوهُمْ» أي المشركين «إِلَى الْهُدَى» الإيمان «لَا يَتَّبِعُوكُمْ» وخففه «نافع»، ^(٤) أو الخطاب للمشركين والضمير للأصنام، أي إن تدعوهم إلى أن يهدوكم لا يجيؤكم «سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ» لم يقل صمتم مبالغة في عدم إفادة الدعاء من حيث تسويته بالثبات على الصمت.

[١٩٤] - «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ» تعبدونهم «مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا» مملوكة مذللة ^(٥) «أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ» في مهامكم «فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» انهم آلهة. [١٩٥] - «أَلَهُمْ أَزْجُلُ يَنْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا» وضّم «الطاء»

(١) تفسير مجمع البيان ٥: ٢٠٩.

(٢) قاله الحسن وقتادة - كما في تفسير مجمع البيان ٥: ٢٠٩.

(٣) حجة القراءات: ٣٠٤.

(٤) تفسير مجمع البيان ٥: ٢٠٨ وحجة القراءات: ٣٠٥.

(٥) في «ط»: مملوكون مذلولون.

«أبوجعفر»^(١) ﴿أَمْ لَهُمْ آغْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الهمزة للإنكار، و«أم» منقطعة أي ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم، فأنتم أفضل وأنتم منهم، ولم يستحق بعضهم عبادة بعض فكيف يستحقون عبادتكم وهم انقص منكم ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ وَتَظَاهَرُوا بِهِمْ عَلَيَّ﴾ ثُمَّ كَبِدُونِ ﴿فَاجْتَهِدُوا أَنْتُمْ فِي هَلَاقِي﴾ فَلَا تَنْظُرُونِ ﴿فَلَا تَمْهَلُونِي فَإِنِّي لَا أَبَالِي بِكُمْ﴾.

[١٩٦] - ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ﴾ متولي أموري وناصري ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن، حجة لي عليكم ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ ينصرهم بالدفع عنهم والحجة .
[١٩٧] - ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ فكيف أبالي .

[١٩٨] - ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾ أي الأصنام ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ كالناظرين ﴿إِلَيْكَ﴾ إذا قابلت صورهم ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ .
[١٩٩] - ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ ما عفا وتيسل من أخلاق الناس أو من أموالهم . ونسخ بآية الزكاة، أو اعف عن المذنب ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ ما حسن عقلاً وشرعاً ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فقابل سفهم بالحلم .

[٢٠٠] - ﴿وَإِمَّا﴾ «ان» الشرطية ادغمت في «ما» الزائدة ﴿يَتَزَعَّنَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَزَعُّنٌ﴾ ينخسك منه نخس، أي وسوسة تزعجك ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ يكفكه ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ لدعائك ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يصلحك فيفعله .

[٢٠١] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾ خاطر ولمم،^(٢) اسم فاعل من طاف يطوف، أو طاف يطيف طيفاً وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«الكسائي» «طيف»

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٥١١.

(٢) اللّم هي صغار الذنوب، ويقال مقارنة الذنب من غير واقعة .

مصدر. ^(١) ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ أي جنسه بقرينة جمع ضميره ﴿تَذَكَّرُوا﴾ عقاب الله وثوابه ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ للرشد فيرجعون إليه بسبب التذكر.

[٢٠٢] - ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ أي إخوان الشياطين من الكفار يمدّهم الشياطين، أو إخوان الكفار من الشياطين يمدون الكفار ﴿فِي الْغَيِّ﴾ بتزيينه لهم. وقرأ «نافع»: «يمدّونهم» من أمد ^(٢) ﴿ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ﴾ لا يكفون عن اغوائهم، أو لا يكف الاخوان عن الغي كما يكف المتقون.

[٢٠٣] - ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾ مما اقترحوا، أو من القرآن ﴿قَالُوا لَوْ لَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ هلا تقولتها من نفسك كسائر ما تقولته، أو هلا طلبتها من ربك ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنَبِّئُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ لست بمقول ولا مقترح للآيات ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بِصَافِرٍ﴾ دلائل تبصر القلوب بها الحق ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فسر. ^(٣)

[٢٠٤] - ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قيل: نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها، فامروا بالاستماع والإنصات لقراءة الإمام، ^(٤) وروى ذلك عن الباقر عليه السلام ^(٥) وقيل فيها وفي الخطبة ^(٦) وظاهرهما وجوبهما لقراءة القرآن مطلقاً وبه اخبار. ^(٧)

وتحمل على تأكيد الاستحباب إن ثبت الإجماع على عدم الوجوب في غير

(١) اتحاف فضلاء البشر ٧٢/٢.

(٢) حجة القراءات: ٣٠٦.

(٣) قد مر مثله في الآية ٥٢ من هذه السورة.

(٤) تفسير البضاوي ٢: ٢٥٦.

(٥) تفسير البرهان ٢: ٥٦ ونقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٥١٥.

(٦) قاله الحسن - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٥١٥.

(٧) تفسير البرهان ٢: ٥٧ وتفسير مجمع البيان ٢: ٥١٥.

الصلاة كما ادعي^(١).

[٢٠٥] - ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ يعم كل ذكر. وعن «زرارة» عن أحدهما عليهما السلام، معناه: «إذا كنت خلف امام تأتم به فانصت وسبح في نفسك»^(٢) يعني فيما لا يجهر الإمام فيه بالقراءة ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ متضرعاً وخائفاً ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ولا فظاً دون الجهر وفوق السرر ﴿بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ بالكبر والعشيات ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكر ربك.

[٢٠٦] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ ينزهونه ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ يخصونه بالخضوع والتذلل. تعريض بمن ليس كذلك.

وسجود التلاوة هنا مستحب عندنا، وعند الشافعي، وأوجه أبو حنيفة^(٣).

(١) نقل الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٤: ٥١٥، قول الشيخ الطوسي قدس سره: «واقوى الأقول، الاول: لانه لاحال يجب فيها الانصات لقراءة القرآن الاحالة قراءة الإمام في الصلاة فإن على المأموم الانصات والاستماع، فاما خارج الصلاة فلا خلاف ان الانصات والاستماع غير واجب.

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ٥١٥.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤: ٥١٦.

سورة الأنفال

[٨]

سِتّ وسبعون آية مدنية وقيل : إلّا من «واذ بمكر» الى آخر سبع^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ عن الغنائم لمن هي . نزلت حين اختلف

المسلمون في غنائم بدر فقال الشّبان : هي لنا لبما شرتنا القتال ، وقال الشيوخ كنا تحت الرايات رداء لكم تنحازون البنا .

أو عن الأشياء المختصة به صلى الله عليه وآله وسلم كما روى عن أهل البيت عليهم السلام انها ما أخذ من دار الحرب بلا قتال ، والأجام والموات وغيرهما ، فإنّها لله ولرسوله ، وبعده لمن قام مقامه يصرفه حيث شاء من مصالحه^(٢) وان غنائم بدر كانت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة فقسمها بينهم تفضلاً منه ، فالمراد بالسؤال عنها طلبهم إياها منه صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) قاله ابن عباس وقادة - كما في تفسير الصافي ٢: ٣٦٦.

(٢) راجع الأحاديث الواردة في ذلك في تفسير البرهان ٢/ ٥٩ وتفسير الصافي ٢: ٣٦٦.

ويعضده قراءة أهل البيت عليهم السلام «يسألونك الأنفال»^(١) ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي أمرها مختص بهما يجعلها الرسول حيث أمره الله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الاختلاف والخلاف ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ الحال بينكم، أو حقيقة وصلكم، بالمواصلة وترك الشقاق ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في أوامرها ونواهيها ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ كاملي الإيمان، فإن كماله بتقوى الله والإنقياد له ولرسوله وإصلاح ذات البين.

[٢] - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي الكاملون الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خافت لذكره تعظيماً له، أو إذا ذكر وعيده تركوا المعاصي خوفاً من عقابه ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ تصديقاً لرسوخ اليقين بتظاهر الحجج ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ به، يثقون وإياه يرجون ويخشون لا غيره.

[٣] - ﴿الَّذِينَ يقيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فسر في البقرة.^(٢)

[٤] - ﴿أُولَئِكَ﴾ المستجمعون لهذه الخصال ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي إيماناً حقاً لا يشوبه شك، أو حق ذلك حقاً ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الجنة يرتقونها بأعمالهم ﴿وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ دائم كثير في الجنة.

[٥] - ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ «كما» متعلق بما دلّ عليه «الأنفال» لله والرسول، أي جعلها لك وإن كرهوا ولم يعلموا انها صالح لهم كإخراجك من وطنك المدينة للحرب وإن كرهوه.

أو خبر محذوف أي هذه الحال في كراحتهم لها كإخراجك في كراحتهم له ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ حال أي أخرجك في حال كراحتهم، وذلك «أن غير قريش أقبلت من الشام وفيها أبو سفيان وجماعة، فعلم بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) جوامع الجامع ٢/ ١ وتفسير البرهان ٢/ ٥٩.

(٢) سورة البقرة: ٤/ ٤.

فانندب أصحابه ليغنموها، فخرجوا هم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فعلمت قريش فخرج أبو جهل بأهل مكة ليدبوا عنها وهم النفير، فأخذت العير الساحل فنجت، فأشير على أبي جهل بالرجوع فأبى، وسار الى «بدر» وقد وعد الله نبيه إحدى الطائفتين فاستشار أصحابه، فكره بعضهم قتال النفير، وقالوا لم نتأهب له، انما خرجنا للنفير، فقال: العير مضت، وهذا أبو جهل قد أقبل، فرآدوه، فغضب النبي صلى الله عليه وآله .

فقال «سعد بن عباد» و«المقداد» و«سعد بن معاذ»: إمض لما أردت فإننا معك لم يتخلف منا أحد عنك، فسر بذلك وقال: سيروا على بركة الله .

[٦] - ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ أي القتال، إذ قالوا هلا أخبرتنا لنستعد له ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر وعرفوا صوابه ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي هم في كراهتهم له كمن يساق الى الموت وهو يعاين أسبابه .

[٧] - ﴿وَإِذْ﴾ واذكروا إذ ﴿يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ العير أو النفير . و«إحدى» ثاني مفعولى «يعدكم» ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل اشتمال منه ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أي تريدون العير لقلة الناس والسلاح فيها دون النفير لكثرة عددهم .^(١)

والشوكة: الحدة، كني بها عن الحرب ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَدَّ﴾ يشبهه ويظهره ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ السابقة بالوعد بظهور الإسلام ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ آخرهم أي يستأصلهم بظفركم بالنفير .

[٨] - ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ أي أمركم بقتال النفير ليظهر الإسلام ويمحق الكفر ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ذلك .

[٩] - ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ متعلق بـ «لحق» أو بمضمرة أي أذكروا إذ تطلبون منه

(١) وفي تفسير البيضاوي: والشوكة: الحدة، مستعار من واحدة الشوك .

الغوث بنصركم عليهم ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ﴾ أي معينكم، قيل: كسرهما «أبو عمرو»^(١) على إرادة القول أو لأن الاستجابة منه ﴿يَأْتِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُردِّفِينَ﴾ متبعين بعضهم بعضاً، من أردفته جئت بعده، أو متبعين أنفسهم المؤمنين من أردفته الشيء اتبعته آياه فردفه، وفتح «نافع» الدال^(٢) أي متبعين أمدهم أولاً بها ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما في «آل عمران»^(٣).

[١٠] - ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾ بشارة لكم بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ تسكن إليه من الروح ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا من العدد والمعد والملائكة، وإنما أمدهم بشارة وتقوية لقلوبهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يغالب ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعل المصلحة.

[١١] - ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ﴾ بدل من «إذ تستغيثون» أو متعلق بـ «جعل» أو بالنصر، أو بإضمار «اذكر» وخففه نافع^(٤) من «أغشيته الشيء» أي غشيته إياه، وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو»: «يفشاكم»^(٥) النعاس بالرفع «أَمَنَةً مِنْهُ» أماناً من الله، مفعول له «يفشيكُم النعاس» و«يفشاكم» لأنهما بمعنى تنعسون.

والأمنة فعلهم، أو يراد بها الأمان فهي فعل المغشي ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ من الجنابة والحدث أو منهما ومن الخبث ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ الجنابة، لأنها من تخيله أو وسوسته لكم.

قيل نزلوا على تلي رمل تسوخ فيه أقدامهم فباتوا على غير ماء فاختم أكثرهم،

(١) تفسير الكشاف ٢: ٦.

(٢) حجة القراءات: ٣٠٧.

(٣) آل عمران: ٣ / ١٢٤ أو ١٢٥.

(٤) حجة القراءات: ٣٠٩.

(٥) حجة القراءات: ٣٠٨.

وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم إبليس وقال: تزعمون انكم على الحق وقد سبقتم الى الماء، وتصلّون بالجنابة والحدث وأنتم ظماء، فامطروا وتلبد الرمل لتثبت عليه أقدامهم، فصنعوا الحياض واغسلوا وتوضّؤوا اطمانوا وزالت الوسوسة ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين والثقة بالنصر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ أي بالمطر بتبليده الرمل، أو بالربط.

[١٢] - ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ﴾ بدل ثاني، أو متعلق بـ «ثبت» ﴿إِلَى الْمَلَانِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ بالنصر في إعانتهم ﴿فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالتبشير بالنصر، أو بقتل أعدائهم، فيزيد القول بأنهم قاتلوا، ويكون ﴿سَأَلَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ﴾ كالبيان لـ «أني معكم» فثبتوا، ومن منع قتالهم جعله خطاباً للمؤمنين على تغيير الخطاب ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي الرؤوس ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أطراف أيديهم وأرجلهم.

[١٣] - ﴿ذَلِكَ﴾ الضرب ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي بسبب مخالفتهم لهما ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ بالإهلاك في الدنيا والآخرة.

[١٤] - ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي الأمر ذلكم ﴿فَذَوْقُوهُ﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ عطف على «ذلكم» ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾ في الآخرة.

[١٥] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ متدائنين لقتالكم، كأنهم لكثرتهم يزحفون، أو يدنون اليكم وتدنون اليهم ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَانَ﴾ منهزمين.

[١٦] - ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم لقائهم ﴿ذُبْرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ منعطفاً يريهم الفرز وهو يريد الكر مكيدة ﴿أَوْ مَتَحَرِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾ منحازاً الى جماعة من المسلمين يستعين بها. ونصب «متحرفاً» و«متحيزاً» حالاً، أو على الاستثناء أي إلا رجلاً متحرفاً أو متحيزاً ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ رجع ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

المرجع هي ، هذا إذا لم يزد العدو على الضعف .

[١٧] - ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ بيدر بقوتكم ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ بنصره لكم وإرعابهم .

قيل :^(١) لما التقى الجمعان رماهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقبضة من الحصى ، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه شيء منها فهزموا ، وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ، ثم رجعوا يتفاخرون يقتلهم فنزلت . والفاء جواب شرط مقدر أي إن افتخرتم يقتلهم فلم تقتلوههم ولكن الله قتلهم ﴿ وَمَا رَمَيْتَ ﴾ وما بلغت أعينهم الحصى يا محمد ﴿ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ بها نحوهم ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ ، بلغ ، إذ لا قدرة لبشر أن يبلغ كفاً من الحصى أعين الجيش الكثير . وخفف «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» «لكن» في الموضعين^(٢) ورفعوا ما بعدها ﴿ وَلِيُبَيِّنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءَ حَسَنًا ﴾ أي فعل ذلك ليقهر المشركين ولينعم على المؤمنين نعمه بالنصر والغنيمة ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لدعائهم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأحوالهم .

[١٨] - ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ أي الأمر ذلكم الإبلاء ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ ﴾ عطف على «ذلكم» وشدد «ابن كثير» و«نافع» «موهن» منوناً ، وخففه الباقون ونوتوه ، إلا «حفصاً»^(٣) إضافة .

[١٩] - ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا ﴾ تطلبوا الفتح أي النصر ، أو الحكم أيها الكفار ، إذ قال أبو جهل يوم بدر : اللهم من كان أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف فانصر عليه أو فأهلكه ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ نصر - محمد صلى الله عليه وآله وسلم - عليكم ، أو الحكم بهلاك أبي جهل وقتلاكهم ﴿ وَإِنْ تَنْتَهُوا ﴾ عن الكفر وحرب الرسول ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾

(١) وردت في ذلك احاديث راجع تفسير البرهان ٢ : ٧٠ وعليه جماعة من المفسرين ومنهم ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٢ : ٥٢٠ - .

(٢) حجة القراءات : ٣٠٩ .

(٣) حجة القراءات : ٣٠٩ - ٣١٠ .

عاجلاً وَّاجْلاً ﴿وَإِنْ تَعُوذُوا﴾ لحربه ﴿تَعُدُّ﴾ لنصره ﴿وَلَنْ تُغْنِي﴾ تدفع ﴿عَنْكُمْ﴾
فَتُكْتَمُ﴾ جماعتكم ﴿شَيْئاً﴾ من العذاب ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر
وفتح ﴿إِنْ﴾ «نافع» و«ابن عامر» وحفص «على تقدير اللام»^(١).

[٢٠] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ عن
الرسول ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن والمواعظ.

[٢١] - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ كالكفرة في دعواهم السماع ﴿وَهُمْ لَا
يَسْمَعُونَ﴾ سماع قبول، فكانهم لم يسمعوا.

[٢٢] - ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ ما دب على وجه الأرض ﴿عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ﴾ عن سماع
الحق ﴿الْبُكْمُ﴾ عن قوله ﴿الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ جعلوا شراً من البهائم لإبطالهم ميزوا به.

[٢٣] - ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ انتفاعاً باللطف ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ للطف بهم حتى
يسمعوا الحق ويقبلوه ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ
مُفْرِضُونَ﴾ عن قبوله عناداً.

[٢٤] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾
الرسول ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من العقائد والأعمال المورثة للحياة الباقية أو العلم لأنه
حياة، والجهل موت، أو الجهاد لأنه يمنع عن غلبة العدو، أو الشهادة لقوله ﴿بَلْ
أَحِبَاءٌ﴾^(٢) ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ بالموت ونحوه، فلا يمكنه تلافي
ما فات فبادروا الى الطاعات قبل الحيلولة، أو أنه أقرب إليه من قلبه فاحذروه نظير
﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾^(٣) أو أنه يملك عليه قلبه فيفسخ عزائمهم ففوضوا
اموركم إليه ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ﴾ فيجزئكم بأعمالكم.

(١) حجة القراءات : ٣١٠.

(٢) سورة آل عمران : ١٦٩ / ٣.

(٣) سورة ق : ١٦ / ٥٠.

[٢٥] - ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ عذاباً أي موجهه كإقرار المنكر بين أظهركم، وترك الأمر بالمعروف ﴿لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ جواب الأمر، أي إن إصابتكم لاتخص الظالمين بل تعمهم وغيرهم .

وسوغ التوكيد مع منافرته لجواب الشرط تضمنه النهي، ك﴿ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم﴾^(١) أو صفة لـ «فتنة» و«لا» للنهي بتقدير القول، لاللنفي، لشذوذ النون فيه في غير القسم، أو نهى بعد أمر كأنه قيل اتقوا عذاباً ولا يخصن العذاب الظالمين، أي لا تظلموا فإن وبال الظلم يخص الظالمين ويؤيده قراءة أمير المؤمنين والباقر عليهما السلام: «لتصيين»^(٢) ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ للعصاة .

[٢٦] — ﴿وَاذْكُرُوا﴾ معشر المهاجرين ﴿إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ قبل الهجرة ﴿مُتَضَعُونَ﴾ لقريش ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ يأخذونكم بسرعة كفار قريش أو غيرهم ﴿فَأَوَّكُنْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيْدِكُمْ﴾ قواكم ﴿يَنْصُرِهِ﴾ يوم بدر بالملائكة أو بالأنصار ﴿وَوَزَّقَكُمُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه .

[٢٧] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ بترك الفرائض والسنن، أو بترك شيء من الدين .

قيل: حاصر صلى الله عليه وآله وسلم «قريظة» أياماً، فسألوه الصلح كما صالح «النضير» على أن يسيروا إلى إخوانهم بالشام، فأبى إلا نزولهم على حكم «سعد» فأبوا، وقالوا ابعت إلينا «أبا لبابة» وكان عياله وماله فيهم، فبعته فاستشاروه، فأشار لهم انه الذبح .

قال فما زالت قدماي حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله، فنزلت، فشد نفسه

(١) سورة النمل: ٢٧/١٨ .

(٢) تفسير الصافي ٢: ٢٩٠ .

على سارية في المسجد، وإلى لا يذوق شيئاً حتى يموت أو يتاب عليه، فمكث سبعة حتى غشى عليه، ثم تاب الله عليه فقيل له: تَبَّ عليك، فحلّ نفسك، فألى لا يحلها حتى يحله النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاءه فحلّه^(١) ﴿وَتَخَوَّنُوا أَمَانَتَكُمْ﴾ ما آمنتكم عليه من الدين وغيره. جزم عطفاً على النهي، أو نصب جواباً له ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ انها أمانة أو قبح الخيانة.

[٢٨] - ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ بليّة من الله ليلوكم فيهم فلا تعصوه لأجلهم كـ أبي لبابة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ من أطاعه فيهم وآثر رضاه عليهم فالتسوه.

[٢٩] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ﴾ بطاعته وترك معاصيه ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ هداية في قلوبكم، تفرقون بها بين الحق والباطل، أو نصراً يفرق بينكم وبين أعدائكم بإعزازكم وإذلالهم.

أو نجاة مما تخافون في الدارين ﴿وَيُكَفِّرْ﴾ يستر ﴿عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالعفو عن ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ يتدّى بالنعم قبل استحقاقها فلا يمنعها مستحقاً بتقواه.

[٣٠] - ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ واذكر إذ يحتالون بمكة في أمرك ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ليحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة وذلك انهم تشاوروا في أمره بدار الندوة، فقال بعضهم: احبسوه في بيت حتى يموت، وآخر قال: احملوه على جمل واخرجوه على وجهه.

وقال أبو جهل اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فتضربوه ضربة واحدة، فيتفرق دمه في القبائل، فلا يقوى بنو هاشم على حرب الكل، فيرضوا بالدية، فصبوب ابليس رأيه، وكان قد أتاهم بصورة شيخ نجدى - وخطأ الأولين، فأجمعوا

(١) روي معناه عن الباقر والصادق عليهم السلام في تفسير البرهان ٧٣: ٤.

على ذلك .

فأخبر جبرائيل النبي صلى الله عليه وآله وأمره بالهجرة ، فبیت علیاً عليه السلام في فراشه وخرج الى الغار ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ بمجازاتهم بمكرهم أو برده عليهم ، أو بمعاملة الماكر بهم بمبيت علي عليه السلام في الفراش ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أعلمهم بالتدبير .

[٣١] - ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ قاله : «النضر بن الحارث» وأسند الى الجمع لأنه رئيسهم وقاضيهام أو التأمرؤن في شأنه صلى الله عليه وآله وسلم ، قالوه مع ظهور عجزهم عن معارضة سورة بعد التحدي مكابرة وعناداً ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما سطرؤه من القصص .

[٣٢] - ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا﴾ الذي يتلوه محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو قوله في علي عليه السلام : من كنت مولاة فعلي مولاة^(١) ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ الثابت تنزيله ﴿مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ إِنَّا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ على حجوده .

قاله النضر أو أبو جهل أو أبو النعمان بن الحارث نهكماً واطهاراً للجزم ببطلانه . [٣٣] - ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ بيان لسبب إمهالهم عما سألوه وهو كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرهم إذ لم يستأصل الله أمة ونبيتها مقيم فيها . واللام لتوكيد النفي ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيث يقولون : ﴿غفرانك ربنا﴾^(٢) أو فرضاً أي لو استغفروا لم يعذبوا أو وهم يستغفر فيهم بقية المؤمنين الذين لم يهاجروا عجزاً .

[٣٤] - ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ وأي شيء لهم يمنع تعذيبهم بعد خروجك وخروج البقية وقد عذبهم بالسيف بيدر وغيره ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون النبي صلى الله

(١) اتفق على نقله العامة والخاصة للتفصيل انظر عمدة عيون صحاح الأخبار الفصل الرابع عشر .

(٢) سورة البقرة : ٢/ ٢٨٥ .

عليه وآله وسلم والمؤمنين ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بالجانهم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ﴾ كما زعموا أنهم ولاية البيت الحرام ﴿إِنْ أُولِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَفُونُونَ﴾ لا المشركون ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن لا ولاية لهم عليه . ويفيد ان بعضهم يعلم ويعاند إن لم يرد بالأكثر الكل .

[٢٥] - ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾ صغيراً من مكاء يمكو: صفر ﴿وَتَضِيدَةً﴾ تصفيقاً من الصدى ، أي وضعوا ذلك مكان الدعاء ، أو الصلاة التي أمروا بها ، فمن كانت هذه صلاته لا يصلح لولاية السجدة .

قبل كانوا يفعلون ذلك في طوافهم عراة رجالاً ونساءً ،^(١) وقيل يفعلونه إذا صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليخلطوا عليه^(٢) ﴿فَذَوْقُوا الْعَذَابَ﴾ أي القتل بيد ، أو عذاب الآخرة ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بكفركم .

[٣٦] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ في حرب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ليصرفوا الناس عن دينه .

قبل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر، كل يوم يطعم واحد منهم عشر جزر،^(٣) أو في «أبي سفيان» استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش سوى من احتاش من العرب ، وانفق عليهم أربعين أوقية ، أو في أهل العير أعانوا بمالهم الثائرين بقتلى بدر ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا﴾ بأجمعها ﴿ثُمَّ تَكُونُ﴾ تصير في العاقبة ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ﴾ غماً لفواتها وفوات مقصودهم ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ في الحرب ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي من ثبتوا على الكفر منهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ يساقون .

[٣٧] - ﴿لِيَمِيزَ﴾ وشده «حمزة» والكسائي: ^(٤) من التمييز أي ليفصل ﴿اللَّهُ الْخَبِيرَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ الكافر من المؤمن أو نفقة الكافرين في حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(٢٥) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٦٥ .

(٤) تفسير البيضاوي ٢: ٢٦٥ .

عليه وآله وسلم ونفقة المؤمنين في نصره . ومتعلق اللام «يحشرون» أو «تكون» ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا﴾ يجمعه حتى يراكب بعضه على بعض لاردحامهم ، أو يضم ما انفقه اليهم ليعذبوا به كالكانزين ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ الْمُنْفِقُونَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أنفسهم إذا اشتروا لها العذاب بأموالهم .

[٢٨] - ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لَا أَجْلَهُمْ كَأَبِي سَفِيَانٍ وَأَصْحَابِهِ﴾ «إِنْ يَنْتَهُوْا» عن الكفر وحرب الرسول ﴿يَغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من ذنوبهم ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ الى حربه ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي دأب الله فيهم بالتدمير إذا حاربوا أنبياءهم فيجري فيهم .

[٢٩] - ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ لا يوجد شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ بالإجماع على الدين الحق ﴿فَإِنْ انْتَهُوْا﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فلا يضع أجراً لهم .

[٤٠] - ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن دين الله ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ متولي أمركم وناصرکم ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى﴾ يحفظ من تولاه ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ لا يخذل من نصره .

[٤١] - ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ الذي أخذتم من الكفار قهراً ، وقد يعمم في كل ما فيه الخمس ، إذ الغنيمة الفائدة ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ وإن قل ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ خبر محذوف أو مبتدأ حذف خبره أي فالحكم ، أو فواجب أن الله خمسه ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ وهو الإمام عند أكثرنا ، وبه أخبار .^(١)

وقال بعضنا ؛ «بنو هاشم» لظاهر الآية وبعض الله أخبار وعليه بعض العامة^(٢)

(١) راجع احاديثه في تفسير البرهان ٢: ٨٣ وتفسير نور الثقلين ٢: ١٥٥ .

(٢) تفسير ابوالفتح ٥: ٩٠ ، وانظر تفسير البضاوي ٢: ٢٦٦ .

وقال، بعضهم. بنو هاشم والمطلب،^(١) وبعضهم جميع قريش.^(٢) ﴿وَالْيَأْمَى
وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ من بني هاشم عند جل أصحابنا وبه اخبار.
ومنا من عمم الحكم في الأصناف الثلاثة من جميع المسلمين لظاهر الآية
واخبار وعليه الجمهور.

ثم إن مقتضى العطف بالواو أن يقسم الخمس ستة سهام: سهم الله، وسهم
رسوله، وسهم ذي القربى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبعده للإمام والثلاثة الآخر
لأصناف الثلاثة ويدل عليه اخبار،^(٤) وعليه أكثرنا وبعض العامة، إلا أنه قال سهم الله
للكعبة والباقي لمن ذكره الله.^(٥)

ومنا من قال: يقسم خمسة^(٦) إذا لمعنى فإن للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما
عطف عليه خمسة، وذكر الله للتعظيم كأنه قيل: فإن الله خمسة، يصرف الى هؤلاء
ويعضده اخبار، وعليه جمهورهم.

واختلفوا في سهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته ف قيل يصرف في
المصالح،^(٧) وقيل للإمام،^(٨) وقيل للأصناف الأربع^(٩) وقيل: يسقط هو وسهم ذي
القربى بموته، ويصير الكل للثلاثة الآخر^(١٠) ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللّٰهِ﴾ جوابه محذوف
دل عليه «واعلموا» أي إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا حكمه في الخمس واعملوا به ﴿وَمَا

(١) تفسير الكشاف ١٦: ٢ - وتفسير البيضاوي ٢: ٢٦٦.

(٢) تفسير البيضاوي ٢: ٢٦٦.

(٤) تفسير البرهان ٨٤: ٢ الحديث ٦.

(٥) رواء البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٦٧.

(٦) تفسير ابو الفتح ٨٩: ٥.

(٧) تفسير الصافي ٢: ٢٠٤ - وتفسير البيضاوي ٢: ٢٦٧.

(٨) تفسير الصافي ٢: ٢٠٤.

(١٠) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٦٧.

أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴿ مِنْ الْفَتْحِ وَالْآيَاتِ ﴾ ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ يوم بدر، إذ فُرق فيه بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ اتَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ المسلمون والكفار ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصركم وانتم أقل منهم .

[٤٢]- ﴿إِذْ﴾ بدل «يوم الفرقان» ﴿أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ جانب الوادي الأدنى من المدينة، وكسر عينها «ابن كثير» و«أبو عمرو»^(١) وضمها الباقون ﴿وَهُمْ﴾ أي النفير ﴿بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ جانبه الأبعد منها ﴿وَالرُّكُوبِ﴾ العير بمكان ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ خبرٌ نصب ظرفاً، والجملة حال عن الظرف قبلها ﴿وَلَوْ تَوَدَّ عَدُوُّكُمْ﴾ أنتم والنفير للقتال ثم علمتم ضعفكم وقوتهم ﴿لَا تَخْتَلَفْتُمْ﴾ أنتم ﴿فِي الْمِيعَادِ﴾ رهبة منهم ﴿وَلَكِنْ﴾ جمعكم بلا ميعاد ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ واجباً كونه، وهو نصركم وقهرهم . أشير الى ضعفهم وقوة عدوهم بذكر مركزهم، إذ العدو الدنيا تسوخ فيها الأقدام، وليس بها ماء بخلاف القصوى، وباستظهار النفير بالعر وتصميمهم على الثبات في المقاتلة عنها، وبتخلفهم عن الميعاد رهبة منهم ليعلم ان نصرهم معجز من الله تعالى ﴿لَيَهْلِكَنَّ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ متعلق بـ«مفعولاً» أي ليموت من مات، أو ليكفر من كفر بعد حجة واضحة قامت عليه وهي وقعة بدر، فإنها آية بينة ﴿وَيَخْشَى مَنْ خَفَى﴾ وفكّه «نافع» و«ابن كثير» و«أبو بكر»^(٢) ﴿عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أي ويعيش من عاش، أو ويؤمن من آمن عن حجة واضحة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ بالعقائد والأعمال .

[٤٣]- ﴿إِذْ﴾ اذكر إذ ﴿يُرِيكُمْهُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ قَلِيلًا﴾ أي يقللهم في عينك في نومك لتخير أصحابك، ليجتروا عليهم ﴿وَلَوْ أَرَاكُمْ كَثِيرًا لَفِشَلْتُمْ﴾ جبتهم ﴿وَلَتَنَارَغَنَّ فِي الْأُثُرِ﴾ أمر القتال من الاقدام والاحجام ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ سلمكم من الفشل والتنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما يحدث في القلوب .

[٤٤]- ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿إِذْ التَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ سبعين أو

(١) حجة القراءات: ٣١١ .

(٢) تفسير البضاوي ٢: ٣٦٧ .

مائة وهم نحو الف لشتبوا لهم ﴿وَيَقْلَلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ ليجتروا عليكم ولا يتهاوا لكم ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ كرر لأن المراد بالأمر هناك الالتقاء على تلك الصفة وهنا إعزاز الإسلام وإذلال الشرك ﴿وَالِإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

[٤٥] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُتِلْتُمْ فَمَنَّا قَاتَلْتُمْ جَمَاعَةً كَافِرَةً﴾ ﴿فَاتَّبِعُوا﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ مستعينين بذكره ودعائه على قتالهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾ نظفرون بالنصر والثواب.

[٤٦] - ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾ باختلاف كلمتكم ﴿فَتَفْسَلُوا﴾ فتجنبوا: جواب النهي ﴿وَتَذَهَبَ رَيْحُكُمْ﴾ دولتكم. استعير لها الريح لمشابتها لها في نفاذ الأمر ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنصر والحفظ.

[٤٧] - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ أي قريش، خرجوا من مكة لمنع غيرهم ﴿بَطْرًا وَرِفَاءَ النَّاسِ﴾ حالان أو مفعولان له.

قيل بعث اليهم أبو سفيان: ارجعوا فقد نجت غيركم، فقال أبو جهل: لا ترجع حتى نرد بدرًا ونحرق الجزر ونشرب الخمر، وتعرف لنا القيان، وتسمع بنا الناس، فوافقوها ولقوا ما لقوا ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عطفًا على «بطرًا» ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ علماً فيجازيهم به.

[٤٨] - ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿رَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ من حرب الرسول وغيره بوسوسته اليهم ﴿وَقَالَ﴾ بتخييله لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ لكثرة عددهم وعددهم. وللكم خبر «غالب» أو صفته لا صلته وإلا لنصب ﴿وَإِنِّي جَارٌّ لَّكُمْ﴾ مجيركم ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْقِسَانَ﴾ قلائق الجمعان ﴿نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ رجع هارباً أي بطل كيدته ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾ رجعت عن جواركم ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ أن يهلكني بأيديهم.

وقيل: (١) لما قصدت قريش المسير خافوا «كنانة» لحرب بينهم، فجنبوا فأتاهم ابليس بصورة «سراقه بن مالك الكناني» وقال: لا غالب لكم واني مجيركم من «كنانة»

(١) قاله عبد الله بن عباس ومحمد بن اسحاق والسدي والكلبي - كما في تفسير أبي الفتح ٥: ٩٦ -.

فلما رأى الملائكة نكص، فقالوا له أتخذ لنا على هذه الحال؟ فقال إني أرى ما لا ترون، وانطلق وانهموا، فقدموا مكة وقالوا هزم الناس «سراقة» فبلغه ذلك فقام: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم، فلما اسلموا علموا أنه إيليس، وروي^(١) ذلك عن الصادقين عليهما السلام. وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو»: ياء «إني أرى» وياء «إني أخاف»^(٢) «وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ» من كلامه أو مستأنف.^(٣)

[٤٩] - «إِذْ يَقُولُ الْمُسَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» شك في الإسلام مع إظهاره «غَرْهَؤُلَاءِ» أي المسلمين «دِينُهُمْ» اذخرجوا مع قتلهم الى قتال الجيش الكثير ظانين النصر بسببه فاجبوا «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَالِبٌ لَا يَغْلِبُ حَزْبَهُ وَإِنْ قُلَّ حَكِيمٌ» في تدبيره.

[٥٠] - «وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ» بيدر ومفعول «ترى» مقدر أي الكفرة حين تنفوا هم الملائكة. وقرأ^(٤) «ابن عامر» بالتاء «يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ» حال منهم، أو من «الملائكة» أو منهما «وَأَذْبَارُهُمْ» ظهورهم أو أستاذهم «وَذُوقُوا» أي يقولون لهم ذوقوا «عَذَابَ الْحَرِيقِ» أي نار الآخرة، أو مقامع حديد، كلما ضربوا التهب ناراً. وجواب «لو» حذف تهويلاً.

[٥١] - «ذَلِكَ» العقاب «بِمَا قَدَّمْتُمْ أَبْدِيكُمْ» أي بسبب ما فعلتم «وَأَنَّ» ويسبب أن «اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» بتعذيبهم بغير ذنب لا بتركه من مستحقه، إذ العفو لا يسمى ظلماً.

[٥٢] - «كَذَابٌ» أي دأب هؤلاء وهو عادتهم مثل دأب «عَالِي فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الأمم «كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» بيان لدأبهم «فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ» بالعقاب «يَذْنُوبِهِمْ» كأخذه هؤلاء «إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ» لا يمنع «شَدِيدُ الْعِقَابِ» لمستحقه.

(١) تفسير الصافي ٢: ٣٠٨.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٧.

(٣) في تفسير البضاوي ٢: ٣٦٩: والله شديد العقاب يجوز أن يكون من كلامه وإن يكون مستأنفاً.

(٤) حجة القراءات: ٣١١.

[٥٣] - ﴿ذَلِكَ﴾ التعذيب لهم ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿اللَّهُ لَمْ يَكُ﴾ حذف نونه تخفيفاً ﴿مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ مبدلاً لها بنقمة ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا﴾ يبدلوا ﴿مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من النعم بكفرها كتبديل قريش بعث الرسول منهم اليهم وإطعامهم وأمنهم غب جوع وخوف بالكفر ومعاداة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين وقتالهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لا أقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالهم .

[٥٤] - ﴿كَذَابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ يذنبونهم وأغرقتنا ءال فرعون ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر .

[٥٥] - ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لإصرارهم على الكفر .

[٥٦] - ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ بدل البعض من «الذين كفروا» للتخصيص و«من» لتضمين المعاهدة معنى الأخذ ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عاهدوا فيها وهم «قريظة» عاهدهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يعينوا المشركين عليه بالسلاح فأعانوهم وقالوا نسينا ، ثم عاهدهم فأعانوهم يوم الخندق ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ الله في نقض العهد .

[٥٧] - ﴿فَإِمَّا﴾ «إن» الشرطية أدغمت في «ما» الزائدة ﴿تَتَّقَنَّهُمْ﴾ تدركنهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَهُمْ﴾ ففرق ونكل بقتلهم ومعاقبتهم ﴿مَنْ خَلَفَهُمْ﴾ من الكفرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ لعل من خلفهم يتعظون بهم .

[٥٨] - ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ نقض عهد بإمارة تجدها ﴿فَاتَّبِعْ﴾ فاطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي مستوياً أنت وهم في العلم بنقض العهد ، بأن تعلمهم به قبل حربك لهم لئلا يتهموك بالخيانة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ استئناف يعلل الأمر بالنبذ على سواء .

[٥٩] - ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ ^(١) يا محمد ، ومفعولاه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ فاتوا الله . وقرأ

«ابن عامر» و«حمزة» و«حفص»: بالياء^(١) بجعل فاعله «الذين كفروا» والمفعول الاول محذوف أي أنفسهم ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِرُونَ﴾ استئناف يعلل النهي، وفتحها «ابن عامر»^(٢) بتقدير اللام، أي لا تحسبهم فأتوا الله لأنهم لا يفوتونه. نزلت فيمن أفلت «ببدر» من المشركين.

[٦٠] - ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ لحربهم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ مما يتقوى به في الحرب، وروى^(٣) أنها الرمي ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ «فعال» بمعنى مفعول، أي التي تربط في سبيل الله، أو مصدر، أي ربطها وجسها فيه ﴿تُرْهِبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ من غيرهم من اليهود أو المنافقين أو الفرس ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾ بأعيانهم ﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أجره ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَنْظُرُونَ﴾ بنقص شيء منه.

[٦١] - ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ مالوا. يعدى باللام وإلى ﴿لِلسَّلَامِ﴾ للصلح، وكسره «أبو بكر»^(٤) ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ وهو منسوخ بآية السيف، أو خاص بأهل الكتاب ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثق به فإنه يكفيك ما تخافه منهم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأسرارهم.

[٦٢] - ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ بالصلح ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَدْكُ بِنُصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ جميعاً.

[٦٣] - ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ مع حبيبتهم وتضاعفهم في أدنى شيء، حتى صاروا كنفس واحدة أو بالانصار: الاوس والخزرج، كانت بينهم ترات وإحن، فألف بينهم وصيرهم اخواناً ﴿لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ من المال لتألف بينهم ﴿مَا أَلَّفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ لشدة عداوتهم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بقدرته معجزة لك ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ غَالِبٌ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ﴾ ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

(٢٥١) حجة القراءات: ٣١٢.

(٣) تفسير الصافي ٢: ٣١١.

(٤) حجة القراءات: ٣١٢.

[٦٤] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ «من» عطف على «الله» أي كافيك الله والمؤمنون، أو على «الكاف» على رأي، أو مفعول معه.

[٦٥] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حثهم ﴿عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ خبر معناه الأمر بمقاومة الواحد للعشرة، والوعد بالغلبة إن صبروا. وقرأ «نافع» و«ابن كثير» و«ابن عامر»^(١) «تكن منكم مائة» بالتاء في الآيتين ومثلهم «أبو عمرو» في الثانية^(٢) ﴿يَأْتُهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أنهم مغالبون الله، ومغالبه مغلوب، أو يجهلون الآخرة فلا يرجون ثوابها فلا يشنون لكم.

[٦٦] - ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ صَعْقًا﴾ عن مقاومة الواحد للعشرة، وفتح «عاصم» و«حمزة» وضمه الباقون^(٣) ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ نسخ عنهم مقاومة عشرة أمثالهم لما ثقلت عليهم، أو كثروا بمقاومة مثليهم تخفيفاً عنهم ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون والحفظ.

[٦٧] - ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ﴾ وقرأ «أبو عمرو» بالتاء^(٤) ﴿لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَفْخِرَ فِي الْأَرْضِ﴾ يكثر قتل الكفار ويذلهم ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ أي ثوابها بقتلهم وقهرهم ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يغالب ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره.

روى^(٥) أنه صلى الله عليه وآله وسلم شاور أصحابه في أسارى بدر، فاختلفوا بين مشير بأخذ فدايتهم ومشير بقتلهم، ثم خيّرهم فأخذوا الفداء وهو صلى الله عليه وآله وسلم كاره لأخذه، فنزلت عتاباً لهم دونه، فلا تدلّ على أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجتهد ويخطئ، ويجوز أيضاً أنه كان مخيراً بين القتل والفداء وكان القتل أولى والعتاب على تركه.

(٢٥) حجة القراءات: ٢١٢.

(٤٤) حجة القراءات: ٢١٢.

(٥) رواه عبد الله بن مسعود - كما في تفسير أبي الفتح ١١: ٥.

قال^(١) ابن عباس: كان انكار الفداء حال قلة المسلمين، فلما كثروا خيروا بينه وبين المَنِّ بقوله: ﴿فَلَمَّا مَتَّأَبَدَ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ﴾.^(٢)

[٦٨] - ﴿لَوْ لَا كِتَابٌ﴾ حكم ﴿مَنْ اللَّهُ سَبَقَ﴾ وهو أنه لا يعذب بما لم ينه عنه صريحاً، أو لا يعاقب من أخطأ في اجتهاده، أو سيجل لكم الفداء ﴿لَمَسْكُمُ﴾ لأصابعكم ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ والخطاب لغيره صلى الله عليه وآله وسلم لعصمته وكرامته الفداء.

[٦٩] - ﴿فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ من الغنائم. قيل امسكوا عنها فتزلت، أو من الفداء فإنه من الغنائم ﴿حَلَالًا﴾ حال من «ما» أو أكلاً حلالاً وكذا ﴿طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ غفر ذنوبكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ أباحكم ما غنمتم.

[٧٠] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ وقرأ «أبو عمرو» «الأسارى»^(٣) ﴿إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيماناً خالصاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ نزلت في العباس كلفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يفدى نفسه وابني أخويه عقيل ابن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، فأظهر الفقر، فقال له: أين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل حين خرجت وقلت لها: ان حدث في حدث فهو لك ولأولادي؟ فقال ما يدريك، فقال: اخبرني ربي به، فقال أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وانتك رسوله، لم يطلع عليه إلا الله، قال فابذلني الله منها عشرين عبداً، ادناهم يضرب بعشرين ألفاً، وأعطاني «زمزم» وأنا انتظر المغفرة من ربي.

[٧١] - ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ أي الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ بإظهار الإيمان ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ﴾ بالكفر ﴿مِنْ قَبْلُ قَامَكُنْ مِنْهُمْ﴾ المؤمنين يبدر، فإن عادوا فسيمكن منهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنياتهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

(١) نقل القرطبي معناه عن ابن عباس في تفسيره الجامع ٨: ٤٨.

(٢) سورة النساء: ٤/٤٧.

(٣) تفسير البيضاوي ٢: ٢٧٢.

[٧٢] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ ديارهم ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ﴾ بالإنفاق ﴿وَأَنْفُسِهِمْ﴾ بالقتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المهاجرون ﴿وَالَّذِينَ ءَاوَوْا﴾ النسي والمهاجرين ﴿وَنَصَرُوا﴾ المذكورين على اعدائهم وهم الأنصار ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصر أو الميراث .

كان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة دون الأقارب فسخه ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾^(١) ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَا يَتِهِمْ﴾ وكسرها «حمزة»^(٢) ﴿مَنْ شِئْتُمْ﴾ فلا توارث بينكم وبينهم ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ﴾ فواجب عليكم ﴿النَّصْرُ﴾ على الكفار ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد ، فلا تنصروهم عليهم وتنقضوه ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .

[٧٣] - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصر أو الميراث ومفهومه نفى الولاية بينهم وبين المؤمنين ﴿إِلَّا تَقَالُوهُ﴾ أي تولى بعضهم بعضاً أيها المؤمنون وقطع الكفار ﴿تَكُنْ﴾ تحصل ﴿فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ قوة الكفر ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ ضعف الإسلام .

[٧٤] - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي حق ايمانهم حقاً وهم الكاملون في الإيمان ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة .

[٧٥] - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ﴾ أي بعد السابقين بالإيمان والهجرة ﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ ذروا القربابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الميراث من الأجانب ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في حكمه أو اللوح أو القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه مصلحة الميراث .

(١) سورة الأنفال : ٧٥ / ٨ .

(٢) تفسير الفيضوي ٢ : ٢٧٢ .

الفهرست

٥	كلمة دار القرآن الكريم
٩	المقدمة
٢٧	مقدمة الطبعة السابقة
٢٢	ترجمة المؤلف
٤٥	مقدمة المؤلف
	
٤٧	تفسير سورة الفاتحة
٦١	= سورة البقرة
٢٢٣	= سورة آل عمران
٢٩٣	= سورة النساء
٣٥٩	= سورة المائدة
٤٠٩	= سورة الأنعام
٤٥٥	= سورة الأعراف
٥٠٧	= سورة الأنفال